

# عُيُونُ التَّوَارِيخِ

لِلْمُؤَرِّخِ الْأَدِيبِ الصُّوفِيِّ  
مُحَمَّدِ بْنِ شَاكِرِ بْنِ أَحْمَدَ الْكِنِّيِّ  
الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٧٦٤ هـ  
رَحِمَهُ اللَّهُ

## السَّفَرُ الْأَوَّلُ

نسق مقدمته

الشيخ أبو منصور الحافظ  
المختار في كلية الشريعة والقانون  
بجامعة الأزهر

عني بتحقيق النص وتحرير الحواشي

حسام الدين القدسي

مُجَانِمٌ [Licencié]

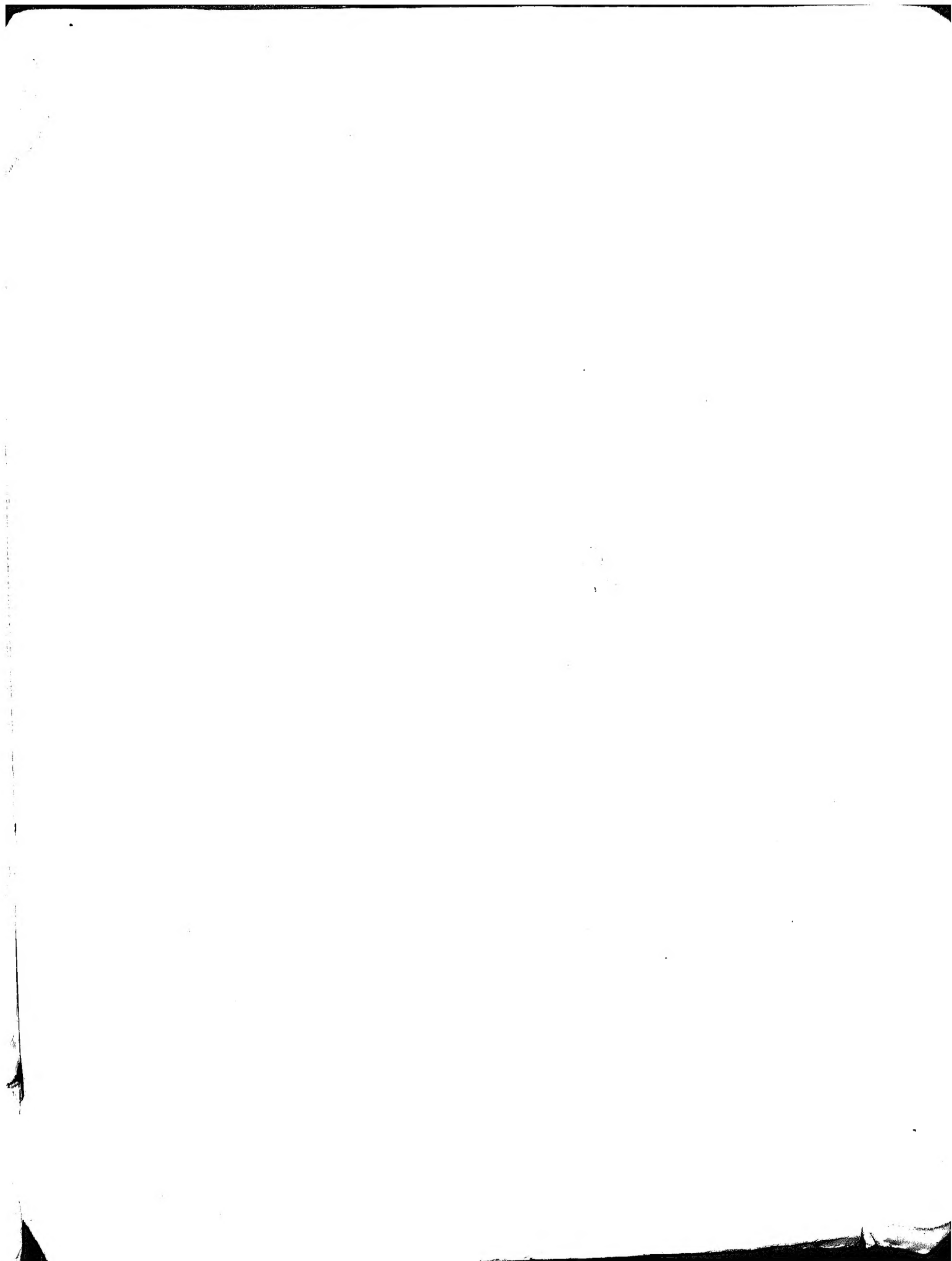
من جامعة دمشق سنة ١٩٢٧ م

١٩٨٠



مكتبة النهضة المصرية  
لأصحابها حسن محمد وأولاده  
بشارع مصر وبها شارع القاهرة





٢٩٧٤٩

٢٩٥٨٤

# عَيُونُ التَّوَارِيخِ

لِلْمُؤَرِّخِ الْأَدِيبِ الصُّوفِيِّ  
مُحَمَّدِ بْنِ شَاكِرِ بْنِ أَحْمَدَ الْكِنِّيِّ

المتوفى سنة ٧٦٤ هـ

رَحِمَهُ اللَّهُ

السَّفَرُ الْأَوَّلُ

(السيرة النبوية - مفارقة الصديق)

أنفق على طبعة، ونسق، مقدمة الطبع

الشيخ أبو منصور الحافظ

المتخرج في كلية الشريعة والقانون

بجامعة الأزهر

عنى بتحقيق النص وتحرير الحواشي

حسام الدين القدسي

مُجَاز [Licencié]

من جامعة دمشق سنة ١٩٢٧ م



مكتبة النهضة المصرية

لأصحابها حسن محمد وأولاده

٩ شارع عسكيت باشا بالقاهرة

٢٩٧,٦٣  
٨  
٥

الهيئة العامة للسكندرية
رقم التسجيل ٢٩٧٦٣
رقم الترخيص ٢٢٧٧٩

حقوق الطبع محفوظة

دار الانصار

مكتبة - طباعة - نشر - توزيع  
٨١ شارع البستان ناعمة شارع المهندسة حاديبة  
لندن ٩٢١٥٨١

دار الشباب للطباعة  
١٥ شارع العباسية بالقاهرة  
تليفون ٨٣٩٧٣٠



الحمد لله الذي جعلنا من عباده الصالحين  
 وشرفه على سائر الخلق ما اتاه من الفضل المبين والبرهان  
 الى الحقيقة المعاني بحاجتنا الى هذه الحقيقة بدمع البيان  
 كل عصر بحاجتنا الى هذه الحقيقة فاصبح هذا من مفاخر  
 وخدم على العباد بالوفاء لظواهر الحقيقة البديعة بالانوار  
 بحامده وشكره والوفاء بالشكر من سوارده وفاء  
 نعم التي لا يزال فضلها جديدا ومسته التي لا ينفذ  
 ونسبها الى الله لا اله الا الله وحده لا شريك له  
 غور ما فيه وما دامنا في الغور فحججه سرورها  
 الشك وما دامنا في ذلك فحججه رها الرعم فلا تخشى  
 ولا تخاف من انوارها وسنجد ان ربنا شهابا عذب  
 لا ينفذ في سبيل الاضواء الخفية من محكم الايات  
 الفصل من ايات الرسل المتصلة بالبرهان على شرف  
 الحكما على الله تعالى له وحده الدين منهم  
 منهم من جعل في الاسلام من محرمين ومنهم من جعل  
 المال منسوبة ومنهم من اقل الشراك بهاسه  
 داية طينة مبارك لا يزال اواها على الخافعين  
 اصر على الكواكب البرية رواها ما ازج بلع  
 يسبق على ان الاضواء مستلة وشرفه كبر الى  
 فلا مكان علم النارج من اعدت علوم الادب منها

والحمد لله الذي جعلنا من عباده الصالحين  
 وشرفه على سائر الخلق ما اتاه من الفضل المبين  
 الى الحقيقة المعاني بحاجتنا الى هذه الحقيقة  
 بدمع البيان كل عصر بحاجتنا الى هذه الحقيقة  
 فاصبح هذا من مفاخر وخدم على العباد بالوفاء  
 لظواهر الحقيقة البديعة بالانوار بحامده  
 وشكره والوفاء بالشكر من سوارده وفاء نعم  
 التي لا يزال فضلها جديدا ومسته التي لا  
 ينفذ ونسبها الى الله لا اله الا الله وحده  
 لا شريك له غور ما فيه وما دامنا في  
 الغور فحججه سرورها الشك وما دامنا في  
 ذلك فحججه رها الرعم فلا تخشى ولا تخاف  
 من انوارها وسنجد ان ربنا شهابا عذب لا  
 ينفذ في سبيل الاضواء الخفية من محكم الايات  
 الفصل من ايات الرسل المتصلة بالبرهان على  
 شرف الحكما على الله تعالى له وحده الدين  
 منهم منهم من جعل في الاسلام من محرمين  
 ومنهم من اقل الشراك بهاسه داية طينة  
 مبارك لا يزال اواها على الخافعين اصر على  
 الكواكب البرية رواها ما ازج بلع يسبق على  
 ان الاضواء مستلة وشرفه كبر الى فلا مكان  
 علم النارج من اعدت علوم الادب منها

منها الجود  
وهل عدلت يومنا رتبة هالك ذنبا يومنا ذنبا  
وما فقد المائون مثل الخبز في الامانة فقد  
صل الله عليه وعلى اله واصحابه واهله وذريته الطاهرين في يومنا  
فما جرد الاول من غير التواريخ البتة  
سأله في الثاني خلافا الى ذلك الصنف في رضى الله عنه وكان  
الغرض في سؤاله انما هو انما هو انما هو  
في رضى الله عنه في رضى الله عنه  
على ما افهمه الراجح في رضى الله عنه  
في رضى الله عنه في رضى الله عنه  
الذي هو اكمل من رضى الله عنه

10-11-50

Subject

[illegible]

لا سائر وجوه من هذه الكتب القاموس في اللغة العربية  
التي هي في كتابها وقد جمع فيها الحرف والاصول  
لها هو في ما عرفت من ان يكون في حاله في كل وقت



[illegible]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## ( مقدمة الطبع )

الحمد لله رب العالمين ، وصلوات الله وسلامه على خير خلقه وصفوة رساله  
سيدنا محمد ، وعلى آله الطيبين الطاهرين .

قال شيخنا الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود (١)  
عليه رحمة الله :

قص القرآن الكريم علينا أحداثاً تاريخية ، أبرز فيها مواطن العسيرة  
ومعالم العظمت ( لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ... ) .

ولم يقتصر القرآن في إيراد هذه الأحداث التاريخية على أمة دون أمة ولا  
على طائفة دون طائفة ولا على زمن دون سائر الأزمان .

فقد تناول التاريخ الأنبياء والمرسلين ، وأبان أن العاقبة للمتقين .

وقد عنى المسلمون بتدوين حوادث التاريخ ، ورأوا أن ذلك نوع من  
العبادة لا يتحوز فيها السرعة والتلفيق ، وخصوصاً ما اتصل منها بالعصر النبوي  
وبالقرآن وعلوم السنة ورجالها .

---

( ١ ) من ( تصدير تاريخ الإسلام للحافظ الذهبي ) . وقد توفي الإمام الأكبر في  
ذي القعدة الحرام المبارك سنة ١٣٩٨ ودفن ببلدته ( دار السلام ) وترك  
ثروة علمية رائعة ، دونها بقلم العالم الأديب العجيب المبدع المبرع المتعبد  
الملتزم بالاسلام . وكان أمة في دعوة الناس الى عبادة الحق تعالى شأنه ، مشهوراً  
بتشجيعه كل من يتوسم الخير فيه ، كافأه الله بروضة من رياض الجنة بفضل .

وقد شرع العرب في تدوين الحوادث التاريخية في القرن الأول : فقد  
دون أبو مخنف الأزدي — من أصحاب الإمام علي رضي الله عنه — فصولاً  
من أحداث التاريخ. كما أن عبيد بن شريك الجرمي<sup>(١)</sup> كان يحدث معاوية  
بأحداث الأمم السابقة ، فأمره أن يدونها فدونها في ( كتاب الملوك وأخبار  
الماضين ) . وقد أنبأنا ابن النديم عن المتقدمين من المؤرخين وما دونوه كما  
أنبأنا عنهم غيره . . . . .

والأحداث التاريخية في القرآن الكريم منسار يهتدى به السالكون ،  
ومعالم يسترشدها المسترشدون .

والمؤرخون من العرب لم يكتفوا بتدوين الأحداث العامة ، بل عرفوا  
التخصص في عهد مبكر : فمن المسلمين الأوائل من تخصص في دراسة المغازي  
النبوية ) ، ومنهم من اقتصر على تدوين ( ترجمة النبي ﷺ الخاصة ) ومنهم  
من كتب تاريخ الأمم السابقة .

ثم ظهرت كتب الطبقات ، وتخصص بعض المؤرخين في بعض الطبقات ،  
فظهرت طبقات ابن سعد ، ثم ظهرت طبقات القراء والمحدثين والشعراء  
والنحويين وطبقات الأطباء . . .

ومن المؤرخين من قصر جهده على نوع معين من الطبقات فظهرت  
مؤلفات كثيرة في طبقات الحنفية وطبقات المالكية وطبقات الشافعية  
وطبقات الحنابلة .

---

( ١ ) أدرك الإسلام فأسلم . ووفد على معاوية بن أبي سفيان بالشام ،  
فسأله عن أخبار القدماء وملوك العرب والعجم وتبليغ الأسنة ، فأجابه عن كل  
ذلك . فأمر معاوية أن يدون ذلك وينسب إلى عبيد . فكان هذا أول كتاب  
ألف في التاريخ . وعاش عبيد إلى أيام عبد الملك ، وألف كتباً أخرى ،  
منها كتاب الأمثال .

\* \*

وبعضهم ألف في تاريخ الوزراء أو الكتاب أو القضاة . . .  
وبعضهم عني بتاريخ بلده معين مثل تاريخ مكة أو المدينة أو بغداد أو  
دمشق أو غيرها . بل إن بعضهم أقصر تاريخه على شخص واحد من العظماء .  
وبرزت مؤلفات لتراجم الأتقياء والصالحين و . . .  
ونلاحظ أن رجال الحديث كانوا في طبيعة المؤرخين : فإن عنايتهم التامة  
بتدوين الحديث وتنقيته مما أقبح فيه من الأكاذيب جعلتهم يبذلون جهوداً  
كبيرة في دراسة رواية الحديث : فوضعوا لهذه الدراسة اسماً منطقياً وضوابط  
عقلية لا نجد لها نظيراً في أمة من الأمم ولا في شريعة سابقة .  
وهذا يحفزنا إلى الجد في نشر تراثنا الجمال المجيد ، فأنسا أن نستطيع أن  
نعرف تاريخ الإسلام السياسي والحضاري والاجتماعي معرفة حقيقية إلا  
إذا جمعنا مصادره ونشرناها نشرأ علمياً محققاً .  
والتراث العربي موزع في مكتبات العالم ، وهو أكثر من مليوني مؤلف .  
وقد بذل (معهد المخطوطات في جامعة الدول العربية) جهوداً مشكورة  
في تصوير كثير من هذا التراث المجيد .  
والعالم الإسلامي مسئول اليوم عن هذا التراث الجمال ، ثم بحثه وتحقيقه  
ونشره في العالمين .

وقال المؤرخ الشيخ محمد بن شاكر المكتبي

في مقدمة ( فوات الوفيات )

علم التاريخ مرآة الزمان لمن تدبر ، ومشكاة أنوار يطلع بها على تجارب  
الأمم من أمعن النظر وتفكر . . .



وقال الشيخ محمد زاهد السكوثرى :<sup>(١)</sup>

( إنما يكتب التاريخ بالتراجم ، والمترجمون هم حياة التاريخ ، وهم الذين صاغوه بعملهم وخلقهم وصوابهم وخطئهم ... )

والأمة الناهضة تقدر رجالها أحياءً وأمواتاً ، عرفاناً لجليلهم وأسدائهم ما يستحقونه من حسن الأحداث على أعمالهم ، وحضاً للأحياء على اتخاذ هؤلاء قدوة حسنة في خدمة الأمة في شتى النواحي .

وفي ( تراجم الرجال ) تتمثل حضارة الأمة وتقدمها وتأخرها . فهي إذاً معيار صادق ، فيرجو المخلصون في خدمة الأمة إنصافها لهم ، ويخاف المقصرون حكمها عليهم .

فاذا لم يترجم لهؤلاء وهؤلاء ضاعت مواضع الأسوة الحسنة وسوء الأحداث من التاريخ . فيصبح من يخدم ومن يهدم سواءً .

ولا بد من جمع التراجم في صعيد واحد ليسهل الإمام بحالات الأمة السياسية والاجتماعية والأدبية والمدنية ، ليصيب الباحث في حكمه على كل شعب من الشعوب بالنهوض أو الهبوط عن علم براتب رجاله في المثاقفة والمروءة والقيام بالواجب .

• • •

( ١ ) في مقدمة ( الاعلام الشرقية للاستاذ ذكي مجاهد ) .

## وقال الدكتور عبد الصبور مرزوق<sup>(١)</sup>:

حين اضطرب اللواء تقدم العلماء فصانوا للعروبة ماضيها وجمعوا الرصيد الحافل لإثراء حاضرها ومستقبلها .

تلقى المد العربي الزاحف الضربات من المغول ( التتار ) في القرن السابع الهجرى ، ثم تلقى الضربات حين أكره على الرحيل من الأندلس في القرن التاسع .

وبدافع طبيعي للخلاص تحركت الجموع باحثة عن الأمان والإستقرار في مصر وغيرها .

وفي القاهرة أخذ المد العربي المنحسر يجمع بقساياه ويلم أشتاتة ويتساند لمواجهة الطوفان .

فأسرعت أيدي العلماء في لهفة مخلصه تلم كل ما بعثره التتار وغيرهم من رصيدنا الفكرى والثقافى ، وتضم بعضه إلى بعض لتصنع منه البديل والعوض ، العلمى ، وتصنع منه سياجاً روحياً يحمى وجدان الأمة ويصون نفسيته .

فى هذه الفترة برزت فى العالم العربى عشرات الاسماء من كبار الاعلام الذين فجرت المحنة فى وجدانهم الوعى بحركة التاريخ ، فشرعوا يجمعون ويوثقون كل ما بعثرته الأحداث من أجداد أمتنا وتاريخ فكرها وسير رجالها . ثم ارتقى إحساسهم بالتاريخ فبحثوا فى فلسفته وفى أسرار حركته .

وفى الانجاء الأول ظهرت المجاميع الضخمة والموسوعات الشاملة التى كان أبرز من رجالها :

---

( ١ ) فى مقدمه طبع ( التعريف بأدب التأليف للحافظ السيوطى ) . نقلنا منها بتصريف يسير ، فترجوه من الدكتور عبد الصبور العذر ،

صلاح الدين الصفدي ، ابن خلكان ، الذهبي ، المقرئ ، ابن شاكر  
السكري ، الملك المؤيد صاحب حماة ، ابن حجر العسقلاني ، ابن أبي أصيبعة .  
وفي الاتجاه الثاني كانت المدرسة التي من روادها ابن خلدون .  
ووراء هذين كان اتجاه الجمع الموسوعي الذي برز من أعلامه :  
ابن منظور ، ابن فضل الله العمري ، النويري ، . . .

كان هذا الجهد العلمي سبيل المقاومة ، فتحرك الروح العربي الناجي من  
المغول وغيرهم ، مدفوعاً بالحرص على إنقاذه ، وحريصاً أيضاً على استبقاء  
الوجود العربي حتى لا يجرفه الطوفان .

وحركة أولئك العلماء في مختلف اتجاهاتهم لم تكن صدى الانزلال  
والرهبة الفكرية أو الهروب من الواقع ، بل كانت في صميمها محاولة رائعة  
للمقاومة بالكلمة . وكل عالم من هؤلاء إنما هو في الحقيقة بطل من أبطال  
المقاومة ، وكل وثيقة علمية من ثمرات هذه المحنة الكبرى هي إلى جانب قيمتها  
العلمية العظيمة وثيقة من وثائق النضال .

ولعل في هذه النظرة ما يعطينا التفسير الطبيعي لصبر هؤلاء وتبنيهم النادر  
للاستقصاء والبحث وإعطائهم بسطاء من أعمارهم ومن ذوات أنفسهم مائة قطع  
دونه أعناق الكثيرين من المعاصرين . . .

والعمل العلمي عند علمائنا لم يكن لتزكية الفراغ أو لإشباع الرغبة في الاطلاع .  
واسكنه كان ضرباً من العبادة وسبيلاً إلى الصلة بالله وكسب مرضاته ،  
لأن كلمة العالم محسوبة عليه بمقدار ما ترك في الناس من أثر ، وهو شديد  
الحساسية لأثر كلمته في الناس لأنه يخشى أن يسن سنة سيئة يكون عليه وزرها .  
ومن سيطرة هذا الإحساس كانت ضمائرهم يقظة في محاسبتهم إلى أقصى  
حدود اليقظة ، تحاسبهم على الكلمة يرددونها قبل التثبت منها ؛ منها تكن  
مشاق هذا التثبت . وكانت ضمائرهم تحاسبهم على ( الدعوى ) تصدر من  
أحدهم لا يقصد بها وجه الله ، بل إنما لتحاسبهم على لحظات الإعجاب

- خ -

والخيلاء التي قد تبرق في مخيلة أحدهم ؛ إلى الحد الذي نرى فيه إماماً جليلاً كالشافعي يتمنى أن لا ينسب إليه شيء مما ألف ، ويقول : ( وددت أن الناس يعلمون ما في هذه الكتب ولا ينسب إلى منها شيء ) .

ولقد يستوقف نظر الباحث المعاصر في تاريخ هؤلاء العلماء ولا سيما في ظلال المحنة الكبرى وما شابهها من محن ... أنهم كانوا من القوة والصلابة بحيث لم يحرفهم الطوفان ، ولم تستطع المحنة - مع اشتداد وطأتها - أن تطحنهم ، بل لقد زادتهم إصراراً على استنفاد تراث الإسلام والعروبة من كل ما كان يحيط به .

وسير شيوخ علمائنا جميعاً هو ارتفاعهم عن الدنيا وسموهم إلى مستوى المتعة الروحية الخالدة .

وقوائمه الرصيد الضخم في شتى فروع المعرفة : في الطب وفي الرياضيات وفي التشريع والفلك وفي الاجتماع والتاريخ وفي اللغة والأدب وفي الفنون ومناهج البحث و ...

وهذا الرصيد الضخم قد أحسن غيرنا تقديره واعترفوا بما له من خطر وبما له من أثر في إغناء الإنسانية عامة .

وحسب الذين يتجنون على ( التراث ) أن يعرفوا أن لعلمائنا دراسات في السياسة وفي الاقتصاد تعتبر رائدة . وحسبي أن أشير إلى أنهم عالجوا السياسة العامة للدولة وسياسة الرعية وسياسة الجند والخراج والإدارة .

وأزمة هذا الرصيد من ( التراث ) تأتي من الجهل به لا من نقصه ...

أما بعد<sup>(١)</sup> : فإن كتاب (عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي) من أهم الكتب المصنفة في التاريخ الإسلامي . وقد جمع بين الحوادث التاريخية والأخبار الأدبية ، حيث اشتمل على كثير من الأشعار في غضون الأخبار الأدبية .

وقد رتب المصنف كتابه على السنين : فذكر حوادث كل سنة ، ثم ذكر تراجم أعيان من توفي فيها . وهذا هو الترتيب العلمي ، وأما الترتيب على الحروف فهو من وظيفة الفهارس .

وقد بدأ كتابه بالسيرة النبوية الشريفة .

ومنذ عرف الناس (عيون التواريخ) أخذ الوراقون في نسخه ، وتنافس القادرون في اقتنائه ، وزخرت به دور الكتب والعلم . وهو اليوم مورد للباحثين المعاصرين ، ينقلون منه ويرجعون إليه كالشيخ محمد زاهد الكوثري<sup>(٢)</sup> والأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم<sup>(٣)</sup> والأستاذ فؤاد سيد<sup>(٤)</sup> وغيرهم .

وقد كانت فكرة إخراج هذا المخطوط إلى عالم المطبوعات من الشيخ محقق الكتاب ، حيث شجعني على الإنفاق على نشره ، وبين لي مزاياه وقيمه العلمية .

---

( ١ ) اقتبسنا من تصدير (فوات الوفيات لابن شاكر) صنعة استاذنا الميم (الدكتور) إحسان بن عباس . وقد أذن لي شغافياً بهذا ، ومن غيره من المراجع المقتبلة

( ٢ ) في الإنصاف للباقلاني وهو أمش (السيوف الصقيل) وغيرهما .

( ٣ ) في (تاريخ الطبري) و (إبناء الرواة للقفطي) .

( ٤ ) في (طبقات المعتزلة) طبع تونس .

ولا سيما ما قاله الباحثون المتخصصون من وجود نصوص في ( عيون التواريخ ) لا توجد في المصادر المطبوعة .<sup>(١)</sup>

من ذلك ما ورد من شعر ( أمية بن أبي الصلت في الصفحة ٢٢١ / ٢٢٣ من هذا السفر مما لم يعثر عليه من جمعوا شعره من العرب والمستشرقين لهذا العهد .

وقد كلفته بتصحيح ( السفر الأول ) بتجزئتنا .

وهو يشتمل على ( سيرة المصطفى رسول الله ﷺ من مولده إلى وفاته ، ثم خلافة سيدنا أبي بكر عبد الله الصديق ) .

كما كلفته بتحقيق ( السفر الثاني ) ويبدأ من ( سيرة الفاروق ) .

وسيصدر الثاني إن شاء الله عقب هذا السفر .

\* \* \*

---

(١) وعما يؤيدنا في هذا إمام الشيخ السكوثري في هوامش (السيب الصقيل للنفق السبكي) إلى نصوص نادرة من (عيون التواريخ) ولو كان عشر عليها في غيره ما تجشم عناء البحث فيه ، وهو العالم بالخطوط ومطابق النصوص .

## ( ترجمة ابن شاكِر السكتي )

مؤلف عيون التواريخ<sup>(١)</sup>

الشيخ<sup>(٢)</sup> صلاح الدين محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن  
هارون بن شاكر الداراني<sup>(٣)</sup> المولد، دمشق، السكتي المؤرخ الخازن<sup>(٤)</sup>  
الباحث الأديب الصوفي .

سمع من ابن الشحنة<sup>(٥)</sup> .

( ١ ) مراجع ترجمته : الدرر الكامنة ٤ / ٧١ من طبعة القاهرة ، وكشف  
الظنون ٢ / ١١٨٥ من مصورة طبعة اصطنبول ، وهدية العارفين للبغدادى  
٢ / ١٦٢ ، وذيل الحافظ الحسينى على ( العبر للحافظ الذهبي ) ٣٦٩ من طبعة  
السكريت ، والبداية والنهاية للحافظ ابن كثير ١٤ / ٣٠٣ من طبعة القاهرة  
والاعلام للاستاذ الزركلى ٧ / ٢٦ من الطبعة الثانية ، والاعلان بالتوبيخ  
للسخاوى ص ١٥٠ من طبعة دمشق .

( ٢ ) هكذا لقيه بعض من ترجم له .

( ٣ ) نسبة إلى داريا بقرب دمشق . وقد زرتها عام ١٣٨٥ هـ . راجع  
نسبة ( الداراني ) في ( الانساب للسمعاني ٥ / ٣٧١ من طبعة حيدر آباد الدكن  
( ٤ ) قال التاج السبكي في ( معيد النعم ) ص ١١١ من طبعة دار الكتاب  
العربي : خازن السكت حق عليه الاحتفاظ بها وترميم شعنها ، وحجتها عند  
احتياجها للحجك ، والفتنة بها على من ليس من أهلها ، وبذلها للبحثاج اليها ،  
وأن يقدم في العارية للفقراء على الأغنياء وكثيراً ما يشترط الواقف أن لا يخرج  
الكتاب إلا برهن ، وهو شرط صحيح معتبر ، فليس للخازن أن يعير إلا برهن  
( ٥ ) هو أبو العباس الحجار . قال الشيخ محمد زاهد الكوثري عليه  
رضوان الله : يتكرر ذكره كثيراً باسم أبي العباس بن أبي طالب أو بأبي العباس  
بن الشحنة أو بالحجار . وهو مستند الدنيا ورحمة الآفاق أبو العباس شهاب =

والمزى<sup>(١)</sup> وغيرهما من العلماء الذين قرأ عليهم والتقى بكثير منهم<sup>(٢)</sup>.

==الدين أحمد بن أبي طالب بن أبي النعم ، نعمة بن الحسن بن علي بن بيان الديلمي مقرر في ثم الصالحى الخنقى الشهير بابن الشحنة الحجار . ترجمه الحافظ الشمس بن طولون في (الغرف العلمية في ذيل الجواهر المضية) ترجمة وافية . سمع الصحيح من الحسين بن المبارك الزبيدي وابن اللقي . واجاز له من بغداد القطيعي وابن روضة والكاشغري وآخرون . وفي شيوخه ومروياته كثرة . ولحق حدود سنة اثنتين وعشرين وستائة . قال ابن حجر : وعمر حتى ألحق الاحفاد بالاجداد : فحدث بالصحيح أكثر من سبعين مرة بدمشق وغيرها ، ورأى من العز والإكرام مالا يزيد عليه . وانتخب عليه الحافظ ، ورحل إليه من البلاد وتواخا عليه وأنى عليه الذهبي وقال : إنه صام وهو ابن مائة سنة رمضان وأتبعه بست من شوال . مات سنة ثلاثين وسبعمائة . رحمه الله . وله ترجمة واسعة في الدرر لابن حجر اه . و ترجمه الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية ١٤ / ١٥٠) فقال : سمعنا عليه نحواً من خمسمائة جزء . وله إجازة من بغداد فيها مائة وثمانية وثلاثون شيخاً من العوالي المسندين . وقد سمع عليه السلطان الملك الناصر وخامع عليه وألبسه الخلعة بيده . عاش مائة سنة — محققاً — وزاد عليها : لأنه سمع البخاري من الزبيدي في سنة ثلاثين وستائة ، وأسمعه هو في سنة ثلاثين وسبعمائة بجامع دمشق . وسمعنا عليه يؤمئذ ولله الحمد . توفي بدمشق ودفن بجوار جسامع الأفرم . وكانت جنازته حافلة .

(١) هو الامام الحافظ الأوحى محدث الشام أبو الحجاج يوسف بن عبيد الرحمن القضاعى الشافعى . ولد بظاهر حلب سنة أربع وخمسين وستائة ونشأ بالمزة وسمع بالحرمين وحلب وحماة وبجانبك وغيرها . ونظر في اللغة ودرس فيها وأما معرفه الرجال فهو حامل لوائها ، لم تر الغيون مثله . عمل (تهذيب السكّال) في مائتي جزء ، والأطراف . وأوضح مشكلات ومعضلات ما سبق إليها ، وكان ثقة حجة حسن الاخلاق ترجمه الحافظ الذهبي ببسط في (التذكرة ٤ / ١٤٩٨) والمزة بكسر الميم . وهى في غربى دمشق . وتبعه عنها بخمسة كيلو مقرات وأسمها الآن (دمشق الجديدة) .

(٢) أنظر عيون التواريخ (١٢ / ٥ - ٥) من طبعة بغداد .



وأكثر ثقافته فيما يبدو كانت من الوراقة وتجارة الكتب التي كان يستفيد منها علماً وثقافة ومالاً. وقد كان شديد الفقر قبل أن يجد الحرفة الملائمة، فلما اغدا كتيباً توفر له من عمله مال طائل .

ولعل جودة خطه ووضوحه بما كفل له إقبال الناس على ما يسمخه من كتب .

ووصف بأنه كان ذا مروءة في معاملته ، غير أنه لم يشتهر بين معاصريه بثقافة ممتازة ، ولم يدل من عمق الثقافة ما ناله مشهور والوراقين من أمثال أبي حيان التوحيدي وابن النديم وياقوت الحموي .

ولكنه أطلع على مصادر لعل الباحثين لم يروها ، لأنه وراق ولم يشغله الولد فعوضه الله عنه بالتأليف الذي توفر عليه وكان مصروف المهمة إليه .

ويبدو لمن يطلع على كتابه ( فوات الوفيات ) أنه لا يكثر كثيراً بمراجعة القواعد النحوية واللغوية ، ولعل معرفته بالنحو واللغة كانت قليلة وإن كان له في هذا سلف وخلف من المؤرخين ، تنجّه أقلامهم بكتبتهم إلى المعنى دون اللفظ .

ولعل ابن شاكر كان يصنع مؤلفاته بالانكسار على مؤلفات معاصريه وغيرهم ، كما هي العادة في كتب التاريخ : فقد ذكر الحاج خليفة في ( كشف الظنون )<sup>(١)</sup> أنه في ( عيون التواريخ ) يتبع في الغالب الحافظ ابن كثير ، لا سيما في الحوادث .

ولكن التشابه في بعض العبارات لا يدل على هذا ، فإن ابن كثير توفي بعد ابن شاكر بعشر سنوات ، بل قد يكون العكس هو الصواب ، وهو أن ابن كثير هو الذي نقل من ابن شاكر<sup>(٢)</sup> .

( ١ ) كشف الظنون ١١٥ / ٢ .

( ٢ ) أنظر مقدمة ( عيون التواريخ ١٢ / ط ) من طبعة بغداد .

— ش —

ولعل مؤلف ( كشف الظنون ) وهم فكتب ( ابن كثير ) بدل ( ابن الأثير ) : فإن ابن شاكر ينقل عن ( ابن الأثير في الكامل ) نصوصاً كثيرة، على ما هو ظاهر بين في ( السفر الأول ) هذا . فقد أشير في الهوامش إلى زهاء خمسين نصاً منها .

وقد قال الحافظ السخاوي في ( الإعلان بالتوبيخ ) : التاريخ المسمى بالكامل هو كإسمه ، بحيث قال — الحافظ ابن حجر — إنه أحسن التواريخ بالنسبة إلى إirاده الوقائع موضحة مبينة ، حتى كأن السامع في الغالب حاضرها .

واعتماد ابن شاكر على ( الكامل ) يدل على دقة علمية في الاختيار :

قد عرفناك باختيارك إذ كما      ن دليلاً على اللبيب اختياره

وهو أهل لهذا ، لأنه وراق يحترف بأجود الصنائع ، وهي الوراقة ، لما فيها من بركة الإعانة على كتب المصاحف وكتب العلم . . . أنظر ( معيد النعم ومبيد النقم لتاج الدين السبكي ) ص ١٣٣ من طبعة دار الكتاب العربي .

### ( مؤلفات ابن شاكر السكيتي )

١ - ( روضة الأزهار في حديقة الأشعار ) ولا نعلم له نسخة موجودة . وقد ذكره مؤلف ( كشف الظنون )<sup>(١)</sup> .

٢ - ( فوات الوفيات ) وهو استدراك وذيل لوفيات الأعيان للفاضي ابن خلكان . ونسخه المخطوطة ليست قليلة ، وطبع مرات ، وأضبط طبعة متقنة تحقيقاً وجمال طبع هي التي حققها أستاذنا العلم ( الدكتور ) إحسان بن عباس ، وطبعها دار صادر في بيروت سنة ١٣٩٣ - ١٣٩٤ هـ . في أربعة أجزاء .

٣ - ( عيون التواريخ ) وهو الذي تقدم ( السفر الأول ) منه للقراء . وقد يكون له مؤلفات أخرى لم تذكرها المصادر والمراجع والفقهاء .

\* \* \*

## (مظان مخطوطات عيون التواريخ)

أجزاؤه متفرقة في خزائن العالم : في اصطنبول والظاهرية العمومية<sup>(١)</sup>  
بدمشق ودار الكتب المصرية وكبرج وباريس . وإليك ما علمناه عنها :

### (المجموعة الكبيرة)

هي في ( مكتبة الخليفة أحمد الثالث العثماني ) وهي في ثلاثة عشر جزءاً .  
تنتهي بالجزء الرابع والعشرين . وهذه النسخة كانت :

عجوبة عن كل مقلة عارف . وهي التي سمرت ولم تنبرقع<sup>(٢)</sup>  
إذ لم يذكروها ( وكلان ) ومن نقل عنه من المؤلفين . ولم تذكر في  
الفهارس المطبوعة التي أطلعنا عليها . وقد أرشدنا إليها وعرفنا بتفاصيل  
أجزائها الأستاذ العليم ( الدكتور ) المحقق محمد حميد الله الحيدري<sup>(٣)</sup> حيث  
كان في اصطنبول أستاذاً في الجامعة<sup>(٤)</sup> ، فذهب بنفسه حفظه الله إلى المكتبة  
المذكورة واتحفنا بجدول ( كشف ) عن هذه المجموعة<sup>(٥)</sup> :

(١) أثرنا تسميتها بالعمومية لأنه أسماها الرسمي عند تأسيسها وجمع مخطوطاتها  
ومطبوعاتها في سنة ١٢٩٨ هـ . أنظر ( تاريخ الجمع العلمي العربي لاحمد  
الفتيح ) ص ١٢٨ .

(٢) من قصيدة ( النفس الانسانية للشيخ الرئيس ابن سينا ) .

(٣) نسبة إلى حيدر آباد الدكن من الهند . ولا يجوز قياساً عند النسب إلى  
المركب لإبقاء كل التركيب ، بل يحذف أحد الجزأين : الصدر أو العجز ، ففي  
( حيدر آباد ) : حيدري ، وفي ( عشق آباد ) : عشقي . أما في ابن الزبير فيقال :  
( ربري ) يحذف الصدر . أنظر الألفية لابن مالك ، وغيرها من كتب النحو .

(٤) كانت رسالته إليها في صفر الخير سنة ١٣٩٤ هـ .

(٥) وكتب لنا الأستاذ المذكور أن متحفه ( طوبقو ) طبعت أربعة أجزاء  
من فهرس جميع مكتباتها ، ومنها ( مكتبة أحمد الثالث ) وقد ذكروا ( أجزاء  
عيون التواريخ ) في الجزء الثالث ، تحت الأرقام ٥٨٥٣ - ٥٨٦٥ والفهرس  
باللغة التركية بحروف لا تينية .

— ط —

(أ) (الجزء الأول) فيه من أول التاريخ إلى سنة ١١ هـ. في ١٧٧ ورقة. رقه ٢٩٢٢.

(ب) (الجزء الثاني) في ١٧١ ورقة. رقه ٢٩٢٢، يبدأ بحوادث سنة ١١ إلى سنة ٥٣.

(ج) (الجزء الثالث) في ١٧٤ ورقة. رقه ٢٩٢٢ / ٣، يبدأ بحوادث سنة ٥٤ إلى سنة ٩٥.

(د) (الجزء الرابع) في ١٦٨ ورقة. رقه ٢٩٢٢ / ٤، يبدأ بحوادث سنة ٩٦ إلى سنة ١٣٠.

— ثم خرم يشمل تاريخ سنة ١٢١ إلى سنة ١٤٣.

هـ — (الجزء السادس) في ١٧٦ ورقة. رقه ٢٩٢٢ / ٦، يبدأ بحوادث سنة ١٤٤ إلى سنة ١٨٥.

(و) (الجزء السابع) في ١٧٥ ورقة. رقه ٢٩٢٢ / ٧، يبدأ بحوادث سنة ١٨٦ إلى سنة ٢١٧.

— خرم يشمل تاريخ السنين ٢١٨ إلى ٢٩٦.

(ز) (الجزء العاشر) في ١٧١ ورقة. رقه ٢٩٢٢ / ١٠، يبدأ بحوادث سنة ٢٩٧ إلى سنة ٣٢٧.

(ح) (الجزء الحادي عشر) في ١٧٤ ورقة. رقه ٢٩٢٢ / ١١، يبدأ بحوادث سنة ٣٢٨ إلى سنة ٣٧٢.

— خرم يشمل تاريخ السنين ٣٧٣ إلى ٥٠٤.

(ط) (الجزء السادس عشر) في ١٧٩ ورقة. رقه ٢٩٢٢ / ١٦، يبدأ بحوادث سنة ٥٠٥ إلى سنة ٥٤٠.

— ظ —

(ى) (الجزء السابع عشر) فى ١٦٧ ورقة . رقة ٢٩٢٢ / ١٧ ، يبدأ بحوادث سنة ٥٤١ إلى سنة ٥٦٩ .

— خرم يشمل تاريخ السنين ٥٧٠ إلى ٦٧٠ .

(ك) (الجزء الحادى والعشرون) فى ١٦٥ ورقة . رقة ٢٩٢٢ / ٢١ ، يبدأ بحوادث سنة ٦٧١ إلى سنة ٦٨٧ .

(ل) (الجزء الثانى والعشرون) فى ١٧٣ ورقة . رقة ٢٩٢٢ / ، يبدأ بحوادث سنة ٦٨٨ إلى سنة ٧٢٠ .

(م) (الجزء الرابع والعشرون) فى ١٥٠ ورقة . رقة ٢٩٢٢ / ٣٤ ، يبدأ بحوادث سنة ٧٣١ إلى سنة ٧٥٩ .

\* \* \*

### ( المجموعة التى تلى « الأحمدية » فى الضخامة )

هى ( الفيضية ) المحفوظة فى مكتبة شيخ الإسلام فىض الله أفندى فى اصطنبول . وهى عشرة أجزاء ، أرقامها ( ١٤٨٥ - ١٤٩٤ ) ، نذكر منها بعضها :

( جزء ) من أول الكتاب إلى قوله : ( وكانت وفاة كثير ووفاة عكرمة مولى ابن عباس فى يوم واحد ) ( ١ ) فى ٤١٦ ورقة - رقة ١٤٨٥ .

( الجزء الثالث ) فى ٢٦٣ ورقة ، يبدأ بحوادث سنة ٦٩ إلى سنة ١٠٥ .

( الجزء الرابع ) فى ٢٤٥ ورقة . يبدأ بحوادث سنة ١٠٦ إلى سنة ١٤٣ .

---

( ١ ) توفى سنة ١٠٥ .

- ع -

(الجزء التاسع) في ٢٩١ ورقة . في أوله نقص . يبدأ بآخر سنة ٦٥١ إلى سنة ٦٩٩ .

(الجزء العاشر) في ١٧٢ ورقة . يبدأ بحوادث سنة ٣٦٥ إلى سنة ٤٠٢ .

(خرم) بين سنتي ٤٠٣ إلى ٤١٠ .

(الجزء الرابع عشر) وهو آخر الأجزاء الفيضية . يبدأ من سنة ٤١١-٤٤٩

(المجموعة التي تلي قبلك المجموعتين في الضخامة)

بجموعة المكتبة الظاهرية العمومية<sup>(١)</sup>

وهي في سبعة أجزاء :

(الجزء الأول) يبدأ من أول الكتاب إلى سنة ١١ هـ . في ١٥٨ ورقة .  
رقمه ٤٣ تاريخ .

(الجزء الخامس) فيه من سنة ٧١ إلى سنة ١٠٨ ، في ١٧١ ورقة . رقه  
٤٦ تاريخ .

(الجزء الخامس من تجزئة المؤلف فيه من سنة ١٢١ إلى سنة ١٤٣ ،  
في ١٠٠ ورقة . رقه ٤٥ تاريخ .

(الجزء الثالث) فيه من سنة ١٣٢ إلى سنة ٢١٧ ، في ٢٧٦ ورقة .  
رقمه ٤٤ تاريخ .

(الجزء السادس) من تجزئة أخرى . فيه من سنة ٢٠٤ إلى سنة ٢٥٠ ،  
لكن فيه خرم من سنة ٢١٧ إلى سنة ٢٢١ ، في ١٨٧ ورقة . رقه ٤٧ تاريخ .

(الجزء الخامس) من تجزئة المصحف التي رقمها (٤٤ تاريخ) وهو مخروم

(١) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية - التاريخ وملحقاته ص ٤ -  
٧ وضعه الدكتور يوسف الشرحه الله .

— غ —

من أوله ، فيه شيء من سنة ٣١٠ إلى سنة ٢٩٠ ، في ٢٦٤ ورقة ، ورقه ٤٨ تاريخ .  
( الجزء الثالث عشر ) من تجزئة أخرى . فيه من سنة ٤٠٤ إلى سنة ٤٣٧ ،  
في ٢١٧ ورقة . ورقه ٤٩ تاريخ .

### ( أجزاء متفرقة )

في المكتبة الأهلية ببغداد<sup>(١)</sup> : جزآن وقطعة من جزء :

( جزء ) فيه من حوادث سنة ٨٠ إلى سنة ١٢٣ ، في ١٨٥ ورقة . ورقه  
١٥٨٧ عربي .

( جزء ) فيه من أحوال المأمون إلى سنة ٢٥٠ ، في ١٦٠ ورقة ، ورقه  
١٥٨٨ عربي .

( قطعة ) في ثمان ورقات ، فيها حوادث سنة ٢١٠ إلى سنة ٢٢٠ ، ورقها  
١٥٨٦ عربي .

\* \* \*

### ( في دار الكتب المصرية )

( جزء ) فيه من حوادث ٦٨٨ إلى سنة ٧١٠ ورقة في ١٧٠ ورقة تنقص من  
آخرها ، ورقه ١٤٩٧ تاريخ<sup>(٢)</sup> .

---

( ١ ) كتب لنا عنها العالم ( الدكتور ) محمد حميد الله أيضا سنة ١٣٩٤ هـ .  
وبسط القول في وصف الأجزاء . وسندكر هذا عند طبع هذه الأجزاء إن  
شاء الله تعالى والدكتور المذكور أساذ في جامعة السوربون جل الله به العلم والخلق

( ٢ ) ( فهرس معهد المخطوطات العربية ) ج ٢ التاريخ — قسم ١ / ١٩٠



— ف —

( الجزء الثاني ) أوله في أثناء سنة ١١ ، وآخره سنة ٥٣ ، في ١١٦ ورقة .  
رقمه ١٤٩٧ تاريخ (١) .

( في الخزانة القيمورية )

التي أنشأها أحمد باشا تيمور عليه رحمة الله  
وضمت إلى دار السكتب المصرية .

( الجزء الثاني عشر ) فيه من حوادث سنة ٣٧٣ إلى سنة ٤٠٣ .  
( الجزء العشرون ) فيه من حوادث سنة ٦٤٥ إلى سنة ٦٧٠ وكلاهما بخط  
المؤلف وعليهما خطر ط كثير من مشاهير العلماء (٢) .

\* \* \*

( في مكتبة جامعة كمبردج )

في بريطانيا

( جزء ) فيه حوادث سنة ١١ إلى سنة ٥٥ (٣) .  
( جزء ) فيه حوادث سلتى ٧٣٥ / ٧٣٦ .  
( جزء ) فيه من حوادث ٥٠٥ إلى ٥٥٥ .  
( جزء ) فيه حوادث السنين ٧٣٥ إلى ٧٦٠ (٤) .

. . . . .

- 
- ( ١ ) ( فهرس معهد المخطوطات ) ج ٢ — قسم ٤ / ٢٩٧  
( ٢ ) ( فهرس معهد المخطوطات ) الجزء الثاني — القسم الثاني ص ١١١  
( ٣ ) هو ( المختصر الذى كان من جملة النسخ التي أعتمدت عليها في طبع  
السنن الأول ) هذا .  
( ٤ ) عيون التواريخ ١٢ / ز

( في مكتبة الفاتح في اصطنبول )

( جزء ) مكتوب على غلافه : ( الجزء الرابع ) . ويبدأ بحوادث سنة ٦٠٠ إلى سنة ٦٥٥ ؛ وفي آخره ما يشير إلى أنه كتب سنة ٧٥٥ في حياة المؤلف .  
رقمه ٤٤٣٩ (١) .

( الجزء الخامس ) رقمه ٤٤٤٠ (٢)

° ° °

( في مكتبة كوبريللي في اصطنبول )

قطعة من الكتاب في ٢٩ ورقة ، تلتهم بوفيات سنة ٧٣٧ ، تنقص من أولها وآخرها . رقمها ١١٢١ (٣) .

° ° °

( ١ ) دفتر ( فاتح كتيبخانه سي ) الصحيفة ٢٥٤

( ٢ ) نفس المراجع . والصفحة نفسها .

( ٣ ) ( كوبريللي زاده محمد باشا كتيبخانه سنده محفوظ ) الصحيفة ٧٣

### (المطبوع من عيون التواريخ)

لم نأكد من طبع شيء منه <sup>(١)</sup>، سوى (الجزء الثاني عشر) الذي طبع في بغداد سنة ١٣٩٧ هـ. وهو يحتوى على حوادث ووفيات السنين (٥٠٥ — ٥٥٥).

ولم يذكر المحققان (في ثبت مخطوطات عيون التواريخ) شيئاً عن أجزاء (مكتبة الخليفة أحمد الثالث) ولا أجزاء مكتبة شيخ الإسلام فيض الله أفندي؛ مع أنها تبلغ ثلاثة وعشرين جزءاً. ولم يذكر أيضاً جزأى (مكتبة الفاتح) <sup>(٢)</sup>.

لكنهما أشارا إلى وجود أجزاء أخرى في غوطا والمتحف البريطاني ومكتبة الفاتيكان وباريس <sup>(٣)</sup>.

وبعد فإلى القراء والنقاد (السفر الأول من عيون التواريخ) راجين أن ينال التقدير. ولا نزعم أننا وفينا حقه، فقد تكون هناك أوهام نستدركها في السفر الثاني إن شاء الله.

---

(١) كتب لي الأستاذ محمد عباس القبايج عاقل (خزانة رباط الفتح) بالمغرب أنه طبع في المغرب أجزاء من عيون التواريخ، لكن لم أجد مصدراً يؤكد هذا الخبر.

(٢) أنظر (و) من مقدمة (الجزء ١٢) حيث قال المحققان: إن أوفر الأجزاء هي ماتحويه المكتبة الظاهرية بدمشق.

(٣) المصدر السابق (ز). وقد عملنا على صورة من (جزء غوطا) ولعله نفس (الجزء العاشر) من أجزاء (مكتبة أحمد الثالث).

وفي الختام أخص بالشكر كل من يعين على إخراج هذه الموسوعة :  
أولهم العليم ( الدكتور ) محمد حميد الله الأستاذ في جامعة السوربون ،  
فانه بذل جهده لوصف ( أجزاء المكتبة الأحمدية ) وما في المكتبة الوطنية  
بباريس .

والأستاذ أنيس بن عبد الرزاق بن عمار ، الذي صور لنا جميع أجزاء  
( المكتبة الظاهرية العمومية <sup>(١)</sup> ) بدمشق .

والأستاذ كمال كج الذي سهل لنا تصوير كل أجزاء ( الأحمدية ) . وهو  
مدير متحف قصر ( طوبقو ) في اصطنبول .

والشيخ حسام الدين محقق هذا السفر والسفر الثاني ، وهو الذي  
ظل أكثر من خمسين سنة المجلي في ميدان تصحيح وضبط نصوص  
التراث الإسلامي .

وأشكر السادة أصحاب ( مكتبة النهضة المصرية ) الغيورين على نشر التراث .  
كما أشكر أيضاً صاحب مكتبة المؤيد السيد / محمد بن دسوقي ، وكذلك  
نجله السيد / دسوقي ، فقد بذل جهداً متواصلاً لسرعة الطبع .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

وكتب

قاسية السكويت

في ٩ من رجب الفرد الأصم ١٣٩٩ هـ . أبو منصور الحافظ

٤ من حزيران ( جون ) ١٩٧٩ م . ابن محمد سعيد الحافظ

---

( ١ ) هكذا يريد ( المنفق على طبع غيرون التواريخ ) أن تسمى : ( الظاهرية  
البيبرسية العمومية ) نسبة إلى مؤسسها الملك الظاهر بيبرس العلاني البندقداري ،  
صاحب الفتوحات والوقائع المشهورة مع القطار . توفي بدمشق سنة ٦٧٦ هـ .  
ومدفنه في المدرسة الظاهرية المذكورة مع ابنه الملك السيد . ( كتبه القدسي )

### ( كلمة التحقيق الموجزة )

مذهبي في التحقيق هو صحة المتن، مع مراعاة النسخ والإشارة إلى ما فيها، وهو مذهب كثير من المحققين اليوم وفي هذا رضا الله تعالى ورضا المؤلف ورضا العلم . والله الحمد والشكر .

ويرى القارىء بعض الهوامش السوابغ ، وذلك لضرورة أراها ، مبتغياً وجه الله في خاتمة حياتي ورضا المؤلف ، وأما رضا الخلق فغاية لا تدرك .

وأثبت في بعض الهوامش فروق النسخ ولم أصرح بالخطأ فيها ، وذلك لوضوحه .

### ( النسخ التي طبع هذا السفر عنها )

١ - صورة الجزء الأول من مكتبة الخليفة أحمد الثالث باصطنبول وهي ( الأحمدية ) .

٢ - صورة الجزء الأول من دار الكتب الظاهرية بدمشق وسميتها ( الظاهرية ) .

٣ - صورة الجزء الثاني من مكتبة الخليفة أحمد الثالث ( الأحمدية ) .

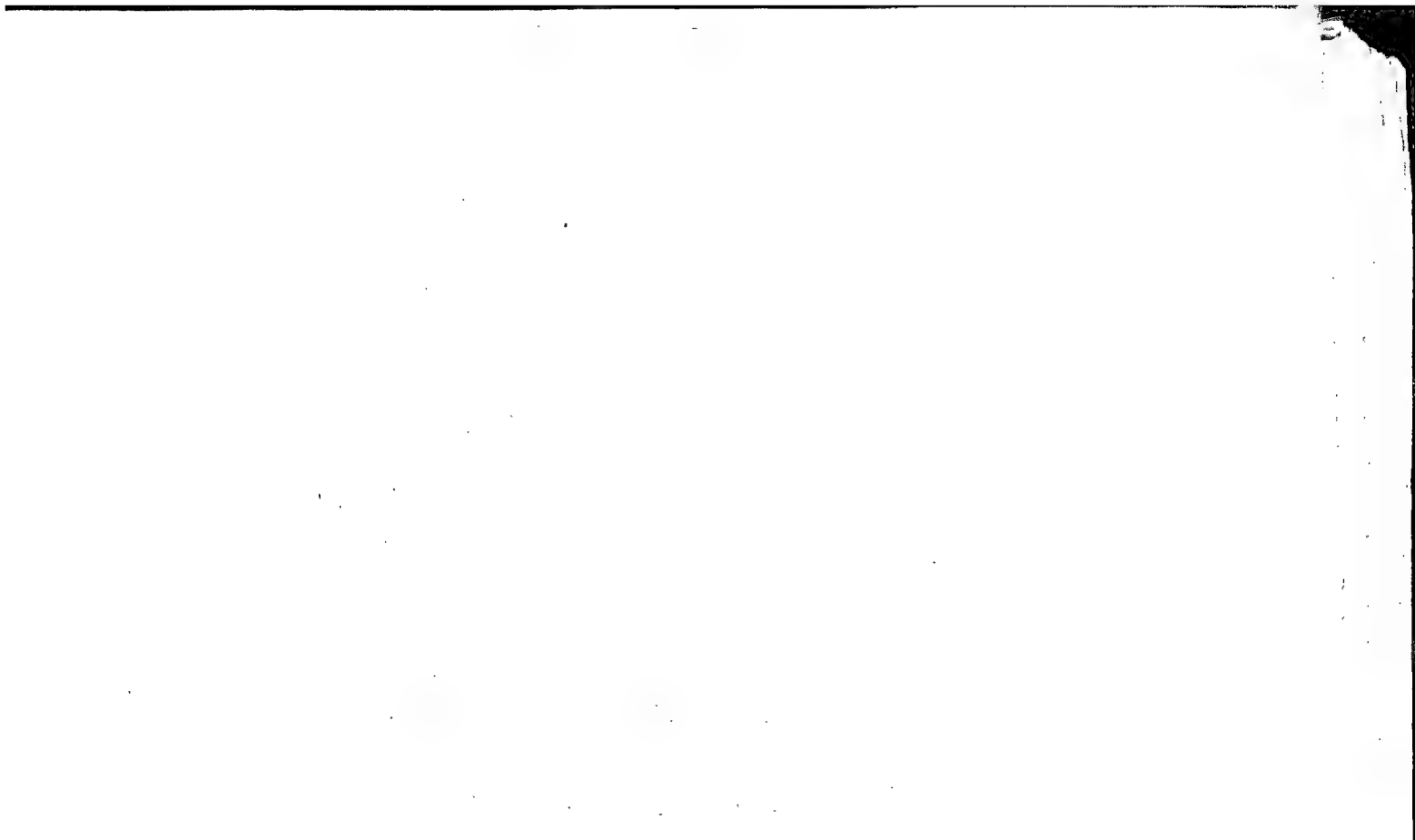
٤ - صورة الجزء الثاني من معهد المخطوطات ، وسميتها ( نسخة المعهد )

٥ - صورة الجزء الثاني من جامعة كبرديج وسميته ( المختصر )<sup>(١)</sup> لأنه مختصر .

وفي الرواسم والمقدمة ما يغني عن وصف هذه الأجزاء .

---

( ١ ) فيه أرقام جمة ، لعلها من اختصاره أو من النساخ أو منهم جميعاً .



## بسم الله الرحمن الرحيم

وبه تفتي

الحمد لله الذي منحنا مزيد الإحسان ، وخص بالهداية والنطق نوع  
الإنسان ، وشرفه على سائر المخلوقات بما آتاه من الفضل المبين الواضح  
البرهان ، وجعل له إلى حقيقة المعاني مجازاً فأظهر أسرارها الخفية بيديع  
البيان . وجعل كل عصر بمحاسن أهله فأضحت حقائق مفاخره محذقة الأفنان .  
وحكم على العباد بالموت إظهاراً لحكمه البديعة بالإتقان .

نحمده بجميع محامده ، ونشكره - والتوفيق للشكر من موارد فضله  
وفرائده - على نعمه التي لا يزال فضلها مجدداً ومنه التي لا يبرح عهد بركاتها  
مؤكدداً .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تشرق الآفاق بنورها  
ويذوم بإدامتها للنفوس بهجة سرورها وتنجلي بتكرارها ليالي الشك وما  
ادلهم من ديجورها ، ونستتم<sup>(١)</sup> بها النعم فلا نخشى زوالها ولا نخاف  
من نفورها .

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خاتم الأنبياء ، وسيد الأصفياء ،  
المختص بمحكم الآيات المنزلة المقصوص عليه أحسن القصص من أنباء  
الرسول المفصلة ، المختص على شرف مناقبه الشريفة وخلاله المكمل .  
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين منهم من أنفق المال في محبته<sup>(٢)</sup> ،

(١) في الأحمدية : (ولستديم) .

(٢) يعنى سيدنا أبا بكر الصديق رضى الله عنه .

(١ - أول ميون التواريخ)

ومنهم من جعل تاريخ الإسلام من هجرته<sup>(١)</sup> ، ومنهم من جهز الجيش عند عدم المال وعسرتة<sup>(٢)</sup> ، ومنهم من أفل الشرك بياسه وسطوته ونصرتة<sup>(٣)</sup> صلاة دائمة طيبة مباركة لا يزال لواؤها على الخافقين خفاقا ، وفضاؤها يضرب على السكواكب الزهر رواقا ، ما أرخ بليغ ذكر من مضى ، ولاح للبرق وميض على ذات الأضياء ، وسلم وشرف وكرم إلى يوم الدين .

وبعد فلما كان علم التاريخ من أعذب علوم الأدب منبعا وأنها مشرعا ، وأنوارها مملعا ، وأحلاها من القلوب موقعا ، لم تزل محاسنه تروق ، وفوائده تفرق ، وفرائده تشوق .

به تعرف أخبار من سلف من الأمم ، وأحاديث ذوى المراتب والهمم ، وتستفاد منه محاسن الأعيان وتفهم مواقف الشجعان ، ومقاتل الفرسان ، وأوقات مواليدهم ، ومدد أعمارهم ومواضع منازلهم ، ومجاهد ديارهم ، وسيرة الكرماء في كل وقت ، ومن اختص بفيض هباته بالملقة وغيره بالملقة ، وكل عالم وعمن أخذ فنون علمه ، وكل أديب ومحاسن نثره وبدائع نظميه ، والنظر في السنة الشريفة وأسماء رجالها ، ومراتب رواتها وطبقات فرسان مجالها ، حتى كأن الواقف عليه قد أدرك كلا منهم في عصره ، ونظره في ساحة ميدانه أو مشيد قصره ، ورأى الأئمة وأصبح للعلوم من أفواههم متلقيا ، وعلم من كان بجده واجتهاده إلى ذروة العلياء مترقيا ، أو كأنه قد شاهد كسرى في لمبرانه ، وهو يقص رؤياه على موبدانه ، وعاصر سيف بن ذى يزن في أوانه ،

( ١ ) يعنى سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه حيث جعل سنة الهجرة مبدأ التاريخ الإسلامى لأن مهاجرة فرق بين الحق والباطل . وذلك يوافق سنة ٦٢٢ الميلادية .

( ٢ ) هو سيدنا عثمان ذو النورين رضى الله عنه .

( ٣ ) هو سيدنا الإمام على كرم الله وجهه .



وجالسه وابن أبي الصلت ينشده على قصر عمراته ، واطاع على ما كان عنده من السر الخفي الذي رفع الله تعالى على السكواكب شرفه ، لما بشر شذية الحمد بظهور النور المحمدي وأدناه وأتحفه .

وكنيت بمن تعلق من الفضل بأهدابه ، وقصد الدخول إليه من بابه ليعد من أربابه ، واستوضح بدائع<sup>(١)</sup> لمعه ، واستحلى العذب الصافي من جرحه . وأكثرت مطالعة التاريخ على اختلاف أوضاعه ، واستجلاء الحسن المحقق من رقاعه<sup>(٢)</sup> وظفر بدرر عقود الحسنه الاتساق ، وفاز من نقوده بما هو أبهى وأبهر من قلائد العقيان في الأعناق ، حتى حصل لي منه نصيب وقسم ، وصار لي فيه ذكر واسم .

ولما عدت الصدقة الجارية والواد ، أخذت في التصنيف خشية أن يكمل لي في انقطاع العمل العدد .

فقصدت أن أجمع تاريخاً أدون فيه ما استفدت من ( عوارف معارفه ) وأنفق فيه ما اكتنزت من تحفه ولطائفه ، وأصف فيه من ( حاية الأولياء ) والأحباء ما يصبح ( قوت القلوب ) ( ونزهة الألباء ) ؛ ليكون إن شاء الله تعالى مجموعاً يستوقف الخواطر وتصليفاً يبهج النواظر .

وافتحته من افتتاح الزمان بالنور الباهر والشرف الظاهر<sup>(٣)</sup> والفخر الذي ملأ الفلا بالفلاح ، وعمت بركاته أهل الربي والبطاح ، وأعلنت الأيام بالتهاني ، وقارن من المولد الشريف بنهاية الأمل وغاية الأمان من مولد سيدنا وسيد الأولين والآخرين وإمام المرسلين وقائد الغر المحجلين نبي الرحمة

( ١ ) في الظاهرية ( بديع ) .

( ٢ ) في الظاهرية ( رقاعه ) وهو وهم ظاهر .

( ٣ ) في الاحمدية ( الطاهر ) .

وكاشف الغمة محمد صلى الله عليه وسلم . ثم سيرته الغراء التي تزيد المؤمن إيماناً ؛ وترفع له في الدارين قدراً وشاناً . ثم سيرة صحابته الخلفاء الراشدين وتابعيهم الغر الميامين ، وعلم ماجرى ومايجرى إلى أن يدركنى الموت ؛ وينادى بي منادى الفناء فأسمع ذلك الصوت .

والله تعالى المستول أن يهدينا نير<sup>(١)</sup> السبيل ويعصمنا من كيد الشيطان الوبي الوبيل . وما توفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أئيب وهو حسبي ونعم الوكيل .

﴿ ذكر نسب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وعظم ﴾

هو أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر — وهو قريش — ابن مالك بن النضر — واسمه قيس — بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان :

وكم أب قد علا بابن ذرى<sup>(٢)</sup> شرف كما علا برسول الله عدنان

هذا هو المتفق على صحته . وقال الحافظ عبد الغنى وغيره : عدنان بن أد بن أدد بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن نابت بن حمد بن قيذار بن الذيبع إسماعيل بن الخليل إبراهيم عليهما الصلاة والسلام ابن تارح — وهو آزر — ابن ناحور بن ساروغ بن أرغو بن فالغ بن عابر — وهو هود النبي صلى الله عليه وسلم — بن أرفخشذ بن سام بن نوح بن ملك بن متوشلخ بن أخنوخ — وهو إدريس النبي عليه السلام — بن برد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش

( ١ ) في الأحمدية ( سواء السبيل ) .

( ٢ ) في الظاهرية ( ذوى ) وهو تصحيف .

ابن شيث — وهو هبة (١) الله — بن آدم أبي محمد عليهما الصلاة والسلام .  
 هكذا ساقه أبو علي محمد بن أسعد (٢) بن علي السابة الجواني وقال : هذه  
 أصح الطرق وأجسدها وأوضحها وهي رواية شيوخنا في النسب (٣) . ولما كثر  
 الاختلاف فيما بين عدنان وادم عليه السلام من الآباء وأسمائهم اقتصر  
 على ذكر مادونهما لاجتماعهم على صحته . فمن كان من ولد قحطان قيل يمني ،  
 ومن كان من ولد عدنان قيل قيسي . هذا هو المعروف عند العرب . وقحطان  
 أخو خامس عشر جد لعدنان وهو فالغ بن عابر (٤) .

وكفى آدم بأبي محمد لأن العرب تكنى الإنسان بأجل ولده . وأجل  
 ولد آدم سيد الأولين والآخرين محمد صلى الله عليه وسلم .

﴿ باب تزوج عبد الله بن عبد المطلب ﴾

واسمه شعبة الحمد — بن هاشم — واسمه عمرو العلوي بن عبد مناف —

( ١ ) في الظاهرية ( عبد الله ) والتصحيح من الأحمدية و ( تاريخ الطبري  
 ٢٧٦/٢ من الطبعة التي حققها الأديب العليم الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ) .  
 ( ٢ ) في الظاهرية ( سعد ) والنصوب من الأحمدية و ( الأعلام للأستاذ  
 الزركلي رحمه الله ) .

( ٣ ) قال الحافظ الذهبي في ( تاريخ الإسلام ٤/٢ من الطبعة المخرقة الحديثة ) :  
 سائر هذه الأسماء أعجمية ، وبعضها لا يمكن ضبطه بالخط الإثري . وفي طبقات  
 ابن سعد وتاريخ الطبري : لعل خلاف ما بينهم من قبل اللغة ، لأن هذه الأسماء  
 ترجعت من العبرانية .

( ٤ ) في النسختين ( غابر ) والتصحيح من ( التذمة والامم لابن عبد البر )  
 وغيره . وفي تاج العروس للزبيدي : عابر كهاجر ، ويتناهل فيه ( غير ) أيضاً .  
 وفي ( المجلة العربية ٦/٢ ) مقالة لرئيس تحريرها الدكتور منير العجلاني  
 عنوانها ( أ كذوبة تقسيم العرب الى عاربة ومستعربة ) فيها تحقيقات مهمة  
 في هذا الشأن .

( ٥ ) في النسختين ( ابن العلا ) والتصحيح من ( الاشتقاق لابن دريد ) .

واسمه المغيرة - بن قصي - واسمه زيد ؛ ويدعى مجمعا<sup>(١)</sup>.

وآمنة ابنة وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب . وأمها برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي . وأمها أم حبيب بنت أسد بن عبد العزى بن قصي . وأمها برة بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب . وأم وهب بن عبد مناف قبيلة بنت أبي كبشة وجز<sup>(٢)</sup> بن غالب بن الحارث ابن عمرو بن مذكاة بن أفضى<sup>(٣)</sup> بن حارثة بن خزاعة . وأبو كبشة هذا هو الذى قال فيه أبو سفيان صخر بن حرب حين خرج من عند هرقل : لقد عظم أمر ابن أبي كبشة لأنه يخافه ملك بنى الأصفر .

قال علماء السير والمؤرخون : كانت آمنة بنت وهب بن عبد مناف فى حجر عمها وهيب بن عبد مناف فمضى إليه عبد المطلب بن هاشم بابنه عبد الله ؛ فخطب عليه آمنة بنت وهب فزوجها عبد الله . وخطب إليه عبد المطلب فى مجلسه ذلك ابنته هالة بنت وهيب<sup>(٤)</sup> على نفسه ؛ فزوجه إياها ، فتزوج عبد المطلب وابنه عبد الله فى مجلس واحد ؛ فولدت هالة بنت وهيب لعبد المطلب حمزة والمقوم وحجلا وصفية أم الزبير .

قال ابن السائب الكلبي : لما تزوج عبد الله بن عبد المطلب آمنة بنت وهب أقام عندها ثلاثا . وكانت تلك السنة عندهم إذا دخل الرجل على امرأته فى أهلها .

( ١ ) سمته العرب مجمعا لما جمع من أمرها . وتيمنت بأمره فما يتشاورون فى أمر ينزل بهم إلا فى داره ولا يعتدون لواء للحرب إلا فى داره ، وهى دار الندوة ، ولم يكن يدخلها إلا ابن أربعين أو مازاد .

( ٢ ) فى الظاهريّة ( جرير ) وفى الأحمدية ( وجر ) والصواب فى الاشتقاق لابن دريد ص ٤٨٠ ) وهو الذى أثبتناه فى النص .

( ٣ ) فى الظاهريّة ( قصي ) والتصويب من الأحمدية والتقصود والام لابن عبد البر .

( ٤ ) هكذا فى النسختين ( وهيب ) كما فى كثير من المراجع ، وفى تاريخ الطبرى

٢٤٦/٢ ( أهيب ) ومثله فى ( لسب قریش ص ١٧ ) .

باب حمل آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم

روى محمد بن عمر عن علي بن يزيد بن عبد الله بن وهب بن زمعة عن أبيه عن عمته قالت : كنا نسمع أن رسول الله ﷺ لما حملت به آمنة بذت وهب كانت تقول ما شعرت أني حملت به ولا وجدت له ثقلة كما تجد النساء<sup>(١)</sup> ، وأتاني آت وأنا بن النائم واليقظان<sup>(٢)</sup> فقال : هل شعرت أنك قد حملت ؟ فكأنني أقول : ما أدري ، فقال : إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ونديها ، وذلك يو الاثنين ، ثم أمهلني حتى إذا دنوت ولادتي أتاني ذلك الآتي فقال قولي :

أعيذه بالواحد من شر كل حاسد  
فكذت أقول ذلك .

باب وفاة عبد الله بن عبد المطلب

عن محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا : خرج عبد الله بن عبد المطلب إلى الشام في غير من غيرات قريش يحملون تجارات ، فمروا من تجارتهم ، ثم انصرفوا فمروا بالمدينة ، وعبد الله بن عبد المطلب يومئذ مريض فقال : أنا أتخاف عند أخوالي بني عدي بن النجار ، فأقام عندهم مريضاً شهراً ، ومضى أصحابه فقدموا مكة ، فسألهم عبد المطلب عن عبد الله ، فقالوا خلفناه عند أخواله بني عدي بن النجار وهو مريض ، فبعث إليه عبد المطلب أكبر ولده الحارث فرجده قد توفي ، ودفن في دار النابغة رجل من بني عدي بن النجار ، فرجع إلى أبيه فأخبره فرجده<sup>(٣)</sup> عليه عبد المطلب وإخوته وأخواته وجداً شديداً ، ورسول الله ﷺ يومئذ حمل على الصحيح ، وقيل ابن شهرين ، وقيل غير ذلك ؛ ولعبد الله يوم توفي خمس وعشرون سنة . قال محمد بن

(١) أنظر كتاب ( محمد من نبوة ) إلى بهشبه تأليف الاستاذ الشيخ محمد الصادق

عرجون ) . (٢) كذا

(٣) في الظاهرية ( فوجل ) وهو وهم .

عمر<sup>(١)</sup> هذا أثبت الأقاويل .

وترك عبد الله بن عبد المطلب أم أيمن واسمها بركة ، وخمسة أجمال أوارك - يعنى تأكل الأراك - وقطعة غنم . فوثر ذلك رسول الله ﷺ ؛ وكانت أم أيمن تحضنه .

وقالت آمنة بدت وهب ترثى زوجها عبد الله :

عفا جانب البطحاء من ابن هاشم وجاور لحداً خارجاً في الغمام  
دعته المنايا دعوة<sup>(٢)</sup> فأجابها وما تركت في الناس مثل ابن هاشم  
عشية راحوا يحملون سريره تعاوره أصحابه في التراحم  
فإن تك غالته المنايا وريبها فقد كان معطاء كثير التراحم  
❦ باب مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ❦

عن أبي جعفر محمد بن علي قال : ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين لعشر ليال خلون من ربيع الأول ، وقيل لاثنتي عشرة .

وكان قدوم أصحاب الفيل قبل ذلك للنصف<sup>(٣)</sup> من المحرم ، فبين الفيل وبين مولد رسول الله ﷺ خمس وخمسون ليلة . وقال أبو معشر المدني : ولد رسول الله ﷺ وسلم لليلتين خلتا من ربيع الأول<sup>(٤)</sup> ، وقيل لاثنتي عشرة

(١) في الظاهرية ( عمرو ) وهو وهم . ومحمد بن نعمان هو الواقدي المشهور ، على ما في ( تاريخ الاسلام للذهبي ٢٢/٢ ) وغيره .

(٢) في سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للحافظ الصالح الشامي ٣٩٩/١ ( بغية ) بدل ( دعوة ) الواردة في النص وفي طبقات ابن سعد .

(٣) في النسختين ( النصف ) وهو خطأ بين ، صوابه في ( الأزمينة والامكنة للرزوقي ) وغيره .

(٤) تحقيق مولده في تاريخ الاسلام للذهبي .

ليلة خلت منه حين طلع الفجر ، وقيل : ولد في شهر برج الحمل — وهو نيسان — لعشرين منه ، وكان مولده عند طلوع الغفر ، والغفر يطلع في ذلك الشهر أول الليل لأن رقيقه النطح وهو السرطان<sup>(١)</sup> قال بعض العلماء : ولد ليلة الثامن والعشرين من نيسان سنة ثمانمائة واثنين وثمانين لذي القرنين ، وقد زعم أن الطالع كان عشرين درجة من برج الجدى ، وأن المشتري وزحل كانا في ثلاث درج من العقرب مقترنين ، وهي درجة وسط السماء .

وكان إبليس اللعين يخترق السموات السبع ، فلما ولد عيسى حجب من ثلاث سموات وكان يصل إلى أربع ، فلما ولد النبي ﷺ حجب من السبع . ورميت الشياطين بالنجوم . فقالت قريش : هذا قيام الساعة ، فقال عتبة ابن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف : أنظروا إلى العيوق<sup>(٢)</sup> فإن كان قد رمى به فهو قيام الساعة ، في حديث طويل ذكره الزبير بن عكر .

وروى أن آمنة بنت وهب قالت : لقد علقت به فما وجدت له مشقة حتى وضعته ، فلما فصل مني خرج معه نور أضاء له المشرق والمغرب ، ثم وقع على الأرض معتمداً على يديه ، ثم أخذ قبضة من تراب فقبضها ورفع رأسه إلى السماء . فبلغ ذلك رجلاً من لُحَب<sup>(٣)</sup> ، ولُحَب قبيلة تعرف بالعيافة<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) تحققت من صحة هذه الأسماء من ( كتاب الأزمينة والامكنة للرزوقي ١٨٦/١ — ١٩٣ ، ٣١١ ) والعرب تقول : خير منزلة في الأبد بين الزباني والاسد ، يعنون ( الغفر ) ويعدون ليلة نزول القمر به سعداً .

( ٢ ) هو كوكب عظيم زير في حاشية المجرة التي تلي الشمال ، يقال له : عيوق الثريا ، وذلك كأنهما يطلمان معاً ، وإذا توسطت السماء تدانينا في رأى العين . ( الأزمينة والامكنة للرزوقي ٣/٧/٢ ) .

( ٣ ) بكسر اللام وسكون الهاء : قبيلة من الأزد . وهم أهل العيافة والزجر ، على مافى ( الإيناس للوزير ابن المغيرة ) .

( ٤ ) في الظاهرية ( العيافة ) وهو تصحيف . وفي الإصحدية ( القيافة ) ولها معنى لا يتفق مع النص . والصواب هنا ( العيافة ) على مافى التماموس المحيط وبلوغ الأرب للألوسي وغيرهما .

( ٢ — أول عيون التواريخ )

وزجر الطير — فقال لصاحب له : لئن صدق الفأل ليخلين هذا المولود أهل الأرض . وقال بعضهم : وقع جائياً على ركبتيه ، وخرج معه نور أضاءت له قصور الشام وأسواقها حتى رويت أعناق الإبل ببصرى ، رافعاً رأسه إلى السماء .

يوم أضاء به الزمان وفتحت فيه الهداية زهرة الآمال  
وارتج إيوان كسرى وسقط منه أربع عشرة شرفة<sup>(١)</sup> وفاضت بحيرة  
ساوة وخذت نار فارس ولم تتمد قبل ذلك بألف عام . ورأى الموبدان —  
وهو عالم الفرس وقاضيه<sup>(٢)</sup> — في منامه أن إبلاً صعباً تقود خيلاً عرباً  
قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها .

ولما رأى كسرى ارتجاس الإيوان<sup>(٣)</sup> وسقوط الشرف منه وورد عليه  
كتاب بخرمود النيران في جميع بلاده ازداد غماً فقال له الموبدان : وأنا أصالح  
الله الملك قد رأيت في منامي في هذه الليلة ، وقص عليه الرؤيا فقال : أى شئ يكون  
هذا ؟ قال حادث يحدث عند العرب ، فكتب إلى النعمان بن المنذر : أما بعد  
فوجه إلى رجلاً عالمًا بما أسأله عنه ، فوجه إليه بعبد المسيح بن بقليلة الغساني ،  
فلما قدم عليه قال : أعندك علم بما أريد أن أسألك عنه ؟ قال أخبرني فإن  
كان عندى علم وإلا أخبرتك بمن يعلم ، فقال له : فقال علم ذلك عند رجل اسمه  
سطيح ، فأتى إليه وقد أشرف على الموت ، فسلم عليه وحياه فلم يجب  
جواباً ، فأنشأ عبد المسيح يقول :

( ١ ) في الظاهرية ( شرافة ) .

( ٢ ) في الإسمعية : ( قاضى قضائهم ) .

( ٣ ) إيوان كسرى هو بتيمة من بذية عظيمة بناها سابور الأول ، وعمرها  
كسرى أنوشروان ، وتدل الخرائب حول هذا الطاق أن البناء كان ٤٠٠ متر  
في عرض ٣٠٠ ، وارتفاعه نحو ٢٥ متراً ، وأن القصر كان ذا ثلاث طبقات .  
( مجلة الرسالة — ٢٦ ) .



أصم أم تسمع غطريف اليمن    يافا فصل الخطاة أعيت من ومن  
أتاك شيخ الحى من آل سنن    وأمه من آل ذئب بن حجن  
أبيض فضفاض الرداء والبدن    رسول قيل العجم يسرى للوسن<sup>(١)</sup>

فلما سمع سطيط شعره رفع رأسه وقال : عبد المسيح على جمل مشيح أتى  
سطيط وقد أشفى على الضريح بعثك ملك بنى ساسان لارتجاس الايوان  
وخمود النيران ورؤيا الموبدان<sup>(٢)</sup> ، أن إبلا صعبا تقود خيلا عرابا<sup>(٣)</sup> قد  
قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها . يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوة وبعث  
صاحب الهراوة<sup>(٤)</sup> وفاض وادى السماوه<sup>(٥)</sup> وغاضت بحيرة ساوه<sup>(٦)</sup>  
ونحلت نار فارس . فليست الشام لسطيط بشام ، يملك منهم ملوك على عدد

( ١ ) القيل : الملك . وأصل هذه القطعة سبعة أبيات ، وردت فى تاريخ  
الاسلام للذهبي ، وتاريخ الطبرى ، ولسان العرب ( سطيط ) وكتاب الاثمنة  
والامكنة للرزوقى ، وغيرها . وهى تختلف عما هنا فى بعض الالفاظ .

( ٢ ) الموبدان : بضم الميم وفتح الباء : فقيهه الفرس .

( ٣ ) أى عربية ، أضيفت الخيل إلى العرب بكل لسان ونسبت إليهم بكل  
مكان وزمان وقالوا : ( فرس عربى ) ولم يقولوا رومى ولا هندى ولا فارسى ،  
وحصنوها تحصين الحرم وصانوها صون المبعج ليبتدلوها يوم الروح ويأمنوا بها  
أوان الخوف ، وايجعلوها دريئة يوم اللقاء ووصلة إلى درك الثأر ، حتى قالوا :  
إن الحصون الخيل لا مدر القرى . وقد قال بعض الرواة : لم يكن قوم أشد  
عجبا بالخيل ولا أعلم بها ولا أصنع لها ولا أطول لها ارتباطا ولا أحمى لمن  
لم يتخذها أو اتخذها وأهملها ، ولا أمدح لمن اتخذها وأكرمها منهم .

وكانوا يصبرون على مؤذنتها فى الجذب ويؤثرونها على العيال بالصليمة  
لتسكافى عند الطلب أو الحرب ( من كتاب الاثمنة والامكنة للرزوقى ٣٣٩/٢ ) .

( ٤ ) هو سيدنا ونبينا محمد عليه صلوات الله وسلامه .

( ٥ ) السماوة : مغارة بين السكوفة والشام ، كافى معجم ما استعجم ومعجم البلدان .

( ٦ ) ساوة : مدينة بين الرى وهمدان . قال ياقوت فى ( معجم البلدان ) :

كان بها دار كتب لم يكن فى الدنيا أعظم منها ، بلغت أن التبر أحرقوها .

الشرفات وكل ما هو آت آت<sup>(١)</sup>.

ثم، قضى سطيف مكانه . فقدم عبد المسيح على كسرى وأخبره بقول سطيف ، فقال : إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكاً تكون أمور . فملك منهم عشرة في أربع سنين وملك الباقيون إلى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه .

(١) بعض ظواهر الأخبار من السنة تقتضى أن صنفاً من الجن والشياطين له اتصال بنفوس ذات استعداد خاص لاستفادة معرفة الوقائع قبل وقوعها أو الوقائع التي يبعد في مجارى العادات بلوغ وقوعها ، فتسبق بعض النفوس لمعرفة قبل بلوغها المعتاد . وهذه النفوس هي نفوس السكمان وأهل الشعوذة . وهذا الصنف من المخلوقات من الجن أو الشياطين هو المسمى باسترق السمع . وهو المستثنى بقوله تعالى (إلا من استرق السمع) فهذا الصنف إذا اتصل بملك النفوس المستعدة للاختلاط به حجب بعض قواها العقلية عن بعض ، فأكسب البعض المحجوز عنه ازدياد تأثير في وظائفه بما يرد عليه من جراء تفرغ القوة المذهنية من الاشتغال بمن أحبه إلى التوجه إليه وحده ، فكسبه قدرة على تجاوز الحد المعتاد لأمثاله ، فيخترق الحدود المتعارفة لأمثاله اختراقاً ما ، فربما خلصت إليه موجات هي أوساط بين موجات كرة الهواء وتموجات الطبقات العليا المجاورة لها ، مما وراء الكرة الهوائية .

ولنفرض أن هذه الطبقة هي المسماة بالسماء الدنيا وأن هذه التموجات هي تموجات الأثير ، فإنها تحفظ الأصوات مثلاً .

ثم هذه التموجات التي تخص إلى عقول أهل هذه النفوس المستعدة لها تخلص إليها مقطعة بجملة ، فيستعين أصحاب تلك النفوس على تأليفها وتأويلها بما في طباعهم من ذكائه وذكائه ، ويخبرون بحاصل ما استخلصوه من بين ما تلقوه وما ألقوه وما أولوه ، وهم في مصادفة بعض الصدق متفاوتون على مقدار تفاوتهم في حدة الذكاء وصفاء الفهم والمتاركة بين الأشياء ، وعلى مقدار دربتهم ورسوخهم في معالجة مهنتهم وتقادم عهدهم فيها . فهؤلاء هم الكهان ، وكانوا كثيرين بين قبائل العرب . وتختلف سمعهم بين أقوامهم بمقدار مصادفتهم لما في عقول أقوامهم . ولا شك أن لسداجة عقول القوم أثر ما وكان أقوامهم يعدون المعمرين منهم =

قال ابن سعد : أخبرنا عفان بن مسلم قال ثنا حماد بن سلمة عن أيوب عن عكرمة قال : لما ولدت آمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعته تحت برمة فانفلقت عنه ، قالت فنظرت إليه فإذا هو قد شق بصره ينظر إلى السماء .

== أقرب إلى الإصابة فيما ينبئون به ، وهم يفرط فطنتهم واستغفالهم البله من مرديهم لا يصعدرون إلا كلاماً مجحلاً موجهاً قابلاً للتأويل بعدة احتمالات ، بحيث لا يؤخذون بالتكذيب الصريح ، فيكون تأويل كلامهم إلى ما يحدث للناس في مثل الأغراض الصادرة فيها تلك الكلمات . وكلامهم خلو من الإرشاد والحقائق الصالحة . وهم بحيلتهم واطلاعهم على ميادين النفوس ومؤثراتها التزموا أن يصوغوا كلامهم الذي يخبرون به في صيغة خاصة ملتزماً فيها فقرات قصيرة مختصة بأسجاع لأن الناس يحسبون مزوجة الفقرة لاختها دليلاً على مصادقتها الحق والواقع ، وأنها أمانة صدق .

وكانوا في الغالب يلوذون بالعزلة ، ويكثرون النظر في النجوم ليلاً لتفريغ أذهانهم . فهذا حال الكهان ، وهو قائم على أساس الدجل والحيلة والشعوذة مع الاستعانة باستعداد خاص في النفس وقوة تحرق الحواجز المألوفة .

وهذا يفسره ما في كتاب الأدب من صحيح البخاري عن عائشة : أن ناساً سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكهان فقال : ( ليسوا بشيء ) أى لا وجود لما يزعمونه ، فقيل : يا رسول الله فإنهم يحدثون أحياناً بالشئ . يكون حقاً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى فيقرها في أذن وليه قر الدجاجة فيخلمطون فيها أكثر من مائة كذبة ) . وما في تفسير سورة الحجر من صحيح البخاري من حديث سفيان عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا قضى الله الأمر في السماء ، أى أمر أو أوحى وضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله - فإنهم المأمورون كل في وظيفته - كالسلسلة على صفوان ينفذهم ذلك - أى يحصل العلم لهم ، وتقرئها حركات آلة تلقى الرسائل البرقية - فيسمعها مسترقو السمع ، ومسترقو السمع هكذا واحد فوق آخر - أى هي طبقات متفاوتة في العلو - ووصف سفيان يده غرقها وفرج بين أصابع يده اليمنى نصبها بعضها فوق بعض - فيسمع المسترق الكلمة فيلقبها إلى من تحته ثم يلقبها الآخر إلى من تحته حتى يلقبها على لسان ==

وقال ابن سعد : أخبرنا يونس بن عطاء المكي قال حدثنا الحكم ابن أبان العبدلى - وهو صالح ثقة روى له الأئمة الأربعة - قال حدثنا عكرمة عن ابن عباس عن أبيه العباس عن عبد المطلب قال : ولد النبي ﷺ محتوناً مسروراً ، ففرح به عبد المطلب وحظى عنده وقال : ليكون لابنى هذا شأن ، فكان له شأن .

وروى الوليد بن مسلم عن شعيب بن أبي حمزة عن عطاء الخراساني عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أن عبد المطلب ختن النبي ﷺ يوم سابعه ، وجعل له مأدبة ، وسماه محمداً . قال بعض العلماء : هذا الحديث على ما فيه أشبه بالصواب .

### باب ذكر من أرضع رسول الله ﷺ

وتسمية إخوته وأخواته من الرضاعة

أول من أرضع النبي ﷺ ثويبة - بلبن ابن لها يقال له مسروح - أياما قبل أن تقدم حليلة . وكانت قد أرضعت قبله حمزة بن عبد المطلب وأرضعت بعده أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي . وكان حمزة مسترضعا

الكاهن أو الساحر - فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يلتقيها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة . فيقولون : ألم يخبرنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا فوجدناه حقاً للكلمة التي سمعت من السماء .

أما أخبار الكهان وقصصهم فأكثرها موضوعات وتكاذيب . وأصحها حديث سواد بن قارب في قصة إسلام عمر رضى الله عنه من صحيح البخارى .

وهذه الظواهر كلها لا تقتضى إلا إدراك المسموعات من كلام الملائكة . ولا محالة أنها مقربة بالمسموعات ، لأنها دلالة على عزائم النفوس الملسكية وتوجهاتها نحو مخزاتها . وعبر عنه بالسمع لأنه يؤول إلى الخبر . فالذى يحصل المسترق المسمع شعوراً متوجهاً للملائكة لتسخيره ، والذى يحصل للكاهن كذلك . والمآل أن الكاهن يخبر به فيؤول إلى مسموع . (من تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٤/٣٢) .

في بني سعد بن بكر فأرضعت أمه رسول الله ﷺ يوما وهو عند أمه حليلة .  
فكان حمزة رضيع النبي ﷺ من وجهين : من جهة السعدية ومن جهة ثويبة .

وروى الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : كانت ثويبة مولاة أبي طرب قد أرضعت رسول الله ﷺ أياما قبل أن تقدم حليلة ، وأرضعت أباسلمة بن عبد الأسد معه ، فكان أخاه من الرضاعة ، وكان رسول الله ﷺ يصاها وهو بمكة ، وكانت خديجة تكرمها وهي يومئذ مملوكة ، وطلبت أن تباعها من أبي طرب لتعتقها ، فأبى أبو طرب . فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة أعتقها أبو طرب ، وكان رسول الله ﷺ يبعث إليها بصدقة وكسوة حتى جاءه خبرها أنها قد توفيت سنة سبع من مرجعه من خيبر فقال ( ما فعل ابنها مسروح ) ؟ فقيل : مات قبلها ولم يبق من قرابتها أحد .

وقال محمد بن عمر عن زكريا بن يحيى بن يزيد السعدي عن أبيه قال : قدم مكة عشر نسوة من بني سعد بن بكر يطلبن الرضاع ، فأصبن الرضاع كلهن إلا حليلة بذات الحارث بن عبد الله بن شجنة — بكسر الشين المعجمة والجيم — ابن جابر بن رزام بن ناصرة بن فضالة<sup>(١)</sup> بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن ، وكان معها زوجها الحارث بن عبد العزى بن رفاعة وواحدة منها عبد الله بن الحارث والشيءاء ، وهي التي كانت تحضن رسول الله ﷺ مع أمها ، وهي التي قبلت عليه في وفد هوازن . فعرض رسول الله ﷺ على حليلة ، فجعلت تقول : يتيم ولا مال له وما عشت أمه أن تفعل ، فخرج الليرة وخلفنها ، فقالت حليلة لزوجها : أما ترى قد خرج صراحين وليس بمكة مسترضع إلا هذا

( ١ ) في رواية ( قضية ) بالتحاقف . وتحقيق ذلك في ( الروض الأنف ) .  
وفي شرح السيرة النبوية للحافظ أبي ذر الحاشني ( ص ٥٤ ) : يروى بالنساء والنفاء .  
وصوابه بالنساء .

الغلام اليتيم فلو أخذناه فإني<sup>(١)</sup> أكره أن نرجع إلى بلادنا ولم نأخذ شيئاً ، فقال لها زوجها خذيه عسى الله أن يجعل لنا فيه خيراً . فجاءت إلى أمه فأخذته منها فوضعتة في حجرها فأقبل عليه ثدياها حتى تقطرا لبناً ، فشرب رسول الله ﷺ حتى روى ، وشرب أخوه ولقد كان آخره لا ينام من الغرث<sup>(٢)</sup> وقالت أمه : يا ظرسلي عن ابنك فإنه سيكون له شأن ، وأخبرتها بما رأته وما قيل لها فيه حين ولدته . فقالت قيل لي ثلاث ليال « استرضعي ابنك في بني سعد بن بكر ثم في آل أبي ذؤيب » قالت حليلة : فإن أبا هذا الغلام الذي في حجرى أبو ذؤيب وهو زوجى . كذا في هذه الرواية . قال ابن السكيت وغيره : أبو ذؤيب هذا أبو حليلة لزوجها . فطابت نفس حليلة وسرت بكل ما سمعت ، ثم خرجت به إلى منزلها فجدجوا أتانهم — والجدج<sup>(٣)</sup> من مراكب النساء — فركبت حليلة وحملت رسول الله ﷺ بين يديها ، وركب الحارث شارفهم<sup>(٤)</sup> فطلعا على صواحبهما بوادى السرو ، وهن مرتعات ، وهما يترواهقان — من مرواهقة<sup>(٥)</sup> الإبل مداعباتها في السير — فقلن يا حليلة ما صنعت ؟ فقالت : أخذت والله خير مولود رأيته قط وأعظمهم بركة . قالت النسوة :

(١) في النسختين (فانه) والتصحيح من (الروض الأنف) وغيره . وهو ظاهر .

(٢) الغرث : الجوع .

(٣) في النسختين (جدجوا أتانهم ، والمجدج ... ) والتصويب من شرح القاموس للزبيدي . وروى عن سيدنا عمر رضى الله عنه أنه قال : ( حجة هاهنا ، ثم أجدجها هنا حتى تنفى ) أى شد الحداجة ، وهى التتب بأداته على البعير للغزو . والمعنى : حج حجة واحدة ثم أقبل على الجهاد إلى أن تهرم أو تموت . فقلت هذا من شرح القاموس لمناسبة ما نحن فيه اليوم .

(٤) الشارف من النوق : المستنة الهرمة . ( القاموس المحيط ) .

(٥) فى الظاهرية (شواهتان وشواحق) وهو خطأ ، على ما فى الاحدية والنهاية لابن الأثير .

أهو ابن عبد المطلب؟ قالت : نعم ، قالت فما رحلنا من منزلنا ذلك حتى رأيت الحسد من بعض نسائنا .

وذكر بعض الناس أن حليلة لما خرجت به إلى بلادها قالت آمنة بدت وهب بن عبد مناف :

أعيذه بالله ذى الجلال من شر ما مر على الجبال  
حتى أراه حامل الكلال ويفعل العرف إلى الموالى  
وغيرهم من خشوة الرجال

يقال فلان من خشوة بنى فلان — بكسر الحاء — أى من رذائلهم . قالت : ثم خرجنا فوالله لخرجت أنا أنى أمام الركب قد قطعتم حتى ما يتعلق بهم منهم أحد<sup>(١)</sup> حتى إنهم ليقولون : ويحك يا بدت الحارث كفى علينا ، أليست هذه أقاتك<sup>(٢)</sup> التى خرجت عليها ؟ فأقول : بلى والله ، فيقولون : إن لها لشأنا .

حتى قدمنا منازلنا قالت : فقدمنا على أجذب أرض الله تعالى ، فوالذى نفس حليلة بيده إن كانو اليسرحون أغنامهم وأسرح أغنامى ، فتروح غنمى

(١) ان الأبحاث الحديثة نفسها وتجارب الإنسانية منذ أن وجدت الإنسانية تزيد أن هناك إشعاعات عند بعض الناس تصنف على المرافقين لهم بهجمة وإنشطاء ، فلا غرابة إذن أن تنشط حليلة وينشط زوجها وتنشط دراهمها وأن تسير الرحلة فى رخاء وأن يكون محمد فى برامته وطهارته وفى طفولته الباسمة وخصرته المتألمة هو سبب ذلك كله . على ما فى كتاب ( الرسول صلى الله عليه وسلم — لحات من حياته ونفحات من هديه — لمولانا الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود ) وقال الامام البوصيرى فى الحمزية :

د وإذا سخر الإله أناساً لسعيد فأنهم سعداء ،

(٢) الاتان : الحارة ، والاتانة قليلة ، على ما فى ( التاموس المحيط ) .

(٣) — أول عيون التواريخ )

حفلا بطلانا وتروح أغنامهم جياعاً هالكة ما بها من لبن ، فلشرب ماشئنا من اللبن ، وما من الحاضرين أحد يحلب قطرة ولا يجدها . قالت فيقولون لرحماتهم ويلكم ألا تسرحون حيث يسرح راعي حليلة ، فيسرحون في الشعب الذي تسرح فيه ، وتروح أغنامهم جياعاً ما بها من لبن وتروح غنمي حفلا لبنا . قالت : وكان يشب في اليوم شباب العصبى في الشهر .

فمكث عندها سنتين حتى فطم وكأنه ابن أربع سنين ، فقدموا به على أمه زلثين لها ، وأخبرتها حليلة بخبره وما رأوا من بركته ، فقالت أمه لحليمة : أرجعي بابني فأني أخاف عليه وباء مكة فوالله ليسكونن له شأن ، فرجعت به حليلة إلى ديارها .

وفي السنة الثالثة من مولده ولد أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

ولما بلغ أربع سنين كان يغدو مع أخيه وأخته في البهم قريباً من الحى فأتاه الملسكان هناك فشقا بطنه واستخرجا علقمة سوداء فطرحاها وغسلا بطنه بماء الثلج في طست من ذهب . قال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه في مسنده : حدثنا حيوة ويزيد بن عبد ربه <sup>(١)</sup> قالا حدثنا بقية قال حدثني بحير <sup>(٢)</sup> ابن سعد عن خالد بن معدان عن أبي عمرو السلمي عن عتبة بن عبد السلمي أنه حدثهم أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف كان أول شأنك يا رسول الله ؟ قال كانت حاضنتي من بني سعد بن بكر فانطلقت أنا وابن لها في بهم لنا فانطلق أخى ومكثت عند البهم [ ولم تأخذ معنا زاداً ، فقلت : يا أخى إذهب فأتنا براد من عند أمنا ] <sup>(٣)</sup> .

(١) في الإحمديّة ( عبدويه ) وهو تصحيف صحبته من الظاهرية وتهذيب التهذيب .

(٢) في الظاهرية ( خير ) بدل ( بحير ) وهو وهم صحبته من الإحمديّة وخلاصة الخزر جى . وفيها ( بحير بن سعيد ) والصواب ( بحير بن سعد ) .

(٣) ما بين المعقنين ساقط من الظاهرية . قاسمدر كته من الإحمديّة ومسنده أحمد الذي صححت منه المسند .



فأقبل طائران أبيضان كأنهما نسران ، فقال أحدهما لصاحبه أهو هو ؟ قال نعم . فأقبلا يبتدراني فأخذاني فأضجعاني وشقاً بطني ثم استخرجا قلبي فشعاه أخرجاه منه علقمتين سوداوين ، فقال أحدهما لصاحبه : ائتنى بماء ثلج ، فغسلناه به جوفى ، ثم قال : ائتنى بماء برد ، فغسلناه به قلبي ، ثم قال : ائتنى بالسكينة ، فذراها فى قلبي ، ثم قال أحدهما لصاحبه : خطه ، فخطه وختم عليه بخاتم النبوة . وقال أحدهما لصاحبه اجعله فى كفة واجعل ألفاً من أمته فى كفة ، فإذا أنا أنظر إلى الألف فوقى أشفق أن يختر على بعضهم ، ثم قال : لو أن أمته وزنت به لمال بهم ، ثم انطلقا وتركاني وقد فرقت فرقا شديداً ، ثم انطلقت إلى أمى فأخبرتها بالذى لقيته فأشفقت على أن يكون ألبس بى ، فقالت أعينك بالله ، وحملتى على الرحل وركبت خلفى حتى بلغت إلى أمى فقالت : أديت أماتنى وذمتى ، وحدثتها بالذى لقيت فلم يرعها ذلك وقالت : إني رأيت حين خرج منى نوراً أضاءت منه قصور الشام .<sup>(١)</sup> ثم رجعت به أيضاً فساكن عندها سنة أو نحوها لاتدعه يذهب مكاناً بعيداً . ثم رأت غمامة تظله ، إذا وقف وقفت وإذا سار تسير فأفزعها ذلك من أمره فذهبت به إلى أمه لترده وهو ابن خمس سنين ، فأضلها فى الناس فالتسته فلم تجده فقام عبد المطلب<sup>(٢)</sup> عند الكعبة وقال :

رد إلى ولدى محمداً أرده ربي واصطنع عندي يداً

فلم يلبث أن جاء ، فلما رآه ضمه إلى صدره وقال : يا بني حزنت عليك حزناً لا يفارقنى أبداً .

قال وقدمت حليلة على رسول الله ﷺ وقد تزوج خديجة بنت خويلد فشكت جذب البلاد وهلاك الماشية ، فكلّم رسول الله ﷺ خديجة فيها فأعطتها أربعين شاة وبغيراً موقراً ، وانصرفت إلى أهلها .

(١) تحقيق قصة شق الصدر جاءت فى ٢٦ صفحة فى كتاب ( محمد من نبوته إلى بعثته للاستاذ المحقق محمد الصادق عرجون )

(٢) فى الاحمدية : ( فأنز عبد المطلب فأخبرته فالتسته عبد المطلب فلم يجده ) .

ولا يعرف لها صحبة ولا إسلام . وقد وهل فيها غير واحد فذكروها في الصحابة وليس بشيء<sup>(١)</sup> . وعن عمر بن سعد قال : جاءت ظئر النبي ﷺ إلى النبي ﷺ فبسط لها رداءه وقضى حاجتها ، ثم جاءت إلى أبي بكر رضى الله عنه فبسط لها رداءه وقضى حاجتها ، ثم جاءت إلى عمر رضى الله عنه ففعل مثل ذلك . وهذه أخته الشفاء لأُمها حليلة<sup>(٢)</sup> .

### ﴿ ذكر الحوادث التي كانت في سنة خمس من مولده ﴾

منها أنه قدم كاهن مكة ورسول الله ﷺ ابن خمس سنين ، وقد قدمت به حليلة إلى عبد المطلب ، فنظر إليه الكاهن مع عبد المطلب فقال : يا معشر قريش اقتلوا هذا الصبي فإنه يفرقكم ويقتلكم ، فهرب به عبد المطلب ، فلم تزل قريش تخشى من أمره ما كان الكاهن حذرهم .

### ﴿ ذكر الحوادث في سنة ست ﴾

فلما بلغ رسول الله ﷺ ست سنين خرجت به أمه إلى أخواله بنى عدى بن النجار بالمدينة تزورهم به ، ومعه أم أيمن تحضنه وهم على بعيرين ، فنزلت به في

( ١ ) قال الحافظ ابن كثير : الظاهر أن حليلة لم تدرك البعثة . قال الحافظ : ( وهو غير مسلم ) وأورد الأدلة على ذلك ، كما في ( سبل الهدى والرشاد ١/٢٥٥ ) . وفيها عن المنذرى في مختصر سنن أبي داود : حليلة أسلمت وروت عنه . وقال ابن الجوزى : قدمت عليه بعدما تزوج خديجة ثم قدمت عليه بعد النبوة فأسلمت وأسلم زوجها . وفي ( السيرة الحلبيية ) : الحافظ مغلطى مؤلف في إسلام حليلة ، سماه ( التحفة الجسيمة في إسلام حليلة ) .

( ٢ ) بعض المصادر يؤيد ما نقله المؤلف من أن حليلة هي التي قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم ، وبعضها يؤيد أن الشفاء هي التي قدمت عليه . أنظر ( الإصابة ٤/٢٧٤ ) و ( البسداية والنهاية ٤/٣٦٤ ) و ( الاستيعاب ٤/١٨١٣ — ١٨٧١ ) و ( الروض الأنف ) و ( سبل الهدى والرشاد ١/٤٦٦ ) . والتحقيق أن الشفاء هي التي قدمت عليه في غزوة هوازن بمحنيين .

دار النابغة ، فأقامت به عندهم شهراً ، فكان رسول الله ﷺ يذكر أمورا كانت في مقامه ذلك .

وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون إليه ، قالت أم أيمن : فسمعت أحدهم يقول ( هو نبي هذه الأمة وهذه دار هجرته ) فرعيت ذلك من كلامه .

ثم رجعت به أمه إلى مكة ، فلما كانوا بالأبواء توفيت أمه آمنة بنت وهب ، فقبرها هناك ، فرجعت به أم أيمن إلى مكة .

ولما مر رسول الله ﷺ في عمرة الحديبية بالأبراء قال ( إن الله تعالى قد أذن لمحمد في زيارة قبر أمه ) فأتاه رسول الله ﷺ فأصلحه وبكى عنده وبكى المسلمون لبكاء رسول الله ﷺ ، فقبل رسول الله ﷺ ، فقال ( أدركتني رحمتها فبكيت ) وعن القاسم قال : استأذن النبي ﷺ في زيارة قبر أمه فأذن له وسأل المغفرة لها فأبى عليه .

﴿ باب ضم عبد المطلب رسول الله ﷺ إليه بعد وفاة أمه آمنة بنت وهب ﴾  
[ روى عن جماعة قالوا كان رسول الله ﷺ يكون مع أمه آمنة بنت وهب <sup>(١)</sup> ] ،

فلما توفيت قبضه جده عبد المطلب وضمه إليه ورق عليه رقة لم يرقها على ولده وكان يقربه منه ويدنيه ويدخل عليه إذا خلا وإذا نام ، وكان يجلس على فراشه فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك : دعوا ابني إنه ليولين ملكا . وقال قوم من بني مدج <sup>(٢)</sup> لعبد المطلب : احتفظ به فإنا لم نرقدما أشبه بالقدم الذي في المقام منه . فقال عبد المطلب لأبي طالب : اسمع ما يقول هؤلاء . فكان أبو طالب يحتفظ به .

( ١ ) ما بين المعتمدين مستدرك من الأحمدية .

( ٢ ) وهم النخلة . والقيافة : شخص بها قوم من العرب ، وإنما هي في الانساب خاصة . وقد ثبتها النبي صلى الله عليه وسلم . ويحكم بها الإمام الشافعي وأصحابه ويلحقون بها الولد . وهذه فضيلة خصت بها العرب ومضي وسياق كلام عن السكينة والقيافة في أطراف مشي .

وقال عبد المطلب لأم أيمن وكانت تحضن رسول الله ﷺ : لا تغفل  
عن ابني فإني وجدته مع غلمان قريبا من السدرة وإن أهل الكتاب ليزعمون  
أن ابني نبي هذه الأمة .

وكان عبد المطلب لا يأكل طعاما إلا قال : على بابني ، فيؤتى به إليه .

فلما حضرت عبد المطلب الوفاة أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله ﷺ  
وحياطته .

ومن ذلك خروج عبد المطلب برسول الله ﷺ يستسقون ؛ قالت  
رقية ابنة صيفي بن هاشم <sup>(١)</sup> تتابعنا على قریش سنون أقحلت الضرع <sup>(٢)</sup>  
وأرقت العظم ، فينما أنا نائمة اللهم - أو مهومة <sup>(٣)</sup> - إذا هاتف يصرخ بصوت  
جهوري يقول يا معشر قریش إن هذا النبي المبعوث منكم ، قد أظلمتكم أيامه وهذا  
إبارك نجومه فخي هلا بالحيا <sup>(٤)</sup> والخصب .

ألا فانظروا رجلا منكم : وسيطاً عظاماً جساماً أبيض بضاً  
أو طف الأهداب سهل الخدين أشم العرنيين له غري كظم عايه وسنة يهدى  
إليها ، فليخلص هو وولده وليهبط إليه من كل بطن رجل فليستوا من الماء  
وليمسوا من الطيب ثم ليستلموا الركن <sup>(٥)</sup> ثم ليرتقوا أبا قيس فليستسق الرجل

( ١ ) هي أمسن من عبد المطلب ، على ما في ( طبقات ابن سعد ) .

( ٢ ) تعنى أبيضته .

( ٣ ) في الظاهرية ( مهومة ) والتصحيح من الأحمدية ودلائل النبوة للبيهقي .  
والتهويم : أول النوم وهو دون النوم الشديد ، على ما في ( النهاية لابن الأثير )  
ولسان العرب .

( ٤ ) في الأحمدية : ( بالعجاء ) وفي دلائل النبوة للبيهقي ( بالخير ) .

( ٥ ) في دلائل النبوة للبيهقي زيادة : ( وليطوفوا بالبيت شبعاً ) .

وليؤمن القوم فغشتم ما شئتم . فأصبحت علم الله مذعورة وقد أقشعر جلدى  
 ووله عقى ، فاقصصت رؤياى فوالحرمة والحرم مابق أبطحى إلا قال :  
 هذا شعبة الحمد ، وتنامت إليه رجالات قریش ، وهبط إليه من كل بطن رجل  
 فسنوا ومسوا واستلبوا ، ثم ارتقوا أبا قيس وطفقوا جنائيه ، فما بلغ سعيهم  
 مهله حتى إذا استوا بذورة الجبل قام عبد المطلب ومعه رسول الله ﷺ -  
 غلام قد أرفع - فقال : اللهم ساد الخلة وكشف السكرية ، أنت معلم غير  
 معلم ومستول غير مبخل وهذه عبدائك<sup>(١)</sup> وإمائوك<sup>(٢)</sup> بعذرات<sup>(٣)</sup> حرمك  
 يشكون إليك سذمتهم ، اللهم فأمطرنا غيثا مغدقا مريعا ، فوالكعبة ماراموا  
 حتى تفجرت السماء بمائها واكتظ الوادى بشجيجه فسمعت شيخان قریش  
 وجلتها عبد الله بن جدعان وحرب بن أمية [ وهشام بن المغيرة ]<sup>(٤)</sup> يقولان  
 لعبد المطلب هنيئاً لك أبا البطحاء عاشت بك البطحاء<sup>(٥)</sup> وفى ذلك تقول رقيقة :

بشبية الحمد أسقى الله بلدتنا لما فقدنا الحيا واحلوك المطر<sup>(٦)</sup>

فجاد بالماء جوفى له سبل<sup>(٧)</sup> سحاً فماشت به الأنعام والشجر<sup>(٨)</sup>

مبارك الأمر يستسقى الغمام به مافى الأنام له عدل ولا خطر  
 ومن الحوادث فى هذه ( السنة السابعة ) خروج عبد المطلب لتبته سيف  
 ابن ذى يزن [ بالظفر ، وبشارة سيف لعبد المطلب بأنه سيظهر رسول الله ﷺ ]

( ١ ) جمع ( عبد ) على نحو عشرين جمعاً ، على مافى ( تاج العروس للزبيدي ) .

( ٢ ) العذرة : فناء البيت .

( ٣ ) ما بين المعقوفين مستدرك من ( دلائل النبوة للبيهقى ) .

( ٤ ) فى الاحمدية ( أهل البطحاء ) . وفى دلائل النبوة : ( هنيئاً لك أبا  
 البطحاء هنيئاً أى بك عاش أهل البطحاء ) .

( ٥ ) هكذا فى النسختين . وفى دلائل النبوة : ( واجلود المطر ) .

( ٦ ) الجوفى : السحاب الأسود . والسبل : المطر .

( ٧ ) زاد فى ( دلائل النبوة ) :

منا من الله بالميمون طائره وخير من بشرت يوماً به مضر .

من نسله . قال ابن الكلبي : لما ملك سيف بن ذي يزن <sup>(١)</sup> أرض اليمن وقتل الحبش وأبادهم وفدت إليه أشراف العرب ورؤسائهم لينهثوه بما ساق الله تعالى إليه من الظفر ، ووفد وفد قريش ، وكانوا خمسة من عظمائهم : عبد المطلب بن هاشم وحرب بن أمية بن عبد شمس وعبد الله بن جدعان وخويلد ابن أسد وهشام بن المغيرة ، فساروا حتى قدموا <sup>(٢)</sup> مدينة صنعاء ، وسيف ابن ذي يزن نازل بقصر غمدان ، وكان أحد القصور التي بذيها الجن لبليقيس بأمر سليمان ، فأناخ عبد المطلب وأصحابه ، واستأذنوا على سيف فأذن لهم فدخلوا عليه وهو جالس على سرير من ذهب ، وحوله أشراف اليمن على كراس من ذهب ، وهو مضمخ بالغنم ويبيض المسك يلوح في مفارق رأسه ، فحيوه بتحية الملوك ووضعت لهم كراسي الذهب فجلسوا عليه إلا عبد المطلب فإنه قام مائلاً بين يديه واستأذنه في الكلام . فقال : إن كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فتكلم . فقال : أيها الملك إن الله تعالى قد أحلك محلاً رفيعاً شامخاً منيعاً وأنتك منذاً طابت أرومته وعزت جراثيمته وثبت أصله وبسق فرعه ، أطيب مغرس وأعذب مذبت ، فأنت أيها الملك ربيع العرب الذي إليه الملاذ ووردها الذي إليه المعاد سلفك لنا خير سلف وأنت لنا خير خلف نحن أيها الملك أهل حرم الله وسدنة بيته ، ونحن وفود التهنئة لا وفود المرزاة .

فقال سيف : أنتم قريش الأباطح ؟ قالوا : نعم ، قال مرحباً وأهلاً وناقة ورحلاً ومناخاً سهلاً وملكا سبجلاً <sup>(٣)</sup> يعطى عطاء جزلاً ، قد سمع الملك مقاتلكم وعرف فضلكم فأنتم أهل الشرف والحمد والثناء والمجد فلكم

( ١ ) ما بين المعنفين مستدرك من الأحمديّة .

( ٢ ) في الأحمديّة ( وافرا )

( ٣ ) السبجل : الضخم . وفي الظاهرية ( سبجلا ) وهو تحريف . وفي دلائل النبوة للبيهقي ( ربجلا ) وهو الكثير العطاء . ولعل ما ورد في الأحمديّة هو الأوجه .

الكرامة ما أقمت والحباء الواسع إذا انصرفتم ، ثم قال لعبد المطلب : أيهم أنت ؟ قال : أنا عبد المطلب بن هاشم ، قال إياك أردت ولك حشمت فأنت ربيع الأنام وسيد<sup>(١)</sup> الأقوام ، انطلقوا فانزلوا حتى أدعوكم . ثم أمر بإزاحهم وإكرامهم ، فأقاموا شهراً لا يدعوهم حتى انتبه ذات يوم فأرسل إلى عبد المطلب اتنى وحدك من بين أصحابك ، فأتاه فوجده مستخليا لا أحد عنده ، فقربه حتى أجلسه معه على سريريه ثم إنه قال : يا عبد المطلب إنى أريد أن ألقى إليك من علمي سرّاً لو غيرك يسكون لم أجب به غير أنى رأيتك معدنه فليكن عندك مصوناً حتى يأذن الله تعالى فيه بأمره فإن الله منجز وعده وبالغ أمره .

قال عبد المطلب<sup>(٢)</sup> : أرشدك الله أيها الملك . قال سيف : إنى أجد في السكتب الصادقة والعلوم السابقة التي اخترناها لأنفسنا وسبرناها عن غيرنا خبراً عظيماً وخطراً جسيماً فيه شرف الحياة ونخر الممات للعرب عامة وارسطك كافة ولك خاصة .

قال عبد المطلب : أيها الملك لقد أبت بغير ما آب به وافد ولولا هبة الملك وإعظامه لسألته أن يزيدنى سروره إياى سروراً . قال سيف : نبى بيعث من عقبك ورسول من فرعك اسمه محمد وأحمد ، وهذا زمانه الذى يولد فيه ولعله قد ولد ، يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه ، والله باعته جهاراً وجاعل له منا أنصاراً يحزبهم أوليائه ويذل بهم أعداءه ، تحمد عند مولده النيران ويعبد الواحد الديان وتكسر اللات والأوثان ، قوله فصل وحكمه عدل يأمر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله .

( ١ ) فى الظاهرية ( وسيف الأقوام ) .

( ٢ ) فى ( كتاب الممارف لابن قتيبة ) : سمي عبد المطلب لأنه كان بالمدينة عند أخواله ، فقدم به المطلب بن عبد مناف عمه ، فدخل مكة وهو خالته ، فقالوا هذا عبد ( المطلب ) فالزمه الاسم وغلط عليه ، واسمه عامر .

( ٤ - أول عيون التواريخ )

قال عبد المطلب : علا كعبك ودام فضلك وطال عمرك نهل الملك سارى  
بإفصاح وتفسير وإيضاح . قال سيف : والبيت ذى الحجب والآيات والكتب  
إنك يا عبد المطلب جده غير ذى كذب ، نخر عبد المطلب ساجداً<sup>(١)</sup> فقال : سيف  
ارفع رأسك ثلج صدرك وطال عمرك وعلا أمرك فهل أحسست شيئاً  
مما ذكرت [لك]<sup>(٢)</sup> فقال عبد المطلب : نعم أيها الملك كان لي ابن كنت به معجباً  
فزوجته كريمة من كرائم<sup>(٣)</sup> قومي فجاءت بغلام سميت محمدآ ،  
مات أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه . قال : هو هو ، لله أبوك فاحذر عليه أعداءه وإن  
كان الله لم يحول لهم عليه سيديلاً . ولولا علمي بأن الموت محتاجي قبل ظهوره  
لسرت بخيلي ورجلي وجعلت مدينة يثرب دار ملكي<sup>(٤)</sup> ، فإنها دار هجرته  
وأهلها أهل دعوته ونصرته ، قسم فانصرف بمن معك من أصحابك .  
ثم أمر لكل واحد منهم بمائتي بعير وعشرة أعبد من حبش وعشرة  
أرطال من الذهب وحليتين من البرود . وأمر لعبد المطلب بمثل جميع  
ما أمر لهم ، وقال : يا عبد المطلب إذا شب محمد وترعرع فاقدم على بخبره .  
وودعوا وانصرفوا إلى مكة . وكان عبد المطلب يقول : لا تغبطوني  
بكرامة الملك إياي دونكم وإن كان فضلاً جزيلاً ، بل اغبطوني بما ألقاه إلى .  
فكانوا يقولون له ما هو ؟ فيقول لهم ستعرفونه بعد حين .

ولم يلبث سيف بن ذى يزن إلا مدة قصيرة<sup>(٥)</sup> وقتله السودان غيلة<sup>(٦)</sup>

(١) في دلائل النبوة (ساجدآ له) و (له) دخيلة مقحمة ، على ما في  
النسختين وبلوغ الأرب ٢٦٨/٢

(٢) (لك) مستدركة من بلوغ الأرب للكلوسي .

(٣) في الظاهرية (كرام) والتصحيح من الاحمدية وبلوغ الأرب .

(٤) في بلوغ الأرب (٢٦٩/٢) : لسرت بخيلي ورجلي . حتى أصير  
يثر بدار ملكي . (٥) في الاحمدية (يسيرة) .

(٦) في المعارف (لابن قتيبة) : كان سبب قتله أنه كان اتخذ من أولئك  
الحبشة خدماً ، نخلوا به يوماً وهو وفي متصيد له فزرقوه بحرابهم فقتلوه ،  
وهربوا في رموس الجبال ، وطالبهم أصحابه فقتلهم جميعاً .



﴿ الحوادث التي كانت في سنة ثمان من مولده ﴾

منها موت عبد المطلب . قال الواقدي : لما حضرت عبد المطلب الوفاة أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله ﷺ ، وقال لبناته : ابكينني وأنا أسمع ، فبكته كل واحدة منهن بشعر ، فلما سمع قول أيممة وقد أمسك أسنانه حرك رأسه أي قد صدقت . وهو قولها :

أعيناي جوداً بدمع درر      على طيب الخيم والمعتصر  
على ماجد الجد وارى الزناد      جميل الحيا عظيم الخطر  
على شية الحمد ذى المكرمات      وذى المجد والعز والمفتخر  
وذى العلم والفضل فى النابا      ت كثير المكارم جم الفخر

له نضل مجد ، على قومه      منير يلوح كضوء القمر  
ومات عبد المطلب وهو ابن اثلثين وثمانين سنة وقيل امة وعشر سنين وقيل امة وعشرون سنة . وسئل رسول الله ﷺ أتذكر موت عبد المطلب ؟ قال : نعم كنت ابن ثمان سنين . قالت أم أيمن : رأيت رسول الله ﷺ يبكي . خاف سرير عبد المطلب . ولما توفي عبد المطلب ضم أبو طالب رسول الله ﷺ إليه ، وكان أبو طالب فقيراً لا مال له ، وكان إذا أكل عيال أبى طالب جميعاً أو فرادى لم يشبعوا ، وإذا أكل معهم رسول الله ﷺ شبعوا . فكان إذا أراد أن يغديهم أو يعشيهم قال : كما أقم حتى يحضر ابني ، فيأتى رسول الله ﷺ فيأكل معهم فيفضل من طعامهم فيقول أبو طالب : إنك مبارك وأحببه حباً شديداً .

ومن الحوادث فى هذه السنة الثامنة هلاك حاتم الطائي ، وهو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس ، وأمه ماوية وقيل

(١) وقوع حوادث تخفى على العقول أسبابها أمر قامت على جوازه الدلائل من النصوص القطعية فى الكتب السماوية وغيرها . ( من كتاب محمد بن نبعته إلى يثمه للاستاذ محمد الصادق عربجون )

غنية<sup>(١)</sup> بنت عفيف من طيء ، ويسكنى أبا سفانة<sup>(٢)</sup> - وهي أبلته - وأبا  
عدى . وسفانة هي التي وفدت على رسول الله ﷺ .

وكان حاتم شاعراً جواداً ، مريوماً على بنى عنزة وفيهم أسير فاستغاث  
به ولم يحضره فكاكه ، فاشتراه منهم وأطلقه ، وأقام مكانه في القيد حتى  
أتى بفدائه .

وكان له قدور عظام لا تنزل عن الأثافي . وكان أبوه قد جعله على غنم  
له يرعاها وهو غلام فربه عبيد بن الأبرص وبشر بن أبي<sup>(٣)</sup> حازم والنابعة  
الذياني يريدون الثعالب المنذر ، فقالوا له : هل من قرى ؟ فقال لهم تسألونني  
عن القرى وأنتم ترون الإبل والغنم ، فنحر لكل واحد منهم بعيراً ولم يعرفهم  
ثم سألهم عن أسمائهم فتسمروا له ففرق فيهم الإبل والغنم . وبلغ ذلك أباه فأتاه  
وقال له ما فعلت الإبل ؟ قال يا أباه<sup>(٤)</sup> طوقتك مجدأ كطرق الحمامة ، وحده  
ما صنع ، قال إذا لا أساكنك ، قال إذا لا أبالي ، ثم اعتزله وقال :

وراني لعف الفقر مشترك الغنى	تروك لشكل لا يوافقك شكلي
ولي نيقة <sup>(٥)</sup> في البذل والجود لم يكن	يأنقها من مضى أحد قبلي
وما ضرني أن سار سعد بأهله	وخلفني في الدار ليس معي أهلي
فمسا من كريم عاله الدهر مرة	فيذكرها إلا تردد في البذل
وما من بخيل عاله الدهر مرة	فيذكرها إلا تردد في البخل

( ١ ) في النسختين ( غنية ) والنص صحيح من ( الأعلام للأستاذ الزركلي رحمه الله )  
و ( مجمع الأمثال الديداني ) .

( ٢ ) بفتح السين وتشديد الفاء .

( ٣ ) ( أبي ) سافطة من الذخيتين فاستدركتها من ( بلوغ الأرب لمحمود  
شكري الآلوسي ) .

( ٤ ) في القاموس المحيط : قالوا في النداء : يا أبت ، ويا أبه ، ويا أبتاه ، ويا أباه .

( ٥ ) تنيق الرجل في لبسته ومطعمه ومنطقه وأموره : بالغ . والإسم :  
النيقة . علي ما في ( لسان العرب ) وغيره .

وقيل للنوار (١) امرأة حاتم حديثنا عن حاتم ، قالت : كل أمره كان عجبا ، أصابتنا سنة حصت كل شيء فاقشعرت لها الأرض واغربت لها السماء وضنت المراضح على أفلاذها وراحت الإبل ما تبض بقطرة ، وأنا في ليلة ضبيرة (٢) بعيدة ما بين الطرفين ، والصيدية تتضاغي من الجوع وهم عبد الله وعدى وسفانة ، فوالله ما وجدنا شيئا نعللهم به ، فقام إلى أحد الصييين لحمله ، وقمت إلى الصيدية فدللتها ، فوالله إن سكتنا إلا بعد هداة من الليل ، ثم عدنا إلى الصبي الآخر فملأناه حتى سكت وما كاد ، ثم افترشنا قطيفة لنا فأضجعنا الصبيان عليها ونمت أنا على طرفها وهو على الطرف الآخر والصبيان بيننا ، ثم أقبل على يعللني لأفام ، فعرفت ما يريد فتناومت ، فقال : مالك أمنت ؟ فسكت . فقال ما أراها إلا قد نامت . فلما ادلهم الليل وتهورت النجوم وهدأت الاصوات وسكنت الرجل إذا جانب البيت قد رفع فقال : من هذا ؟ قالت جارتك فلانة يا أبا عدى ما وجدت معولا غيرك أتيتك من عند صبية يعوون عواء الذئب من الجوع ، فقال اعجلى بهم ، قالت النوار : فوثبت وقلت ما صنعت ؟ فوالله لقد تضاعى صييتك فما وجدت ما نعللهم به فكيف بهذه وولدها ؟ فقال اسكني فوالله لأشبعنك وإياهم إن شاء الله تعالى ، قال فأقبلت تحمل اثنين ويمشي بجانبها أربعة كأنها نعامة حولها رثالها (٣) قال فقام إلى فرسه فوجأ بحربته في لبتة ، ثم قدح زنده وأورى ناره ثم جاء بمديّة وكشط عن جلده ثم دفع المديّة إلى المرأة وقال : دونك ، ثم قال : أيقظي صبيانك . فأيقظتهم ، ثم قال سرمة لكم أنا كلون دون أهل الصرم . فجعل يطيف عليهم حتى هبوا فقال : عليكم بالنار ، ثم التفع بكسائه فاضطجع ناحية ينظر إلينا ، فلا والله ماذا منه مزعة وانه لأحوجهم إليه ، وأصبحنا وما على الأرض منها عظم ولا حافر . الصرم : الآيات العشرة ينزلون في جانب .

( ١ ) في بلوغ الأرب وغيره ( المساوية ) عرض ( انوار ) .

( ٢ ) شديدة .

( ٣ ) فراخها ، أولادها .

وكانت أم حاتم لاتدخر شيئاً سخاء وكرماً وكان إخوتها يمنعونها من ذلك وتأتى فلبسوها فى بيت سنة يرزقونها فيه شيئاً معلوماً . فلما ذاق طعم البؤس أخرجوها وأعطوها صرمة<sup>(١)</sup> من مالها ، فأنتها امرأة تسألها فقالت: دونك الصرمة فقد والله مسنى من الجوع ما آليت معه ألا أمنع سائلاً . ومن شعر حاتم الطائي قوله :

أماوى إن المال غاد ورائح ويبقى من المال الأحاديث والذكر  
أماوى إن يصبح صدأى بقفرة من الأرض لا ماء لدى ولا خمر  
ترى أن ما أنفقت لم يك ضررى وأن يدى مما بخلت به صفر  
أماوى ما يغنى الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر  
وقد علم الأقوام لو أن حاتماً أراد ثراء المال كان له وفر<sup>(٢)</sup>  
ومن شعره أيضاً ما ذكره صاحب الحماسة البصرية فى باب الأضياف :  
أيا ابنة عبيد لله وابنة مالك ويابدت ذى البردين والفرس الورد  
إذا ما صنعت الزاد فالتمسى له أكيلاً فإنى لست آكاه وحدى  
كريمأ قصياً أو قريباً فإنى أخاف مذمات الأحاديث من بعدى  
وكيف يسيغ المرء زاداً وجاره خفيف المعنى بآدى الخصاصة والجهد  
واللبرت خير من زيارة باخل يلاحظ أطراف الأكيل على عمد  
وإنى لعبيد الضيف ما دام نازلاً وما من خسالى غيرها شيم العبيد  
ومن الحوادث فى ( السنة التاسعة ) موت كسرى أنوشروان ، وتملك  
ابنه هرمز ، وخرج أبو طالب برسول الله ﷺ إلى بصرى وهو ابن تسع .

( ١ ) أى قطعة من الإبل .

( ٢ ) فى النسختين ( وطر ) عوض ( وفر ) والتصحيح من ( بلوغ الأرب ) وغيره .

وفي سنة عشر من مولد النبي ﷺ كان (الفجار الأول) وإنما سمي الفجار لما استحلوا فيه من المحارم من حملهم السلاح في الأشهر الحرم ، وكانت الحرب فية ثلاثة أيام .

وكان أول الفجار أن بدر بن معشر الغفاري كان منيعا مستطيلا بمنعته على من يرد سوق عكاظ ، فاتخذ مجلسا بسوق عكاظ وجلس فيه وجعل<sup>(١)</sup> يندخ على الناس ويقول :

نحن بنو مدركة بن خندف من نطلعنه في عينه لا يطرف وهو باسط رجله ويقول أنا أعز العرب ومن زعم أنه أعز مني فليضربها بالسيف . فقام رجل من بني نصر<sup>(٢)</sup> بن معاوية يقال له الآخر بن مازن فضربه بالسيف على ركبته فأندرها ثم قال خذها إليك أيها الخندف . ثم قام رجل من هوازن فقال :

نحن ضربنا ركة الخندف إذ مدها في أشهر المعرف

ثم كان اليوم التالي من الفجار الأول وكان سبب ذلك أن شبابا من قريش من بني كنانة رأوا امرأة وسيمة من بني عامر جالسة بسوق عكاظ في درع<sup>(٣)</sup> فأطافوا بها وسألوها أن تسفر ، فأبت فقام أحدهم فجلس خلفها وحل طرف درعها وشده إلى مافوق عجزها بشوكة ، فلما قامت انكشف درعها عن دبرها ، فضحكوا وقالوا : من متينا النظر إلى وجهك وجدت لنا بالنظر إلى دبرك ، فنادت (يا عامر) فثاروا بالسلاح وحملت كنانة واقتتلوا قتالا شديدا ، ووقعت بينهم دماء فتوسطها حرب بن أمية وأرضى بني عامر عن مثله صاحبهم .

(١) ( وجعل ) مستدركة من اللاحدية .

(٢) في الظاهرية ( نصر ) وهو تصحيف .

(٣) أي قميص ، على ما في القاموس المحيط .

ثم كان اليوم الثالث من أيام الفجار الأول . وكان سديبه أنه كان لرجل من بنى جشم بن بكر على رجل من بنى كنانة دين فلوأه به فجرت بينهم خصومة . واجتمع الحيان فاقتتلوا وحمل ابن جدعان ذلك في ماله .

ومن الحوادث في ( هذه السنة العاشرة ) الشرح التالي : قال أبي بن كعب إن أبا هريرة كان جريئاً على أن يسأل رسول الله ﷺ ما أول ما رأيت من أمر النبوة ؟ قال ( يا أبا هريرة إني لئن صحراء ابن عشر سنين وأشهر ، وإذا بكلام فوق رأسي وإذا برجل يقول لرجل أهو هو ؟ فاستقبلاني بوجه لم أرها لخلق قط ، وأرواح<sup>(١)</sup> لم أجدها من خلق قط ، وثياب لم أرها على أحد قط ، فأقبلا يمشيان حتى أخذ كل واحد منهما بعضدى لا أجد لأحدهما مساً ، فقال أحدهما لصاحبه : أضجبه . فأضجعا في بلا قصر ولا هصر . فقال أحدهما لصاحبه اقلق صدره ، فوى أحدهما إلى صدرى فقلقه فما أرى بلا دم ولا وجع فقال : أخرج الغل والحسد ، فأخرج شيئاً كرمه العلقمة ، ثم نبذها ، فقال له : أدخل الرأفة والرحمة . فإذا مثل الذي أخرج شبه الفضة ثم هن إلهام رجلى اليمنى فقال : اغد واسلم ، فرجعت أغدو بها رقعة على الصغير ورحمة للكبير .

ولما صار له اثنتا عشرة سنة وشهران ارتحل به أبو طالب إلى الشام فروى ابن اسحاق عن عبد الله بن أبي بكر قال : لما تهيأ أبو طالب للخروج إلى الشام قال : والله ما يطيب على قلبي أرك ابني محمداً ، فحماله معه . فلما نزل الركب ببصرى من أرض الشام وبها راهب يقال له ببحيرافى صرمعة له - وكان ذا علم في النصرانية - وكان كثيراً ما يبرون به لا يكلمهم ، حتى إذا كان ذلك العام ونزلوا منزلاً قريباً من صرمعته كانوا ينزلونه قبل ذلك كلما مروا ، فصنع لهم طعاماً ثم دعاهم وكان قد رأهم حين طلوعوا وغمامة تظل رسول الله ﷺ من بين القرم حتى نزلوا تحت الشجرة ثم نظر

( ١ ) يعنى الراححة .

إلى تلك الغمامة قد أظلت تلك الشجرة واخضلت أغصان الشجرة حين استظل تحتها . فنزل بحيرا من صومعته وأمر بذلك الطعام فأتي به وأرسل إليهم وقال : إني قد صنعت لكم طعاماً يامعشر قريش وأنا أحب أن تحضروا كلكم ، ولا يتخلف منكم صغير ولا كبير ، حر ولا عبد ، فإن هذا شيء تسكرمونني به .

فقال رجل : إن لك لثأناً يا بحيرا ، ثم اجتمعوا إليه ، وتخلف رسول الله ﷺ لحداثة سنه .

فلما نظر بحيرا إلى القوم لم ير الصفة التي يجدها عنده ورأى الغمامة متخلفة على رأس رسول الله ﷺ فقال بحيرا : يامعشر قريش ألم أقل لكم لا يتخلف أحد عن طعامي ، قالوا ما يتخلف إلا غلام حدث في رحالنا ، قال ادعوه فليحضر طعامي مع أني أراه من أنفسكم . قالوا هو والله من أوسطنا نسباً (١) هو ابن أخي هذا الرجل — يعنون أبا طالب — فقام إليه الحارث بن عبد المطالب فاحتضنه وأقبل به حتى أجلسه على الطعام ، والغمامة تسير على رأسه فجعل بحيرا يلحظه لحظاً شديداً وينظر إلى أشياء من جسده ، قد كان يجدها عنده من صفته ، فلما تفرقوا عن الطعام قام إليه الراهب وقال : يا غلام أسألك باللات والعزى إلا أخبرني عما أسألك ، فقال رسول الله ﷺ ( لا تسألني باللات والعزى فوالله ما أبغضت شيئاً بغضهما ) قال فبالله إلا أخبرني عما أسألك عنه ، قال سلني عما بدالك . فجعل يسأله عن أشياء من حاله ورسول الله ﷺ يخبره فيرافق ذلك ما عنده ، ثم جعل ينظر بين عيديه ، ثم كشف عن ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه فقبل موضع الخاتم وقال لأبي طالب : ما هذا الغلام منك ، قال ابني ، قال ما هو بابنك وما ينبغي أن يكون

( ١ ) الوسط من كل شيء أعد له ( وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ) أي عدلاً خياراً ، يقال : هو وسيط فيهم : أي أوسطهم نسباً وأرفعهم محلاً . ( القاموس المحيط ) .

( ه — أول عيون التواريخ )

أبوه حياً . قال فابن أخى ، قال فما فعل أبوه ؟ قال هلك وأمه حبلى ، قال فما فعلت أمه ؟ قال توفيت قريباً . قال صدقت ، ارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه اليهود فر الله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفته ليغيثه بغيا فإن لابن أخيك شأنًا عظيمًا <sup>(١)</sup> واعلم أنى قد أدبت إليك النصيحة . فرجع به أبو طالب بعد ما فرغوا من تجارتهم . وما خرج به سفرا بعد ذلك خوفاً عليه .

( ذكر الحوادث فى سنة أربع عشرة من مولده ﷺ )

منها الفجار الثانى وكان بين هوازن وقريش ، وحضر رسول الله ﷺ وقال ( كنت أنبل على أعمامى ) يعنى يناولهم النبل . وقد روى أن هذا الحرب <sup>(٢)</sup> كان لرسول الله ﷺ عشرون سنة . وإنما سمى الفجار لأن بنى كنانة وهوازن استحلوا الحرم ففجروا . وكان سميته أن النعمان بن المنذر بعث بالطيمة <sup>(٣)</sup> له إلى سوق عكاظ للتجارة وأجارها له الرجال عروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب . فنزلوا على ماء يقال له أواره ، فرثب البراض بن قيس أجد بنى بكر بن مناة بن كنانة وكان حليفاً . فأتى على عروة فقتله وهرب إلى خيبر بعد ما استاق العير ، ولقى بشر بن أبى حازم الشاعر المشهور فأخبره الخبر وأمره أن يعلم عبد الله بن جدعان وهشام بن المغيرة وحرب بن أمية بالخبر ، فأتى إليهم وأخبرهم فتشاوروا فيما بينهم وقالوا نخشى من قيس أن

( ١ ) فى الظاهرية ( شأن عظيم ) ووقع مثل هذا كثيراً فيها . وفى لغة ربيعة إذا وقعت كلمة منصوبة لا يسمونها بالالف بل يكتبونها بدون ألف ويضعون فحوتين عليها علامة على أنها منصوبة . ويهمل الناسخ الفحوتين لظنهم أن الكلمة مرفوعة . وجرى على ذلك بعض المحدثين فكتبوا ( سمعت أنس ) بغير ألف ويقرءونه بالنصب ، ومثل هذا كثير لديهم .

( ٢ ) فى ( تاج العروس للزبيدي ) : الحرب أنثى ، وقد تذكروا ، والأعراف تأنيدها .

( ٣ ) الطيمة : هى حر الطيب والمتاع مما لا يؤكل . والميرة : لما يؤكل .



يطلبوا ثأر صاحبهم منا فإنهم لا يرضون أن يقتلوا به حليفاً من بني ضمرة ، وكان البراض حليفاً لقريش ، فاتفق رأيهم أن يأتوا أبا براء عامر بن مالك ابن جعفر بن كلاب ملاعب الأسنة وهو يومئذ سيد قريش وشريفها فيقولون له إنه كان حدث بين أرض نجد وتهامة وأنه لم يأتنا عليه ، فأتوه وقالوا له ذلك فأجار بين الناس ، وأعلم قومه ما قيل له . ثم قام نفر من قريش فقالوا يا أهل عكاظ إنه قد حدث من قومنا بمكة حادث أثانا خبره ونخشى إن تخلفنا عنه أن يتفاقم الأمر فلا يرو عنكم تحملنا . ثم ركبوا على الصعب والذلول إلى مكة . فلما كان آخر اليوم أتى أبا براء الخبر فقال : غدرت قريش وخدعني حرب بن أمية ، ثم ركب في طلبهم حتى أدركهم بنخلة فاقتتل القوم وكانت الدائرة لقريش وكثانة على قيس فقتلوه قتيلاً ذريعاً ونادى عتبة بن ربيعة يومئذ وهو شاب إلى الصلح فاصطلحوا ، وانصرفت قريش . وقد قال رسول الله ﷺ وذكر الفجار فقال ( حضرته مع عمومتى ورميت فيه بأسهم وما أحب أني لم أكن فعلت ) .

ومن الحوادث في ( سنة خمس عشرة ) من مولده ﷺ قيام قس بن ساعدة الإيادي بسوق عكاظ<sup>(١)</sup> ، وهي سوق كافرا يبيعون فيها ويشترون<sup>(٢)</sup> ، وكان قس خطيباً بليغاً حكيماً . قال ابن عباس رضي الله عنهما : لما وفد وفد إباد على رسول الله ﷺ قال لهم ( ما فعل قس بن ساعدة ) قالوا مات . قال ( كئاني أنظر إليه بسوق عكاظ على جمل أورق<sup>(٣)</sup> ) يتكلم بكلام له حلاوة وما أجدني أحفظه ) فقال رجل من القوم : أنا أحفظه ، سمعته يقول :

أيها الناس احفظوا وعوا ، من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو

( ١ ) مكان بين نخلة والطائف .

( ٢ ) ويعرضون فيها الشعر وينتدونه ، ويبيعون شئوهم الحربية والمالية . وهي من أعظم أسواق العرب .

( ٣ ) في النسختين ( أزرق ) وهو تصحيف .

آت آت ، ليل داج وسما ذات أبراج وبحار تزخر ونجوم تزهز ، وضوء  
وظلام وبر وآثام ، ومطعم ومشرب وملبس ومركب ، مالى أرى الناس  
يزدهبون فلا يرجعون ، أرضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا فناموا ، وإله قس ما على  
وجه الأرض دين أفضل من دين قد أظلمكم زمانه وأدرككم أوانه فطوبى  
لمن أدركه فاتبعه وويل لمن خالفه . ثم أنشأ يقول :

في الزاهيين الأولين من القرون لنا بصائر  
لما رأيت موارداً للوت ليس لها مصادر  
ورأيت قومي نحورها تمضى الأصاغر والأكابر  
لا يرجع الماضى إلى ولا من الباقين غابر  
أيقنت أنى لا محالة حيث صار القوم صار

فقال النبي ﷺ (يرحم الله قساً إنى لأرجو أن يبعثه الله يوم القيامة  
أمة وحده) فقال رجل : يا رسول الله لقد رأيت من قس عجبا ، قال :  
(وما رأيت) قال بينما أنا بجبل يقال له سمعان فى يوم شديد الحر إذا أنا بقص  
تحت ظل شجرة عنده عين من ماء وحوله سبع ، كلما زأربع منها على صاحبه  
ضربه بيده وقال له كهف حتى يشرب الذى ورد قبلك ، وإذا بقبرين بينهما  
مسجد فقلت ما هذان القبران ؟ قال قبر الأخوين كانا لى ماتا فبنيت بينهما  
مسجداً أعبد الله تعالى فيه حتى ألحق بهما . ثم بكى وأنشأ يقول :

خايلى هبا طالما قد رقدتما أجديكا ما تقضيان كراكا  
ألم تعلماني بسمعان مفردا ومالى فيه من أنيس سواكا  
أقيم على قبريكما لست بارحاً طوال الليالى أويجيب صداكا  
وأبكيكما مادمت حياً وما الذى يرد على ذى لوعة إن بكاكما  
فلو جعلت نفسى لنفسى وقاية لجدت بنفسى أن تكون فداكا  
كأنسكـا والموت أقرب غاية بحسمى فى قبريكما قد أناكـا

وفي (سنة تسع عشرة) من مولده ﷺ كان (حلف الفضول) وحضره رسول الله ﷺ . قال ابن قتيبة : سببه أن قریشاً كانت تنظالم في الحرم ، فقام عبدالله بن جدعان والزبير بن عبدالمطلب فدعوا إلى التحالف على التناصر والأخذ للمظلوم من الظالم ، فأجابوا وتحالفوا في دار ابن جدعان . وقال بعض العلماء : سببه أن قيس بن ثعلبة السلمي باع متاعاً من أبي بن خلف الجحى فلواه وذهب بحقه ، فاستجار برجل من بني جمح ، فلم يقيم بجواره فقال قيس :

يال قصي كيف هذا في الحرم وحرمة البيت وأخلاق الكرم  
أظلم ولا يمنع " مني من ظلم

فقام إليه العباس وأبو سفيان حتى ردا عليه . فاجتمعت قریش في دار عبدالله بن جدعان ، وتحالفوا على رد المظالم بمكة وأن لا يظلم أحد إلا منعه . قال رسول الله ﷺ ( لقد شهدت حلفاً في دار ابن جدعان ما أحب أن لي به حمر النعم ولو دعيت به لأجبت ) فقال قوم من قریش : هذا والله فضل من الحلف ، فسمى (حلف الفضول) .

( ذكر الحوادث التي كانت في سنة خمس وعشرين من مولد رسول الله ﷺ )  
منها خروجه في تجارة خديجة وتزويجه بها . وذلك أنه لما بلغ من عمره خمساً وعشرين سنة قال له أبو طالب : أنا رجل لا مال لي وقد اشتد الزمان علينا ، وهذه غير قومك قد حضر خروجها إلى الشام ، وخديجة بنت خويلد تبعث رجالاً من قومك في غير لها ، فلو جئتها فعرضت نفسك عليها لاسرعت إليك .

وباسخ خديجة ذلك فأرسلت إليه وقالت : أنا أعطيك ضعف ما أعطى رجال من قومك ، فخرج مع غلامها ميسرة وجعل عمومته يوصون به أهل العير ، ( ١ ) زاد في الظاهرية هنا ( اليوم ) وهي متحبة دخيلة . والتصويب من الاحمدية ، وبذلك يستقيم الوزن .

وساروا حتى وصلوا بصرى من أرض الشام ، فتزلا في ظل شجرة فراه  
 راهب يقال له نسطورا فعرفه بالعلام وقال لميسرة : هذا والله الذى تجده  
 أخبارنا منعوتأفى كتبهم ، وكان ميسرة إذا كانت الهاجرة واشتد الحر رأى  
 ملكين يظلان رسول الله ﷺ من الشمس فوعى ذلك كله ، وباعوا تجارتهم  
 وربحوا ضعف ما كانوا يربحون ورجعوا ، فكان دخولهم إلى مكة ساعة  
 الظهيرة ، وخديجة فى عليقة لها فرأت رسول الله ﷺ على بعيره وملك  
 يظلان عليه . ودخل عليها رسول الله ﷺ فخبرها بما ربحوا فسرت بذلك ،  
 ودخل عليها ميسرة فأخبرها بما رأى منه وبما قال له الراهب نسطورا .

وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة النفس من أوسط نساء قريش نسباً  
 وأعظمهم شرفاً وأكثرهم مالا . وكل قومها كان حريصاً على نكاحها وطلبوها وبذلوا  
 لها الأموال ، فأرسلت ديسياً إلى رسول الله ﷺ فقالت له : يا محمد ما منعك  
 ألا تتزوج ؟ قال : ما بيدى ما أتزوج به ، قالت : فإن كفيت ذلك ودعيت  
 إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة ألا تجيب ؟ قال : فمن هى ؟ قالت خديجة ،  
 قال وكيف لى بذلك ؟ قالت أنا أفعل ورجعت إليها فأخبرتها فأرسلت إليه  
 أن ائتنى ساعة كذا وكذا . وأرسلت إلى أبيها — وقيل إلى عمها — وأخبرته  
 بالخبر ، وقدم رسول الله ﷺ ومعه حمزة بن عبد المطلب وأبو طالب  
 وغيرهم من عمومته حتى دخلوا على خويلد بن أسد — وقيل على عمها  
 عمرو بن أسد وأن أباهما مات قبل الفجار — فخطبها إليه ، فزوجها منه وهو  
 ابن خمس وعشرين سنة . وخديجة يومئذ ابنة أربعين سنة فولدت له أولاده  
 كلهم إلا إبراهيم ، وهم زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة الزهراء والقاسم —  
 وبه كان يكنى — وعبد الله والظاهر والطيب . فأما القاسم والظاهر  
 فهلكوا قبل الإسلام ، وقيل إن عبد الله ولد فى الإسلام هو والطيب . وأما  
 بناته فكلهن أدركن الإسلام فأسلمن وهاجرن معه .

وكان الرسول بين خديجة والنبي ﷺ نفيسة بنت منية أخت يعلى بن منية أسلمت يوم الفتح فبرها رسول الله ﷺ وأكرمها . ومنية بالنون الساكنة والياء المشناة من تحتها وهي أمها والله أعلم .

( ذكر هدم قريش الكعبة )

وفي سنة خمس وثلاثين من مولده ﷺ هدمت قريش الكعبة . وكان سبب هدمهم إياها أنها كانت رضة<sup>(١)</sup> فوق القامة ، فأرادوا رفعها وسقفا ، وذلك أن نفراً من قريش وغيرها سرقوا كنزها وفيه غزالان من ذهب ، وكانا في بئر في جوف الكعبة .

وكان أمر غزالي مكة<sup>(٢)</sup> أن الله تعالى لما أمر إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ببناء الكعبة ففعلا ذلك ، فأقام إسماعيل بمكة وكان يلي البيت مدة حياته ، وبعده وليه ابنه نابت<sup>(٣)</sup> فلما مات نابت غلبت جرم<sup>(٤)</sup> على ولاية البيت ، فكان أول من وليه منهم مضاض ثم ولده من بعده ، وبغت جرم واستحلت حرمة البيت ، وظلموا من دخل مكة حتى قيل إن إساف ونائلة زنيا في جوف الكعبة ففسخا حجري ، وكانت خزاعة قد أقامت بتهامة بعد تفرق أولاد عمرو بن عامر من اليمن فأرسل الله تعالى على جرم الرعاف فأفانهم ، فاجتمعت خزاعة على إجلاله من بقي منهم ، ورئيس

( ١ ) الرضة واحدة الرضم والرضام ، وهي دون الهضاب . وقيل صخور بعضها على بعض ، على ما في ( النهاية لابن الأثير ) والرضم : أن تنضد الحجارة بعضها فوق بعض بدون ملاط .

( ٢ ) في الكامل لابن الأثير ( غزالي الكعبة ) وهو الصواب .

( ٣ ) في الظاهرية في الموضعين هنا ( ثابت ) وهو تصحيف ، على ما في المراجع والمصادر المشهورة .

( ٤ ) كانت جرم من حول مكة يومئذ ، على ما في تاريخ الطبري وغيره .

خزاعة عمرو بن ربيعة بن حارثة فاقتتلوا ، فلما أحس عامر بن الحارث الجرهمى بالهزيمة خرج بغزالي الكعبة والحجر الأسود ، يلتمس التوبة ويقول :

لاهم إن جرهما عبادك والناس طرف وهم تلادك  
وهم قديماً عمروا بلادك<sup>(١)</sup>

فلم تقبل توبته ، فدفن غزالي الكعبة ببرز زمزم وطمها ، وخرج بمن بقي من جرهم إلى أرض جهينة<sup>(٢)</sup> فجاءهم سيل فذهب بهم ، فقال عامر بن الحارث الجرهمى :

كأن لم يكن بين الحجرن إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر  
بلى نحن كئنا أهلها فأبادنا<sup>(٣)</sup> صروف الليالي والجدود العوارث

وولى البيت بعد جرهم عمرو بن ربيعة وقومه خزاعة ، ثم ولى البيت بعد خزاعة قريش ، ثم حضر عبد المطلب زمزم وأخرج الغزاليين . قال ابن اسحاق : وكان الذى سرق كنز الكعبة دويك مولى لبني مليح بن خزاعة فقطعت قريش يده .

وكان البحر قد رمى سفينة الى ساحل جدة فتحطمت ، فأخذوا خشبها فأعدوه لسقف الكعبة . وكان بمكة رجل قبضى بنجار ، وكانت حية عظيمة تخرج من بر الكعبة التى يطرح فيه ما يهدى الى الكعبة ، وكانوا يهابونها وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد الا نفخت وكشت وفتحت فاهها . فبينما هى

(١) فى تاريخ الطبرى ٢/ ٢٨٥ . بهم قديماً أعمرت بلادك .

(٢) فى النسختين ( جهينة ) والتصويب من تاريخ ابن جرير وتاريخ ابن الأثير .

(٣) فى سيرة ابن هشام ( نأزالنا ) وفى تاريخ الطبرى وغيره ( فأبادنا ) كما فى النسختين من ( عيون النوارىخ ) .

يوما تشرف على جدار الكعبة اذ بعث الله تعالى عليها طائرا فاخته طفها فقالت قريش : إنا لنرجو أن يكون الله عز وجل قد رضى ما أردنا ، وكان ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن خمس وثلاثين سنة ، فلما أرادوا هدمها قام أبو وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم فتناول حجرا من الكعبة فوثب من يده حتى رجع الى موضعه ، فقال : يامعشر قريش لاتدخلوا في بنائها إلا طيبا ، وقيل إن الوليد بن المغيرة قال هذا <sup>(١)</sup> . ثم إن الناس هابوا هدمها فقال الوليد بن المغيرة أنا أبدأ لكم به ، فأخذ المعول فهدم ، وتربص الناس تلك الليلة وقالوا : ننظر فإن أصيب لم نهدم منها شيئا . فأصبح الوليد سالما وغدا الى عمله ، فهدم الناس معه حتى انتهى الهدم الى الأساس ثم أفضت <sup>(٢)</sup> الى حجارة خضر أخذ بعضها ببعض ، فأدخل رجل من قريش عتلة بين حجرين منها ليقلع أحدهما ، فلما تحرك الحجر انتقضت مكة بأسرها فتركة ثم جمعوا الحجارة لبنائها وبنوا حتى بلغ البليان موضع الركن ، فأرادت كل قبيلة رفعه الى موضعه حتى تحالفوا <sup>(٣)</sup> وتواعدوا للقتال فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما ؛ ثم تعاقدوا هم وبنو عدى على الموت وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم فسموا ( لعقة الدم ) بذلك فمكثوا على ذلك أربع ليال ثم تشاوروا فقال أبو أمية ابن المغيرة - وكان أسن قريش - اجعلوا بينكم حكما أول من يدخل من باب الحرم يقضى بينكم ، فكان أول من دخل رسول الله ﷺ ، فلما رأوه قالوا هذا الأمين رضينا به وأخبروه الخبر فقال هلموا الى ثوبا ، فألقى به فأخذ الحجر الأسود فوضعه فيه بيده ثم قال : ( لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ، ثم ارفعوه جميعا ) ففعلوا فلما بلغوا به موضعه وضعه بيده ثم بنى عليه .

( ١ ) رجح ابن جرير الطبري نسبة هذا القول إلى ( أبي وهب ) .

( ٢ ) في السكامل لابن الأثير ( ثم أفضوا ) وفي تاريخ الطبري ( فأفضوا ) .

( ٣ ) في الأحمدية ( تحالفوا ) وهو تصحييف .

( ذكر الوقت الذي أرسل فيه رسول الله ﷺ )

بعث الله نبيه محمداً ﷺ لعشرين سنة مضت من ملك كسرى أبرويز بن هرمز بن أنوشروان ، وكان على الحيرة إياس بن قبيصة الطائي عامل للفرس على العرب .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : بعث النبي ﷺ وأنزل عليه الوحي وهو ابن أربعين سنة ، وقيل ابن ثلاث وأربعين ، وكان يوم الاثنين بلا خلاف لثاني عشرة ليلة خلت من رمضان .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يظهر له جبريل عليه السلام يرى ويعاين آثار من يريد الله عز وجل إكرامه بفضله ، من ذلك أنه كان لا يمر بحجر ولا شجر إلا سلم عليه ، فكان يلتفت يمينا وشمالا فلا يرى أحدا . وكانت الأمم تتحدث بمبعثه وتخبّر علماء كل أمة قومها بزمانه . قال عامر بن ربيعة سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يقول : إنا لنتنظر نبيا من ولد اسماعيل ثم من ولد عبد المطلب ، ولا أراي أحركه . وأنا أومن به وأصدقه وأشهد أنه نبي ، فان طال بك حياة ورأيت فأكفرت به مني السلام ، وسأخبرك ببعثه حتى لا يخفى عليك . قلت له هلم ، قال : هو رجل ليس بالطويل ولا بالقصير ولا بكثير الشعر ولا بقليله ولا تفارق عينيه حمرة ، وخاتم النبوة بين كتفيه ؛ واسمه أحمد ؛ وهذا البلد مولده ومبعثه ، ثم يخرج قومه ويهاجر الى يثرب فيظهر بها أمره ، فإياك أن تخدع<sup>(١)</sup> عنه فإني طفت البلاد كلها لطلب دين ابراهيم فكل من أسأل عنه من اليهود والنصارى والمجوس يقول : هذا الدين وراءك وينعتونه مثل مانعته لك . قال عامر : فلما أسلمت أخبرت رسول الله ﷺ بقول زيد وأقر أنه منه السلام ، فرد عليه رسول الله ﷺ وترحم عليه وقال ( لقد رأيت في الجنة يسحب ذيو لا ) .

( ١ ) في النسخين ( تخرج ) بدل ( تخدع ) والصحيح من تاريخ الرسل والملوك للطبري والسكامل لابن الأثير .



وقال جبير بن مطعم : كنا جلوسا عند صنم قبل أن يبعث رسول الله ﷺ بشهر ، فنحنرا جزورا فاذا بصائح يصيح من جوف الصنم « اسمعوا الى العجب ذهب استراق الوحي ويرمى بالشهب لنبي بمكة اسمه أحمد ؛ مهاجرة الى يثرب » قال فأمسكنا وعجبنا وخرج رسول الله ﷺ .

والاخبار عن دلائل نبوته كثيرة ، وقد صنف العلماء في ذلك كتباً كثيرة ذكروا فيها كل عجيبة وليس هذا موضع ذكرها (١) .

( ذكر ابتداء الوحي إلى النبي ﷺ )

قالت عائشة رضي الله عنها : كان أول ما ابتدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة ، فكانت تجيء كفلق الصبح ثم حجب إليه الخلاء فكان يحاور بغار حراء يتعبد فيه الليالي ذوات العدد ، ثم يرجع إلى أهله فينزود لمثلها حتى فجأة (٢) الوحي فأتاه جبريل عليه السلام فقال : يا محمد أنت رسول الله ، قال رسول الله فجثوت لركبتي ، ثم رجعت فدخلت على خديجة فقلت : زملوني زملوني ، ثم ذهب عني الروع ، فأتاني فقال يا محمد أنت رسول الله ، قال فلقد هممت أن أطرح نفسي من شاهق فنبذني لي حين هممت بذلك فقال : يا محمد أنا جبريل وأنت رسول الله ، ثم قال اقرأ ، قلت : ( وما اقرأ ) قال : ( اقرأ باسم ربك الذي خلق ) (٣) فقرأت فأنبت خديجة فقلت ( لقد أشفقت على نفسي ) وأخبرتها خبري ، فقالت لي : أبشر فإن الله لا يخزيك الله تعالى أبداً إنك لتصل الرحم وتصديق الحديث وتؤدي الأمانة وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق ، ثم انطلقت

( ١ ) هذا من قول ابن الأثير في ( الكامل ) .

( ٢ ) لجيء كسميع ومنع ، والاول أفصح . على ما في ( تاج العروس للزبيدي ) .

( ٣ ) سورة العلق ، الآية ١ .

بي إلى ورقة بن نوفل وهو ابن عمها ، وكان قد تنصر وقرأ الكتب وسمع من أهل التوراة والإنجيل ، فقالت : اسمع من ابن أخيك ، فسألني فأخبرته خبري ، فقال : هذا الناموس الذي أنزل على موسى بن عمران ، ليتني كنت حياً حين يخرجك قومك ، قلت أخرجني هم ؟ قال : نعم إنه لم يجيء أحد بمثل ما جئت به إلا عودي ، ولئن أدركني يومك لأنصرنك نصرأ مؤزرأ .

ثم كان أول ما أنزل عليه من القرآن بعد ( اقرأ ) <sup>(١)</sup> ( ن والقلم وما يسطرون ) <sup>(٢)</sup> و ( يا أيها المدثر ) <sup>(٣)</sup> و ( والضحى ) <sup>(٤)</sup> .

وقالت خديجة لرسول الله ﷺ فيما تثبته بما أكرمه الله به من نبوته يابن عم هل تستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاء ؟ قال نعم ، فجاءه جبريل فأعلمها فقالت : قم فاجلس على نخذي اليسرى ، فقام رسول الله ﷺ فجلس عليها فقالت : هل تراه ؟ قال نعم ، فتحسرت وألقت خمارها ورسول الله ﷺ في حجرها ثم قالت هل تراه ؟ قال لا ، قالت يابن عم أثبت وأبشر فوالله إنه لملك وما هو بشيطان .

وقال يحيى بن أبي كثير سألت أبا سلمة عن أول ما نزل من القرآن ؟ قال نزلت ( يا أيها المدثر ) قلت إنهم يقولون ( اقرأ باسم ربك ) فقال : سألت جابر بن عبد الله فقال ما أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله ﷺ : قال ( جاورت بحراء فلما قضيت جوارى هبطت فسمعت صوتاً ، فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً ونظرت عن يساري فلم أر شيئاً ، ونظرت أمامي وخلفي فلم أر شيئاً ، فرفعت رأسي فإذا هو - يعني الملك - جالس على عرش بين السماء والأرض ) هذا حديث صحيح . قال هشام الكلبي : أتى جبريل النبي ﷺ أول ما أتاه ليلة السبت وليلة الأحد ، وكان لرسول الله ﷺ أربعون

( ١ ) سورة العلق ، الآية ١ . ( ٢ ) سورة القلم ، الآية ١ .

( ٣ ) سورة المدثر ، الآية ١ . ( ٤ ) سورة الضحى ، الآية ١ .

سنة : قال الزهرى : فتر الوحي عن رسول الله ﷺ فترة فحزن حزناً شديداً فجعل يندو إلى رؤوس الجبال ليتردى منها فكلما أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل عليه السلام فيقول له : إنك رسول الله حقاً ؛ فيسكن لذلك جأشه وترجع نفسه .

فلما أمر الله نبيه عليه السلام أن ينذر قومه عذاب الله على ما هم فيه من عبادة الأصنام دون الله تعالى الذى خلقهم ورزقهم ، وأن يحدث بنعمة ربه عليه وهى النبوة .

فكان أول من آمن به وصدقه خديجة بنت خويلد زوجته ، قال الواقدي : أجمع أصحابنا على أن أول أهل القبلة صدقه خديجة .

ثم أول شئ فرض الله عليه من شرائع الإسلام بعد الإقرار بالتوحيد والبراءة من الأوثان الصلاة : أتاه جبريل عليه السلام وهو بأعلى مكة فمزمز<sup>(١)</sup> بعقبه فى ناحية الوادى فأنجرت فيه عين فتوضأ جبريل ورسول الله ﷺ ينظر إليه ليريه كيف الطهور للصلاة ؛ ثم توضأ رسول الله ﷺ ، ثم قام جبريل فصلى به وصلى النبى بصلاته ، فأنصرف جبريل ، وجاء رسول الله ﷺ إلى خديجة فعلمها الوضوء ثم صلى بها فصلت بصلاته .

( ذكر المعراج )

اختلف الناس فى وقت المعراج فقليل كان قبل الهجرة بثلاث سنين وقيل بسنة واحدة ، واختلفوا فى الموضع الذى أسرى برسول الله ﷺ منه ، فقليل كان نائماً فى المسجد فى الحجر فأسرى به منه ، وقيل كان نائماً<sup>(٢)</sup> فى بيت أم هانئ بنت أبي طالب . وقد روى حديث المعراج جماعة من الصحابة بأسانيد صحيحة قالوا : قال رسول الله ﷺ أتانى جبريل عليه السلام ومعه البراق وهى دابة فوق الحمار ودون البغل ، ثم مثل البرق خطوه عند منتهى

(١) المعزم : النخس والغمز . وهذه الكلمة محرفة فى الاحمدية .

(٢) نائماً ( مستدركة من تاريخ السكامل لابن الاثير .

طرفه فقال اركب، فلما وضعت يدي عليه تشامس واستصعب <sup>(١)</sup> فقال جبريل عليه السلام : يا براق ما ركبك نبي أكرم على الله من محمد ، فانصب عرقا وأنخفض لي حتى ركبته ، وسار بي جبريل نحو المسجد الأقصى فأثيت باناءين أحدهما لبن والآخر خمر ، فقبل لي اختر أحدهما فأخذت اللبن فشربته فقبل لي أصبت الفطرة أما إنك لو شربت الخمر لثوت أمتك بعدك ، ثم سرنا فقال لي انزل فصل فنزلت فصليت فقال لي : هذه طيبة وإليها المهاجرة ، ثم سرنا فقال لي انزل فصل ، فنزلت فصليت فقال : [ هذا طور سيناء حيث كلم الله موسى عليه السلام ، ثم سرنا فقال لي انزل فصل فنزلت فصليت فقال هذا <sup>(٢)</sup> ] بيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام ، ثم سرنا حتى أتينا البيت المقدس ، فلما انتهينا إلى باب المسجد أنزاني جبريل وربط البراق بالحلقة التي كانت تربط بها الأنبياء عليهم السلام ، فلما دخلت المسجد إذا أنا بالأنبياء — أحيوا له وقيل بأرواح الأنبياء — الذين بعثهم الله قبل فسلموا على فقالت : يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : إخوانك من الأنبياء زعمت قريش أن لله شريكا ، وزعمت النصارى أن لله ولداً سل هؤلاء النبيين <sup>(٣)</sup> هل كان لله عز وجل شريك أو ولد فذلك قوله تعالى ( واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ) <sup>(٤)</sup> فأقروا بالوحدانية لله تعالى ، ثم جمعهم جبريل وقد منى فصليت بهم ركعتين ، ثم انطلق بي جبريل إلى الصخرة فصعد <sup>(٥)</sup> بي عليها فإذا معراج إلى السماء لا ينظر الناظرون إلى شيء أحسن منه ، ومنه تعرج الملائكة ، أصله في صخرة بيت المقدس ورأسه ملتصق بالسماء .

( ١ ) في النسختين ( واستصعب ) .

( ٢ ) ما بين المعقفين ساقط من الظاهرية ، فاستدر كته من الاحمدية وتاريخ ابن الاثير .

( ٣ ) في النسختين ( مثل هؤلاء النبيين ) والتصحيح من تاريخ ابن الاثير .

( ٤ ) سورة الزخرف ، الآية ٤٥ .

( ٥ ) كسمع . ( القاموس المحيط ) .

فاحتملني جبريل ووضعني على جناحه وصعد بي الى سماء الدنيا فاستفتح  
فقليل من هذا؟ قال جبريل؛ قيل ومن معك؟ قال: محمد، قيل أقد بعث؟  
قال نعم؛ قيل مرحباً به ونعم المجيء جاء. ففتح فدخلنا فاذا أنا برجل تام  
الخلق؛ عن يمينه باب تخرج منه ريح طيبة وعن شماله باب تخرج منه ريح  
خبثة فاذا نظر الى الباب الذي عن يمينه ضحك واذا نظر الى الباب الذي عن  
شماله بكى، فقلت من هذا وما هذان البايان؟ فقال: هذا أبوك آدم، والباب  
الذي عن يمينه باب الجنة؛ اذا نظر الى من يدخلها من ذريته ضحك، والباب  
الذي عن يساره باب جهنم، اذا نظر الى من يدخلها من ذريته بكى وحزن.

ثم صعد بي الى السماء الثانية، فاستفتح فقليل من هذا؟ قال جبريل قليل  
ومن معك؟ قال: محمد، قيل وقد بعث؟ قال: نعم، قيل مرحباً به ونعم المجيء  
جاء ففتح لنا فدخلنا فاذا بشابين، قلت يا جبريل من هذان؟ قال: هذا عيسى  
ابن مريم ويحيى بن زكريا.

ثم صعد الى السماء الثالثة فاستفتح قليل من هذا؟ قال: جبريل، قيل ومن  
معك؟ قال: محمد، قيل مرحباً به ونعم المجيء جاء، فدخلنا فاذا برجل قد  
فضل الناس بالحسن. قلت: من هذا يا جبريل؟ قال هذا أخوك يوسف.

ثم صعد بي الى السماء الرابعة فاستفتح، فقليل من هذا؟ قال: جبريل،  
قيل ومن معك؟ قال: محمد، قيل وقد بعث؟ قال نعم، قيل مرحباً به ونعم  
المجيء جاء، فدخلنا فاذا أنا برجل، قلت من هذا يا جبريل؟ قال: هذا أخيك  
إدريس رفعه الله مكاناً علياً.

ثم صعد بي الى السماء الخامسة، فاستفتح، قيل من هذا؟ قال:  
جبريل، قيل ومن معك؟ قال محمد؛ قيل وقد بعث؟ قال نعم، قيل مرحباً به  
ونعم المجيء جاء، فدخلنا فاذا رجل جالس وحوله قوم يقص عليهم، قلت من  
هذا؟ قال هذا هارون والذين حول له بنو اسرائيل.

قال: ثم صعدني إلى السماء السادسة فاستفتح؛ قيل من هذا؟ قال: جبريل قيل ومن معك؟ قال: محمد، قيل مرحبا بهي نعم المجيء جاء، فدخلنا فإذا برجل جالس، فلما جاوزناه بكى، قلت من هذا؟ قال: موسى، قلت فما باله يبكي؟ قال تزعم بنو إسرائيل أني أكرم على الله من آدم، وهذا رجل من بني آدم قد خلفني وراءه.

قال ثم صعدني إلى السماء السابعة فاستفتح، قيل من هذا؟ قال جبريل، قيل ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث؟ قال نعم: قيل مرحبا به ونعم المجيء جاء، فدخلنا فإذا برجل أشمط جالس على كرسي على باب الجنة وحوله قوم بيض الوجوه أمثال القراطيس، وقوم في ألوانهم شيء، فقام الذين في ألوانهم شيء فاغتسلوا في نهر وخرجوا وقد صارت وجوههم مثل وجوه أصحابهم. فقلت من هذا؟ قال أبوك إبراهيم، وهؤلاء البيض الوجوه قوم لم يلبسوا إيمانهم بظلم، وأما الذين في ألوانهم شيء فقوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وتابوا فتاب الله عليهم. وإذا إبراهيم مستند إلى بيت، فقال: هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألفا من الملائكة لا يعودون إليه.

وأخذني جبريل فاتمينا إلى سدرة المنتهى وإذا نبقها مثل قلال هجر<sup>(١)</sup> يخرج من أصلها أربعة أنهار: نهران باطنان ونهران ظاهران، فأما الباطنان ففي الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات<sup>(٢)</sup> قال: وغشيتها من نور الله تعالى ما غشيتها فقال جبريل: تقدم يا محمد فتقدمت وجبريل معي إلى حجاب، فأخذني الملك وتخلف عن جبريل، فقلت إلى أين؟ فقال (وما منا إلا له مقام معلوم) وهذا منتهى الخلائق. فلم أزل كذلك حتى وصلت إلى العرش، فأنضع كل شيء

(١) بفتح الهاء والجيم: قرية قريبة من المدينة، وكانت تعمل بها القلال، تأخذ الواحدة منها مزادة من الماء، سميت قلة لأنها تقل أي ترفع وتحمل، على ما في النهاية في غريب الحديث.

(٢) هذا بحاز مشهور وتشبيهه.

عند العرش ، وكل لسانى من هيئة الرحمن ، ثم أطلق <sup>(١)</sup> الله تعالى لسانى فقلت : ( التحيات المباركات والصلوات الطيبات لله ) .

وفرض الله تعالى على وعلى أمتى فى كل يوم وليلة خمسين صلاة ، ورجعت إلى جبريل فأخذنى وأدخلنى الجنة فرأيت القصور من الدر والياقوت والزبرجد ورأيت نهراً يخرج من أصله ماء أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل يجرى <sup>(٢)</sup> على رضراض من الدر والياقوت والمسك ، فقال : هذا هو الكوثر الذى أعطاك ربك .

ثم عرض على النار فنظرت فى أغلالها وسلاسلها وحياتها وعقاربها وما فيها من العذاب . ثم أخرجنى حتى أتينا على موسى عليه السلام فقال : ماذا فرض عليك وعلى أمتك ؟ قلت خمسين صلاة ، فقال لى قد بلوت بنى إسرائيل وعالجتهم أشد معالجة على أقل من هذا فلم يفعلوا ، إرجع إلى ربك فسله التخفيف ، فرجعت إلى ربى وسألته ، تخفف عني عشر فرجعت إلى موسى فأخبرته ، فقال : ارجع وسل التخفيف ، فرجعت تخفف عني عشر . فلم أزل بين ربى وموسى حتى جعلها خمسا . فقال ارجع ، فقلت لى قد استحيت من ربى وما أنا براجع ، فنوديت : ( لى فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة والخمس بخمسين وقد أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى ) <sup>(٣)</sup> .

ثم انحدرت أنا وجبريل إلى مضجعى وكان كل ذلك فى بعض ليلة . فلما أصبح علم أن الناس لا يصدقونه ، فقعده فى الحرم مغموما ، فمر به أبو جهل فقال له كالمستهزى ، : هل استفدت الليلة شيئا ؟ قال نعم ، أسرى بى الليلة إلى البيت المقدس ، قال ثم أصبحت بين أظهرنا ؟ قال نعم ؛ فقال أبو جهل : يامعشر بنى كعب بن لؤى هلموا ؛ فأقبلوا فحدثهم النبى ﷺ ؛ فمن بين مصدق

( ١ ) هذا ما فى النسختين ، وفى تاريخ ابن الأثير : ( أنطق ) .

( ٢ ) ( يجرى ) استدركتها من تاريخ السكامل لابن الأثير .

( ٣ ) أخرجاه فى الصحيحين ،

ومكذب واضع يده على رأسه ، وسعى رجال من المشركين إلى أبي بكر فقالوا :  
 ان صاحبك يزعم كذا وكذا ، قال ان كان قال ذلك فقد صدق ، إني لأصدقه  
 بما هو أبعد من ذلك <sup>(١)</sup> ، فسمى أبا بكر الصديق من يومئذ رضى الله عنه . قالوا :  
 فأنعت لنا المسجد الأقصى ، قال فذهبت أنعت حتى التبتس على ، قال فجئى  
 بالمسجد وأنا أنظر إليه فجعلت أنعته . قالوا فأخبرنا عن غيرنا ، قال نعم مررت  
 على غير بنى فلان بالروحاه <sup>(٢)</sup> وقد أضلوا بعيراً لهم وهم فى طلبه . وأخذت  
 قدحاً فيه ماء فشربته . فسألهم عن ذلك ، ومررت بعير بنى فلان ، وفلان  
 وفلان راكبان قعوداً فنفر قعودهما منى فسقط فلان فأنكسرت يده ، فسألوهما .  
 ومررت بعيركم بالتنعيم يقدمها جمل أورك <sup>(٣)</sup> عليه غرار تان تطلع عليكم مع  
 طلوع الشمس . نخر جزاً إلى الثنية وجلسوا ينتظرون طلوع الشمس ليكذبوه  
 إذ قال قائل : هذه الشمس قد طلعت ، وقال آخر : هذه العير قد أقبلت يقدمها  
 بعير أورك كما قال . قال فقالوا إن هذا إلا سحر مبین .

### ﴿ ذكر الاختلاف فى أول من أسلم ﴾

اختلف العلماء فى أول من أسلم مع الاتفاق أن خديجة أول خلق الله  
 إسلاماً . وقال قوم : أول ذكر آمن على ، روى عن على رضى الله عنه أنه  
 قال : أنا عبد الله وأخو رسوله ، وأنا الصديق الأكبر ، لا يقولها بعدى إلا  
 كاذب مفتر ، صليت مع رسول الله ﷺ قبل الناس .

وقال ابن عباس : أول من صلى على . وقال عفيف الكندى كنت امرأة  
 تاجر آ فقدمت مكة أيام الحج فأتيت العباس ، فبينما نحن عنده ، إذ خرج رجل  
 فقام تجاه الكعبة فصلى ثم خرجت امرأة فقامت تحملى معه ، ثم خرج غلام

(١) فى تاريخ ابن الاثير زيادة ( أصدقته بخبر السماء فى غدوة أو روحة ) .

(٢) بين الحرمين مكة والمدينة .

(٣) أى أسمر .



فقام يصلي معهما . فقلت يا عباس ما هذا الدين ؟ قال : هذا محمد بن عبد الله ابن أخي زعم أن الله تعالى أرسله وأن كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه ، وهذه امرأته خديجة آمنت به ، وهذا الغلام علي بن أبي طالب آمن به .

وقال السكلي : أول من أسلم علي وكان عمره تسع سنين .

وقال ابن اسحاق أول من أسلم علي وكان عمره إحدى عشرة سنة وكان من نعمة الله عليه أن قریشاً أصابهم أزمة شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة ، فقال رسول الله ﷺ لعمه العباس : هلم بنا نخفف من عيال أبي طالب ، فانطلقا إليه وأعلماه ما أرادا ، فقالا لعلنا نأخذ علياً وعقيلاً واصنعنا ما شئنا . فأخذ رسول الله ﷺ علياً وأخذ العباس جعفر ، فلم يزل علي عند النبي ﷺ حتى أرسله الله تعالى فاتبعه ، فكان النبي ﷺ إذا أراد الصلاة انطلق هو وعلي إلى بعض الشعاب بمكة فيصليان ويعودان ، فعثر عليهما أبو طالب فقال : يا بني أخى ما هذا الدين ؟ قال دين الله وملائكته ورسوله ودين أبينا إبراهيم عليه السلام ، بعثني الله تعالى به إلى العباد ، وأنت أحق من دعوته إلى الهدى . قال : لا أستطيع أن أفارق ديني ودين آبائي ولكن والله لا تخلص قریش إليك بشيء تكرهه ماحيت ، فلم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه .

وقال أبو طالب لعلى يا بني ما هذا الدين الذى أنت عليه ؟ قال يا أبت آمنت بالله ورسوله . قال أما إنه لا يدعو إلا إلى خير فالزمه .

وقيل أول من أسلم أبو بكر رضى الله عنه . قال الشعبي سألت ابن عباس عن أول من أسلم قال أما سمعت قول حسان بن ثابت :

إذا تذكرت شجواً من أخى ثقة	فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاهم وأعد لها	بعد النبي وأوفاهم بما حملا
الثاني التالى المحمود مشهوده	وأول الناس منهم صدق الرسل

وقال عمرو بن عبدمة<sup>(١)</sup> : أتيت رسول الله ﷺ بعكاظ فقلت يا محمد من تبعك على هذا الأمر ؟ قال حرو عبد : أبو بكر وبلال [ فأسلمت عند ذلك ] .

وكان أبو ذر يقول لقد رأيتني ربح الإسلام لم يسلم قبلي إلا النبي وأبو بكر وبلال . وقال إبراهيم النخعي : أبو بكر أول من أسلم .

وقيل أول من أسلم زيد بن حارثة [ وقال ابن إسحاق أول ذكر أسلم بعد علي زيد بن حارثة ]<sup>(٢)</sup> ثم أسلم أبو بكر وأظهر إسلامه ، وكان مائلاً لقومه محبباً فيهم . وكان أعلمهم بأنساب قريش . وكان تاجراً يجتمع إليه قومه فجاء يدعو من يشق به من قومه : فأسلم على يده عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطليحة بن عبدة الله ، فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ فأسلموا وصلوا ، وكان هؤلاء النفر هم الذين سبقوا إلى الإسلام .

قال الواقدي : وأسلم أبو ذر قالوا رابعاً أو خامساً ، وأسلم عمرو بن عبسة<sup>(٣)</sup> السلمي وأسلم خالد بن سعيد بن العاص وزوجته أمينة<sup>(٤)</sup> بنت خلف بن أسعد ابن عامر بن بياضة .

﴿ ذكر أمر الله تعالى نبيه بإظهار دعوته ﴾

ثم إن الله تعالى أمر نبيه ﷺ بعد مبثته بثلاث سنين أن يصعد بمسا يؤمر . وكان قبيل ذلك في السنين الثلاثة<sup>(٥)</sup> مستتراً بدعوته

( ١ ) في الظاهرية ( عبسة ) والتصحيح من الاحمدية وخلاصة الخزرجي وغيرهما . و ( عبسة ) بفتح أوله والموحدة .

( ٢ ) ما بين المعقنين ساقط من الظاهرية فاستدركته من الاحمدية .

( ٣ ) في الظاهرية ( عبسة ) وفي الاحمدية ( عبسة ) وكلاهما تصحيف .

( ٤ ) في النسختين ( عبسة ) والتصحيح من الدرر في اختصار المغازي والسير

لابن عبيد البر والاصابة لابن حجر . وقد صحف اسمها في بعض المصادر .

( ٥ ) عند تقدم المعلوم على العدد يجوز التأنيث .

لا يظهرها إلا إلى من يشق به ، وكان<sup>(١)</sup> أصحابه إذا أرادوا الصلاة ذهبوا إلى الشعاب فاستخفوا . فبينما سعد بن أبي وقاص وعمار ابن ياسر وابن مسعود وخباب وسعيد بن زيد يصلون في شعب ، اطلع عليهم نفر من المشركين منهم أبو سفيان بن حرب والأخنس بن شريق وغيرهما فسيبوهم وعابوهم فقاتلوه ، فضرب سعد رجلا من المشركين بلحى جمل فشجه فكان أول دم أريق في الإسلام في قول . قال ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت (وأندر عشيرتك الأقربين)<sup>(٢)</sup> خرج رسول الله ﷺ وصعد على الصفا وهتف يا صبا جام ! فاجتمعوا إليه فقال يا بني فلان يا بني عبد المطالب يا بني عبد مناف . فاجتمعوا إليه فقال أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟ قالوا نعم ماجرنا عليك كذبا . قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، فقال أبو لهب : تبأ لك ما جمعتنا إلا لهذا؟ ثم قام فنزلت (تبت يدا أبي لهب وتب) إلى آخر السورة .

قال ثم إن رسول الله ﷺ صدع بأمر الله وبادى قومه بالإسلام ، فلم يبعدوا منه ولم يردوا عليه إلا بعض الرد ، حتى ذكر آلهتهم وعابها ، فلما ذكر ذلك أجمعوا على خلافه إلا من عصم الله تعالى منهم بالإسلام وهم قليل مستخفون ، وحذب عليه عمه أبو طالب ، ومنعه<sup>(٣)</sup> وقام دونه ، ومضى رسول الله ﷺ على أمر الله تعالى لا يرده شيء ، فلما رأت قريش أن رسول الله ﷺ

(١) في النسختين ( وكانوا ) ويقع مثله كثيرا في النسختين ، على لغة (أكلوه البراغيث) .

(٢) سورة الشعراء ، الآية ٢١٤ .

(٣) في (أساس البلاغة للزمخشري) : فلان يمنع الجار : يحميه من أن يضام .

لايعتبرهم من شيء يكرهونه وأن أبا طالب قد قام دونه ولم يسلمه لهم مشى رجال من أشrafهم إلى أبي طالب : عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو البختري ابن هشام والأسود بن المطلب والوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام والعاص ابن وائل السهمي ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وغيرهم فقالوا : يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل آباءنا (١) فاما أن تكفه عنا وما أن تخلي بيننا وبينه فانك على مثل مانحن عليه من خلافه ، فقال لهم أبو طالب قولا جميلا وردهم ردا رفيقا ، فانصرفوا عنه ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه ثم شرى (٢) الأمر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال فتضاغنوا . وأكثرت قريش من ذكر رسول الله ﷺ . وتأمرؤا فيه فمشوا إلى أبي طالب مرة أخرى فقالوا : يا أبا طالب إن لك سنا وشرفا . وإنا قد اشتبهنا أن تنهى ابن أخيك فلم تفعل . وأنا والله لانصبر على هذا من شتم آلهتنا وآبائنا وتسفيه أحلامنا ، فكفه عنا أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين . ثم انصرفوا عنه .

فنظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم له . ولم يطب نفسا بإسلام رسول الله ﷺ وخذلانه . فبعث إلى رسول الله ﷺ وأعلمه بما قالوا وقال له : أبق على وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق . فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه وأنه خاذله وقد ضعف عن نصرته . فقال رسول الله ﷺ (يا عاه والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته ) ثم بسكى رسول الله ﷺ وقام . فلما ولي ناداه أبو طالب فأقبل عليه فقال له : اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت

( ١ ) في الظاهرية ( آراءنا ) والتصويب من الاحمدية وتاريخ الكامل لابن الأثير .

( ٢ ) في الظاهرية ( سرى ) وهو تصحيف ، على ما في انقاموس المحيط والذخيرة الاحمدية .

فرأى الله لا أسلمك لشيء أبداً ، فلما علمت قريش أن أبا طالب لا يخذله ولا يسلمه وأنه يجمع لعداوتهم مشوا إليه بعمارة بن الوليد فقالوا : يا أبا طالب هذا عمارة ابن الوليد فتي قريش وأشعرهم وأجملهم ، نخذه فاتخذناه ولداً وأسلم إلينا ابن أخيك الذي سفه أحلامنا وخالف دينك ودين آبائك وفرق جماعة قريمتك ، فنقتله فانما رجل برجل ، فقال : والله لبئس ما تسرمونني أتعطونني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه ، هذا والله لا يكون أبداً فقال المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف : والله لقد أنصفك قومك ، فقال أبو طالب : والله ما أنصفوني ولكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم على فاصنع ما بدالك .

فاشتد الأمر عند ذلك وتناوب القوم ، واشتدت قريش على أصحاب رسول الله ﷺ الذين أسلموا معه . ووثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ليفتنوهم عن دينهم . ومنع الله عز وجل رسوله ﷺ بعمه أبي طالب . وقام أبو طالب في بني هاشم فدعاهم إلى منع رسول الله ﷺ فأجابوا إلى ذلك واجتمعوا إليه إلا ما كان من أبي لهب .

فلما رأى أبو طالب من قومه ما سره أقبل يمسحهم ويذكر فضل رسول الله ﷺ ومكانه فيهم ليشد له رأيهم وليجذبوا معه على أمره ، فقال : إذا اجتمعت يوماً قريش لمفخر فعبء مناف سرها وصميمها وإن حصلت<sup>(١)</sup> أشراف عبد منافها ففي هاشم أشرافها وقديمها<sup>(٢)</sup> وإن نخرت يوماً فان محمداً هو المصطفى من سرها وكريمها

(١) في (أساس البلاغة للزحشرى) : حصل تراب المعدن : ميز الذهب منه وخلصه ، وحصلوا الناس في الديوان : ميزوا بين شاهدهم وغائبهم وحبيهم وميهم . قال ذو الرمة :

ندى وتكرماً ولباب لب إذا الأشياء حصلت الرجالا  
أى ميزت خيارها من شرارها . (٢) أنظر الصفحه المقابلة .

(٢) يقول الأستاذ الشيخ محمد الصادق عرجون في مؤلفه (محمد صلى الله عليه وسلم من نبعته إلى بعثته) :

نظرنا إلى محمد الإنسان يدفع بنا إلى الوراء قليلا لنعرف النبعة التي انشتمت عنه ونعرف ماذا كان لها في شخصيته من أثر وراثي أو أثر اجتماعي. ولسنا نعني دوحته الكبرى (قریشاً) فهذه قد استقرت حظها من البحث ، وإنما نعني فرعها (عبد مناف وزهرة) فعبد مناف غصن من الدوحة القرشية زكا وأينع فأثمر لسيدتها عبد المطلب ابنه (عبد الله) وزهرة غصنها الذي زهى ونما فأثمر لوهب سيدتها ابنه (آمنة) وهاتان الثمرتان ضمهما القدر المغلف بأسرار الغيب على وساد . . . فكان منهما (محمد) رسول الرحمة للعالمين . ووقفنا عند عبد مناف وزهرة لأنهما نقطتان تجمع فيهما كثير من خصائص الأصل، فعبد مناف ورت محمد أبيه (قصي) الذي يعتبر في تاريخ قریش عرق الثرى في إمداد أغصانها بأجداد المناقب وأصول المكارم ، كان قصي أخا زهرة شريف أهل مكة لا ينازع فيها فابتنى (دار الندوة) ولما هلك قصي خلفه على أمر مكة ابنه (عبد مناف) . وقد اجتمعت قریش على عبد مناف فاخط لها الرابع بمكة ووطد سلطانها عليها . . . والتاريخ يذكر لبني عبد مناف خلائق القوة والصلابة والتمجد بالمكارم وحسب الشرف والسيادة والبذل ودقة الشعور وسرعة البدهة . . . ويذكر لبني زهرة الأناة والهدوء ورقة الحاشية وحسب الثراء ، وهي خصائص كانت طبعاً لا بهم زهرة بن كلاب . فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم انتهت إليه خلاصة ما انطوى عليه بيتا عبد مناف وزهرة من خلائق وطبائع . وأما زهرة الجد الأعلى للسيدة (آمنة) فهو الأخ الأكبر لقصي وقد أقام زهرة بمكة حياته كلها. ولما رجع قصي من بلاد قضاعة تعرف إليه فعرفه وأدناه ، ولم يزل ولده مع ولده لا يفارقونهم ، يدخلون معهم في كل حلف ويشاركونهم فيما يقومون به من عمل . فأول حلف عتمده بنو عبد مناف (حلف المطيبين) فكان بنو زهرة معهم على بني عبد الدار ، حيث أجمع بنو عبد مناف على أن يأخذوا ما بأيدي بني عبد الدار من الحجابة والراء والسقاية والرفادة ، ورأوا أنهم أولى بذلك منهم لشرفهم وفضلهم في قرمهم . وكان بنو زهرة شركاء بني عبد مناف في نصيبهم عند تجزئة الكعبة لبيتائهما . . .

تداعت قريش غنمها وسمينها علينا ولم تظفروا طاشت حلومها  
وكنا قديما لا نفر ظلامه إذا ماثنوا صعر الخدود نقيمها  
ونحمي حماها كل يوم كريهة ونضرب عن أحجارها من يرومها  
بنا انتعش العود الذواء وإنما بأكتافنا تندى وتنمى أرومها

ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع اليه نفر من قريش — وكان ذا سن فيهم —  
وقد حضر الموسم فقال لهم : يا معشر قريش إنه قد حضر هذا الموسم ، وإن  
وفرد العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه  
رأيا واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً ويرد قولكم بعضه بعضاً ، قالوا :  
فأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأياً نقول به ، قال : يا أنتم فقولوا أسمع ،  
قالوا : نقول كاهن ، قال : والله ما هو بكاهن لقد رأينا السكمان فما هو بزمرة  
الكاهن ولا سجعته ، قالوا فنقول مجنون ، قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا  
الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسرسته . قالوا : فنقول شاعر  
قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهجزه وقريضه ومقبوضه  
ومبسوطه ، وما هو بالشعر ، قالوا فنقول ساحر ، قال : ما هو بساحر ؛ لقد  
رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفته ولا عقده ، قالوا فما تقول يا أبا عبد شمس ؟  
فقال : والله إن لقوله حلاوة وإن أصله لعذق <sup>(١)</sup> وإن فرعه لجنى ؛ وما أنتم  
بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل ؛ وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا  
ساحر جاء بقول هو سحريفرق به بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء  
وزوجته وبين المرء وعشيرته .

فنفروا عنه بذلك فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم لا يمر  
بهم أحد إلا حذروه إياه وذكروا لهم أمره فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة

( ١ ) أى طيب . وفي رواية ( لعذق ) وهى أصح ( عيون الاثر ) .

( ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا ) (١) إلى قوله تعالى ( انه فمكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحر يؤثر ) (٢) قال وجعل (٣) أولئك النفر يقولون ذلك في رسول الله ﷺ لمن لقوا من الناس ، وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله ﷺ فانتشر ذكره في بلاد العرب ، قال ثم ان قريشا اشتد أمرهم للشقاء الذي أصابهم في عداوة رسول الله ﷺ ومن أسلم معه منهم وأغروا به سفاهاهم فكذبوه وآذوه ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون ، ورسول الله ﷺ مظهر لأمر الله لا يستخفي به ، يبادلهم ما يكرهون من عيب دينهم واعتزال أوثانهم وفراقه إياهم على كفرهم .

قال ابن هشام حدثني بعض أهل العلم قال : أشد ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش أنه خرج يوما فلم يلقه أحد من الناس إلا كذبه وآذاه ؛ فرجع إلى منزله مغموما ؛ فتدثر من شدة ما أصابه فأنزل الله تعالى عليه ( يا أيها المدثر قم فأنذر ) (٤) فخرج عليهم ؛ فلما رأوه وثبوا إليه وثبة رجل واحد ؛ فأحاطوا به يقولون : أنت الذي تقول ( كذا وكذا ) لما كان يقول من عيب آلهتهم ودينهم ؛ فيقول رسول الله ﷺ ( نعم أنا الذي أقول ذلك ) فتقدم رجل منهم فأخذ بمجمع رداءه ؛ فقام أبو بكر دونه وهو يقول ويبيكي ( أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ) ثم انصرفوا عنه ؛ ورجع أبو بكر يومئذ وقد صدعوا فرق رأسه مما جبدوا بلحيته ؛ وكان رجلا كثير الشعر .

( ١ ) سورة المدثر ، الآية ١١ .

( ٢ ) في النسختين نقص في الآيات ، لاستدراكه من المصحف .

( ٣ ) في النسختين ( وجعلوا ) .

( ٤ ) سورة المدثر ، الآية ١ .



﴿إسلام حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه﴾

قال ابن اسحاق : حدثني رجل من أسلم أن أبا جهل مر برسول الله ﷺ عند الصفا فأذاه ، وشتمه ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه والتضعيف لأمره ، فلم يكلمه رسول الله ﷺ ، ومولاة لعبد الله بن جدعان في مسكن لها تسمع ذلك ، ثم انصرف عنه فعمد إلى نادى قريش عند الكعبة فجلس معهم ، فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب أن أقبل متوشحاً بقوسه راجعاً من قنص<sup>(١)</sup> له ، وكان صاحب قنص ، وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة ، وكان لا يمر على ناد من قريش إلا وقف وسلم وتحدث معهم ، وكان أعز قى في قريش وأشدّه شكيمة فلما مر بالمولاة وقد رجع رسول الله ﷺ إلى بيته قالت له : يا أبا عمارة لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد آتفا من أبي الحكم بن هشام ، وجده هاهنا جالساً فأذاه وسبه وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد .

فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله تعالى من كرامته . فخرج يسعى فلم يقف على أحد ، معداً لآبى جهل إذا لقيه أن يقع به ، فلما دخل الحرم نظر إليه جالساً في القوم فأقبل نحوه ، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشجّه شجة منكّرة ، ثم قال : أتشتمه ويك وأنا على دينه أقول ما يقول فرد على ذلك إن استطعت ، فقامت رجال بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل ، فقال أبو جهل : دعوا أبا عمارة فاني والله قد سميت ابن أخيه سباً قبيحاً . وتم حمزة على إسلامه .

فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عز وامتنع ، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه ، وكان عتبة بن ربيعة سيداً من سادات قريش ،

( ١ ) القنص : للصيد . وضبطه في لسان العرب وغيره بفتح النون وسكونها .

فقال يوما وهو جالس في نادى قريش والنبي ﷺ جالس في المسجد وحده :  
يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل  
بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا ؟ فقالوا بلى يا أبا الوليد فقم إليه وكلمه ،  
فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال : يا بن أخى انك منا حيث  
علمت من المكان في النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به  
جماعتهم وسفقت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم ، فاسمع منى ما أعرض  
عليك ، فقال له رسول الله ﷺ : ( قل يا أبا الوليد أسمع ) قال يا بن أخى إن كنت  
تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعناه لك حتى تكون أكثرنا مالا ،  
وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك وإن كنت  
تريد ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك رثياً <sup>(١)</sup> تراه لا تستطيع  
رده عن نفسك طلبنا لك <sup>(٢)</sup> الطيب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما  
غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه ، أو كما قال . حتى إذا فرغ عتبة  
ورسول الله ﷺ يسمع منه قال ( أفرغت يا أبا الوليد ) قال نعم ، قال ( فاسمع  
منى ) قال أفعل ، قال ( بسم الله الرحمن الرحيم - حم تنزيل من الرحمن الرحيم  
كتاب فصلت آياته قرآنا عربياً لقوم يعلمون بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم  
فهم لا يسمعون ) <sup>(٣)</sup> ثم مضى رسول الله ﷺ يقرأها عليه ، فلما سمع عتبة  
أنصت وألقى يديه خلف ظهره محتجداً عليها يسمع منه ؛ ثم انتهى رسول الله  
ﷺ إلى السجدة منها فسجد وقال : ( أسمع يا أبا الوليد ما سمعت  
فأنك وذاك ) .

فقام عتبة إلى أصحابه فلما جالس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟  
فقال : ورأى أنى سمعت قولاً ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالسحر ولا

( ١ ) فى الظاهرية ( له ) .

( ٢ ) يقال للتابع من الجن رثى .

( ٣ ) سورة فصلت . الآيات ١ - ٣ .

بالشعر ولا الكهانة ، يامعشر قريش أطيعوني واخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه ؛ فوالله ليسكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم ؛ فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ؛ وان يظهر على العرب فإسكه ملككم وعزه عزكم . قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ، قال هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم . فقال أبو جهل : يامعشر قريش اني عاهدت الله لا أجلسن له عند الحجر ، فاذا سجد في صلاته فضخت رأسه بحجر ، فأسلموني عند ذلك أو امنعوني ، وليصنع بني عبد مناف ما بدا لهم ، قالوا : والله ما نسلمك لشيء أبدا ، فامض لما تريد ، فلما أصبح أخذ حجرا كما وصف ثم جلس لرسول الله ﷺ ينتظره ، وغدا رسول الله ﷺ كما كان يخدم ، وكان رسول الله ﷺ بمكة وقبلته إلى الشام ، فكان إذا صلى صلى بين الركبتين الركن اليماني والركن الأسود ، وجعل القبلة بينه وبين الشام ، فقام رسول الله ﷺ يصلي ، وقد غدت قريش فجلسوا في أنديةهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل ، فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل أبو جهل الحجر وأقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجع منهزماً مبتعاً لونه مرعوباً قد يبست يده على الحجر<sup>(١)</sup> حتى قذف الحجر من يده ، وقامت إليه رجال قريش فقالوا : مالك يا أبا الحكم ؟ فقال : فئت إليه لأفعل ما قلت لكم البارحة ؛ فلما دنوت منه عرض لي دونه خلل من الإبل لا والله ما رأيت مثل هامته ولا مثل أنيابه لفجل قط ، فهم بي أن يأكلني .

( ذكر تعذيب المستضعفين من المسلمين )

وهم قوم سبقوا إلى الإسلام ، لا عشار لهم تمنعهم ولا قوة لهم يمتنعون بها ، فأما من كانت له عشيرة تمنعه فلم تصل الكفار منه إلى ما يريدون .

( ١ ) في الإحمدية ( حجرة ) .

فمن بلال بن رباح الحبشي رضى الله عنه مولى أمية بن خلف ، وكان أبوه من سبي الحبش ، وأمه حمامة أيضا سبية ، فكان إذا حميت الشمس وقت الظهيرة يلقونه في الرمضاء على ظهره ثم يأمرهم بالصخرة العظيمة فتلقى على صدره ويقول له أمية : لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى . وكان ورقة بن نوفل يمر به وهو يعذب ويقول (أحد أحد) فيقول ورقة بن نوفل لأمية : والله لئن قتلتهموه على هذا لأتخذته حنانا<sup>(١)</sup> فرآه أبو بكر رضى الله عنه يعذب فقال لأمية بن خلف [ ألا تتق الله تعالى في هذا المسكين؟ فقال أنت أفسدته فأنقذه فقال ]<sup>(٢)</sup> عندي غلام على دينك أجد من هذا أعطيكم به . قال قد قبلت فأعطاه غلامه وأخذ بالافاء ثقة فهاجر وشهد المشاهد كلها مع رسول الله .

ومنهم عمار بن ياسر أبو اليقظان العنسي - بالنون - أسلم عمار هو وأبوه ياسر وأمه سمية ، وكان ياسر حليفاً لبني مخزوم ، فكانوا يخرجون عماراً وأباه وأمه إلى الأبطح إذا حميت الشمس يعذبونهم بحر الرمضاء ، فربهم النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : ( صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة ) فمات ياسر في العذاب وأغلظت سمية القول لأبي جهل ، فطعنها في فرجها بحربة فماتت ، فهي أول شهيدة في الاسلام ، وشددوا العذاب على عمار بالحر تارة وبوضع الصخر على صدره أخرى ، وقالوا لا تركك حتى تسب محمداً وتقول في اللات والعزى خيراً ، ففعل فتركوه فأتى النبي ﷺ يبكي ، فقال : ما وراءك؟ قال شر يارسول الله ، كان من الأمر كذا وكذا ، قال ( فكيف تجد قلبك )؟ قال أجده مطمئناً بالايان فقال ( ياعمار إن عادوا فعد ) فأنزل الله تعالى ( إلا من أكره وقلبه

( ١ ) الحنان : الرحمة والعطف ، والحنان الرزق والبركة ، أراد لاجلهم

قبره موضع حنان أى مظنة من رحمة الله ، على ما في النهاية لابن الأثير .

( ٢ ) ما بين المحققين ساقط من الظاهرية .

معلمين بالايان<sup>(١)</sup> ) شهد عمار المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وقتل بصفيين مع علي رضي الله عنه وعمره نيف وتسعون سنة<sup>(٢)</sup> .

ومنهم خباب بن الارت ، وكان أبوه سواديا من كسكسر فسيباه قوم من ربيعة وحملوه الى مكة فباعوه من سباع بن عبد العزى الخزاعي حليف بني زهرة وخباب تميمي وكان إسلامه قديماً قيل سادس ستة ، فأخذته الكفار وعذبوه عذاباً شديداً فكانوا يعروونه ويلصقون ظهره بالرمضاء بالرضف وهي الحجارة المحماة بالنار ثم كروا رأسه فلم يجبهم الى شيء مما أرادوا .

ومنهم صهيب بن سنان الرومي ، ولم يكن روميا وإنما نسب اليهم لأنهم سبوه وباعوه ، وقيل لأنه كان أحمر اللون ، وهو من النمر بن قاسط ، كان ممن يعذب في الله تعالى فغذب في الله عذاباً شديداً ، ولما أراد الهجرة منعته قريش فافتدى نفسه منهم بماله أجمع .

وكان الطفيل أخا عائشة لأما من المستضعفين يعذب في الله فلم يرجع عن دينه .

ومنهم أبو فكهمة<sup>(٣)</sup> واسمه أفلح وقيل يسار ، وكان عبداً لصفران بن أمية الجمحي ، أسلم حين أسلم بلال فأخذته أمية بن خلف وربط في رجله حبلاً وأمر به فجر وألقاه في الرمضاء ، وقال له سب محمداً ، فأبى فخنقه خنقاً شديداً ومعه أخوه أبي بن خلف يقول : زده عذاباً حتى يأبى محمد فيخلصه بسحره ، ولم يزل على تلك الحال حتى ظنوا أنه مات ثم أفاق ففر به أبو بكر فاشتراه وأعتقه .

( ١ ) سورة النحل ، الآية ١٠٦ .

( ٢ ) في الظاهرية ( وسيمون ) والتصحيح من ( الاعلام الأستاذ الزركلي رحمه الله ) والنسخة الاحمدية .

( ٣ ) هنا تقديم وتأخير في الاحمدية .

ومنهم عامر بن فهيرة ، كان مولداً من الأزد أسود ، وكان مملوكاً للطنميل ابن سخرية<sup>(١)</sup> وكان قد أسلم فر به أبو بكر وهو يعذب فاشتراه وأعتقه ، وكان يرعى غنماً له .

ومنهم لبينة<sup>(٢)</sup> جارية بنى مؤمل بن حبيب بن عدى ، أسلمت فسكان عمر ابن الخطاب يعذبها حتى يفتر فيدعها ويقول : إني لم أدعك إلا سامة ، فتقول كذلك يفعل الله بك إن لم تسلم ، فاشترها أبو بكر فأعتقها .

ومنهم زنيرة — بزاي مكسورة ثم نون مشددة مكسورة ثم ياء ساكنة ثم راء ثم هاء — وكانت لبني عدى ، وكان عمر يعذبها وقيل كانت لبني مخزوم ، وكان أبو جهل يعذبها حتى عميت<sup>(٣)</sup> فقال إن اللات والعزى فعلا بك هذا فقالت وما يدري اللات والعزى ، ولكن هذا فعل رب السماء وهو قادر على رد بصرى ، فأصبحت من الغد وقد رد الله بصرها ، فقالت قریش : هذا من سحر محمد ، فاشترها أبو بكر فأعتقها .

ومنهم النهديّة مولدة لبني نهد فصارت لامرأة من بني عبد الدار فأسلمت فكانت تعذبها وتقول والله لا أقلعت عنك أو يعتقك بعض أصحاب محمد فابتاعها أبو بكر فأعتقها<sup>(٤)</sup> .

(١) في الأحمدية (شجيرة) وهو تصحيف ، على ما في تاريخ الطبرى والظاهرية .

(٢) في بعض المصادر صحف اسمها . والصواب ما في النص على ما في الإصابة .

(٣) في الظاهرية (حقى ماتت) وهو خطأ صححه من الأحمدية وتاريخ ابن الأثير .

(٤) في الإصابة للحافظ ابن حجر : أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه أعتق من كان يعذب في الله سبعة : وهم بلال وعامر بن فهيرة ، وزنيرة وجارية ابنتا المؤمل والنهدية وابنتها ، وأم عبيس .

( ذكر المستهزين ومن كان شديد الأذى للنبي ﷺ )

وهم جماعة من قریش : فمنهم أبو لهب <sup>(١)</sup> عبد العزی بن عبد المطلب ، كان شديدا على النبي ﷺ عظيم التكذيب له دائم الاذى وكان يطرح العذرة والذنب على باب النبي ﷺ وكان جاره ، فكان رسول الله ﷺ يقول : ( أى جوار هذا يابني عبد المطلب ) فرآه يوما حمزة رضى الله عنه فأخذ العذرة وطرحها على رأس أبي لهب ، فجعل ينفضها عن رأسه ويقول : صابى <sup>(٢)</sup> أحق وأقصر عما كان يفعل ، مات أبو لهب بمكة عند وصول الخبر بانهم زام المشركين بيدرمض يعرف بالعدسة <sup>(٣)</sup> .

وهمهم الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة وهو ابن خال النبي ﷺ ، وكان من المستهزين ، وكان اذا رأى فقراء المسلمين قال لأصحابه : هؤلاء ملوك الأرض الذين يرثون ملك كسرى ، وكان يقول للنبي ﷺ : أما كنت اليوم من السماء يا محمد ، وما أشبه هذا من القول ، فخرج من عند أهله وأصابه السموم فأسود وجهه ، فلما عاد اليهم لم يعرفوه وأغلقوا الباب دونه ، فوجع متحيراً حتى مات عطشاً ، وقيل إن جبريل عليه السلام أوما إلى رأسه فأصابته الأكلة [ فامتلاً قيجاً فمات <sup>(٤)</sup> ] .

وهمهم الحارث بن قيس بن عدى بن سعد السهمى من بنى سهم ، كان أحد المستهزين الذين يؤذون رسول الله ﷺ ، وهو ابن الغيطلة <sup>(٥)</sup> وكانت أمه ، وكان يأخذ حجراً يعبده ، فاذا رأى أحسن منه ترك الأول ،

( ١ ) وهو عمه ولم يذكر ذلك المؤلف للملاحظة دقيقة .

( ٢ ) فى الظاهرية ( صاحبى ) بدل ( صابى ) وهو وهم .

( ٣ ) بثرة تخرج بالبدن فتقتل ، على ما فى ( القاموس المحيط ) .

( ٤ ) ما بين المعقدين ساقط من الظاهرية ، فاستدركته من الاحمدية وتاريخ السكامل لابن الأثير .

( ٥ ) فى الظاهرية ( الغيطلة ) وهو تصحيف .

( ٩ - أول عيون التواريخ )

وعبد الثانى ، وكان يقول : لقد غر محمد أصحابه ، وعدمهم أن يحيوا بعد الموت والله ما يهلكنا الا الدهر . وفيه نزلت ( أفرايت من اتخذ إلهه هواه )<sup>(١)</sup> أكل حوتا مملوحا فلم يزل يشرب الماء حتى مات .

ومنهم الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم ، مربي رجل من خزاعة يرش نبلا فوطىء على سهم منها فخدشه ثم أوما جبريل عليه السلام الى ذلك الخدش فانتفض ومات منه وهو ابن خمس وتسعين سنة ، وأوصى إلى بنيه أن يأخذوا دينته من خزاعة .

ومنهم أمية وأبي ابن خلف ، وكانا من أشد الناس على النبي ﷺ : جاء أبي الى النبي ﷺ بعظم نحر فقتله في يده وقال : زعمت أن ربك يحيي هذا العظم فنزلت ( قال من يحيي العظام وهى رميم )<sup>(٢)</sup> قتل أبي يوم بدر كافرا . وأما أخوه أمية فقتله النبي ﷺ يوم أحد .

ومنهم عقبة بن أبي معيط ، واسم أبي معيط أبان بن أبي عمرو بن أمية ابن عبد شمس ، كان من أشد الناس اذى لرسول الله ﷺ وعداوة له والمسلمين عمد الى مكمل فجعل فيه عذرة وألقاه على باب النبی ﷺ ، فبصر به طليب ابن عمير بن وهب بن عبد<sup>(٣)</sup> بن قصي وأمه أروى بنت عبد المطلب فأخذ المكمل منه وضرب به رأسه وأخذ بأذنيه ، فشكاه عقبة الى أمه وقال قد صار ابنك ينصر محمدا ، فقالت : ومن أولى به منه ؟ امرأنا وأنفسنا دون محمد ،

(١) سورة الجاثية ، الآية ٢٣

(٢) سورة يس ، الآية ٧٨

(٣) فى الظاهرية (عبد الله) وهو وهم صحبته من الاحمدية و (جوامع السيرة لابن حزم) .



أسر عقبة بيدروقتل صبيرا<sup>(١)</sup> ، قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصارى<sup>(٢)</sup> فلما أراد قتله قال : يا محمد من للصيفة ؟ قال النار ، قتل بالصفراء<sup>(٣)</sup> وصلب ، وهو أول مصلوب صلب في الاسلام .

ومنهم أبو قيس بن الفاكهة بن المغيرة ، وكان ممن يؤذى رسول الله ﷺ ويعين أبا جهل على اذاه ، قتله حمزة رضى الله عنه يوم بدر .

ومنهم العاص بن وائل السهمي والد عمرو بن العاص وكان من المستهزئين وهو القائل لما مات عبد الله ابن رسول الله ﷺ ان محمدا ابتر لا يعيش له ولد ذكر ، فأنزل الله تعالى ( ان شئتك هو الابر )<sup>(٤)</sup> ركب حمارا له ، فلما صار في شعب من شعاب مكة ربح به حماره فلدغ في رجله فانتفخت حتى صارت كعنق البعير ، فمات منها بعد هجرة النبي ﷺ وهو ابن خمس وثمانين سنة .

ومنهم النضر بن الحارث بن كادة بن عبد مناف بن عبد الدار ، كان أشركريش في تكذيب النبي ﷺ والاذى له ولأصحابه ، وكان ينظر في كتب الفرس ويخالط اليهود والنصارى ، وكان يقول : انما يأتيكم محمد بأساطير الأولين ، فنزلت فيه عدة آيات ، أسره المقداد يوم بدر فأمر رسول الله ﷺ بضرب عنقه فقتله على بن أبي طالب رضى الله عنه بالائيل<sup>(٥)</sup> .

(١) في ( الافصاح ) : قتل فلان صبيرا ، أى حبس حتى قتل . وفي النهاية لابن الأثير : هو أن يمسك شيء من ذوات الروح حيا ثم يرمى بشيء حتى يموت .

(٢) وقيل : قتله على رضى الله عنه على ما في (جوامع السيرة لابن حزم ١٤٧)

(٣) قرية فوق ينبع مما يلي المدينة ، وهى لجهينة والأنصار ولبنى فهر ونهد . من ( كتاب أسماء جهال تهامة لعرام بن الأصم السلى ) .

(٤) سورة السكور ، الآية ٣

(٥) موضع قرب المدينة بين بدر ووادى الصفراء . ( معجم البلدان ) .

ومنهم أبو جهل بن هشام المخزومي ، وكان أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم ، ولأصحابه ، واسمه عمرو وكنيته أبو الحكم ، وأما أبو جهل فالمسلمون كثره به ، قتل بسدر ، قتله ابنا عفراء ، وأجهز عليه عبد الله ابن مسعود .

ومنهم نذيه ومنبه ابنا الحجاج ، وكانا على ما كان عليه أصحابهما من أذى رسول الله ﷺ ، وكانا يلقيان رسول الله ﷺ فيقولان له : ما وجد الله من يبعثه غيرك ان هاهنا من هو أسن منك وأيسر ؛ فقتل منبه يوم بدر ، قتله علي بن أبي طالب ، وأما نذيه فقتله علي أيضاً .

ومنهم الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي ؛ كان من المستهزئين ، وكان هو وأصحابه يتغامزون بالنبي ﷺ وأصحابه ويصفرون بهم ويصفقون ، فدعا عليه رسول الله ﷺ أن يعصى ويشكل ولده ، فجلس في ظل شجرة فضربه جبريل على وجهه فعمى ، وقتل ابنه زمعة بسدر كافراً ، قتله أبو دجانة ومات والناس يتجهزون إلى أحد وهو يحرض الناس على النبي ﷺ .

ومنهم طعيمة<sup>(١)</sup> بن عدي بن نوفل بن عبد مناف ، وكان ممن يؤذى رسول الله ﷺ ويكذبه ؛ أسر بيدر وقتل صبرا .

ومنهم مالك بن الطلالة بن عمرو بن غنشان<sup>(٢)</sup> وكان سفيفاً ؛ فدعا عليه رسول الله ﷺ فأشار جبريل إلى رأسه فامتلاً قيحا فمات .

(١) في النسختين ( طعيمة ) والتصويب من ( سيرة ابن هشام ) و ( جوامع السيرة لا بن حزم ) و ( طبقات ابن سعد ) .

(٢) في الظاهرية ( غنشان ) وهو تصحيف ، على ما في ( الاشتقاق لا بن دريد ) وغيره .

ومنهم ركانة بن عبد يزيد بن هاشم ؛ وكان شديد العداوة ؛ لقي النبي ﷺ فقال : يا بن أخي بلغني عنك أمر ولم تكن بكذاب فان صرعتني علمت أنك صادق — ولم يكن يصرعه أحد — فصرعه النبي ﷺ ثلاث مرات ؛ ودعاه إلى الإسلام فقال : لا اسلم حتى تدعو هذه الشجرة فتأتيك ، فقال رسول الله ﷺ للشجرة اقبلي ؛ فأقبلت تخد<sup>(١)</sup> الأرض ؛ فقال ركانة : ما رأيت سحراً أعظم من هذا مرها فترجع ؛ فأمرها فمادت . فقال : هذا سحر عظيم .

فهؤلاء أشد الناس عداوة لرسول الله ﷺ ؛ ومن عداهم من رؤساء قريش كانوا أقل عداوة من هؤلاء كعتبة وشيبة ابنا ربيعة وغيرهما ؛ وكان جماعة من قريش من أشد الناس عليه فأسلموا ؛ تركنا ذكرهم لذلك ؛ منهم ابوسفيان ابن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبي أمية المخزومي اخو ام سلمة ؛ وابوسفيان صخر بن حرب ؛ والحكم بن أبي العاص وغيرهم ؛ اسلموا يوم فتح مكة<sup>(٢)</sup> .

#### ( ذكر الهجرة إلى أرض الحبشة )

ولما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية لمكانه من الله عز وجل وعمه أبي طالب وأنه لا يقدر على أن يمنعهم قال لهم ( لو خرجتم إلى أرض الحبشة فان بها ملك لا يظلم أحد عنده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً عما أنتم فيه ) فخرج المسلمون إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً إلى الله تعالى بدينهم ، فكانت أول هجرة في الإسلام ، فخرج عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت النبي ﷺ معه<sup>(٣)</sup> وأبو حذيفة بن

(١) أى تشق الأرض ، على ما فى ( تاج العروس للزبيدي ) .

(٢) فى حاشية الاحمدية هنا ( بلغ قراءة )

(٣) ( معه ) ساقطة من الظاهرية .

عتبة بن ربيعة وزوجته سهلة بنت سهيل بن عمرو معه ، والزيبر بن العوام  
وتمام الأحد عشر رجلا ، وأربع نسوة .

وكان مسيرهم في رجب سنة خمس من النبوة ، فأقاموا شعبان وشهر رمضان  
وقدموا في شوال ، وكان سبب قدومهم ان النبي ﷺ لما رأى مباحدة  
قومه له<sup>(١)</sup> شق عليه وتمنى أن يأتيه الله تعالى يشىء يقاربهم به ، وحدث نفسه  
بذلك فأنزل الله تعالى ( والنجم إذا هوى )<sup>(٢)</sup> فلما وصل إلى قوله ( أفرأيتم  
اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى )<sup>(٣)</sup> ألقى الشيطان على لسانه لما كان  
يحدث به نفسه فقال : تلك الغرائيق العلى وان شفاعتهم لترتجى . فلما سمعت  
ذلك قرئش سرهم ، والمسلمون مصدقون رسول الله ﷺ ، لا يهتمونه ولا  
يظنون به سهواً ولا خطأ ، فلما انتهى إلى السجدة سجد ، وسجد معه المسلمون  
والمشركون ، إلا الوليد بن المغيرة فإنه لم يطق السجود<sup>(٤)</sup> : لكبره فأخذ كفا  
من البطحاء<sup>(٥)</sup> فسجد عليها ، ثم تفرق الناس ، وبلغ الخبر من بالحبيشة من المسلمين  
أن قرئشاً أسلمت ، فعاد منهم قوم ، وتخلف قوم .

وأتى جبريل رسول الله ﷺ فأخبره بما قرأ ، فحزن رسول الله ﷺ  
وخاف ، فأنزل الله تعالى ( وما أرسلنا من قبلك من نبي إلا إذا  
تمنى ألقى الشيطان في أمنيه )<sup>(٦)</sup> فذهب عنه الحزن والخوف<sup>(٧)</sup> .

(١) له ( ساقطة من الظاهرية .

(٢) سورة النجم ، الآية ١

(٣) سورة النجم ، الآية ٢٠ (٤) ( السجود ) ساقطة من الظاهرية .

(٥) الحصى . (٦) سورة الحج ، الآية ٥٢

(٧) قصة الغرائيق باطلة موضوعة ، والأحاديث الواردة فيها آحاد ظنية .  
وهي لا تسكني في المسائل التي هي من أصول العقائد ، كما جاء في ( مقالات الشيخ  
يوسف الدجوى ) التي أمر بطبعها مولانا الامام الاكبر الدكتور عبد الحليم محمود

واشتدت قریش علی المسلمین ، فلما قرب المسلمون الذین كانوا بالحیة من مكة بلغهم أن إسلام أهل مكة كان باطلا ، فلم یدخل أحد منهم إلا بجوارا أو مستخفیا ، فدخل عثمان فی جوار أبی أحيحة سعید بن العاص بن أمیة ، ودخل أبو حذیفة بن عتبة بجوار أبيه ، ودخل عثمان بن مظعون بجوار الولید ابن المغيرة ، ثم قال : أكون فی ذمة مشرك وذمة الله أعز وأمنع ، فأتاه فرد عليه جواره ، وكان لبید بن ربيعة یلشد قوله :

\* ألا كل شيء ما خلا الله باطل \* فقال له عثمان بن مظعون : صدقت .

فقال لبید : \* وكل نعیم لا محالة زائل \* فقال : كذبت ، نعیم الجنة لا يزول ، فقال لبید : یا معشر قریش ما كانت مجالسكم هكذا ، ولا كان السفه من شأنكم ، فأخبروه خبره وخبر دينه ، فقام بعض بنی المغيرة فلطم عين عثمان ، فضحك الولید شماتة به حيث رد جواره ، وقال لعثمان : ما كان أغناك عن هذا ، فقال : إن عینی الأخرى لمحتاجة إلى مثل ما نال هذه ، فقال : فهل لك أن تعود إلى جوارى ؟ قال : لا أعود إلى جوار غیر الله تعالى ، فقام سعد بن أبی وقاص إلى الذی لطم عين عثمان فكسر أنفه ، فكان أول دم أريق فی الإسلام علی ما قيل .

وأقام المسلمون بمكة يؤذون ، فلما رأوا ذلك رجعوا مهاجرين إلى الحیة الثانية<sup>(١)</sup> ، فخرج جعفر بن أبی طالب وتتابع المسلمون إلى الحیة ، فأكمل بها اثنان وثمانون رجلا ، ورسول الله ﷺ مقيم بمكة یدعو إلى الله سرا وجهرا ، فلما رأته قریش أن لا سیفیل لها إليه رموه بالسیحر والکهانة والجنون وأنه شاعر ، ویصدون عنه من خافوا أن یستمع قوله .

(١) یعنی الهجرة الثانية ، وفي تاریخ ابن الاثیر ( ثانيا ) .

( ذكر إرسال قريش إلى النجاشي في طلب المهاجرين )

ولما رأت قريش أن المهاجرين قد اطمأنوا بالحبيشة وأمنوا وأن النجاشي قد أحسن إليهم ائتمروا بينهم فبعثوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة (١) ومعهما هدية إليه وإلى أعيان أصحابه ، فسارا حتى وصلا الحبيشة فحملوا إلى النجاشي هديته وإلى أصحابه هداياهم وقالوا لهم : إن ناساً من سفهائنا فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دين الملك ، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم ، وقد أرسلنا أشراف قومنا إلى الملك ليردهم إليهم ، فإذا كلمنا الملك فأشيروا عليه أن يرسلهم معنا من غير أن يكلمهم ، وخافوا أن يسمع النجاشي كلام المسلمين ، أن لا يسلمهم ، فوعدهما أصحاب النجاشي بالمساعدة على ما يريدانه .

ثم حضرا عند النجاشي وأعلماه ما قد قالاه ، فأشار أصحابه بتسليم المسلمين إليهما ، فغضب من ذلك وقال : لا والله لا أسلم قوماً جاءوني ونزلوا بلادى واختاروني على من سواي حتى أدعوهم وأسألهم عما يقول هذان (٢) ، فإن كانا صادقين سلمتهم إليهما وأن كانا على غير ما يذكران منعتهما وأحسنيت جوارهم . ثم أرسل النجاشي إلى أصحاب النبي ﷺ فحضروا ، وقد أجمعوا على صدقه فيما ساءه وسره ، وكان المتكلم عنهم جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه ، فقال لهم النجاشي : ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الملل؟ فقال جعفر : أيها الملك كنا في جاهلية نعبد الأصنام

(١) في الذختين (عبد الله بن أبي أمية) والتصحيح من جوامع السيرة لابن حزم ، والسيرة النبوية لابن هشام ، وتاريخ الإسلام للذهبي (الجزء الأول الخاص بالمغازي) .

(٢) وكان النجاشي قد أسلم ولم يقدر على اظهار ذلك خوفاً من الحبيشة ، على ما في (جوامع السيرة لابن حزم ٦٣) .

ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف حتى يعث الله تعالى فينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا لتوحيد الله تعالى ولا نشرك به شيئا ونخلع ما كنا نعبد من الأصنام وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وأمرنا بالصلاة والصيام— وعدد عليه أمور الاسلام— فأمننا به وصدقناه وحرمنا ما حرم علينا وحللنا ما حلل لنا ، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان ، فلما قمرونا وظلمونا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من سواك ، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك .

فقال النجاشي : هل معك مما جاء به عن الله شيء ؟ قال : نعم ، فقرأ عليه آيات من ( كيعص )<sup>(١)</sup> فبكي النجاشي وأساقفته وقال : إن هذا والذي جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة ، انطلقا والله لا أسلمهم أبدا إلى السكا ، فلما خرجا من عنده قال عمرو بن العاص : والله لآتينه غدا بما يبید خضراءهم . فقال عبد الله بن أبي ربيعة — وكان أتي الرجلين — لا تفعل فإن لهم أرحاما . فلما كان الغد قال عمرو للنجاشي إن هؤلاء يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيما ، فأرسل إليهم النجاشي فسألهم عن قولهم في المسيح فقال جعفر : نقول فيه الذي جاءنا به نبينا : هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى العذراء البتول مريم ، فأخذ النجاشي عودا من الأرض وقال : ماعدا عيسى ما قال هذا<sup>(٢)</sup> فتناخرت بطارقه فقال : وإن نخرتم ، وقال للمسلمين : اذهبوا فأنتم آمنون ، ما أحب أن لي جبلا من ذهب وأنني آذيت رجلا منكم ، ورد هدية

(١) أول سورة مريم .

(٢) في الاحمدية ( ماعدا عيسى ماقلت هذا العود ) .

( ١٠ - أول عيون التواريخ )

قريش وقال : ما أخذ الله الرشوة منى حتى أخذها منكم ولا أطاع الناس في حتى أطيعهم فيه . وأقام المسلمون بخير دار عند النجاشي .

فظهر ملك الحبشة ونازع النجاشي في ملكه ، فعظم ذلك عند<sup>(١)</sup> المسلمين ، وسار النجاشي إليه ليقاتله ، وأرسل المسلمون الزبير بن العوام ليأتيهم بخبره وهم يدعون له فانطلق ، فاقتلوا<sup>(٢)</sup> وظفر النجاشي ، فما سر المسلمون بشيء سرورهم بظفره .

ومعنى قول النجاشي « إن الله لم يأخذ منى الرشوة » أن أبا النجاشي لم يكن له ولد غيره ، وكان له عم قد أولد اثني عشر ولداً ، فقالت الحبشة : لو قتلنا أبا النجاشي وملكنا أخاه فإنه لا ولد له غير هذا الغلام . وكان أخوه وأولاده يتوارثون الملك دهرأ<sup>(٣)</sup> فقتلوا أباه وملكوا عمه ، ومكثوا على ذلك حيناً . وبقي النجاشي عند عمه — وكان عاقلاً — فغلب على أمر عمه نخافته<sup>(٤)</sup> الحبشة أن يقتلهم جزاء لقتل أبيه فقالوا لعمه : إما أن تقتل النجاشي أو تخرجه من بين أظهرنا فقد خفناه ، فأجابهم إلى إخراجهم من بلادهم على كره منه ، فخرجوا إلى السوق فباعوه من تاجر بستائة درهم ، فسار به التاجر في سفينة ، فلما جاء العشاء هاجت سحابة فأصاب عمه بصاعقة ففزع الحبشة إلى أولاده فإذا هم لاخير فيهم ، فرج على الحبشة أمرهم ، فقال بعضهم : والله لا يقيم أمركم إلا النجاشي فإن كان لكم بالحبشة رأى فأدركوه ، فخرجوا في طلبه حتى أدركوه فأخذوه منه وملكوه عليهم ، فجاء التاجر وقال لهم : إما أن تعطوني مالى وإما

(١) في الأحمدية ( على المسلمين ) .

(٢) ( فاقتلوا ) ساقطة من الظاهرية .

(٣) في الظاهرية ( قهراً ) وهو تحريف أو من تصحيف السمع عند الاملاء على الناسخ .

(٤) في تاريخ ابن الأثير ( خافت الحبشة ) .



أن أكله ، فقالوا : كلبه ، فقال : أيها الملك ابتعت غلاما بستائة درهم ثم أخذ الغلام والمال ، فقال النجاشي إما أن تعطوه دراهمه وإما أن يضع غلامه يده في يده فليذهبن به حيث شاء ، فأعطوه دراهمه . فهذا معنى قوله ، فكان ذلك أول ما علم من عدله ودينه . ولما مات النجاشي كانوا لا يزالون ينظرون<sup>(١)</sup> على قبره نورا .

( ذكر اسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه )

ثم أسلم عمر ، وكان رجلا جلدا منيعا ، أسلم بعد هجرة المسلمين إلى الحبشة ، وكان أصحاب النبي ﷺ لا يقدر أن يصلوا عند الكعبة حتى أسلم عمر وكان قد أسلم حمزة رضى الله عنهما ، فقوى المسلمون بهما وعلموا أنهما سيمنعان رسول الله ﷺ . قالت أم عبد الله بن أبي خيشمة وكانت زوج عامر بن ربيعة<sup>(٢)</sup> ، قالت إنا لنرحل إلى أرض الحبشة وقد ذهب عامر إلى بعض حاجته إذ أقبل عمر وهو على شركه حتى وقف على ، وكنا نلقى منه البلاء أذى وشدة فقال : أتتطلقون يا أم عبد الله؟ قالت قلت : نعم والله لنخرجن في أرض الله فقد آذيتونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا فرجا ، قالت فقال : صبركم الله . ورأيت لمرقة وحزنا . قالت فلما عاد عامر أخبرته وقلت : لورأيت عمر ورقته وحزنه علينا قال : أطمعت في إسلامه؟ قلت نعم ، قال لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب ، لما كان يرى من غلظته وشدته على المسلمين ، فهداه الله تعالى فأسلم فصار على الكفار أشد منه على المسلمين .

وكان سبب إسلامه أن أخته فاطمة بنت الخطاب كانت تحت سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وكانا مسلمين يخفيان إسلامهما من عمر ، وكان نعيم

(١) في الأحمدية وتاريخ الكامل ( يرون ) في موضع ( ينظرون ) .

(٢) في الظاهرية ( عامر بن أبي ربيعة ) وهو وهم .

ابن عبد الله النحام العدوى قد أسلم أيضاً هو ويخفى لإسلامه فزعا من قومه ، وكان خباب بن الارت يختلف إلى فاطمة يقرئها القرآن . فخرج عمر يوماً ومعه سيفه يريد رسول الله ﷺ والمسلمين وهم مجتمعون في دار الأرقم عند الصفا وعنده من لم يهاجر من المسلمين في نحو أربعين رجلاً ، فلقبه نعيم بن عبد الله فقال إني أين يا عمر ؟ قال : أريد محمداً الذي فرق أمر قريش وعاب دينها فأقتله ، فقتل نعيم : والله لقد غرتك نفسك ! أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً ، أفلا ترجع إلى أهلِكَ فتقيم أمرهم ؟ قال : وأى أهلي ؟ قال : ختك وابن عمك سعيد بن زيد ، وأختك فاطمة ، فقد والله أسلموا . فرجع عمر إليهما وعندهما خباب بن الارت يقرئهما القرآن ، فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب وأخذت فاطمة الصحيفة فألقتهما تحت ثغرها وقد سمع عمر قراءة خباب ، فلما دخل قال : ما هذه الهيمنة التي أسمعها ؟ قالوا : ما سمعت شيئاً فقال : بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمداً ، وبطش بختته سعيد بن زيد فقامت أخته لتفدكه منه فضربها فشجها ، فلما فعل ذلك قالت أخته : نعم والله قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما شئت . ولما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم وقال : أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم وأنتم تقرءونها حتى أنظر إلى ما جاء به محمد ، قالت : إنا نخشاك عليها ، خلف أن<sup>(١)</sup> يعيدها ، قالت — وقد طمعت في إسلامه — إنك نجس على شركك فلا تمسها ، قال عمر : فما عرفت ذل الشرك<sup>(٢)</sup> إلا ذلك اليوم ، فقام واغتسل ، فأعطته الصحيفة فقرأها وفيها ( طه ) وكان كاتباً ، فلما قرأ بعضها قال : ما أحسن هذا الكلام واكرمه ، فلما سمع خباب خرج إليه وقال : يا عمر والله إني لأرجو أن يكون الله تعالى قد خصك بدعوة نبيه فإني سمعته أمس وهو يقول ( اللهم أيد الإسلام بعمر بن الخطاب أو بأبي الحكم بن هشام ) فآله الله يا عمر ، فقال عمر عند ذلك :

(١) في الإحمدية ( أنه ) .

(٢) في الظاهرية ( ذلك الشرك ) وهو وهم .

فدلى يا خباب على محمد حتى آتته فأسلم له ، فدله خباب فأخذ سيفه وجاء إلى النبي ﷺ وأصحابه فضرب عليهم الباب ، فقام رجل منهم فنظر من الباب (١) فرآه متوشحاً بسيفه فأخبر النبي ﷺ بذلك ، فقال حمزة : ائذن له فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه له وإن أراد شراً قتلناه بسيفه ، فمض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه وأخذ بجميع رداءه ثم جذبته إليه جذبة شديدة وقال : ( ما جاء بك ما أراك تنتهى حتى ينزل الله بك قارعة ) فقال عمر : يا رسول الله جئت لاؤمناً بالله ورسوله ، فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة عرف من في البيت أن عمر أسلم .

فلما أسلم قال : أى قریش أنقل للحديث ؟ قيل جميل بن معمر الجمحى ، فجاءه فأخبره بإسلامه ، فشى إلى الحرم وعمر وراءه وصرخ ( يا معشر قریش ألا إن ابن الخطاب قد صبأ ) فيقول عمر من خلفه : كذب ولكنى أسلمت ، فقاموا فلم يزل يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس وأعياء فقعدهم على رأسه فقال : افعلوا ما بدا لكم ، فبينما هم كذلك إذ أقبل شيخ عليه حلة فقال : ما شأنكم ؟ قالوا صبأ عمر ، قال : رجل اختار لنفسه أمراً فأتريدون ؟ أتوى بنى عدى يسلمون لكم صاحبهم (٢) هذا ؟ خلوا عن الرجل ، وكان الشيخ العاص بن وائل السهمى .

قال عمر : لما أسلمت أتيت باب أبى جهل بن هشام فضربت عليه بابه فخرج إلى وقال : مرحباً يا بن أخى ما جاء بك ؟ قلت . جئت لأخبرك أنى قد أسلمت وآمنت بمحمد وصدقت ما جاء به ، قال فضرب الباب فى وجهى وقال : قبحك الله وقبح ما جئت به . وقيل فى إسلامه غير هذا والله أعلم .

(١) فى الاحمدية وتاريخ ابن الاثير ( من الباب ) .

(٢) فى الظاهرية د صاحبكم ، وفى الاحمدية والكمال لابن الاثير د صاحبهم .

## ﴿ ذكر أمر الصحيفة ﴾

فلما رأيت قريش أن الإسلام يفسدو ويزيد وأن المسلمين قووا بإسلام حمزة وعمر رضي الله عنهما وعاد إليهم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة<sup>(١)</sup> من النجاشي بما يكرهون من أمر المسلمين وأمنهم عنده ائتمروا في أن يكتبوا بينهم كتابا يتعاقدون فيه على أن لا ينكحوا بني هاشم وبني المطلب<sup>(٢)</sup> ولا ينكحوا إليهم ولا يبيعوهم ولا يبتاعوا منهم ، فكتبوا بذلك صحيفة وتعاهدوا على ذلك ، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيدا لذلك الأمر على أنفسهم ، ولما فعلت قريش ذلك انحازت بنو هاشم وبنو المطلب<sup>(٣)</sup> إلى أبي طالب فدخلوا معه في شعبة واجتمعوا إليه ، وانعزل أبو لهب ابن عبد المطلب إلى قريش .

فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا حتى جهدوا لا يصل إلى أحد منهم شيء إلا سرا ، وذكروا أن أبا جهل لقي حكيم بن حزام بن خويلد ومعه قمح يريد به عتمته خديجة وهي عند رسول الله ﷺ في الشعب فتعلق به وقال : والله لا تبرح حتى أفضحك ، فجاء أبو البختري بن هشام بن الحارث بن أسد وقال : مالك وله ؟ عنده طعام لعمته أفتمنعه أن يحمله إليها ، خل سبيله ، فأبى أبو جهل ونال منه ، فضربه أبو البختري بلحى جهل فشججه ووطئه وطأ شديدا ، وحمزة ينظر إليه ، هذا ورسول الله ﷺ يدعو الناس سرا وجهرا ، والوحي متتابع إليه .

(١) في النسختين « أمية » بدل « ربيعة » ، والتصحيح من « جوامع السيرة لابن حزم » .

(٢) في النسختين « عهد المطلب » .

(٣) في الظاهرية « عهد المطلب » ، والتصحيح من الأحمدية و « جوامع السيرة لابن حزم ٦٤ » .

فبقوا كذلك ثلاث سنين ، وقام في نقض الصحيفة نفر من قريش ، وكان أحسنهم بلاء فيه هشام بن عمرو بن الحارث بن عامر بن أوى وهو ابن أخى نضلة بن (١) هاشم (٢) بن عبد مناف لأمه ، وكان يأتي بالبعير وقد أوقره طعاما ، ليلا ويستقبل به الشعب ويترك خطامه فيدخل الشعب ، ولما رأى ما هم فيه وطول المدة عليهم مشى إلى زهير بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي أخى أم سلمة وكان شديد الغيرة (٣) على رسول الله ﷺ وكانت أمه عاتكة بدت عبد المطلب ، فقال : يا زهير أرضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث علمت ؟ أما إنى أحلف بالله لو كان أخوال أبى الحسك - يعنى أبا جهل - ثم دعوته إلى مثل مادعائك إليه ما أجابك أبداً ، قال : فإذا أصنع ؟ فإنما أنا رجل واحد ، والله لو كان معى رجل آخر لنتقضتها ، قال قد وجدت رجلا ، قال من هو ؟ قال أنا ، قال زهير ابغنا ثالثاً ، فذهب إلى مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف وقال له : أرأيت أن يهلك بطنان من بنى عبد مناف وأنت شاهد ذلك موافق فيه ، أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنهم إليها منكم سريعاً (٤) ، قال فما أصنع ؟ وإنما أنا رجل واحد ، قال قد وجدت ثانياً ، قال : من هو ؟ قال أنا ، قال ابغنا ثالثاً ، قال قد فعلت ، قال : من هو ؟ قال : زهير بن أبى أمية ، قال ابغنا رابعاً . فذهب إلى أبى البختري بن هشام فقال له نحو مما قال للمطعم بن عدى ، قال ابغنا خامساً . فذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد فسلمه وذكر له قرابتهم ، قال وهل على هذا الأمر معين ؟ قال : نعم وسمى له القوم .

(١) سقط من النسختين « بن » فاستدركتها من « تاريخ الطبرى ( ٣٤١/٢ )

(٢) فى النسختين « هشام » والمصحح من تاريخ الطبرى .

(٣) « الغيرة » ساقطة من النسختين ، فاستدركتها من تاريخ ابن الأثير .

(٤) فى سيرة ابن هشام « سراعاً » .

فقصصوا خطم<sup>(١)</sup> الحيجون التي بأعلى مكة ، واجتمعوا هنالك وتعاهدوا على القيام في نقض الصحيفة ، فقال زهير : أنا أبدوكم ، فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم وغدا زهير فطاف بالبیت ، ثم أقبل على الناس وقال : يا أهل مكة أنا كل الطعام ونابس الثياب وبنو هاشم هلكي لا يبايعون ولا يبتاع منهم ! والله لا أقعد حتى أشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمية ، فقال أبو جهل : كذبت والله لا تشق ، قال زمعة بن الأسود : أنت والله أكذب ، ما رضينا بها حين كتبت . قال أبو البختری : صدق زمعة لا نرضى ما كتب فيها ، قال المطعم بن عدى : صدقما وكذب من قال غير ذلك . وقال هشام بن عمرو ونحوه من ذلك . قال أبو جهل : هذا أمر قد قضى فيه بلیل ، وأبو طالب في ناحية المسجد ، فقام المطعم بن عدى إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة أكلتها إلا ما كان من (باسمك اللهم) كانت قریش تستفتح بها كتابها ، وكان كاتب الصحيفة منصور ابن عكرمة من بني عبد الدار فشلت يده .

وقيل في سبب خروجهم من الشعب أن الصحيفة لما كتبت وعلمت في الكعبة واعتزل الناس بني هاشم وبني<sup>(٢)</sup> المطلب ، وأقام رسول الله ﷺ وأبو طالب ومن معهما بالشعب ثلاث سنين ، أرسل الله تعالى الأرضة فأكلت ما فيها من ظلم وقطع رحم وترك ما فيها من أسماء الله تعالى ، فجاء جبريل إلى النبي ﷺ وأعلمه بذلك ، فقال النبي ﷺ لعمة أبي طالب ، وكان أبو طالب لا يشك في قوله ، فخرج من الشعب إلى الحرم ، واجتمع الملا من قریش فقال إن ابن أخي أخبرني أن الله تعالى أرسل على صحيفتكم الأرضة فأكلت ما فيها من قطيعة وظلم وترك اسم الله تعالى ، فأحضروها فإن كان صادقا علمتم أنكم

(١) في النسختين (خطم) والتصحيح من تاريخ ابن الاثير وتاريخ ابن جرير ومعجم البلدان .

(٢) في النسختين « عبد المطلب » والتصحيح ما سبق آنفا .

ظالمون لنا قاطعون لأرحامنا، وإن كان كاذباً علمنا أنكم على حق وأنا على الباطل؛  
فقاموا سراعا وأحضروها فوجدوا الأمر كما قاله رسول الله ﷺ؛ وقويت  
نفس أبي طالب واشتد صوته وقال: قد تبين لكم أنكم أولى بالظلم والقسوة.  
فكسبوا رهوسهم ثم قالوا: إنما تأتوننا بالسحر والبهتان، وقام أولئك النفر في  
نقضها، كما ذكرنا.

قال أبو طالب في أمر الصحيفة وأكل الأرض ما فيها من الظلم ألياً، منها:

وقد كان في أمر الصحيفة عبرة متى ما يخبر غائب القوم تعجب  
بما الله منها كفرهم وعقوقهم وما تمقوا من ناطق الخط<sup>(١)</sup> معرب  
فأصبح ما قالوا من الأمر باطلاً ومن يخلق ما ليس بالحق يكذب

قال ابن هشام: وخرج أعشى بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن  
علي بن بكر بن وائل يريد الإسلام فقال يمدح رسول الله ﷺ:

ألم تغتمض عينك ليلة أرمداً وبت كما بات السليم مسهداً  
وما ذاك من عشق النساء وإنما تناسيت قبل اليوم خلة مهدداً<sup>(٢)</sup>  
ولكن أرى الدهر الذي هو خائن إذا أصلحت كفاى عاد فأفسداً  
كرولاً وشباناً فقدت وثروة فله<sup>(٣)</sup> هذا الدهر كيف تردداً  
وما زلت أبغى المال مذ أنا يافع وليدأ وكهلاً حين شبت وأمرداً

(١) في الظاهرية وتاريخ الكامل (الحق).

(٢) في النسختين (مهدداً) والتصحيح من سيرة ابن هشام، ولعل ما في النسختين  
من تصحيف سمع الناصب الذي يلى عليه، و(مهدداً) اسم امرأة. وفي سيرة  
ابن هشام (صحبة مهدداً).

(٣) في النسختين (فبالله) والتصحيح من سيرة ابن هشام.

وأبتذل العيس المراقيل تغتلى      مسافة ما بين النجير فصرخدا<sup>(١)</sup>  
 ألا أيهذا السائل أين يمت      فإن لها في أهل مكة موعدا  
 فإن تسألني عن فيارب سائل      حفي عن الأعشى به حيث أصعدا<sup>(٢)</sup>  
 أجدت برجليها النجاء وراجعت      يداها خنفا لينا غير أحردا<sup>(٣)</sup>  
 وأما إذا ما أدلجت فترى لها      رقبين جديا ما يغيب فقر قدا<sup>(٤)</sup>  
 وفيها إذا ما هجرت عجرفية      إذا خلت حرباء الظهيرة أصيدا<sup>(٥)</sup>  
 وآليت لا أرى لها من كلاله      ولا من حفي حتى تلاقى (محمد)  
 متى ما تناخى عند باب ابن هاشم      تراخي<sup>(٦)</sup> وتلقى من فواضله ندى  
 نيا يرى ما لا ترون وذكره      أغار لعمرى في البلاد وأنجدا  
 له صدقات ما تغب ونائل      وليس عطاء اليوم مانعه غدا  
 أجدك لم تسمع وصاة (محمد)      نبي الاله حيث أوصى وأشهدا  
 إذا أنت لم ترحل براد من التقى      ولا قيت بعد الموت من قد ترودا

(١) العيس : الابل ، المراقيل : السرعة ، تغتلى : تتسابق ، النجير : موضع في اليمن ، صرخدا : موضع في الجزيرة .

(٢) في الأحادية ( أسعدا ) .

(٣) النجاء : السرعة ، الخفاف أن تميل بأيديها من النشاط ، من غير حرد ، أى تفعل ذلك من غير اعوجاج في يديها .

(٤) هذا البيت زيادة لم تقع لابن هشام .

(٥) يعنى إذا مشيت في الهاجرة كان فيها كبر كالخرباء في وقت الزوال يميل بعنقه نحو الشمس ، يصف الناقة بالنشاط وقوة المشى في ذلك الوقت ، على ما في الروض الأنف وغيره .

(٦) في الظاهرية وسيرة ابن هشام ( ترامى ) .



نعمت على أن لا تكون كمثلها      فترصد للموت<sup>(١)</sup> الذي كان أرصدا  
 فأياك والميتات لا تقربنها      ولا تأخذن سهماً حديداً تنقصدا  
 وذا النصب المنصوب لا تنسكنه      ولا تعبد الأوثان والله فاعبدا  
 ولا تقربن حرة<sup>(٢)</sup> كان سرها<sup>(٣)</sup>      عليك حراماً فانكحرن أو تأبدا<sup>(٤)</sup>  
 وذو الرحم القربى فلا تقطعنه      لعاقبة ولا الأسير المقيدا  
 وسبح على حين العشيات والضحى      ولا تحمد الشيطان والله فاحمدا  
 ولا تسخرن من بائس ذا ضرورة<sup>(٥)</sup>      ولا تحسبن المال للمرء مخلداً

فلما كان بمكة أو قريباً منها اعترضه بعض المشركين من قريش ، فسأله  
 عن أمره فأخبره أنه جاء يريد رسول الله ﷺ ليسلم ، فقال له : يا أبا بصير إنه  
 يحرم الزنى ، فقال الأعشى : والله مالى فيه من أرب ، قال له يا أبا بصير فإنه  
 يحرم<sup>(٦)</sup> الخمر ، قال الأعشى : أما هذه فوالله فى النفس منها غلالات واكنى  
 منصرف فأتروى منها عامى هذا ثم آتية فأسلم<sup>(٧)</sup> فأت فى عامه ذلك ولم يعد  
 إلى رسول الله ﷺ .

- (١) فى الاحمدية وسيرة ابن هشام ( للامر ) بدل ( للبوت ) .
- (٢) فى الاحمدية ونسخة من سيره ابن هشام ( جارة ) .
- (٣) فى النسختين ( سترها ) والتصويب من سيرة ابن هشام .
- (٤) أى ابتعد عن النساء وكن عزباً ، اشتق من لفظ الأبد ، على ما فى  
 الروض الأنف وغيره .
- (٥) فى الاحمدية ونسخة من سيرة ابن هشام ( ذا ضرارة ) أى اضطرار .
- (٦) هنا نقص سطر فى الاحمدية .
- (٧) ينقص السبيل فى ( الروض الأنف ) قول ابن هشام هذا ، لأن الناس  
 مجمعون على أن الخمر لم ينزل تحريمها إلا بالمدينة . . .

## ﴿ ذكر وفاة أبي طالب وخديجة ﴾

( وعرض رسول الله ﷺ نفسه على قبائل العرب )

توفي أبو طالب وخديجة قبل الهجرة بثلاث سنين، بعد خروجهم من الشعب توفي أبو طالب في شوال، وعمره بضع وثمانون سنة، وماتت خديجة قبله بخمسة وثلاثين<sup>(١)</sup> يوماً، وقيل كان بينهما خمسة وعشرون يوماً؛ وقيل ثلاثة أيام<sup>(٢)</sup>، فعظمت المصيبة على رسول الله ﷺ بموتهما، وقال رسول الله ﷺ ( ما نالت قريش مني شيئاً أكرهه ) [ حتى مات أبو طالب، وذلك أن قريشاً وصلوا من أذاه بعد موت أبي طالب ]<sup>(٣)</sup> إلى ما لم يكونوا يصلون إليه في حياته، حتى نثر بعضهم التراب على رأسه، وحتى إن بعضهم يطرح عليه رجم الشاة، وهو يصلي. وكان رسول الله ﷺ يخرج ذلك ويقول ( أي جوار هذا يابني عبد مناف ) ثم يلقيه في الطريق.

ولما اشتد عليه الأمر خرج ومعه زيد بن حارثة إلى ثقيف يلتمس منهم النصر فلما انتهى إليهم عمد إلى ثلاثة نفر منهم، وهم يومئذ سادة ثقيف وهم إخوة: عبد ياليل ومسعود وحبيب بنو عمرو بن عمير، فدعاهم إلى الله تعالى وكلمهم

(١) في الذسختين (ثمانين) بدل (ثلاثين) والتصحيح من تاريخ ابن الأثير وتاريخ الإسلام للذهبي (١٥٢/٢) من الطبعة المحققة الحديثة (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون للتورخ الأديب نور الدين الحلبي، ومن البداية والنهاية للحافظ ابن كثير. ولعل ماورد في الذسختين هو من تصحيح السمع.

(٢) في تاريخ الإسلام للذهبي: ذكر أبو عبد الله الحاكم أن موتها كان بعد موت أبي طالب بثلاثة أيام، ومثله في (إنسان العيون) وذهب الإمام البوصيري في الحمزية النبوية إلى ذلك وأيده الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية ١٢٢/٣).

(٣) ما بين المحققين ساقط من الظاهرية، فاستدركته من الإسماعيلية وغيرها.

في نصرته والقيام معه على من خالفه ؛ فقال أحدهم : هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك ، وقال الآخر : ما وجد الله من يرسله غيرك ، وقال الثالث والله لا أكلبك كلمة أبدا ، لأن كنت رسولا كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك ، ولئن كنت تكذب على الله فما يدبغني لي أن أكلبك . فقام رسول الله ﷺ وقد يؤس من خير ثقيف وقال ( إذا أيتم فاكتموا على ) وكره أن يبلغ قومه . فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم ، فاجتمعوا عليه وألجؤوه إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة - وهو البستان - وهما فيه ورجع السفهاء عنه .

وجلس في ظل حيلة<sup>(١)</sup> وقال : ( اللهم اليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي ، إلى من تكلني ، إلى بعيد يتجهمني أو إلى عدو ملكته أرى ، إن لم يكن بك غضب على فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك أو يحل بي سخطك ) .

فلما رأى ابنا ربيعة ما لحقه تحركت له رحمهما ، فدعوا غلاماً لهما نصرانياً اسمه عداس ، فقالا : خذ قطعاً من هذا العنب واذهب به إلى ذلك الرجل ، ففعل عداس ، فلما وضعه بين يدي رسول الله ﷺ وضع يده فيه وقال ( بسم الله ) ثم أكل فقال عداس : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة ، فقال له رسول الله ﷺ ( من أي البلاد أنت وما دينك ) قال أنا نصراني من أهل فينوى<sup>(٢)</sup> فقال رسول الله ﷺ ( أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى ؟ ) قال : وما يدريك ما يونس ؟ قال رسول الله ﷺ ( ذاك أخي كان نبياً واني نبي )

(١) أي كرمه عنب .

(٢) في الموصل .

فأكب عداس على رسول الله ﷺ يقبل يديه ورجليه . فقال ابنا ربيعة أحدهما للآخر : أما غلامك فقد أفسده عليك ، فلما جاءهما عداس قال له : ويحك مالك تقبل يديه ورجليه ؟ قال : ما في الأرض خير من هذا الرجل ، قال له ويحك إن دينك خير من دين هذا الرجل .

فانصرف رسول الله ﷺ راجعاً إلى مكة ، حتى إذا كان في جوف الليل وهو قائم يصلي فمر به نفر من الجن ، وهم سبعة نفر من جن نصيبين اليمن <sup>(١)</sup> ، فاستمعوا <sup>(٢)</sup> [ إليه ، فلما فرغ من صلاته ولوا إلى قومهم منذرين ، قد آمنوا ] وأجابوا .

وذكر بعضهم أن رسول الله ﷺ لما عاد من ثقيف أرسل إلى المطعم ابن عدى ليجيره حتى يبلغ رسالة ربه ، فأجاره ، وأصبح المطعم قد لبس سلاحه هو وبنوه وبنو أخيه ، فدخلوا المسجد فقال أبو جهل : أيجير أم متابع ؟ قال : بل <sup>(٣)</sup> يجير ، قال : قد أجريناه من أجرت ؛ فدخل النبي ﷺ مكة .

ومن الحوادث في هذه السنة :

### ﴿ تزوج النبي ﷺ بعائشة ﴾

وذلك أنه لما توفيت خديجة جاءت خولة بنت حكيم <sup>(٤)</sup> امرأة عثمان بن مظعون وقالت : يا رسول الله ألا تتزوج ؟ قال : من ؟ قالت : إن شئت بكراً وإن شئت ثيباً ، قال : من البكر ؟ قالت : ابنة أحب خلق الله إليك بذت أبي بكر ، قال : ومن الثيب ؟

(١) هكذا في النسختين وتاريخ الطبري ( ٣٤٧/٢ ) وفي تاريخ ابن الأثير ( جن نصيبين راتحين إلى اليمن ) .

(٢) ما بين المعقفين ساقط من الظاهرية ، فاستدركته من الاحمدية .

(٣) (بل) ساقطة من الظاهرية فقط .

(٤) في الظاهرية (حكم) وهو تحريف .

قالت : سودة بنت زمعة قد آمنت بك قال ( فاذهبي فاذكريه ما على ) فدخلت بيت أبي بكر فقالت : يا أم رومان ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة ، قالت : بماذا ؟ قالت : أرساني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة ، فلما جاء أبو بكر أعلمته فقال : وهل تصلح له ؟ هي ابنة أخيه ، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك ، فقال ( ارجعي إليه فقولي له أنت أختي في الاسلام وابتنتك تصلح لي ) فلما قالت له ذلك قال : ادعي لي رسول الله ﷺ ، فدعته فزوجه إياها ، وعائشة يومئذ ابنة ست سنين <sup>(١)</sup> ثم خرجت خولة فدخلت على سودة فقالت : ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة ، قالت : وماذا ؟ قالت : أرساني رسول الله ﷺ أخطبك عليه ، فقالت : وددت ذلك أدخلني على أبي فاذكر لي له ذلك - وكان شيخاً كبيراً <sup>(٢)</sup> قد أدركته السن - فدخلت عليه [ فحييته بتحية الجاهلية فقال : من هذه ؟ قالت : خولة بنت حكيم . قال : فما شأنك ؟ قالت : أرساني محمد بن عبد الله أن أخطب عليه سودة ، قال : كفؤ كريم ، ماذا تقول صاحبك ؟ قالت : تحب ذلك ، قال ادعها إلى فدعتها فقال : أي بنية هذه تزعم أن محمد بن عبد الله قد أرسل يخطبك وهو كفؤ كريم ، أنحبن أن أزوجك هو ؟ قالت نعم ، قال : ادعيه لي فجاء رسول الله ﷺ فزوجه إياها .

وكان رسول الله ﷺ يعرض نفسه في المواسم على قبائل العرب فأتى كندة في منازلهم وفيهم سيد لهم يقال له مليح ، فدعاهم إلى الله تعالى وعرض نفسه عليهم . <sup>(٣)</sup> فأبوا عليه وأتى كلباً إلى بطن منهم يقال لهم بنو عبد الله فدعاهم إلى الله تعالى وعرض نفسه عليهم <sup>(٤)</sup> فلم يقبلوا ما عرض عليهم .

(١) لا تعجب من هذا ، فإن الانس يحصل بها لاسيما في ذلك العصر ، وهو غير عصرنا ، والعرف يختلف باختلاف العصور ، وفي بعض الروايات أنها كانت أكبر من ذلك .

(٢) ما بين المعتقدين ساقط من الظاهرية فقط .

(٣) ما بين المعتقدين ساقط من الظاهرية .

ثم أتى بنى حنيفة وعرض عليهم نفسه ، فلم يكن أحد من العرب أقيح ردا عليه منهم .

ثم أتى بنى عامر فدعاهم إلى الله تعالى وعرض نفسه عليهم ، فقال له رجل منهم : أرأيت إن نحن تابعناك وأظهرك الله على من خالفك أيسكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال : ( الأمر إلى الله تعالى يضعه حيث شاء ) فقال له أفنهدف نحورنا للعرب دونك فإذا ظهرت كان الأمر لغيرنا ؟ لا حاجة لنا بأمرك .

فلما رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم كبير فأخبروه خبر النبي ﷺ ونسبه ، فوضع الشيخ يده على رأسه وقال : يا بنى عامر والله إن قوله لحق ، فأين كان رأيكم عنه .

ولم يزل رسول الله ﷺ يعرض نفسه على كل قادم له اسم وشرف ويدعوه إلى الله تعالى .

وكان كلما أتى قبيلة يدعوهم إلى الاسلام تبعه عمه أبو لُب فآذا فرغ رسول الله ﷺ من كلامه يقول لهم أبو لُب : يا بنى فلان إنما يدعوكم هذا إلى أن تسحلوا (١) اللات والعزى من أعتاقكم إلى ما جاء به من الضلالة والبدعة فلا تطيعوه ولا تسمعوا له .

﴿ ذكر أول عرض رسول الله ﷺ نفسه على الأنصار واسلامهم ﴾

فدم سويد بن الصامت أخو عمرو بن عوف — بطن من الأوس — مكة حاجا أو معتمرا ، وكان يسمى الكامل لجلده وشعره ونسبه ، وهو القائل :  
ألا رب من تدعو صديقا ولو ترى مقاتلته بالغيث ساءك ما يفرى (٢)

(١) السحل : فى الأصل : القشر والكشط . والمعنى واضح . وفى الاحمدية ( تسحلوا ) .

(٢) أى ما يقطع فى عرضك .

مقاتله كالسحر ما كان شاهداً وبالغيب مأثور<sup>(١)</sup> على ثغرة النحر  
يسرك باديه وتحت أديمه نعيمة غش تبترى<sup>(٢)</sup> عقب الظهر  
تبسين لك العينان ما هو كاتم وما جن بالبغضاء والنظر الشرر  
فرشني بخير طالما قد برئتني فخير الموالى من يرش ولا يبرى  
فتصدى له رسول الله ﷺ ودعاه إلى الاسلام وقرأ عليه القرآن ،  
فلم يبعد منه وقال : إن هذا لقول حسن ، ثم انصرف وقدم المدينة فلم يلبث  
أن قتله الخزرج يوم بعث<sup>(٣)</sup> ، فكان قومه يقولون : قتل وهو مسلم .

وقدم أنس بن رافع مكة مع فتية من بني بعض الأشهل فيهم إياس بن  
معاذ يلتصقون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج ، فأثامهم رسول  
الله ﷺ وقال ( هل لكم في خير مما جئتم له ) فدعاهم إلى الله تعالى وللإسلام  
وقرأ عليهم القرآن ، فقال إياس وكان غلاماً حدثاً : هذا خير والله مما جئنا  
له ، فضرب وجهه أنس بن رافع بحفنة من التراب وقال : دعنا منك فلقد جئنا  
لغير هذا ، فسكت إياس وقام رسول الله ﷺ ، ولم يلبث إياس أن هلك ،  
فسمعه قومه يهزل الله ويكبره ويسبحه ويحمده حتى مات ، فهاشكروا أنه مات مسلماً .

### ذكر بيعة العقبة الأولى

فلما أراد الله تعالى اظهار دينه وانجاز وعده خرج رسول الله ﷺ في  
الموسم الذى لقي فيه نفر من الأنصار ، فعرض نفسه على القبائل كما كان يفعل

(١) المأثور : السيف

(٢) تبترى : تقطع . وفى النسختين ( تفترى ) والتصويب من ( شرح  
سيرة ابن هشام لابن ذر الحاشي ) وغيره . وعقب الظهر أى عصبه .

(٣) بعث بضم الباء : موضع بقرب المدينة ويومه من أيام الأوس والخزرج  
بين الميعة والهجرة وكان الظهر للأوس . على كما فى ( تاج العروس للزبيدي )

( ١٢ ) — أول عيون التواريخ )

فينا هو عند العقبة لقي رهطا من الخزرج ، فدعاهم إلى الله تعالى وعرض عليهم الاسلام .

وكان مما صنع الله تعالى له في الاسلام أن يهود كانوا معهم في بلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم ، وكان أهل يثرب أصحاب أوثان ، وكانوا قد غزوه في بلادهم ، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم : إن نبيا مبعوث الآن قد أظلم زمانه تتبعه فقتلكم معه <sup>(١)</sup> قتل عاد وادم ، فلما كلم رسول الله ﷺ ذلك نفر ودعاهم إلى الله تعالى ، قال بعضهم لبعض : تعلموا <sup>(٢)</sup> والله يا قوم إنه النبي الذي توعدكم به يهود ، فلا تسبقكم إليه ، فأجابوه إلى مادعاهم بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام ، وقالوا له : إنا قد تركنا قومنا ودينهم من العداوة والشر ما بينهم وعسى أن يجمعهم الله تعالى بك ، فسنقدم عليهم وندعوهم إلى أمرك ونعرض عليهم الذي أجبتك إليه من هذا الدين فإن يجمعهم الله تعالى عليك فلا رجل أعز منك ، ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلى بلادهم ، قد آمنوا وصدقوا .

وكانوا سبعة نفر من الخزرج : أسعد بن زرارة بن عدس أبو أمامة ، وعوف بن الحارث بن رفاعة وهو ابن عفراء ، كلاهما من بني النجار ، ورافع ابن مالك بن العجلان ، وعامر بن عبد حارثة <sup>(٣)</sup> بن ثعلبة ، كلاهما من بني زريق . وقطبة بن عامر بن حديدة بن سواد <sup>(٤)</sup> من بني سلمة <sup>(٥)</sup> وعقبة بن عامر بن نابت من بني غنم ، وجابر بن عبد الله بن رثاب من بني عبيد . رثاب بكسر الراء وبالياء المعجمة . فلما قدموا المدينة ذكروا لهم رسول الله ﷺ ودعوهم إلى الاسلام حتى فشأفيهم .

(١) في الظاهرية ( نقتلكم به ) والمثبت من الاحمدية وتاريخ ابن جرير وتاريخ ابن الاثير . (٢) أي اعلوا .

(٣) في النسختين ( عبد بن حارثة ) والتصويب من تاريخ ابن جرير وتاريخ ابن الاثير .

(٤) في تاريخ الطبري ( بن حديدة بن عمرو بن سواد ) . (٥) بكسر اللام .



فلما كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً فلاقوه بالعقبة وهي (العقبة الأولى) وبايعوه بيعة النساء . وهم أسعد بن زرارة ، وعوف ومعاذ ابنا الحارث وهما ابنا عفرأ ، ورافع بن مالك بن العجلان ، وذكوان بن عبد قيس من بني زريق ، وعباد بن الصامت من بني عوف بن الحزرج ، ويزيد بن ثعلبة بن خزيمة <sup>(١)</sup> وعباس بن عباد بن نضلة <sup>(٢)</sup> وعقبة ابن عامر <sup>(٣)</sup> وقطبة بن عامر بن حديدة . هؤلاء من الحزرج .

وشهداها من الأوس : أبو الهيثم بن التيهان حليف لبني عبد الأشهل ، وعويم بن ساعدة حليف لهم .

فلما انصرفوا عنه بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار وأمره أن يقرئهم القرآن . ويعلمهم الإسلام ، فنزل بالمدينة على أسعد بن زرارة ، فخرج سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وهما سيدا بني عبد الأشهل وكلاهما مشرك ، فقال سعد لأسيد : انطلق إلى هذين اللذين أتيا دارنا فانهما فانه لولا أسعد بن زرارة وهو ابن خالتي كفيتك ذلك ، فأخذ أسيد حربته ثم أقبل اليهما فقال : ما جاء بكما تسفهان ضعفاءنا اعتزلا عنا ، فقال مصعب أو تجلس فاسمع ؟ فان رضيت أمرا قبلته وإن كرهته كف عنك ما فكره ، قال : أنصفت ، ثم جلس اليهما فكلما

(١) في النسختين (خرقة) والتصحيح من تاريخ ابن جرير وتاريخ ابن الأثير وجوامع السيرة لابن حزم .

(٢) في الظاهرية (فضله) وهو تصحيح صحيحته من تاريخ ابن جرير وتاريخ ابن الأثير وجوامع السيرة لابن حزم .

(٣) في الظاهرية (هو عتبة) والتصحيح من الأحمدية وتاريخ ابن جرير وتاريخ ابن الأثير .

مصعب بالإسلام وتلا عليه آيات من القرآن ، فقال ما أحسن هذا وأجمله كيف تصنعون إذا دخلتم في هذا الدين ؟ قال مصعب تغتسل وتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق وتصلى ركعتين ، ففعل ذلك وأسلم . ثم قال لهما : إن ورائي رجلا أن اتبعكما لم يتخلف عنكما أحد من قومه وسأرسله اليكما ، ثم انصرف إلى سعد وقومه ، فلما نظر إليه سعد قال : أحلف بالله لقد جاءكم بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم ، وقال له ما فعلت ؟ قال كلبت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأسا ، وقد سمعت أن بني حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقبضوه ، فقام سعد بن معاذ مغضبا مبادرا لخوفه بما ذكر له ثم خرج إليهما ، فلما رآهما مطمئنين عرف ما أراد أسيد فوقف عليهما وقال لاسعد بن زرارة : لولا ما بيني وبينك من القرابة مارمت هذا مني ، فقال مصعب : أو تقعد فتسمع فان رضيت أمراً قبلته وإن كرهته اعتزلناك ؟ فجلس فعرض عليه مصعب الإسلام وقرأ عليه القرآن ، وقال لهما : كيف تصنعون إذا دخلتم في هذا الدين ؟ فقالا ما قالاً لأسيد ، فأسلم وتطهر ثم عاد إلى فادي قومه ، ومعه أسيد بن حضير ، فلما وقف عليهم قال : يا بني عبد الأشهل كيف تعملون أمري فيكم ؟ قالوا : سيدنا وأفضلنا ، قال : فان كلام رجالكم ونساءكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله ، قال : فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة الا مسلما أو مسلمة .

ورجع مصعب إلى منزل أسعد ولم يزل يدعو إلى الاسلام حتى لم يبق دار من دور الأنصار الا وفيها رجال ونساء مسلمون ، إلا ما كان من بني أمية ابن زيد ووائل وواقف فانهم أطاعوا أبا قيس بن الأسلت فوقف بهم عن الإسلام ، وكان شاعراً لهم وقائدا يستمعون منه ويطيعونه ؛ فلم يزل على ذلك حتى هاجر النبي صلى الله عليه وسلم ومضت بدر وأحد والخندق وعاد مصعب إلى مكة .

## ﴿ ذكر يمة العقبة الثانية ﴾

ولما فشا الإسلام في الأنصار اتفق جماعة منهم على المسير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفين لا يشعر بهم أحد، فساروا إلى مكة في الموضع في ذي الحجة مع كفار قومهم واجتمعوا إليه<sup>(١)</sup> وواعدوه أوسط أيام التشريق بالعقبة؛ فلما كان الليل خرجوا بعد مضي ثلثه مستخفين يتسللون؛ حتى اجتمعوا بالعقبة وهم سبعون رجلاً؛ معهم امرأتان: نسيدة بنت كعب أم عمار وأسماء بنت<sup>(٢)</sup> عمرو بن عدى من بني سلمة.

وجاءهم رسول الله ﷺ ومعه عمه العباس بن عبد المطلب؛ وهو كافر أحب أن يتوثق لابن أخيه، فكان العباس أول من تكلم فقال: يا معشر الخزرج، وكانت العرب تسمى الأوس والخزرج (الخزرج) إن محمداً منا حيث قد علمتم في عز ومنعة وقد أبى إلا الإنقطاع اليكم، فإن كنتم ترون أنفسكم تفون له بما وعدتموه ومانعوه فأنتم وذلك، وإن كنتم ترون أنفسكم مسلموه فن الآن فدعوه فإنه في عز ومنعة، فقالت الأنصار: قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله وخذ لنفسك وربك ما أحببت.

فتكلم النبي ﷺ وتلا القرآن ورغب في الإسلام ثم قال (أتتمنعون مما تمنعون منه نساءكم وأبنائكم) فأخذ البراء بن معرور بيده، ثم قال: والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما تمنع منه أزرنا<sup>(٣)</sup> فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أهل

(١) في الأحمدية (به) بدل (إليه).

(٢) في النسختين (أم) في موضع (بنت) والتصحيح من (جوامع السيرة لابن حزم ٨٥) وتاريخ الطبري وتاريخ ابن الأثير.

(٣) أي نساءنا وأهلنا، كنى عنهم بالأزور، وقيل: أراد أنفسنا، وقد يكتفى عن النفس بالأزور. على ما في (النهاية في غريب الحديث والآثار لابن الأثير).

الحرب . فاعترض الكلام أبو الهيثم بن التيهان فقال : يا رسول الله إن بيننا وبين الناس حبالا وأنا قاطعوها - يعنى اليهود - فهل عسيتم إن أظهرك الله عز وجل أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟ فتبسم رسول الله ﷺ وقال ( بل الدم الدم الهدم الهدم <sup>(١)</sup> أنا منكم وأنتم منى أحارب من حاربتم وأسلم من سالمتم ) قال ابن هشام : معنى الهدم : الحرمة أى حرمتى حرمتكم ودمى دمكم . وقال [ رسول الله ﷺ ] <sup>(٢)</sup> : ( أخرجوا إلى اثني عشر نقيبا يكونون على قومهم ) فأخرجوهم ، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس . فأما الخزرج فأبى أمامة أسعد بن زرارة بن عدس ، وسعد بن الربيع بن عمرو ، وعبد الله ابن رواحة بن امرئ القيس ، ورافع بن مالك بن العجلان والبراء بن معرور ابن صخر وعبد الله بن عمرو <sup>(٣)</sup> بن حرام ، وعبادة بن الصامت بن قيس ، وسعد ابن عباد بن دليم والمنذر بن عمرو بن خنيس .

ومن الأوس : أسيد بن حضير ، ورفاعة بن عبد المنذر ، وبعضهم يعد أبى الهيثم ابن التيهان ولا يعد رفاعة وسعد بن معاذ .

وقال العباس بن عباد بن فضالة الأنصارى : يامعشر الخزرج هل تدزون علام تباعون هذا الرجل ؟ تباعونه على حرب الأحمر والأسود ، فإن كنتم

(١) يروى بسكون الدال وفتحها ، فالهدم بفتح الدال : القبر يعنى أنى أقبر حيث تقبرون ، وقيل : هو المنزل ، أى منزلكم منزلى كحديثه الآخر ( المحيا محياكم والممات مماتكم ) أى لا أفارقكم . والهدم بالسكون وبالفتح أيضاً هو الهداء دم القتيل ، والمعنى : إن طلب دمكم فتد طلب دى وإن أهدر دهم فقد أهدر دى لاستحكام الألفة بيننا ، وهو قول معروف للعرب يقولون : دى دمك وهدى هدمك ، وذلك عند المعاهدة والنصرة . كما فى ( النهاية لابن الأثير ) ،

(٢) ما بين المعقنين استدر كته من تاريخ ابن جرير وتاريخ ابن الأثير .

(٣) فى النسختين ( عمر ) بدل ( عمرو ) والنصويب من جوامع السيرة لابن حزم .

ترون أنكم إذا أنهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلا اسلمتموه، فمن الآن فهو والله خزي<sup>(١)</sup> الدنيا والآخرة . وإن كنتم ترون أنكم وافون له فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة . قالوا : فانا فأخذوه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف ، فمالنا بذلك يارسول الله ؟ قال ( الجنة ) قالوا : أبسط يدك ، فبايعوه . وما قال العباس بن عباد ذلك إلا ليشد عليهم العقد ، وقيل بل قاله ليؤخر الأمر ليحضر عبد الله بن أبي ابن سلول<sup>(٢)</sup> فيكرن أقوى لأمر القوم . فكان أول من بايعه أبو أمامة أسعد بن زرارة ، وقيل أبو الهيثم بن التيهان ، وقيل البراء بن معرور ، ثم تتابع القوم فبايعوا .

فلما بايعوه صرخ الشيطان من رأس العقبة : يا أهل الجباغب<sup>(٣)</sup> هل لكم في مذمم والصباة<sup>(٤)</sup> معه قد اجتمعوا على حربكم . فقال رسول الله ﷺ ( أما والله لأفرغن لك أى عدو الله ) ثم قال للقوم ( ارفضوا إلى رحالكم ) فقال العباس بن عباد : والذي بعثك بالحق نبياً لئن شئت لنيلن على أهل منى بأسياً فانا ، فقال ( لم يؤمر بذلك )<sup>(٥)</sup> فرجعوا .

(١) فى الاحمدية ( عار ) فى مكان ( خزى ) وفى الهامش ( خزى ) إشارة إلى نسخة فيها ذلك .

(٢) هو عبد الله بن أبي بن مالك بن الحارث ، واشتهر بالنسبة إلى جده ( سلول ) فلهذا الأصوب أن يقال ( عبد الله بن أبي ابن سلول ) بأثبات ألف ( ابن ) .  
(٣) فى النسختين ( الجباغب ) وهو تصحيف . والجباغب : أسماء منازل بنى .

(٤) ( الصباة ) غير مهموز ، على ما فى تاج العروس للزبيدي ، وغيره .

(٥) فى الاحمدية ( لم يؤمر لي بذلك ) وما ورد فى الظاهرية موافق لما فى ( تاريخ الطبرى ٢/ ٣٦٥ ) .

فلما أصبحوا جاءهم جلة قريش فقالوا : قد باغنا أنكم جئتم إلى صاحبنا تستخرجونه وتبايعونه على قتالنا ؛ وإنه والله مامن حتى من أحياء العرب أبغض إلينا أن تلشب بيننا وبينهم الحرب منكم ، فحلف من هناك من مشركي الأنصار ما كان من هذا شيء ؛ فلما بايعوه رجعوا إلى المدينة .

وكان قدومهم في ذي الحجة فأقام رسول الله ﷺ بمكة بقية ذي الحجة والمحرم وصفر وهاجر إلى المدينة في شهر ربيع الأول . وقد كانت قريش لما بلغهم إسلام من أسلم من الأنصار اشتدوا على من بمكة من المسلمين وحرصوا على أن يفتنهم ، فأصابهم جهد جهيد . وهي العقبة الآخرة ، وأما الأولى فكانت قبل هجرة الحبشة .

وكانت البيعة في هذه العقبة على غير الشروط في العقبة الأولى ، فإن الأولى كانت على بيعة النساء ، وهذه البيعة كانت على حرب الأحمر والأسود .

ثم أمر رسول الله ﷺ أصحابه بالمهاجرة إلى المدينة ؛ فكان أول من قدمها أبو سلمة بن عبد الأسد ، ثم هاجر من بعده عامر بن ربيعة حليف بني هدي وحمه امرأته ليلى بنت أبي حشمة <sup>(١)</sup> ثم عبد الله بن جحش وأخوه وجميع أهله فأغلقت دارهم . وتتابع الصحابة ، ثم هاجر عمر بن الخطاب وعياش بن أبي ربيعة فزلا في بني عمرو بن عوف ، وخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام إلى عياش بن أبي ربيعة بالمدينة وكان أخاهما لأمهما فقالا له : إن أمك قد نذرت أنها لا تستظل ولا تمتشط ، فرق لها فماد .

وتتابع الصحابة بالمهاجرة إلى أن هاجر رسول الله ﷺ .

(١) في النسختين ( خيشمة ) والتصحيح من تاريخ ابن جرير وتاريخ ابن الأثير .

## ﴿ ذكر هجرة النبي ﷺ ﴾

لما تتابع أصحاب رسول الله ﷺ بالهجرة<sup>(١)</sup> وهو بمكة ينتظر ما يؤمر به ، وتخلف معه أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب رضى الله عنهما فلما رأيت قريش ذلك حزروا خروج رسول الله ﷺ فاجتمعوا في دار الندوة وهى دار قصي بن كلاب وتشاوروا فيها ، فدخل معهم إبليس في صورة شيخ وقال : أنا من أهل نجد سمعت بخبركم فحضرت وعسى أن لا تعدموا منى رأيا ، وكانوا : عتبة وشيبة وأبا سفيان وطعيمة بن عدى وجبير بن مطعم والحارث ابن عامر والنضر بن الحارث وأبا البختري بن هشام وزمعة بن الأسود وحكيم ابن حزام<sup>(٢)</sup> وأباجهـل ونعيمها ومنبها ابني الحجاج وأمية بن خلف وغيرهم ، فقال بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد كان من أمره ما كان ، وما نأمنه على الوثوب علينا بمن اتبعه فأجمعوا فيه رأيا ، فقال بعضهم : احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب الشعراء قبله ، فقال الشيخ النجدي : ما هذا برأى ، لو حبستموه لخرج أمره من وراء الباب إلى أصحابه فلا يشكوا أن يشبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ، فقال آخر : نخرجه وننفقه من بلدنا ولا نبالي أين وقع إذا غاب عنا ، فقال الشيخ النجدي : أما ترون حسن حديثه وحلاوة منطقه ، لو فعلتم ذلك أنزل على حى من العرب فيغلب عليهم بحلاوة منطقه ثم يسير بهم اليكم فيطأكم ويأخذ أمركم من أيديكم ، فقال أبو جهل : أرى أن تأخذوا من كل قبيلة فتي نسبها ، ويعطى كل فتي منهم سيفا

(١) ( بالهجرة ) مضافة من تاريخ ( السكامل لابن الاثير )

(٢) هذا قبل إسلامه ، ثم أسلم ، وكان عاش في الجاهلية ستين سنة وفي الاسلام ستين سنة ، وكان ولد في الكعبة ، ولم يكن يدخل دار الندوة أحد من قريش لمشورة حتى يبلغ الأربعين إلا حكيـم بن حزام فإنه دخلها وهو ابن خمس عشرة سنة ، من « ثمار القلوب للشعالبي »

ثم يضربونه ضربة رجل واحد فيقتلونه ، فاذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل كلها فلم تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا ورضوا منا بالعقل <sup>(١)</sup> . فقال الشيخ النجدي : رأى ما قال الرجل ، ففارقوا على ذلك . فأتى جبريل النبي ﷺ وقال له : لا تبت الليلة على فراشك ؛ فلما كان الغداة اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام فيشربوا عليه ، فلما رأهم رسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب ( ثم على فراشي واقشع بردي الأخضر ونم فيه فإنه لا يخلص <sup>(٢)</sup> إليك شيء تسكره ، وأمره أن يؤدي عنه ماعده من وديعة وأمانة وغير ذلك وخرج رسول الله ﷺ وأخذ حفنة من تراب وجعله على رءوسهم وهو يتلو هذه الآيات ( يس والقرآن الحكيم ) إلى قوله ( فهم لا يبصرون ) <sup>(٣)</sup> ثم انصرف ولم يروه ، فأتاهم آت فقال : ما تنتظرون ؟ قالوا محمداً ، قال خيكم الله قد والله خرج عليكم ولم يترك منكم أحداً إلا جعل على رأسه تراباً ، وانطلق لحاجته ، فوضعوا أيديهم على رءوسهم فأرأوا التراب وجعلوا ينظرون فيرون علياً قائماً عليه برد النبي ﷺ فيقولون إن محمداً لناثم ، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا ، فقام على عن الفراش فعرفوه وأنزل الله تعالى في ذلك ( وإذ يمكر بك الذين كفروا ) <sup>(٤)</sup> الآية .

وسأل أولئك الرهط علياً عن رسول الله ﷺ فقال لا أدري أمرتموه بالخروج نفرج ، فضربوه وأخرجوه إلى المسجد فخبسوه ساعة ثم تركوه ، ونجى الله تعالى رسوله من مكرم وأمره بالهجرة ، وأقام على رضى الله عنه بمكة يؤدي أمانة رسول الله ﷺ ويفعل ما أمره به .

وقالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله ﷺ لا يخطئه أحد طرفي

(١) يعنى الدية ، كما هو واضح .

(٢) فى الظاهرية « لا يحضر ، بدل « لا يخلص » التى فى الاحمدية وتاريخ ابن الاثير .

(٣) سورة يس ، الآية ٩

(٤) سورة الانفال . الآية ٣٠ .



النهار أن يأتي بيت أبي بكر لما بكره ولما عشيمة ، حتى كان اليوم الذي أذن الله فيه لرسوله بالهجرة أتانا بالهجرة ، فلما رآه أبو بكر قال : ما جاء هذه الساعة إلا لأمر قد حدث ، فلما دخل جلس على السرير فقال ( أخرج من عندك ) قال : يا رسول الله إنما هما ابتئى ، وما ذاك ؟ قال ( إن الله تعالى قد أذن لي في الخروج ) قال أبو بكر : الصحبة يا رسول الله ، قال « الصحبة » فبكى أبو بكر من الفرح ، فاستأجرا عبد الله بن أريقطه بنى الدئل بن بكر - وكان مشركاً - يدهما على الطريق . ولم يعلم بخروج رسول الله ﷺ غير أبي بكر وعلى رضى الله عنهما [ وآل أبي بكر <sup>(١)</sup> ] فأما على فأمره رسول الله ﷺ أن يتخلف عنه حتى يؤدي عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده ثم يلحقه .

وخرجا من خوخة في بيت أبي بكر في ظهر بيته ، ثم عمدا إلى غار ثور فدخلاه <sup>(٢)</sup> ، وأمر أبو بكر ابنه عبد الله أن يسمع لهما بمكة نهاره ، ثم يأتيهما ليلا

(١) ما بين المعقفين ساقط من الظاهرية ، فاستدركته من الاحمدية وقارب ابن الأثير .

(٢) قال الأستاذ محمد جمال الدين (في مجلة الأزهري ٤٦/١ - المحرم سنة ١٣٩٤) : التخطيط هو المدخل العلمى الصحيح إلى إنجاز الأعمال على أفضل وجه . والنبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه هو خير أسوة للمسلمين في التخطيط العلمى ، فقد أخضع لنهجه كل أعماله : موعد الهجرة أخفاه ، وهذا درس في أهمية السرية ، خرج في تلك الليل الأخير إلى منزل سيدنا أبي بكر ، ومنه خرج من فتحة في ظهره ، ترك في منزله سيدنا علياً نائماً في فراشه ، لم يتجه في سيره شمالاً ، وهو الاتجاه الطبيعى من مكة إلى المدينة ، ولم يتجه غرباً سالكاً طريق الساحل ، بل اتجه إلى الجنوب الشرقى ، وهو اتجاه لا يتصور لإنسان أن يداً إلى مهاجر يستهدف الشمال ، ولا يمكن أن يفكر فيه المشركون ، ولم يستمر في السير طويلاً بل لجأ إلى غار ثور ليحتمى مزيداً من تضليل قريش إذا بحثوا عنه في كل اتجاه . ولقد كان

وأمر عامر بن فهيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاره ثم يأتيهما بها ليلاً ، وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما بطعامهما مساء ، فأقاما في الغار ثلاثاً ، وجعلت قریش مائة ناقة لمن يرده عليهم ، وكان عبد الله بن أبي بكر إذا غدا من عندهما اتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم حتى يعنى أثره . فلما مضت الثلاث وسكن الناس أناهما دليلهما ببعيريهما ، فأخذ رسول الله ﷺ أحدهما بالثمن فركبه ، وأتتهما أسماء بنت أبي بكر بسفرتيهما ، ونسيت أن تجعل لها عصاماً فحلت نطاقيها فجعلته عصاماً<sup>(١)</sup> وعلقت السفره به ، وكان يقال لأسماء « ذات النطاقين » ، لذلك . ثم ركبوا وسارا ، وأردف أبو بكر مولاه عامر بن فهيرة يخدمهما في الطريق ، فساروا ليلتهم ومن الغد إلى الظهر ، فرأوا صخرة طويلة فسوى

== اختياره لمكان الاختباء غاية في التفكير النذ ، فقد اختاره مكاناً وعراً فإنه حتى الآن إذا أراد شاب قوى أن يصعد إلى الغار ويجد صعوبة كبيرة ، هذا بينما كان الرسول في الثالثة والخمسين . وكلف عبد الله بن أبي بكر بأن يقوم بدور المخبرات فيتسمع ما تقوله قریش ثم يذهب ليلاً ليبلغ الرسول ليتخذ الاجراءات اللازمة ، ولم يفقه أن عبد الله بن أبي بكر عند عودته إلى مكة سوف يترك آثار أقدامه على الأرض ، لذلك كان عامر بن فهيرة يسير خلفه بغنمه حتى تزيل آثار أقدامه ، واختباء الرسول في الغار ثلاثة أيام يضاعف من الضغط النفسي على قریش حتى يدب اليأس في قلوبهم وتفتر عزائمهم في البحث عنه ، وكان عبد الله بن أريقط غير مسلم وكان دليل الرسول وهو الذي أعد الرواحل ، وهذا غاية في التورية ، فالذي يتصور أن يتجه النظر إلى صحابي يسكون محل ثقة النبي عليه الصلاة والسلام ، بل إن أمر الاتصال بعبد الله بن أريقط في شأن الرواحل خضع لتفكير دقيق ، فإنه إذا اتصل به عبد الله بن أبي بكر فقد تستريب في ذلك قریش ، ولسكن إذا اتصل به عامر بن فهيرة وهو راع مشله ، ومن طبيعة الراعي أن يتحرك ليقابل راعياً فليس في الأمر أية رغبة ، وطوال الرحلة كان الرسول وصاحبه يسيران الليل كله وينبضان بالنهار . كل ذلك يدل على التخطيط المحكم لتحقيق المهمة بنجاح تام .

(١) العصام : الرباط .

أبو بكر عندهما مكانا ليقيل فيه رسول الله ﷺ ويستظل بظلها ، فنام رسول الله ﷺ وحرسه أبو بكر ، حتى رحلوا بعد ما زالت الشمس .

وكانت قريش قد جعلت لمن يأتي بالنبي ﷺ الدية ، فتبعهم سراقة بن مالك ابن جعشم المدلجي ، فلحقهم وهم في أرض صلبة ، فقال أبو بكر : يا رسول الله أدركنا الطلب ، قال « لا تحزن إن الله معنا » ودعا عليه رسول الله ﷺ فارتطمت فرسه إلى بطنها وثار من تحتها مثل الدخان ، فقال : ادع لي يا محمد ليخلصني الله ولك علي أن أرد عنك الطلب ، فدعا له فتخلص ، فتبعهم فدعا عليه الثانية فساخت قوائم فرسه في الأرض أشد من الأولى ، فقال يا محمد علمت أن هذا من دعائك علي فادع لي ولك عهد الله تعالى أن أرد عنك الطلب فدعا له فخلص ، وقرب من النبي ﷺ وقال : يا محمد خذ سهما من كنانتي فإن إبلي به كان كذا فخذ منها ما أحببت ، فقال « لا حاجة لي في إيلك » فلما أراد أن يعود عنه قال « كيف بك ياسراقة إذا سورت بسواري كسرى » فعاد سراقة ، فكان لا يلقاه أحد يريد الطلب إلا قال : قد كفيت ماها هنا ، ولا يلقي أحدا إلا رده .

قالت أسماء بنت أبي بكر : لما هاجر رسول الله ﷺ أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل فرقفوا على باب أبي بكر فقالوا : أين أبوك ؟ قلت : لا أدري ، فرفع أبو جهل يده فلعطم خدي لطمة طرح قرطى ، وكان فاحشاً خبيثاً .

ومكثنا ثلاثاً لا ندري أين توجه رسول الله ﷺ ، حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة <sup>(١)</sup> والناس يتبعونه يسمعون صوته ولا يرونه ، وهو يقول :

جزى الله رب العرش خير جزائه ﷺ رفيقين حلا <sup>(٢)</sup> خيمتي أم معبد

(١) « مكة » مستدركة من تاريخ « الكامل » والاحمدية .

(٢) في الاحمدية « قالوا » من القيلولة .

هما نزلها بالهدى واغتدوا به<sup>(١)</sup> فأفلىح من أمسى رفيق محمد  
 لين بن كعب مسكان فتاتهم ومقعدا للمؤمنين بمصر  
 قال : فلما سمعنا قوله عرفنا أن وجهه كان إلى المدينة .

وقدم بهما دليلهما قباء ، فنزل على سعد بن خيشمة وكان عزبا ، وكان ينزل  
 عنده العزاب من أصحاب رسول الله ﷺ ، وكان يقال لبيته : بيت العزاب ،  
 ونزل أبو بكر على خبيب<sup>(٢)</sup> بن أساف بالسنح ، وقيل نزل على خارجة بن زيد  
 أخى بنى الحارث بن الخزرج .

وأما على رضى الله عنه فإنه لما فرغ من الذى أمره رسول الله ﷺ هاجر  
 إلى المدينة ، فكان يسير الليل ويكمن النهار ، حتى قدم المدينة ، وقد تفطرت  
 قدماء فقال النبي ﷺ « ادعوا لى علياً » فقيل : لا يقدر أن يمشى ، فأناه النبي  
 ﷺ فاعشقه وبكى رحمة له لما بقدميه من الورم ، وتفل على يديه وأمر بهما  
 على قدمى على ، فلم يشتكهما بعد حتى قتل ، ونزل بالمدينة على امرأة لزوج لها  
 فرأى إنساناً يأتيها كل ليلة يعطيها شيئاً ، فاستراب بها فسألها عنه فقالت :  
 هو سهل بن حنيف قد علم أنى<sup>(٣)</sup> امرأة لزوج لها فهو يكسر أصنام قومه  
 ويحملها إلى ويقول احتطبي بهذه ، فكان على يذكر ذلك عن سهل بن حنيف  
 بعد موته .

وقيل ان علياً نزل مع النبي ﷺ ، وهو الصحيح .

- (٢) فى الظاهرية « هما نولا بالبر واغتدوا به »  
 (٣) فى الظاهرية « حبيب » وهو تصحيف صحاحته من الاحمدية ورجوامع  
 السيرة لابن حزم ٩٣ .  
 (٤) فى النسختين « قال عال كل امرأة لزوج لها » وهو خطأ صحاحته من  
 تاريخ ابن الأثير .

وأقام رسول الله ﷺ بقاء الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس<sup>(١)</sup> وأسس مسجدهم ، ثم خرج يوم الجمعة ، وقيل أقام عندهم أكثر من ذلك ، والله أعلم .

وأدركت رسول الله ﷺ الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها في المسجد الذي ببطن الوادي ، وكانت أول جمعة صلاها بالمدينة .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : ولد النبي ﷺ يوم الاثنين وهاجر يوم الاثنين وقبض يوم الاثنين .

واختلف العلماء في مقامه بمكة بعد أن أوحى إليه فقال أنس وابن عباس في رواية : إنه أقام بمكة عشر سنين ، وقيل أقام ثلاث عشرة سنة ، ولعل الذي قال « عشر سنين » أراد بعد إظهار الدعوة ، فإنه بقي ثلاث سنين يسرها وما يؤيد هذا القول قول أبي قيس بن الأسلت :

ثوى في قريش بضع عشرة حجة يذكر لو يلقى صديقا مواليا

فهذا يدل على أن مقامه ثلاث عشرة سنة .

﴿ ذكر ما كان من الأمور أول سنة من الهجرة ﴾

وذلك أنه ( ﷺ ) رحل من قباء يريد المدينة ، فركب ناقته وأرخص زمامها فكان لا يمر بدار من دور الأنصار الا قالوا : هلم يا رسول الله إلى العدد والعدة ، فيقول « خلوا سبيلها فإنها مأمورة » حتى انتهى إلى موضع مسجده

(١) والاثنين، ساقطة من الظاهرية و«الخميس» غير موجودة في النسختين فاستدركت ذلك من تاريخ ابن الاثير. و« بقاء » مستدركة من تاريخ ابن الاثير وجوامع السيرة لابن حزم ، حيث قال : « وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقاء أياما . . »

اليوم فبركت على باب مسجده وهو يومئذ مرید<sup>(١)</sup> لفلامين يثيمين في حجر معاذ بن عفراء ، وهما سبل وسبل ابنا عمرو من بني النجار ، فلما برکت لم ينزل عنها ثم<sup>(٢)</sup> وثبت وسارت غير بعيد ورسول الله ﷺ واضع لها زمامها لا يثليها به ، فالتفتت خلفه<sup>(٣)</sup> ثم رجعت إلى مبركها الأول وبركت فيه ووضعت جرائنها ، فنزل عنها رسول الله ﷺ ، واحتمل أبو أيوب الأنصاري رحله ، وسأله رسول الله ﷺ عن المرید فقال معاذ بن عفراء : هو لثيمين لي وسأرضيهما عن ثمنه ، فأمر به رسول الله ﷺ أن يبني مسجدا وأقام عند أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه .

وقيل إن موضع المسجد كان لبني النجار فيه نخل وحرث<sup>(٤)</sup> وقبور المشركين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثامنوني به » فقالوا لا نبني به ثمنا الا ما عند الله ، فأمر فبنى مسجده ، وكان قبله يصلي حيث أدركته الصلاة وبناءه هو والمهاجرون والأنصار .

وفيهما بنى مسجد قباء ، وفيها بنى رسول الله ﷺ بعائشة بعد مقدمه المدينة بثانية أشهر ، وقيل بسبعة أشهر ، في ذى القعدة ، وكان تزوجها بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين ، وهي ابنة ست سنين<sup>(٥)</sup> بعد وفاة خديجة .

وفيهما هاجرت سودة بنت زمعة زوج النبي ﷺ ، وبناته ما عدا زينب وهاجرت أيضا عيال أبي بكر ومعهم ابنه عبدالله وطلحة بن عبيدالله .

(١) « مرید » مستدركة من تاريخ ابن الأثير . والمرید : الموضع الذي يحذف فيه التمر .

(٢) « ثم » ساقطة من الظاهرية فاستدركتها من الاحمدية ، وهي موافقة لما في تاريخ ابن الأثير .

(٣) في جوامع السيرة لابن حزم ٩٥ « خلفها »

(٤) في الظاهرية « وحرث » وفي الاحمدية وتاريخ ابن الأثير « وحرث »

(٥) في تاريخ ابن الأثير : « وقيل ابنة - سبع سنين » وقيل أكثر من ذلك .

وفيها ولد عبد الله بن الزبير ، وكان أول مولود للمهاجرين بالمدينة ، وكان النعمان بن بشير أول مولود للانصار بعد الهجرة ؛ وقيل ان المختار بن أبي عبيد وزيايد ابن أبيه ولدا فيها .

وفيها على رأس سبعة أشهر عقد رسول الله ﷺ لواء أبيض لعمه حمزة في ثلاثين رجلا من المهاجرين <sup>(١)</sup> ليعترضوا غير قريش ؛ فلقى أبا جهل بن هشام في ثلاثمائة رجل فحزب بينهم مجدى <sup>(٢)</sup> بن عمرو الجنبى ، وكان يحمل اللواء أبو مرثد وهو أول لواء عقده <sup>(٣)</sup> .

وفيها أيضا عقد لواء لعبيدة بن الحارث بن المطلب <sup>(٤)</sup> وكان أبيض يحمله مسطح بن أثانة ، فالتقى هو والمشركون ، فكان بينهم الرمى دون المسابقة ؛ وكان معه سعد بن أبي وقاص وكان أول من رمى بسهم في سبيل الله <sup>(٥)</sup> ؛ وكان المقداد بن عمرو وعتبة بن غزوان مسلمين وهما بمكة ، فخرجا مع المشركين يتوصلان <sup>(٦)</sup> بذلك ، فلما لقيهم المسلمون انحازا إليهم ، وكان

(١) في النسختين « المختار بن عبيد » وهو وهم ظاهر .

(٢) « من المهاجرين » مستدركة من الأحمدية وتاريخ ابن الأثير .

(٣) في النسختين « مجرى » والتصحيح من « جوامع السيرة لابن حزم ١٠١ » وتاريخ الطبرى ٤٠٥/٢

(٤) في « تاريخ الطبرى » راية عبيدة بن الحارث كانت أول راية عقدت في الاسلام . وسبب الشبهة أن بعثه وبعث حمزة كانا معا .

(٥) في النسختين « عبد المطلب » والتصحيح من تاريخ الطبرى .

(٦) في « تاريخ الطبرى ٤٠٤/٢ » أن سعد بن أبي وقاص قد رمى يومئذ بسهم فكان أول سهم رمى به في سبيل الله .

(٧) أى أنهما جمعا لخروجهما مع الكفار وسيلة للوصول إلى المسلمين .

على المشركين أبو سفيان بن حرب ؛ وقيل مكرز بن صفص بن الأخيف<sup>(١)</sup>  
وقيل عكرمة بن أبي جهل .

وفيها عقد لواء لسعد بن أبي وقاص وسيره الى الحارث<sup>(٢)</sup>، وكان اللواء  
يحملة المقداد بن عمرو فلم يلق حرباً .

وفيها كانت غزوة بواط : خرج رسول الله ﷺ في مائتين من أصحابه  
يريد غير قريش - وقيل كانت في سنة اثنتين - حتى بلغ بواط من ناحية رضوى  
وكان في غير قريش أمية بن خلف الجمحي في مائة رجل ؛ ومعه ألفان  
 وخمسمائة بعير ؛ فرجع ولم يلق كيداً ؛ وكان يحمل لواء رسول الله ﷺ سعد  
ابن أبي وقاص ؛ واستخلف على المدينة سعد بن معاذ .

وفيها جاء أبو قيس بن الأسلت إلى رسول الله ﷺ ؛ فعرض عليه الاسلام  
فقال : ما أحسن ما تدعو إليه سأنظر في أمرى ، فلقبه عبد الله بن أبي ابن سلول  
المتأفق ؛ فقال كرهت قتال الخزرج ، فقال ؛ لا أسلم إلى سنة ؛ فمات في  
ذي القعدة .

﴿ ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان ﴾

فيها توفي كاثوم بن هدم بن امرئ القيس الأنصاري ، كان شيخاً كبيراً  
أسلم قبل نزول رسول الله ﷺ المدينة ، قيل إنه أول من مات من أصحاب  
رسول الله ﷺ ، ولم يدرك شيئاً من مشاهدته .

(١) في النسختين « الأخنف » والتصحيح من تاريخ ابن الأثير حيث قال  
الأخيف بالخاء المعجمة والياء المشناة من تحتها .

(٢) هو قرب الجحفة ؛ وقيل واد من أودية المدينة ، وقيل غير ذلك



وفيها توفي أبو أمامة أسعد بن زرارة بن عدس ، كان عقيماً <sup>(١)</sup> نقيباً ، شهد العقبة الأولى والثانية ، وباع فيهما ، وهو أول من بايع ، أخذته الذبحة <sup>(٢)</sup> والمسجد يبنى فكواه النبي ﷺ ، ومات في تلك الأيام ودفن بالبقيع ، وجاءت بنو النجار إلى رسول الله ﷺ فقالوا : قد مات نقيبنا فنقب لنا ، فقال ( أنتم أخوالي وأنا نقيبكم ) فكان فضيلة لهم .

وفيها هلك الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل السهمي شيخا قريش مشركين ، قال الشعبي لما حضر الوليد الوفاة جزع فقال له أبو جهل : أنجزع يا عم ، ما يجزعك ؟ فقال : والله ما لي جزع من الموت ولكن أخاف أن يظهر دين ابن أبي كبشة بمكة ، فقال أبو سفيان : يا عم لا تخف ، أنا <sup>(٣)</sup> ضامن لك أن لا يظهر ، وأبو أحبيحة <sup>(٤)</sup> بن العباس بن أمية بالطائف .

### ﴿ السنة الثانية من الهجرة ﴾

في هذه السنة غزا رسول الله ﷺ - في قول بعض أهل السير - « غزاة الأبواء » ويقال « ودان » واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة سعد بن عباد ، وكان لواؤه أبيض يحمله حمزة بن عبد المطلب ، فوادعه فيها بنو ضمرة ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً .

وفيها غزا رسول الله ﷺ « غزوة العشيرة » من يلبع في جمادى الآخرة <sup>(٥)</sup> يريد قريشا حين ساروا إلى الشام ، فلما وصل العشيرة وادع بني

(١) في الظاهرية « عقيفا » وهو تحريف

(٢) داء يأخذ في الحلق ، وربما قتل « تاج العروس »

(٣) في الاحمدية « أنى » بدل « أنا »

(٤) في الظاهرية « أبو جبيحة » وهو وهم

(٥) هكذا في النسختين ، وهو موافق لما في طبقات ابن سعد . وفي تاريخ =

مدلج ورجع ولم يلق كيداً . واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد .  
وفي هذه الزاة<sup>(١)</sup> كنى النبي ﷺ علياً أبا تراب<sup>(٢)</sup> .

وفيهما أغار كرز بن جابر الفهري على سرح<sup>(٣)</sup> المدينة ، فخرج رسول الله ﷺ حتى بلغ وادياً يقال له سفران من ناحية بدر<sup>(٤)</sup> ، وفاته كرز . وكان لواءه مع علي رضي الله عنه ، واستخلف على المدينة زيد بن حارثة .

وفيهما بعث النبي ﷺ سعد بن أبي وقاص في سرية ثمانية رهط ، فرجع ولم يلق كيداً .

﴿ ذكر سرية<sup>(٥)</sup> عبد الله بن جهش ﴾

أمر رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح أن يتجهز ليغزو ، فتجهز ،

== ابن الأثير وغيره أنها كانت في جمادى الأولى وفي الدرر في المغازي والسير لابن عبد البر ١٠٦ ، أقام هنالك بقية جمادى الأولى وليالي من جمادى الآخرة . ومثله في دجوامع السيرة ١٠٣ ، والغزوة إذا أطلقت حملت على ابتدائها دون دوامها على ما في دمرآة الجنان وعبرة اليقظان لليافعي ١٠/١ ،

(١) في الظاهرية والسنة ، بدل الغزاة ، وهو سهو صحاحته من الاحمدية وتاريخ ابن الأثير .

(٢) أنظر طبقات ابن سعد وصحيح الامام البخاري والبداية والنهاية لتحرير سبب هذه السكينة .

(٣) السرح : الماشية

(٤) لذلك يسميها بعضهم « غزوة بدر الأولى »

(٥) اختلفوا في سبب تسمية « السرية » والذي اصطلاح عليه الجمهور : أن كل عسكر حضره النبي عليه الصلاة والسلام سمي « غزوة » ، ولم يحضره سمي « سرية » أو بعثاً . وفي هذه السرية سمي عبد الله بن جهش أمير المؤمنين ، على ما في طبقات ابن سعد ١١/٢ ،

فلما أراد المسير بكي صباة إلى رسول الله ﷺ فبعث مكانه عبد الله بن جحش في رجب معه ثمانية رهط من المهاجرين ، وقيل اثنا عشر رجلا ، وكتب له كتاباً وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضى لما أمره به ولا يستكره أحداً من أصحابه ، ففعل ذلك ثم قرأ الكتاب وفيه يأمره بنزول نخلة - بين مكة والطائف - فيرصد قريشا ويعلم أخبارهم ، فأعلم أصحابه ، فساروا معه حتى أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة<sup>(١)</sup> بن غزوان بعيرا لهما يعتقبانه فتخلفا في طلبه ، ومضى عبد الله بن جحش بمن معه فنزل بنخلة ، فمرت به غير لقريش تحمل زيبا وغيره فيها عمرو بن الحضرمي وعثمان بن عبد الله بن المغيرة وأخوه نوفل والحكم بن كيسان ، فلما رأهم القوم هابوهم فأشرف لهم عكاشة بن محصن وكان قد حلق رأسه ، فلما رأوه أمنوا وقالوا عمار<sup>(٢)</sup> لا بأس عليكم منهم ، وتشاور القوم فيهم وذلك في آخر رجب ، فقالوا : والله لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم فيمتنعن منكم ، وإن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام ، وترددوا ثم أجمعوا على قتلهم وأخذت حمارتهم ، فرمى واقد بن عبد الله عمرو بن الحضرمي<sup>(٣)</sup> فقتله واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان ، وأفلت نوفل بن عبد الله ، وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعير والاسيرين حتى قدموا المدينة ، وعزلوا خمس ماغنموا للنبي ﷺ قبل أن يفرض الخمس ، فقال لهم رسول الله ﷺ « ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام » فسقط في أيديهم ، وعنفهم المسلمون ، وقالت قريش : قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام ، فأنزل الله تعالى ( يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه<sup>(٤)</sup> ) الآية فلما نزل القرآن<sup>(٥)</sup> وفرج الله

(١) في الظاهرية وعقبة ، وهو تصحيف صحبته من الدرر لابن عبد البر ، وغيره

(٢) أي مستمرين .

(٣) في تاريخ الطبري والبداية والنهاية لابن كثير وغيرهما زيادة « بسهم »

(٤) « قل قتال فيه كبير » سورة البقرة . الآية ٢١٧

(٥) يعني « بهذا الامر » كما في البداية والنهاية وغيره . وهو واضح

تعالى عن المسلمين قبض رسول الله ﷺ العير ، وكانت أول غنيمة أصابوها وقبل رسول الله ﷺ الفداء في الأسيرين ، فأما عثمان فمات بمكة كافراً<sup>(١)</sup> وأما الحكم فأسلم واستشهد يوم بئر معونة .

وفيها صرفت القبلة من الشام إلى الكعبة ، وكان أول ما فرضت القبلة إلى البيت المقدس ورسول الله ﷺ بمكة ، وكان يحب استقبال الكعبة ، وكان يصلي بمكة ويجعل الكعبة بينه وبين البيت المقدس ، فلما هاجر إلى المدينة لم يمكنه ذلك ، وكان يؤثر أن يصرف إلى الكعبة ، فأمره الله تعالى أن يستقبل الكعبة يوم الثلاثاء للنصف من شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدمه المدينة .

وفيها أيضاً في شعبان فرض صوم شهر رمضان ، وكان لما قدم المدينة رأى اليهود تصوم عاشوراء فصامه وأمر بصيامه ، فلما فرض رمضان أم يأمرهم بصوم عاشوراء ولم ينهم .

وفيها أمر الناس باخراج زكاة الفطر قبل الفطر بيوم أو يومين<sup>(٢)</sup> .

وفيها خرج رسول الله ﷺ إلى المصلى فصلى بهم صلاة العيد وحملت بين يديه العنزة<sup>(٣)</sup> ، وكانت للزبير وهبها له النجاشي<sup>(٤)</sup> .

(١) « كافرين » ساقطة من الظاهرية ، وهو سهو من الناسخ أو المؤلف .

(٢) نص ابن جرير الطبري في تاريخه ( ٤١٨ / ٢ ) وفيها أمر الناس باخراج زكاة الفطر ؛ وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم خطب الناس قبل يوم الفطر بيوم أو يومين ، وأمرهم بذلك . وهو أوضح من نص ابن شاذان المذكور أعلاه . وفي البداية والنهاية لابن كثير مثل نص ابن جرير .

(٣) العنزة بفتح العين والنون : مثل نصف الرمح ، وفيها سنان مثل سنان الرمح ، والعكازة قريب منها « النهاية لابن الأثير » ، وفي تاريخ الطبري : ( وهي اليوم عند المؤذنين في المدينة )

(٤) هنا في حاشية الاحمدية « بلغ قراءة »

## ﴿ غزوة بدر الكبرى ﴾

وفيها كانت وقعة بدر الكبرى في شهر رمضان في سابع عشره وكان سببها قتل عمرو بن الحضرمي واقبال أبي سفيان بن حرب في غير قريش عظيمة (١) من الشام وفيها أموال كثيرة ، ومعها ثلاثون (٢) رجلا من قريش ، منهم مخزومة بن نوفل الزهري وعمرو بن العاص ، فلما سمع ذلك رسول الله ﷺ نذب المسلمين اليهم وقال « هذه غير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليهم لعل الله تعالى أن ينفلكوها ، فانتدب الناس نخف بعضهم وثقل بعضهم وذلك لأنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حرباً (٣) .

(١) «عظيمة» ساقطة من الظاهرية .

(٢) في النسختين «ثمانون» والتصحيح من تاريخ الاسلام للذهبي حيث قال « ثلاثون أو أربعون » ولعل سبب غلط النسختين هو تصحيف السمع من الاملاء .

(٣) هاجر المسلمون إلى المدينة المنورة ، وفي هذه القاعدة الاولى للاسلام التقى المهاجرون باخوان لهم من الانصار فآوهم ونصروهم .

وقرر الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام ، أن يفرض الحصار الاقتصادي على قريش الذين أخرجوا المسلمين من مكة المكرمة بغير حق إلا أن يقولوا : « ربنا الله » وكانت الطرق التي تسلكها تجارة قريش شتالا إلى أرض الشام ؛ هي طريق مكة — ساحل البحر الاحمر — تبوك — دمشق ؛ وكانت قريش تعتمد على التجارة ، وكان اعتمادها على هذه الطريق عظيما .

لذلك أراد النبي صلى الله عليه وسلم تهديد هذه الطريق الحيوية وضرب تجارة قريش في أخطر اتجاهاتها .

وعلم الرسول القائد عليه الصلاة والسلام بأن قافلة تجارية لقريش بقيادة أبي سفيان بن حرب عائدة من أرض الشام إلى مكة المكرمة ، فخرج بأصحابه

وكان أبو سفيان قد سمع أن النبي ﷺ يريدہ فحذر واستأجر ضمضم بن

لأسر هذه القافلة ، فإذا أفلتت القافلة من المسلمين ، يتوآ في (بدر) حتى يتسامع  
المشركون بخروج المسلمين وقواتهم ، فيها بؤهم ويتركوا لهم حرية نشر الدعوة  
لدينهم ، وبذلك ترتفع معنويات المسلمين وتنهار معنويات قريش والمشركين  
واليهود .

وعلم أبو سفيان بخروج المسلمين لاعتراض قافلته ، فأسرع في مسيره حتى  
بعدت المسافة بين القافلة وقوات المسلمين ، وبذلك أنقذت القافلة مما كان يحيق  
بها من أخطار . وحين علمت قريش بتهديد قافلته قررت الخروج لقتال المسلمين  
فلم يتخلف من أشرفها غير أبي طهب الذي بعث مكانه رجلا آخر ، كما شهدت  
قريش القادرين على حمل السلاح كافة .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم في أشد درجات اليقظة والحذر ، لانغيب عنه  
حركات قريش ، فأيقن من إفلات القافلة التجارية ، وتأكّد من خروج قريش  
وحلفائها لحربه .

ومع ذلك قرر الاستمرار بحركته حتى يصل الى موقع (بدر) فلم يكن هدفه  
الاستيلاء على القافلة التجارية لغرض مادي ، بل كان هدفه غرضاً أبعد من ذلك  
هو فرض الحصار الاقتصادي على قريش ، ولو كان هدفه الاستيلاء على القافلة  
التجارية فحسب — كما يزعم فريق من المستشرقين — لعاد ادراجه إلى المدينة  
المنورة سالماً دون أن يعرض المسلمين لقتال غير معروف النتائج .

وفي يوم الجمعة المصادف ١٧ رمضان من السنة الثانية الهجرية ، دارت معركة  
حاسمة بين المسلمين من جهة وبين المشركين من قريش وحلفائها من جهة أخرى  
فانتصر الحق على الباطل والنور على الظلام .

وتعد هذه المعركة من معارك التاريخ الحاسمة ، لأنها كانت الاختبار العملي  
للإسلام عقيدة ومنهج الحياة ، فكان انتصار المسلمين دليلاً عملياً على صلاحية هذه  
العقيدة وحقيقتها في الإبقاء .

عمرو الغفارى فبعثه إلى مكة يستنفر قريشا ويخبرهم الخبر، فخرج ضمضم إلى مكة .

وقد قدر الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام خطورة نتائج هذه الغزوة فكان يدعو الله بعد أن أكمل تدابير متطلبات القتال كافة : تدريبا وتسلحا وتعبئة وإعدادا ، فقال في دعائه : ( اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم فلن تنبذ في الأرض ) .

بلغ تعداد المسلمين الذين شهدوا غزوة بدر ، خمسة رجال وثلاثمائة رجل من المهاجرين والأنصار ؛ وكان معهم فرسان فقط وسبعون بعيرا ، يتعاقب الرجلان والثلاثة والأربعة على البعير الواحد .

وبلغ تعداد المشركين خمسين وتسعمائة رجل ، أكثرهم من قريش ، معهم مائتا فرس يتقودونها وعدد كبير من الإبل لركوبهم وحمل أمتعتهم ، وكانت هذه القوة بقيادة عدد من رجالات قريش .

ولا تقاس أهمية المعارك بعدد الرجال الذين يشهدونها ويباشرون القتال فيها بل تقاس أهمية المعارك بنجاحها .

وقد خرج المسلمون من غزوة بدر ، وهم أقوى مكانة وأعز مكانا وأكثر هيبة مما كانوا عليه قبلها ، إذ هابتهم القبائل المعادية وخافهم اليهود وأصبحوا قوة ذات شأن في المنطقة كلها .

فما هي أسباب انتصار المسلمين ، وما هي الدروس من تلك الأسباب ؟ لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم مؤيدا بنصر الله الذى بعثه للناس كافة وأرسله رحمة للناس كافة ليخرجهم من الظلمات إلى النور بإذن الله .

ولكن النبي صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة للمؤمنين في كل زمان ومكان ، فما هي الدروس التى يمكن أن يتعلمها المسلمون والعرب في حاضرهم ومستقبلهم من الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام ؟

( ١٥ - أول عيون الحواريين )

== إن يحمل أسباب النصر خمسة : بناء الرجال أولاً ، وقادة موحدة ثانياً ،  
وتعبئة جديدة ثالثاً ، وعقيدة راسخة رابعاً ، ومغزيات عالية خامساً وأخيراً .  
أما بناء الرجال فقد أصبح العربي المسلم ، يختلف اختلافاً جذوياً ، عن المشرك  
في عقيدته وسلوكه ومنهجه ، المسلم يعبد رباً واحداً ، والمشرك يعبد أرباباً متفرقين .  
والمسلم له عقيدة واضحة محددة ، والمشرك له عقيدة غير واضحة ولا محددة ،  
أو لا عقيدة له على الإطلاق .

ومنهج المسلم في الحياة واضح سليم ، وليس للمشرك منهج غير اشباع بطنه  
واملاء جيبه وتحقيق رغباته .  
وكانت مدرسة النبي صلى الله عليه وسلم ، تخرج القادة والولاة والقضاة والدعاة  
وقادة الفسك وقادة الحرب .

وكانت للنبي صلى الله عليه وسلم طريقة فذة رائدة في بناء الرجال : تنمية  
الخصال الحميدة والمزايا الرفيعة ، وإصلاح العادات الفاسدة والقضاء على الاتجاهات  
الخبثية .

وفي طريقته هذه ، يشيد بالمزايا ويتخاضى عن العيوب في محاولة لإصلاحها .  
وكانت له قابلية فذة في اختيار العمل المناسب للرجل المناسب ، خضوعاً  
للمصلحة العامة للمسلمين وحدها .

أما القيادة الموحدة ، فهي القادرة على حشد الطاقات المادية والمعنوية للأمة  
واستعمالها في المكان والزمان المناسبين .

وبدون القيادة الموحدة ، تصبح تلك الطاقات هباء .

وأما التعبئة الجديدة ، فهي من نتائج التدريب الجيد ، واتقان العلوم العسكرية  
نظرياً وعملياً ، وبذلك تكون الكفايات العسكرية عالية متميزة ، تستطيع ابتكار  
تعبئة جديدة وأساليب قتالية جديدة .

==



== والتاريخ العسكري يحدثنا بأن القادة العظام المنتصرين ، قادوا جيوشهم إلى النصر المبين ؛ بثلاثة أساليب :

أولاً : ابتكار تعبئة جديدة ، لا يعرفها العدو ، ولا يستطيع معالجتها .  
ثانياً : استعمال سلاح جديد ، لا يعرف العدو مبلغ تأثيره ، ولا سلاح لديه لمقاومته .

ثالثاً : ابتكار تعبئة جديدة ، واستعمال سلاح جديد ، في آن واحد .  
وهذه الأساليب الثلاثة تجعل مبدأ : « المباغتة » إلى جانب القائد ، وهذا المبدأ هو أهم مبادئ الحرب .

أما العقيدة الراسخة : فهي ضرورة لكل قائد ولكل جندي .  
إن الأسلحة الفتاكة المتطورة الحديثة ما استعمل منها وما لم يستعمل في المدى القريب أو البعيد ، ليست إلا كتلا صماء من الحديد أو غيره من المعادن ، والذي يستعمل الأسلحة بكفاية ومقدرة هو الإنسان .

إن الإنسان كان ولا يزال وسيبقى هو العنصر الرئيسي الفعال الذي يستخدم الأسلحة المختلفة وهذا الإنسان لا يمكن أن يستعمل تلك الأسلحة كما ينبغي ، ولا يمكن أن يضحى بروحه مقبلاً غير مدبر ، إلا إذا كانت لديه عقيدة يؤمن بها ويضحى من أجلها .

وتعاليم الإسلام في الحرب تأمر بالشجاعة والاقدام ، وتنهى عن الفرار والتولى ، وتبشر الشهداء بالحياة الخالدة .

فلا بد أن يتمسك المسلمون بدِينهم . ليقاتلوا قتال الأبطال ، كما قاتل أسلافهم من قادة الفتح وجنوده .

وأخيراً المعنويات العالية : لأنها من سمات الجيش المنتصر ، ولا نصر بغير هذه المعنويات .

إن كل جيش في كل أمة ، يرتكز على عنصرين أساسيين : العنصر المادى والعنصر ==

وكانت عائكة بنت عبد المطلب<sup>(١)</sup> قد رأت قبل قدوم ضمضم بثلاث رؤيا  
أفزعها ، فقصتها على أخيها العباس واستكتمته خبرها ، قالت رأيت راكباً  
على بعير له وقف بالابطح<sup>(٢)</sup> ثم صرخ بأعلى صوته أن انفروا يا آل غد<sup>(٣)</sup>  
لمصارعكم<sup>(٤)</sup> في ثلاث ، قالت : فأرى الناس اجتمعوا إليه فدخل المسجد فثل  
بعيره<sup>(٥)</sup> على الكعبة فصرخ مثلها ثم مثل بعيره على رأس أبي قيس فصرخ  
مثلها ، ثم أخذ صخرة فأرسلها ، فلما كانت بأسفل الوادي أرفضت ، فمابق بيت  
من بيوت مكة إلا دخله فلقمة منها ، فخرج العباس فلقى الوليد بن عتبة بن  
ربيعة - وكان صديقه - فذكرها له واستكتمه ذلك فذكرها الوليد لأبيه  
عتبة ففشا الخبر ، فلقى أبو جهل العباس فقال : يا أبا الفضل أقبل علينا ، قال  
العباس : فلما فرغت من طوافي أقبلت إليه فقال لي : متى حدثت فيكم هذه  
النبية ؟ وذكر رؤيا عائكة ، ثم قال : أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تنبأ  
نساؤكم ؟! فسنتر بص بكم هذه الثلاث فإن يكن حقا وإلا كتبنا عليكم أنكم

المعنوى ، العنصر المعنوى هو ٧٥ بالمائة ، والعنصر المادى ٢٥ بالمائة ، كما  
يقول نابليون .

وبعد تطور الأسلحة وظهور السلاح الذرى والهيدروجينى ، أصبح العنصر  
المادى ٥٠ فى المائة والعنصر المعنوى ٥٠ بالمائة أيضا .

فلا بد من المعنويات العالية لاحتراز النصر ، والدين هو الذى يؤجج تلك  
المعنويات ، (هذا مقال نشر فى صحيفة الاهرام بقلم اللواء الركن محمود شيت خطاب)

(١) عمه النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) بين المحصب ومكة ، على مافى السيرة الحلبية

(٣) أى يا أصحاب الغدر وعدم الوفاء

(٤) فى النسختين « مضاجعكم »

(٥) فى بعض المصادر « مثل به بعيره » و « على الكعبة » ساقطة من  
الظاهرة .

أَكْذَبُ<sup>(١)</sup> أَهْلَ بَيْتِ فِي الْعَرَبِ ، قَالَ الْعَبَّاسُ : فَمَا كَانَ مِنْهُ إِلَيْهِ إِلَّا أَنِّي جَعَلْتُ ذَلِكَ وَأَنْكَرْتَهُ ، فَلَمَّا أَمْسَيْتُ أَتَانِي نِسَاءُ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَقُلْنَ : أَقَرَرْتُمْ لِهَذَا الْفَاسِقِ الْخَبِيثِ أَنْ يَقَعَ فِي رِجَالِكُمْ وَقَدْ تَنَاوَلَ نِسَاءَكُمْ وَلَمْ تَنْسَكِرْ عَلَيْهِ ذَلِكَ ! قَالَ فَقُلْتُ : وَاللَّهِ كَانَ ذَلِكَ فَلَا تُعْرِضْ لَهُ فَإِنْ عَادَ كَفَيْتُكُمْوه ، قَالَ فَغَدَوْتُ الْيَوْمَ الثَّالِثَ مِنْ رُؤْيَا عَائِشَةَ وَأَنَا مُغْضَبٌ أَحَبُّ أَنْ أُدْرِكَه ، فَرَأَيْتُهُ فِي الْمَسْجِدِ فَخَشِيتُ نَحْوَهُ أَعْرِضْ لَهُ لِيَعُودَ فَأَوْقَعَ بِهِ ، فَخَرَجَ نَحْوَ بَابِ الْمَسْجِدِ يَشْتَدُ ، قَالَ قُلْتُ : مَا لَهُ قَاتَلَهُ اللَّهُ أَكَلْ هَذَا فَرَقًا مِنْ أَنْ أَشَاتَمَهُ ، وَإِذَا هُوَ قَدْ سَمِعَ مَا لَمْ أَسْمَعْ صَوْتِ ضَمْضَمِ بْنِ عَمْرِو الْغَفَّارِيِّ وَهُوَ يَصْرُخُ بِيَطْنَ الْوَادِي وَأَقْفَا عَلَى بَعِيرِهِ قَدْ جَدَعَهُ<sup>(٢)</sup> وَحَوْلَ رَحْلِهِ وَشَقَّ قِمِيصَهُ وَهُوَ يَقُولُ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشِ اللَّطِيْمَةِ اللَّطِيْمَةِ<sup>(٣)</sup> أَمْوَالَكُمْ مَعَ أَبِي سَفْيَانَ قَدْ عَرَضَ لَهَا مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ لَا أَرَى أَنْ تَدْرِكُوهَا ، الْغَوْثُ الْغَوْثُ ، فَشَغَلَنِي عَنْهُ وَشَغَلَهُ عَنِّي<sup>(٤)</sup> .

فَتَجَهَّزَ النَّاسُ سَرَّاعًا ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْ أَشْرَافِهِمْ أَحَدٌ إِلَّا أَبُو لَهَبٍ ، وَبَعَثَ مَكَانَهُ الْعَاصِمُ بْنُ هِشَامٍ بْنِ الْمَغِيرَةِ ، وَعَزَمَ أُمِيَّةُ بْنُ خَلْفِ الْجُمَحِيِّ عَلَى الْقُعُودِ لِأَنَّهُ كَانَ شَيْخًا ثَقِيلًا بَطِيئًا ، فَأَتَاهُ عَقْبَةُ بْنُ أَبِي مَعِيْطٍ بِمَجْمَرَةٍ فِيهَا نَارٌ وَمَا يَتَبَخَّرُ بِهِ وَقَالَ : يَا أَبَا عَلِيٍّ اسْتَجِمِرْ فَإِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الدَّسَاءِ ، فَقَالَ : قَبْحَكَ اللَّهُ وَقَبْحَ مَا جِئْتُ بِهِ . وَتَجَهَّزَ وَخَرَجَ مَعَهُمْ ، وَعَزَمَ عَتَبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ أَيْضًا عَلَى الْقُعُودِ فَقَالَ لِأَخِيهِ شَيْبَةَ إِنَّ ابْنَ الْخَنْظَلِيَّةِ رَجُلٌ مَشْوُومٌ - يَعْنِي أَبَا جَهْلٍ - وَلَيْسَ لَهُ مِنْ قَرَابَةِ مُحَمَّدٍ مَا لَنَا فَقَالَ شَيْبَةُ : أَنْ فَارَقْنَا قَوْمَنَا كَانَ ذَلِكَ سَبَّةً عَلَيْنَا فَاغْمِضْ مَعَ قَوْمِكَ ، فَخَشِيَ مَعَهُمْ ، فَلَمَّا أَجْمَعُوا الْمَسِيرَ ذَكَرُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ بَنِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ

(١) فِي الظَّاهِرِيَّةِ ، أَكْذَبَ بَيْتَ ، وَالَّذِي أَثْبَتْنَاهُ مِنَ الْأَحْمَدِيَّةِ مُوَافِقٌ لِمَا فِي الْمَصَادِرِ .

(٢) أَيْ قَطَعَ أَنْفَهُ وَأَذْنَيْهِ .

(٣) أَيْ أَدْرَكَهَا اللَّطِيْمَةُ ، وَهِيَ الْعِيرُ الَّتِي تَحْمِلُ الطَّيِّبَ وَالْبِزَّ .

(٤) فِي السِّيرَةِ الْحَلَبِيَّةِ : قَالَ الْعَبَّاسُ : ( فَشَغَلَنِي عَنْهُ وَشَغَلَهُ عَنِّي مَا جَامَ مِنَ الْأَمْرِ ) .

من الحرب ، يخافوا أن يؤتوا من خلفهم ، فتبدى لهم إبليس في صورة سراقاة ابن جعشم المدلجي - وكان من أشرف كنانة - وقال أنا جار لكم ، فخرجوا سراعا .

وكانوا تسعمائة وخمسين رجلا وقيل كانوا ألف رجل ، وكان خيلهم مائة فرس ، وكان مع المشركين سبعة مائة بعير .

وكان مسير رسول الله ﷺ لثلاث ليال خلون من شهر رمضان في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا ، قيل كانوا سبعة وسبعين رجلا من المهاجرين ، وقيل ثمانية وثمانون ، والباقيون من الأنصار ، ولم يكن فيهم غير فارسين : أحدهما المقداد بن عمرو السكندى لا خلاف فيه ، والثاني الزبير بن العوام ، وقيل كان مرثد بن أبي مرثد .

وكانت الإبل سبعين بعيرا ، وكانوا يتعاقبون عليها ، البعير بين الرجلين والثلاثة والأربعة ، فكان بين رسول الله ﷺ وعلى وزيد بن حارثة بعير ، وبين أبي بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف بعير ، وعلى مثل هذا ، وكان فرس المقداد اسمه سبعة ، وفرس الزبير اسمه السيل ، وكان لواؤه مع مصعب بن عمير ابن عبد الدار ، ورايته مع علي بن أبي طالب ، وعلى الساقة قيس بن أبي صعصعة الأنصاري ، فلما كان قريبا من الصفراء بعث بسبس بن عمرو وعدى بن أبي الزغباء<sup>(١)</sup> الجهنين يتجسسان الأخبار عن أبي سفيان ، ثم ارتحل رسول الله ﷺ وترك الصفراء<sup>(٢)</sup> يسارا وعاد إليه بسبس وعدى وأخبراه

(١) في اللسختين (الرعياء) وهو تصنيف صحيحته من تاريخ الطبري وغيره .

(٢) في الظاهرية (ونزل الصفراء) وهو تصنيف صوابه في (البداية والنهاية

لابن كثير ٢٦٢/٣) والاحمدية ، وهو المثبت في النص .

أن العير قد قاربت بدرا ، ولم يكن عند رسول الله ﷺ علم بمسير قريش لمنع عيرهم ، وكان قد بعث عليا والزبير وسعدا يلتمسون له الخبر بيدر ، فأصابوا راوية<sup>(١)</sup> لقريش فيها أسلم غلام بنى الحجاج وأبا يasar<sup>(٢)</sup> غلام بنى العاص ، فأتوا بهما رسول الله ﷺ وهو قائم يصلي ، فسألوهما فقالوا : نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء ، فضربوهما ليخبروهما عن أبي سفيان ، فقالا : نحن لأبي سفيان . فتركوهما . وفرغ رسول الله ﷺ من صلاته وقال : ( إذا صدقاكم ضربتوهما وإذا كذباكم تركتوهما صدقا أنهما لقريش أخبراني أين قريش ؟ ) قالوا وراء هذا الكثيب الذي ترون بالعدوة القصوى<sup>(٣)</sup> ، فقال رسول الله ﷺ : كم القوم ؟ قالوا كثير ، قال : كم عدتهم ؟ قالوا : لا ندرى قال : كم ينحرون كل يوم ؟ قالوا : يوما تسعا ، ويوما عشرا ، قال : القوم بين التسعمائة إلى الألف . ثم قال لهما : فن فيهم من أشرف قريش ؟ قالوا : عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد وأبو البختری بن هشام وحكيم بن حزام والحارث بن عامر وطعيمة بن عدى والنضر بن الحارث ، وزمعة بن الأسود وأبو جهل وأمية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو وعمرو ابن عبدود ، فأقبل رسول الله ﷺ على أصحابه وقال : ( هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها ) .

(١) الأبل الحوامل للماء ، يراد بها القوم يستقون الماء .

(٢) في الظاهرية ( ياسر ) وهو سهو صحبته من ( جوامع السيرة لابن حزم ١١٠ ) و ( تاريخ الطبري ٤٣٦/٢ ) .

(٣) العدو : جانب الوادي . والقصوى تأنيث ( الاقصى ) . والعدوة الدنيا كانت مما يلي المدينة . والقصوى مما يلي مكة . كما في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢١/٨ وقال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور : العدو : صفة الوادي وشاطئه ، والمراد شاطئ وادي بيدر . والعدوة القصوى كشيبة ، وهي قصوى بالنسبة لموقع بيدر للمسلمين .

ثم استشار أصحابه ، فقال أبو بكر فأحسن ، ثم قام عمر وقال فأحسن ،  
ثم قام المقداد بن عمرو وقال : يا رسول الله امض لما أمرك الله تعالى فنحن  
معك ، والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى ( اذهب أنت وربك فقاتلا  
إنا هاهنا قاعدون ) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ،  
فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد<sup>(١)</sup> - يعنى مدينة الحبشة -  
لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه ، فدعا له بخير ثم قال رسول الله ﷺ ( أشيروا  
على أيها الناس ) ولما يريد الأنصار لأنهم كانوا عدد الناس ، وخاف أن  
لا تكون الأنصار ترى عليه نصرته إلا بمن دهمه بالمدينة ، وليس عليهم أن  
يسير بهم ، فقال له سعد بن معاذ : لكأنك تريدنا يا رسول الله ، قال ( أجل )  
قال : قد آمنا بك وصدقناك وأعطيناك عهدنا ، فامض يا رسول الله لما أردت  
فوالذى بعثك بالحق إن استعرضت هذا البحر فخضته لخوضنه معك ، فسر  
بنا على بركة الله وعونه ، فسر<sup>(٢)</sup> رسول الله ﷺ وقال : ( أبشروا فإن الله  
قد وعدنى إحدى الطائفتين إما العير وإما النفير<sup>(٣)</sup> ) والله لكأنى أنظر إلى  
مصارع القوم ) .

ثم انحط على بدر فنزل قريبا منها . وكان أبو سفيان قد ساحل وترك بدرا  
يسارا ثم أسرع فنجأ ، فلما رأى أنه قد أحرز غيره أرسل إلى قريش وهم  
بالجحفة : إن الله قد نجى عيركم وأموالكم فارجعوا ، فقال أبو جهل بن هشام :  
والله لا نرجع حتى نرد بدرا ، وكان بدر موسما من مواسم العرب يجتمع بها

(١) فى البداية والنهاية لابن كثير ٢٦٤/٣ : ( حتى تبلغ البرك من غمدان )  
وغمدان فى صنعاء .

(٢) فى النسختين ( فسار ) وفى تاريخ الطبرى ٤٣٥/٢ ( فسر رسول الله صلى  
الله عليه وسلم بقول سعد ) .

(٣) الحرب .

سوق كل عام ، فقال الأخص بن شريق الثقفي وكان حليفاً لبني زهرة وهم بالجحفة : يا بني زهرة قد نجى الله أموالكم وصاحبكم فارجعوا ، فرجعوا ولم يشهد بدرا زهرى ولا عدوى وشهدا سائر بطون قريش .

ولما كانت قريش بالجحفة رأى جهيم<sup>(١)</sup> بن الصلت بن مخزومة بن المطلب ابن عبدمناف رؤيا ، فقال لى رأيت فيما يرى النائم رجلا أقبل على فرس ومعه بعير له فقال : قتل<sup>(٢)</sup> عتبة وشيبة وأبو جهل ، ورأيت ضرب لبة بعيره ثم أرسله فى العسكر فما بقى خباء إلا أصابه من دمه ، فقال أبو جهل : وهذا أيضاً نبي<sup>(٣)</sup> من بنى المطلب<sup>(٤)</sup> سنعلم غدا من المقتول . ومضت قريش حتى نزات بالعدوة القصوى ، وسبق النبي ﷺ إلى ماء بدر ، ومنع قريشا من السبق إلى الماء مطر عظيم لم يصب المسلمين منه إلا ما لبد لهم الأرض<sup>(٥)</sup> .

فنزل النبي ﷺ على أدنى ماء من مياه بدر إلى المدينة ، فقال الحباب بن المنذر بن عمرو بن الجوح : يا رسول الله : أرايت هذا المنزل أمزل أنزلكه الله فليس لنا أن نتقدمه أو نتأخر عنه أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟

(١) فى الظاهرية ( جهيم ) وهو وهم ، على ما فى الأحمدية وتاريخ الطبرى .  
(٢) هنا سقط سطر من الظاهرية ، وفى الأحمدية ( فأقبل ) فى موضع ( فقال قتل ) والتصحيح من ( تاريخ الطبرى ٢/٤٣٨ ) .

(٣) ( نبي ) ساقطة من النسختين ، فاستدركتها من تاريخ الطبرى وغيره .  
(٤) فى النسختين ( عبد المطلب ) وهو سهو .

(٥) إن المسلمين كانوا حريصين أن يسبقوا المشركين إلى العدوة القصوى لأنها أصلب أرضاً ، فلما سبق جيش المشركين إليها اغتم المسلمون فلما نزل المسلمون بالعدوة الدنيا أرسل الله المطر ، فلبد المطر الأرض ولم يعقبهم عن المسير . وأصاب الأرض التى بها قريش فعملمهم عن الرحيل ، فلم يبلغوا بدرا إلا بعد أن وصل المسلمون وتخفروا أحسن موقع ، وسبقوا إلى الماء واتخذوا حوضاً ..

( التحرير والتنوير للشيوخ الطاهر بن عاشور ٩/٢٧٩ و ١٠/١٦ )

( ١٦ — أول هيون التواريخ )

فقال : ( بل هو الرأى والحرب والمكيدة ) فقال : يا رسول الله ان هذا ليس لك بمنزل فانهمض بنا حتى نأتى أدنى ماء من القوم فننزله ونغور ما وراءه من القلب ثم نبقي عليه حوضا فتملأه ماءً فنشرب ولا يشربون ، فاستحسن النبي صلى الله عليه وسلم ذلك من رأيه وفعل ما أشار به ، وأمر بالقلب فغورت وبني حوضا وملأه ماءً ، وبني لرسول الله ﷺ عريش يكون فيه ومشي النبي ﷺ على موضع الوقعة فأرى أصحابه مصارع قریش يقول : ( أهذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان ) قال فما عدا واحد منهم مصرعه ذلك .

ورأود عتبة بن ربيعة وحكيم بن حزام قریشا على الرجوع فأبوا ، وكان الذى صمم على القتال أبا جهل فارتحلوا من الغد قاصدين نحو الماء ، فلما رأهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلين قال : ( اللهم هذه قریش قد أقبلت يخيلانها )<sup>(١)</sup> ونفخها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرک الذى وعدتني ) فلما نزل الناس أقبل نفر من قریش حتى وردوا حوض رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ ( دعوهم ) فما شرب رجل يومئذ إلا قتل إلا حكيم بن حزام ثم إنه أسلم بعد ، وكان إذا اجتهد في يمينه قال : لا والذى نجانى يوم بدر .

ثم بعثت قریش عمير بن وهب الجمحى ليحزر المسلمين ، فجال بفرسه حول العسكر ثم رجع فقال : هم ثلاثمائة يزيدون قليلا ، ولكن أمهلوني حتى انظر للقوم كمين أو مدد ، وضرب في الوادى فلم ير شيئا فرجع إليهم وقال : ما رأيت شيئا ، ولكنى قد رأيت يا معشر قریش البلىا تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع ، ليس لهم منعة إلا سيوفهم ، والله ما يقتل رجل منهم حتى يقتل رجل منكم ، فإذا أصابوا أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك .

(١) فى الظاهرية ( بخيلها ) والتصحيح من الأحمدية والمراجع المشهورة .



فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى في القوم فأتى عتبة بن ربيعة فقال : يا أبا الوليد إنك كبير قریش وسيدها هل لك أن لا تزال تذكر فيها بغير إلى آخر الدهر ؟ قال : وما ذلك ؟ قال : ترجع بالناس وتحمل دم حليفك عمرو ابن الحضرمي ، قال : قد فعلت ، على ديتيه وما أصيب من ماله ، فأت ابن الحنظلية — يعني أبا جهل — فلا أخشى أن يفسد أمر الناس غيره ، وقام عتبة في الناس وقال : إنكم ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئا ، والله لئن أصبتموه لا يزال رجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه ، قتل ابن عمه ، قتل ابن خاله ، أو رجلا من عشيرته . قال حكيم : فأنطلقت إلى أبي جهل فوجدته قد شد درعا وهو يهيمها ، فأعلمته ما قال عتبة فقال انتفخ والله سحره<sup>(١)</sup> حين رأى محمداً وأصحابه والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، وما بعثته ما قال ولكنه رأى ابنه أبا حذيفة فيهم وقد خافكم عليه ، ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي وقال له : هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس وقد رأيت ثارك بعينك ، فقام عامر وصرخ « واعمراه واعمراه » فحميت الحرب واستوسق الناس<sup>(٢)</sup> على الشر ، ولما بلغ عتبة قول أبي جهل « انتفخ سحره » قال : سيعلم المصفر أسسته من انتفخ سحره أنا أم هو ، ثم التمس بيضة يدخلها رأسه فما وجد من عظم هامته فاعتجر<sup>(٣)</sup> به رد له ، وخرج الأسود بن عبد الأسد<sup>(٤)</sup> الخزومي وكان سيء الخلق شرسا فقال أعاهد الله لأشرين من حوضهم ولاهدمته أو لأموتن دونه ، فخرج إليه حمزة رضي الله عنه فضربه فمقطع ساقه فوقع إلى الأرض ثم جبا إلى الحوض فاقتحم فيه ليبر يمينه ، فنبعه حمزة وضربه حتى قتله .

(١) أي رثته ، يقال للجبان ( انتفخ سحره ) . كما في النهاية .

(٢) أي اجتمعوا .

(٣) في الظاهرية ( فاعتجر ) وهو تصحيف .

(٤) في الظاهرية ( عبد الأسود ) وهو سهو .

فخرج عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة ودعوا إلى المبارزة فخرج إليهم عوف ومعوذ ابنا عفراء وعبد الله بن رواحة ، كلهم من الأنصار ، فقالوا من أنتم ؟ قالوا : من الأنصار ، فقالوا : أكفأ كرام ما لنا بكم من حاجة ليخرج إلينا أكفأنا من قومنا ، فقال النبي ﷺ : ( قم يا حمزة قم يا عبيدة قم يا علي ) فقاموا ودنا بعضهم من بعض ، فبارز عبيدة بن الحارث ابن عبد المطلب — وكان أسن القوم — عتبة ، وبارز حمزة شيبة ، وبارز علي الوليد بن عتبة ، فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله ، وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله ، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين ، كلاهما قد أثبت<sup>(١)</sup> صاحبه . فسكر على وحمزة على عتبة فقتلاه واحتملا عبيدة إلى أصحابه وقد قطعت رجله ، فلما أتوا به رسول الله ﷺ قال : أليست شهيدا يا رسول الله ؟ قال ( بلى ) قال لو رأي أبو طالب لعلم أني أحق منه بقوله :

ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

ثم مات رحمه الله تعالى .

ثم تراخف الجمعة — ان ، وقد أمر النبي ﷺ أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم ، وقال ( انضجوههم عنكم بالنبل ) وهو صلى الله عليه وسلم في العريش<sup>(٢)</sup> معه أبو بكر<sup>(٣)</sup> وذلك يوم الجمعة صبيحة سبعة عشر

(١) أى جرحه جرحا منعه من الحركة .

(٢) ( في العريش ) ساقطة من الظاهرية ، فاستدركتها من الاحدية .

(٣) في ( البداية والنهاية ) للمحافظ ابن كثير ٣/ ٢٧١ : روى البزار في مسنده من حديث محمد بن عقيل عن علي أنه خطبهم فقال : يا أيها الناس من أشجع الناس ؟ فقالوا : أنت يا أمير المؤمنين ، فقال : أما اني ما بارزني أحد إلا انتصفت منه ، ولسكن هو أبو بكر ، انا جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشا ، فقلنا : من يكون مع رسول الله ؟ لئلا يهوى إليه أحد من المشركين ، فوالله ما دنا

من رمضان ، ثم عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف بنفسه ورجع إلى العريش وجعل يناشده ربه ويقول : ( يارب ان تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد في الأرض ) وأبو بكر يقول : يا نبي الله بعض مناشدتك ربك فإن الله منجز لك ما وعدك . ثم خفق ﷺ فأنشده وقال : ( أبشر يا أبا بكر أتاك النصر هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده ، على ثيابه النقع <sup>(١)</sup> ) وخرج رسول الله ﷺ وهو يقول : ( سيهزم الجمع ويولون الدبر ) وحرص المسلمون وقال : ( والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا أدخله الله الجنة ) فقال عبيد بن الحوام الأنصاري ويده تمرات يأكلهن : بخ ما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ثم ألقى التمرات من يده وقاتل حتى قتل رحمه الله . ورمى مهبج مولى عمر ابن الخطاب بسهم فقتل ثم رمى حارثة بن سراقة <sup>(٢)</sup> الأنصاري فقتل ، وقاتل عوف بن عفراء حتى قتل ، واقتتل الناس قتالا شديدا ، وأخذ رسول الله ﷺ حفنة من الحصباء <sup>(٣)</sup> ورمى بها فريشا وقال : ( شامت الوجوه ) وقال لأصحابه ( شدوا عليهم ) فكانت الهزيمة .

== منا أحد إلا أبو بكر شاهرا السيف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يهوى إليه أحد إلا أهوى إليه ، فهذا أشجع الناس ، قال : ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذته قريش ، فهذا يجاهده وهذا يملكه ويقولون : أنت جعلت الآلهة لها واحدا . فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر يضرب هذا ويجاهد هذا ويملك هذا وهو يقول : ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله . ثم رفع على بردة كانت عليه فبكي حتى اخضلت لحيته ثم قال : أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون خير أم هو ؟ فسكت القوم فقال علي : فوالله لساعة من أبي بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون ذلك رجل يكتن لميانه وهذا رجل أعلن لميانه .

(١) الغبار . (٢) أم حارثة هذا هي ( الربيع بنت النضر ) كما في الترمذي ووقع في البخاري وجامع الاصول ( أم الربيع بنت البراء ) وهو خطأ .

أنظر فتح الباري و ( جامع الاصول طبعة دمشق ١٠٠/٩ ) .

(٣) الحصى الصغار . وفي بعض المراجع ( التراب ) في موضع الحصباء .

فقتل الله من قتل من المشركين وأسر من أسر .

وكان رسول الله ﷺ في العريش وسعد بن معاذ قائم على باب العريش متوشحاً بالسيف في نفر من الأنصار يحرسون رسول الله ﷺ يخافون عليه كره (١) العدو ، وكان أول من لقي أبا جهل معاذ ابن عمرو بن الجوح وقريش محيطه به ، قال معاذ : فجعلته من شأني ، فلما أمكنني حملت عليه فضربت ضربة أطنت قدمه (٢) بنصف ساقه ، وضربني ابنه عكرمة فطرح يدي من عاتقي فتعلقت بجملدة من جنبي ثم تمطيت حتى طرحتها وعاش مدا إلى خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه .

ثم مر بأبي جهل معوذ بن عفراء فضربه حتى أثبتته (٣) ، وتركه وبه رمق ، ثم مر به ابن مسعود — وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلتمس بين القتلى — فوجده بأخر رمق ، قال : فوضعت رجلي على عنقه ثم قلت : هل أخراك الله أي عدو الله ؟ قال وبماذا أخزاني أخبرني لمن الدائرة ؟ قلت : لله ولرسوله ، فقال أبو جهل : لقد ارتقيت يارويعي الغنم مرتقي صعباً ، قال فقلت : فإني قاتلك ، قال : ما أنت بأول عبد قتل سيده أما إن أشد شيء لقيتك اليوم قتلك إياي ، فضربه عبد الله فوق رأسه بين يديه (٤) فحمله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسجد شكراً لله تعالى .

وكان عبد الرحمن بن عوف قد غنم أدرعا ، فر بأمية بن خلف وابنه

(١) في النسختين (كثرة) وهو خطأ صححه من (الكامل لابن الأثير) وغيره .

(٢) أي جعلها تطن من صوت القطيع ، وأصله من الطنين ؛ وهو صوت الشيء الصلب ، على ما في (النهاية لابن الأثير) .

(٣) يعني جرحه جراحة لا يتحرك معها .

(٤) وفي رواية « بين رجله » .

على فقالا : نحن خير لك من هذه الأذراع . فطرح الأذراع وأخذ بيده ويده ابنه ومشى بهما ، فقال له أمية : من الرجل المعلم بريشة نعامة في صدره ؟ قال : حمزة بن عبد المطلب . فقال أمية : هو الذي فعل بنا الأفاعيل .

ورأى بلال أمية وكان أمية يعذبه بمكة فيخرج به إلى رمضان مكة فيضجعه على ظهره ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ويقول : لا تزال هكذا حتى تفارق دين محمد . فيقول بلال : أحد أحد ، فلما رآه بلال قال : أمية رأس الكفر ، لانجوت إن نجا ، ثم صرخ يا أنصار الله ، رأس الكفر أمية بن خلف لانجوت إن نجا ، فأحاط به المسلمون وقتلوا أمية وولده عليا وكان عبد الرحمن يقول : رحم الله بلالاً ذهب أذراعى ونجى بأسيرى .

وقتل حنظلة بن أبي سفيان بن حرب ، قتله على بن أبي طالب .

ولما انهزم المشركون أمر رسول الله ﷺ أن لا يقتل أبو البختري بن هشام لأنه كان أخف القوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ، وكان ممن قام في نقض الصحيفة فلقية المجذر (١) بن زياد البلوى حليف الأنصار ، ومعه زميل له فقال : إن رسول الله ﷺ قد نهى عن قتلك فقال وزميلي ؟ فقال المجذر لا والله ، قال إذا لأموتن أنا وهو ولا تتحدث نساء قريش أنى تركت زميلي حرصا على الحياة ، فقتله ثم أخبر رسول الله ﷺ خبره معه .

وأسر العباس بن عبد المطلب ، أسره أبو اليسر ، وكان أبو اليسر بمجموعا وكان العباس جسيا ، فقيل لأبي اليسر : كيف أسرته ؟ قال اعاننى عليه رجل ما رأيته قبل ذلك ، هيئته كذا وكذا ، فقال رسول الله ﷺ

(١) في النسختين : المجذر ، وهو تصحيف صحبته من تبصر المنتبه ، وغيره

(لقد اعانك عليه ملك كريم) (١) ولما أمسى العباس مأسوراً بات رسول الله ﷺ ساهراً ، فقال أصحابه يا رسول الله مالك لا تنام ؟ فقال (سمعت تصور العباس في وثاقه فنع مني النوم) فقاموا إليه فأطلقوه فنام رسول الله ﷺ .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لأصحابه ( قد عرفت رجلاً من بني هاشم وغيرهم أخرجوا كرها فزلقى منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله فإنه أخرج كرها) (٢) فقال أبو حذيفة ابن عتبة بن ربيعة : انقتل آباءنا وإبنائنا وإخواننا ونترك العباس ؟ والله لأن لقيته لأجفنه (٣) بالسيف فبلغت النبي صلى الله عليه وسلم فقال لعمر : (يا أبا حفص اما تسمع قول أبي حذيفة أضرب وجه عم رسول الله بالسيف)

(١) الملائكة مخلوقات نورانية سماوية مجبولة على الخير ، قادرة على التشكل في خرق العادة ، لأن النور قابل للتشكل في كيفيات ولأن أجزاءه لا تتزاحم ، ونورها لا شعاع له ، فلذلك لا تخفى إذا اتصلت بالعالم الأرضي . وإنما تتشكل إذا أراد الله أن يظهر بعضهم لبعض رسله وأنبيائه على وجه خرق العادة . وقد جمل الله تعالى لها قوة التوجه إلى الأشياء التي يريد الله تسكينها فتتولى التدبير لها . ولهذا التوجهات الملكية حيثيات ومراتب كثيرة تتعذر الإحاطة بها . من ( تفسير الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله ، التحرير والتنوير ١/ ٣٩٨ ) .

(٢) عذب الله بالقتل والأسر والإهانة نفراً عرفوا بالغلو في كفرهم وأذاهم وعذب بالخوف والجوع من كانوا دون هؤلاء كفراً ، واستبقاهم وأمهامهم ، فكان عاقبة أمرهم أن أسلبوا بقرب أو بعد ، فسكان جزاؤه على حسب علمه ، وحقق بذلك رجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال : ( لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد ) . ( التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ٩/ ٣٣٧ ) .

(٣) كذا بالجيم في النسختين ، وهي رواية . وفي ( تاريخ الطبري ٢/ ٤٥٠ ) لأجفنه أى لا طمن لجه بالسيف . قال ابن محشر في الأساس : رجل لحيم : قليل ، وقد لحم ، ومعناه قطع لجه .

قال أبو حذيفة : لا أزال خائفا من تلك الكلمة ، ولا يكفرها عني إلا الشهادة . فقتل يوم اليمامة شهيدا .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه ( قد رأيت جبريل وعلى ثناياه النقع ) فقال رجل من بني غفار : أقبلت أنا وابن عم لي فصعدنا جبلا يشرف بنا على بدر ونحن مشركان ، ننظر لمن تكون الدائرة فنهب ، فذنت منا سحابة فسمعت فيها حممة الخيل ، وسمعت قائلا يقول : أقدم حيزوم (١) ، قال فأما ابن عمي فمات مكانه ، وأما أنا فكادت أهلك فتماسكت .

وقال أبو داود المازني إنني لاتبع رجلا من المشركين يوم بدر لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل سيفي إليه فعرفت أنه قتله غيري . وقال سهل ابن حنيف : كان أحدنا يشير بسيفه إلى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف .

فلما هزم الله المشركين وقتل منهم من قتل وأسر من أسر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تطرح القتلى في القليب فطرحوا فيه إلا أمية بن خلف فإنه انتفخ في درعه فلأها ، فذهبوا ليحركوه فتقطع فتركوه وألقوا عليه من التراب والحجارة ما غييه .

فلما ألقوا في القليب وقف عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : ( يا أهل القليب بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم ، كذبتوني وصدقني الناس ) ثم قال : ( يا عتبة يا شيبة يا أمية بن خلف يا أبا جهل ) وعدد من كان في القليب ( هل وجدت ما وعدكم ربكم حقا فإني وجدت ما وعدني ربي حقا ) فقال له أصحابه : أتكلّم قوماً موتى ؟ قال : ( ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولا يمكنهم لا يستطيعون

(١) اسم فرس جبريل عليه السلام ، وقيل اسم فرس من خيل الملائكة .

( ١٧ - أول عيون التواريخ )

أن يجيبوني (١) ولما قال رسول الله ﷺ لأهل القليب ما قال رأى وجه أبي حذيفة وقد ظهر فيه الكراهية وقد تغير ، فقال : (لعلك قد دخلك من شأن أهلك شيء) قال : لا والله يا رسول الله ما شككت في أبي وفي مصرعه ، ولكنه كان له عقل وحلم وفضل ، فكنت أرجو له الإسلام ، فلما رأيت ما مات (٢) عليه من الكفر أحزنني ذلك ، فدعا له رسول الله ﷺ .

(١) تبين من بعض الأحاديث أن الكافر المسئول يعذب ، ومخاطبة أهل القليب وقعت وقت مسألة عذاب القبر ، حيث تعود الروح إلى الجسد . وحديث أهل القليب رواه البخاري عن ابن عمر ، ورواه الإمام مسلم عن أنس بن مالك . قال ابن حجر في الفتح : لم ينفردهما عن ابنه بحكاية ذلك ، بل وافقهما أبو طليحة . وللطبراني من حديث ابن مسعود مثله بإسناد صحيح ، ومن حديث عبد الله ابن سيدان نحوه . قال الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله : ( في المغازي لابن إسحاق رواية يونس بن بكير بإسناد جيد عن عائشة مثل حديث أبي طلحة وأخرجه أحمد بإسناد حسن ، فسكانها رجعت عن الإنكار لما ثبت عندها من رواية هؤلاء الصحابة لكونهم لم تشهد القصة . وعائشة لم تحضر ، وغيرها ممن حضر أحفظ للفظه صلى الله عليه وسلم ، وإذا جاز أن يكونوا في تلك الحال عالمين جاز أن يكونوا سامعين إما بأذان رؤوسهم إذا قلنا إن الروح تعود إلى الجسد عند المسألة ، وهو قول جمهور أهل السنة ، وإما بأذن القلب أو الروح على مذهب من يقول بتوجه السرائل إلى الروح من غير رجوع الروح إلى الجسد أو بعضه . وحديث الإمام أحمد على شرط الشيخين . وما ذهبت إليه عائشة رضي الله عنها وأرضاها مخالف لقول الجمهور من الصحابة ومن بعدهم ، وقد جاء التصريح بسماع الميت بعد دفنه في غير ما حديث ( أنظر ( البداية والنهاية لابن كثير ) و ( فتح الباري ) والإجابة للزركشي والروض الأنف و ( مجلة الرسالة ٨٧١ ) لمراجعة ما لمخصته هنا . وهذا تدرك جهالة محمود أبوزيه في مقاله في ( العدد ٨٢٥ من الرسالة ) .

(٢) في الظاهرية ( ما كان ) وفي الاحمدية وغيرها من المراجع ( ما مات ) وهو الصواب .



ثم أمر فجمع ما في العسكر فاختلف المسلمون فقال من جمعه : هو لنا ، وقال الذين يقاتلون العدو : لولا نحن ما أصبتموه ، ونحن شغلنا القوم عنكم ، وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله ﷺ وهو في العريش : والله ما أتم بأحق به منا ، لقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن له من يمنع ، ولكننا خفنا كرة (١) العدو على رسول الله ﷺ فقمنا دونه ، فزرع الله تعالى الأنفال من أيديهم وجعلها إلى رسول الله ﷺ فقسمها بين المسلمين على سواء (٢) .

وبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة بشيراً إلى أهل العالية ، وزيد ابن حارثة بشيراً إلى أهل السافلة من المدينة ، فوصل زيد وقد سووا التراب على رقية بنت رسول الله ﷺ ، وكانت زوج عثمان بن عفان ، خلفه رسول الله ﷺ عليها لمرضها (٣) وقسم له .

وكان في الأسرى النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط فأمر على بن أبي طالب بقتل النضر فقتله بالصفراء صبرا ، وأمر عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح (٤) بقتل عقبة بن أبي معيط ، فلما أراد قتله جزع من القتل وقال :

(١) في الذمختين ( كثرة ) وفي تاريخ ابن الأثير ( كرة ) وهو الصواب .  
(٢) أسماء الأموال المأخوذة من العدو في القتال ثلاثة : المغنم ، والفيء ، والنفل وهو صورة من صور القسمة كانت متداخلة . فلما استقر أمر الغزو في المسلمين خص كل اسم بصنف خاص ، وعرف الشرع قيد اللفظ بهذا النوع ، فسمى الواصل من الكفار إلينا بالغنيمة والفيء ، وأما النفل فهو اسم لنوع من مقسوم الغنيمة لا لنوع من المغنم . والنفل هو ما يعطيه الإمام من الخنس لمن يرى إعطائه إياه ممن لم يغنم ذلك بقتال . على ما في ( التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ) .

(٣) في الأحمدية ( يمرضها ) .

(٤) في الظاهرية ( الأفلح ) وهو تصحيف صحبته من الأحمدية =

أما إلى أسوة بهؤلاء الأسرى ، ثم قال : يا محمد من للصبيّة ؟ قال : النار ، وقتله بعرق الطيبة (١) .

وكان في الأسرى سهيل بن عمرو ، فلما أتى به قال عمر بن الخطاب : أنزع ثنيتيه يا رسول الله فلا يقوم عليك خطيباً أبداً ، وكان سهيل أعلم (٢) الشفة السفلى ، فقال رسول الله ﷺ : ( دعه يا عمر فسيقوم مقاماً تحمده عليه ) فكان مقامه ذلك عند موت النبي ﷺ ، وسيذكر عند خبر الردة إن شاء الله تعالى .

وقال رسول الله ﷺ ( استوصوا بالأسارى خيراً ) فكان أحدهم يؤثر أسيره بطعامه (٣) .

وتبصير المنتبه للحافظ ابن حجر حيث قال ( الأفلح ) كثير و ( الأفلح ) فرد . وانظر القاموس المحيط لتحقيق ما في ( تبصير المنتبه ) .

(١) موضع بالصفرام بين مكة والمدينة قرب الروحاء . ( معجم البلدان ) و ( معجم ما استعجم ) .

(٢) الأصح أن يقول : أفلح . فإن كان الشق في الشفة العليا فهو أعلم ، كما في ( لسان العرب ) .

(٣) يمثل هذه الرحمة كان لإسلام الكثيرين :

وقد حصل ما رجاه رسول الله ، فلم يلبث من بقي من المشركين أن آمنوا بالله ورسوله بعد فتح مكة ، ودخلوا في دين الله أفواجا ، وأيد الله بهم بعد ذلك دينه ورسوله ، ونشروا كلمة الإسلام في آفاق الأرض . ولما قد قدر الله تعالى أن يكون هذا الدين خاتمة الأديان كان من الحكمة إمهال المعاندين له والجاحدين لأن الله لو استأصلهم في أول ظهور الدين لآتى على من حوته مكة من مشرك ومسلم فلو كان ذلك في وقت ظهور الإسلام لارتفع بذلك هذا الدين فلم يحصل المقصود من جعله خاتمة الأديان . وقد استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أنزل عليه ( قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم ومن تحت أرجلكم ) فقال

وكان أول من قدم مكة بمصاف قريش الحيسبان (١) بن عبد الله الخزاعي فقالوا : ما وراءك ؟ قال قتل عتبة وشيبة وأبو الحكم ونييه ومنبه ابنا الحجاج وعدد (٢) أشراف قريش ، فقال صفوان بن أمية : والله إن يعقل فسلوه عني فقالوا : ما فعل صفوان بن أمية ؟ قال : هو ذاك جالس في الحجر ، وقد رأيت أباه وأخاه حين قتلا ، فناحت قريش على قتلاهم ثم قالوا : لا تفعلوا فيشمت محمد وأصحابه ، وكان الأسود بن عبد يغوث قد أصيب له ثلاثة من ولده : زمعة وعقيل والحارث ، وكان يحب أن يسكنهم ، فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة (٣) فقال لعلامه — وقد ذهب بصره — أنظر هل أحل البكاء ، لعل أبكي على زمعة فإن جوفي قد احترق ؟ فرجع إليه وقال : إنما هي امرأة تبكي على بعير لها قد أضلته ، فقال :

أتبكي أن يضل لها بعير	ويمنعها من النوم السهود
ولا تبكي على بدر ولكن	على بدر تقاصرت الجودود (٤)
على بدر سراة بني هصيص	ومخزوم ورهط أبي الوليد
فبكي (٥) إن بكيت على عقيل	وبكي حارثاً أسد الأسود

« أعوذ بسبحات وجهك الكريم » من ( التحرير والتنوير للشيبخ محمد الطاهر ابن عاشور ١٥٢/٧ ) .

(١) في الظاهرية ( الحيسبان ) والتصحيح من الاحمدية و ( تاريخ الطبرى ٤٦١ / ٢ ) .

(٢) في النسختين ( وعند ) والمثبت من ( البداية والنهاية لابن كثير ٢٩٢ / ٣ ) وغيره .

(٣) في النسختين ( ناعية ) وفي تاريخ الطبرى وابن كثير ( نائحة ) .

(٤) في النسختين ( الجلود ) والتصحيح من ( تاريخ الطبرى ٤٦٤ / ٢ ) . والجدود : الحظوظ .

(٥) في النسختين ( وابكي ) والتصحيح من تاريخ الطبرى والبداية والنهاية .

وبكسهم ولا تسمى جميعاً  
ألا قد ساد بعدهم أناس (٢)  
فما لأبي حكيمة (١) من فدى  
ولولا يوم بدر لم يسودوا

يعنى أبا سفيان .

ثم إن قريشاً أرسلت في فداء الأسرى، فأول من فدى أبو وداعة السهمي فداء ابنه المطلب، وفدى العباس نفسه وعقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث ابن عبد المطلب وحليفه عتبة بن عمرو بن جحدم (٣) أمره رسول الله ﷺ بذلك، فقال : لا مال لي، فقال (أين المال الذي وضعته عند أم الفضل وقلت لها إن أصبحت فللفضل كذا ولعبد الله كذا ولعبيد الله كذا) فقال : والذي بعثك بالحق ما علم به أحد غيري وغيرها وإني لأعلم أنك رسول الله . وفدى نفسه وابني أخويه وحليفه .

وكان قد اخذ مع العباس عشرون أوقية من ذهب فقال احسبها من فدائي فقال النبي ﷺ ( لا ، ذاك شيء أعطاناه الله عز وجل ) (٤) .

وكان في الأسرى عمرو بن أبي سفيان ، أسره علي ، فقبل لأبيه أقدعمرأ ،

(١) في النسختين (أبي حليمه) والتصحيح من تاريخ ابن جرير وابن الأثير وابن كثير .

(٢) كذا في النسختين وتاريخ ابن الأثير . وفي تاريخ ابن جرير وابن كثير (رجال) في موضع (أناس) .

(٣) في الظاهرية (حجرم) وفي الأحمدية (جهرم) وكلاهما خطأ ، والتصحيح من تاريخ ابن جرير وابن الأثير .

(٤) كان العباس خرج لبدر ومعه عشرون أوقية من ذهب ليظعم بها المشركين ، فأخذت منه في الحرب ، فكلّم النبي صلى الله عليه وسلم أن يحسب العشرين أوقية من فدائه فأبى ، كما في (إنسان العيون إبرهان الدين الحلبي) عليه رحمة الله .

قال : لا أجمع على دمي ومالي ، يقتل ابني حنظلة وأفدى عمرا ، فتركه ولم يفكه ثم إن سعد بن النعمان بن أكال الأنصاري خرج إلى مكة معتمراً فأخذه أبو سفيان — وكانت قريش لا تعرض لحاج ولا معتمر — فحبسه أبو سفيان ليفدى به عمراً وقال :

أرهط ابن أكال أجيئوا دعاهم تعاقدتم لا تسلموا السيد ﷺ (١)  
فان بنو عمرو لثام أذلة إذا (٢) لم يفكوا عن أسيرهم الكيلا

فمشى بنو عمرو بن عوف إلى النبي ﷺ فطلبوا منه عمرو بن أبي سفيان فقادوا به سعدا .

وكان في الأسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس زوج زينب بنت رسول الله ﷺ ، وكان من أكثر (٣) رجال مكة مالاً وأمانة وتجارة ، وكانت أمه هالة بنت خويلد أخت خديجة ، فسألت خديجة رسول الله ﷺ أن يزوجه زينب ، ففعل قبل أن يوحى إليه ، فلما أوحى إليه آمنت زينب ، وكان رسول الله ﷺ مغلوباً بمكة فلم يقدر أن يفرق بينهما ، فلما خرجت قريش إلى بدر خرج معهم فأسر ، فلما بعثت قريش في فداء الأسرى بعثت زينب في فداء أبي العاص زوجها بقلادة لها كانت خديجة ادخلتها معها ، فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة وقال : ( إن رأيتم أن تطلقوها أسيرها وتردوا عليها الذي لها فعلتم ) فأطلقوه وردوا القلادة .

وأخذ رسول الله ﷺ عليه العهد أن يرسل إليه زينب بالمدينة ، وسار

(١) الكهل : إلى أن يستوفي السمين ، ثم هو شيخ ، على ما في ( فقه اللغة للشعالي ) وغيره .

(٢) في الإحمدية وتاريخ ابن الأثير ( لتن ) في موضع ( إذا ) .

(٣) ( أكثر ) سقطت من النسختين ، فاستدركتها من تاريخ ابن الأثير .

إلى مكة . وأرسل رسول الله ﷺ زيد بن حارثة مولاه ورجلا من الأنصار ليصحبها زينب من مكة ، فلما قدم أبو العاص أمرها بالالحاق برسول الله ﷺ ، فتجهزت سرا وأركبها كنانة بن الربيع أخو أبي العاص بعيرا ، وأخذ قوسه (١) وخرج بها نهارا ، فسمعت قريش نخرجوا في طلبها فلحقوها بذى طوى ، وكانت حاملا فطرحت حملها لما ريعت (٢) لحوفها ، ونثر كنانة أسهمه ثم قال : والله لا يدنو مني أحد إلا وضعت سهماً فيه ، فأتاه أبو سفيان بن حرب وقال : خرجت نهاراً بها فيظن الناس أن ذلك عن ذل وضعف منا ، ولعمري مالنا في حبسها (٣) حاجة ، فارجع بالمرأة فيتحدث الناس أننا رددناها ، وأخرجها سرا ، ففعل وأخرجها ليلا وسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه ، فقدمها بها على رسول الله ﷺ فأقامت عنده .

فلما كان قبيل الفتح خرج أبو العاص تاجراً إلى الشام بماله وأموال رجال من قريش ، فلما عاد لقيته سرية لرسول الله ﷺ فأخذوا ما معه وهرب منهم فلما كان الليل أتى المدينة فدخل على زينب ، فلما كان الصبح خرج رسول الله ﷺ إلى الصلاة فكبر وكبر الناس (٤) ، فنادت زينب من صفة النساء : « أيها الناس إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع » فقال النبي ﷺ : ( والذي نفسي بيده ما علمت بشيء من ذلك وإنه يجير على المسلمين أذنابهم ) وقال لزينب :

(١) في النسختين ( فرسه ) في موضع ( قوسه ) والتصحيح من ( الروض الأنف ) وتاريخ ابن الأثير .

(٢) في النسختين ( رمعت ) والتصحيح من ( الروض الأنف ) ويحتمل أن تكون ( وقعت ) على ما في الروض الأنف أيضا .

(٣) في الروض الأنف ( حبسها عن أبيها ) .

(٤) في النسختين ( النساء ) ، والتصحيح من تاريخ ابن الأثير والروض الأنف .

( لا يخلص إليك فلا يحمل لك ) وقال للسرية الذين أصابوه : ( إن رأيتم أن تردوا عليه الذي له فإننا نحب ذلك وإن أبيتم فهو في الله تعالى الذي أفاءه لكم )<sup>(١)</sup> وأنتم أحق به ) قالوا : يا رسول الله بل نرده عليه ، فردوا عليه ماله كله حتى الشظايا<sup>(٢)</sup> .

فعاد إلى مكة فرد على الناس ما لهم وقال لهم : « أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، والله ما منعني من الإسلام عنده إلا تخوف أن تظنوا أنني إنما أردت أن آكل أموالكم » ، ثم خرج فقدم على النبي ﷺ فرد إليه أهله بالنسكاح الأول .

وجلس عمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن أمية بعد بدر ، وكان من شياطين قريش ممن يؤذى النبي ﷺ وأصحابه ، وكان ابنه وهب في الأسارى فقال صفوان : لا خير في العيش بعد من أصيب ببدر ، فقال عمير : صدقت ، والله لولا دين علي وعيال أخشى ضيعتهم لركبت إلى محمد حتى أقتله ، فقال صفوان : دينك علي وعيالك مع عيالي أسوتهم .

فسار إلى المدينة فقدمها فأمر رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب بإدخاله عايه ، فأخذ عمر بحمالة سيفه وقال لرجال معه من الأنصار : أدخلوا علي رسول الله ﷺ واحذروا هذا الحديث ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال لعمر : ( اتركه ) ثم قال ( ادن يا عمير ما جاء بك ؟ ) قال : جئت لهذا الأسير قال : ( اصدقني ) ، قال : ما جئت إلا لذلك ، قال : ( بل قعدت أنت وصفوان وجرى بينكما كذا وكذا ) فقال عمير : أشهد أنك رسول الله ، هذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان ، فالحمد لله الذي هداني للإسلام ، فقال رسول الله ﷺ

(١) في الروض الأنف ( أفاء عليكم ) .

(٢) خشبة محددة الطرف تدخل في عروقي الجوالقين لتجتمع بينهما عند حملهما على البعير ، علي ما في ( النهاية في غريب الحديث ) .

ﷺ ( فقهوا أحكام في دينه وعلموه القرآن وأطلقوا له أسيره ) ففعلوا ، فقال : يا رسول الله كنت شديد الأذى للمسلمين وأحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعو إلى الله تعالى وأؤذى الكفار من قريش كما كنت أؤذى أصحابك ، فأذن له ، فكان صفوان يقول : ابشروا بوقعة تأتاكم الآن الآن تدسيكم ووقعة بدر .

فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الله تعالى ، فأسلم معه ناس كثير .

وقدم مكرز بن حفص بن الأخيف (١) في فداء سهيل بن عمرو ، وكان رسول الله ﷺ شاور أبا بكر وعمر وعلياً في الأسرى ، فأشار أبو بكر بالفداء ، وأشار عمر بالقتل ، قال رسول الله ﷺ إلى الفداء (٢) فأنزله الله تعالى ( ما كان لنبي أن يكون له أسرى (٣) ) إلى قوله ( لمسلمكم فيما أخذتم عذاب عظيم ) .

(١) في الظاهرية ( الأحنف ) وهو تصحيف صحخته من الاحمدية وتاريخ الطبري ٢ / ٤٠٢ .

(٢) رأى الرسول صلى الله عليه وسلم كان معروفاً ، يعرفه كل من عرف رسول الله وعرف طابعه ، وعرف صلة هذا الطابع بطابع الرسالة الإسلامية ، انه أخذ الفدية . وهذا الاتجاه لرفيق الغار أيده الله سبحانه ، بل زاد عليه حينما خير رسوله فيما بعد بأنه إذا وضعت الحرب أوزارها : له أن يمن وله أن يأخذ الفداء ( فيما منّا بعد ولما فداء ) وقبل بدر أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم الفداء ، وذلك في سرية عبد الله بن جحش . . ( من كتاب القرآن والنبي لمولانا الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود ) .

(٣) ليس المراد أنه لا يصلح أن تقع في يد النبي أسرى ، لأن أخذ الأسرى من شؤون الحرب ، فلا يعقل أحد نفيه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فتعين أن المراد نفي أثره . والرسول عليه الصلاة والسلام غير معاتب لأنه إنما أخذ برأي الجمهور حيث قال للمسلمين : ( ما ترون في هؤلاء الأسارى ) والخطاب موجه =



وكان الأسرى سبعين ، فقتل من المسلمين عقوبة بالمفسادة يوم أحد سبعون<sup>(١)</sup> ، وكسرت رباغية النبي ﷺ وهشمت البيضة على رأسه وسال الدم على وجهه ، وانهمزم أصحابه .

وكان جميع من قتل من المسلمين بيد أربعة عشر رجلا : ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار .

ورد رسول الله ﷺ جماعة استصغروهم : منهم عبدالله بن عمر<sup>(٢)</sup> ورافع ابن خديج ، والبراء بن عازب ، وزيد بن ثابت ، وأسيد بن ظهير<sup>(٣)</sup> .

== للمسلمين الذين أشاروا بالفداء . وأبو بكر لما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند الاستشارة : قومك وأهلك استبقهم لعل الله أن يتوب عليهم ، ونخذ منهم فدية تقوى بها أصحابك ، نظر إلى مصلحة دينية لحاجتهم إلى المال . ورجع النبي أخذ الفداء باجتهاد ، وقد أصاب الاجتهاد ، فإنه قد أسلم منهم حينئذ سهيل بن بيضاء وأسلم من بعد العباس وغيره . ( من تفسير التحرير والتنوير ٧٤/١٠ )

(١) قال ابن العربي في المعارضة : روى عبيدة السلماني عن علي أن جبريل أتى رسول الله يوم بدر يخبره بين أن يقرب الأسارى فيضرب أعناقهم أو يقبلوا منهم الفداء ويقتل منكم في العام المقبل بعدتهم ، فقال رسول الله : ( هذا جبريل يخبركم أن تقدموا الأسارى وتضربوا أعناقهم أو تقبلوا منهم الفداء ويستشهد منكم في العام المقبل بعدتهم ) فقالوا : يا رسول الله فخذ الفداء فتقوى على عدونا ويقتل منا في العام المقبل بعدتهم ، ففعلوا .

( من تفسير التحرير والتنوير للشيخ الطاهر بن عاشور ٧٣/١٠ )

(٢) في بعض المراجع ( عمرو ) والصواب ما في نصنا وهو موافق لما ورد في ( مجمع الزوائد ١٠٨/٦ )

(٣) في بعض المراجع ( سهند ) والصواب ما في نصنا .

وضرب رسول الله ﷺ ثمانية نفر بسهم في الأنفال لم يشهدوا الواقعة :  
 منهم عثمان بن عفان ، كان قد تخلف على زوجته رقية لمرضها ، وطلحة بن عبيد  
 الله ، وسعيد بن زيد ، كان قد أرسلهما رسول الله ﷺ يتجسسان خبر العير ،  
 وأبو لبابة خلفه على المدينة ، وعاصم بن عدى خلفه على العالية ، والحارث  
 ابن حاطب رده إلى بني عمرو بن عوف لشيء بلغه عنهم ، والحارث بن الصمة (١)  
 كسر بالروحاء ، وخوات بن جبير كسر أيضا ، وفي بدر انتقل سيفه ذا الفقار  
 وكان لمنبه بن الحجاج ، فوهبه لعل .

#### غزوة بني قينقاع

ولما عاد رسول الله ﷺ من بدر أظهرت يهود له الحسد بما فتح الله  
 عليه ، ونقضوا العهد ، وكان قد وادعهم حين قدم المدينة مهاجرا ، فلما بلغه  
 حسدهم جمعهم بسوق بني قينقاع فقال لهم : ( احذروا مثل ما نزل به قریش  
 وأسلموا فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل ) فقالوا : يا محمد لا يغرنك أنك لقيت  
 قوما لا علم لهم بالحرب وأصبحت منهم فرصة .

وكانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبينه ، فبينما هم على مجاهرتهم وكفرهم  
 إذ جاءت امرأة مسلمة إلى سوق بني قينقاع جلست عند صائغ لأجل حل  
 لها ، فجاء رجل منهم فخل ذيل درعها (٢) إلى ظهرها وهي لا تشعر ، فلما قامت  
 بدت عورتها فضحكوا منها ، فقام إليه رجل من المسلمين فقتله ، فنبذوا  
 العهد إلى رسول الله ﷺ ، وتحصنوا في حصونهم ، فغزاهم رسول الله ﷺ  
 وخصرهم خمس عشرة ليلة ، فزلوا على حكمه فسكرتوا وهو يريد قتلهم ، وكانوا

(١) في الظاهرية ( الصمد ) في موضع ( الصمة ) والتصحيح من الاحمدية  
 وتاريخ ابن كثير ( البداية والنهاية )

(٢) يمتى قبضها .

حلفاء الخزرج ، فقام إليه عبد الله بن أبي ابن سلول (١) فكلّمه فيهم ، فلم يجبه فأدخل يده في جيب رسول الله ﷺ فرأى الغضب في وجه رسول الله ﷺ فقال : ( ويحك أرسلني ) قال : لا أرسلك حتى تحسن إلى موالي : أربعائة حاسر وثلاثمائة دارع (٢) قد منعوني من الأحمر والأسود ، وإني والله أخشى الدوائر فقال النبي ﷺ ( خلوهم لعنهم الله ولعنه معهم ) وأجلاهم ، وغنم رسول الله ﷺ والمسلمون ما كان لهم من أموال ، ولم يكن لهم أرضون إنما كانوا صاغة ، وكان الذي تولى إخراجهم عبادة بن الصامت الأنصاري ، فبلغ بهم ذباب (٣) ثم ساروا إلى أذرعات (٤) من أرض الشام فلم يلبثوا أن هلكوا .

وكان قد استخلف على المدينة أبا لبابة .

وكان لواء رسول الله ﷺ مع حمزة ، وقسم الغنيمة بين أصحابه وخمسها وكان أول خمس أخذه رسول الله ﷺ في قول .

وحضر الأضيى نخرج إلى المصلى وصلى بالمسلمين .

وكانت الغزوة في شوال بعد بدر ، وقيل كانت في صفر سنة ثلاث ، وجعلها ابن إسحاق بعد غزوة الكدر .

\* \* \*

- 
- (١) ( ابن ) هنا تسكتب بألف لأن ( سلول ) هي أم ( عبد الله ) .
- (٢) الدارع : هو لابس الدرع . والحاسر : هو من لا درع له .
- (٣) ذباب بكسر المذال المعجمة وباءين موحدين . هكذا قيده ابن الأثير في تاريخه ( السكامل ) وفي الظاهرية ( دياب ) وهو تصحيف .
- (٤) بالفتح ثم السكون وكسر الراء : بلد في حوران من سوربة جعوب دمشق .

## غزوة الكدر

قال ابن إسحاق : كانت في شوال سنة اثنتين ، وقال الواقدي : كانت في المحرم سنة ثلاث ، وكان قد بلغ رسول الله ﷺ اجتماع بنى سليم على ماء لهم يقال له ( الكدر ) فسار رسول الله ﷺ إلى الكدر فلم يلق كيدا ، وكان لواؤه مع علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، وعاد ومعه النعم والرعاء (١) .

وبعد قدومه أرسل غالب بن عبد الله الليثي في سرية إلى بنى سليم وغطفان فقتلوا فيهم وغنموا النعم ، واستشهد من المسلمين ثلاثة .  
( الكدر ) بضم الكاف وسكون الدال المهملة .

## غزوة السويق

كان أبو سفيان قد نذر بعد بدر أن لا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً ﷺ ، فخرج في مائتي راكب من قریش حتى جاء المدينة ليلاً ، واجتمع بسلام بن مشكم سيد بنى النضير ، فعلم منه خبر الناس ، ورجع في ليلته فبعث رجلاً من قریش إلى المدينة فأثروا العريض (٢) فخرقوا في نخلها وقتلوا رجلاً من الأنصار وحليفاً (٣) ، واسم الأنصاري معبد بن عمرو ، وعاد ورأى أنه قد بر في يمينه ، وجاء الصريح فركب رسول الله ﷺ وأصحابه فأعجزهم .

(١) في الاحمدية ( الرعاء ) وهو تصحيف .

(٢) في النسختين ( العريض ) وهو تصحيف . والعريض : واد بالمدينة .

(٣) في الظاهرية ( حليفاً ) وهو سهو ، والتصحيح من الاحمدية والروض الأنف ، لأنهم قتلوا رجلين . وفي ( طبقات ابن سعد ٢ / ٣٠ ) أن الحليف هو أجيير للأنصاري .

وكان أبو سفيان وأصحابه يلقون جرُب السويق (١) يتخفون (٢) بها ،  
وكان ذلك عامة زادهم ، فسميت ( غزوة السويق ) ، ولما رجع رسول  
الله ﷺ والمسلمون قالوا : يا رسول الله أنطمع أن تكون لنا غزوة ؟ قال  
( نعم ) . وقال أبو سفيان بمكة وهو يتجهز :

كروا على يثرب وجَمِّعِهِمْ فَإِنْ مَا جَمَعُوا لِكُلِّ نَفْلٍ  
إِنْ يَكْ يَوْمَ الْقَلِيبِ كَانَ لَهُمْ فَإِنْ مَا بَعْدَهُ لَكُمْ ذُولُ  
آلَيْتِ لَا أَقْرَبَ النَّسَاءِ وَلَا يَمَسُ رَأْسِي وَجِلْدِي الْغَسَلُ  
حَتَّى تَبِيدُوا (٣) قِبَائِلَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرجَ إِنْ الْفُؤَادُ يَشْتَعِلُ (٤)

فأجابه كعب بن مالك الأنصاري رضى الله عنه :

يا لطف أم المسبحين (٥) على جيش ابن حرب بالحرة الفشل  
يطارحون الرجال من سُم الطير ر ترقى (٦) لقنة الجبل  
جاءوا بجمع لو قيس مبركة ما كان إلا كفحص الدئل  
عار من النصر (٧) والثراء ومن أبطال أهل البطحاء والأسل

وقيل إن علي بن أبي طالب دخل بفاطمة رضى الله عنهما في شوال من  
هذه السنة .

- 
- (١) السويق : قحح أو شعير أو غيرهما من الحبوب يقلى ثم يطحن ليلف ،  
على ما في ( تذكرة الشيخ داود الأنطاكي ) والسيرة الحلبية .  
(٢) للنجاء ، على ما في ( تاريخ الإسلام للذهبي ) .  
(٣) في ( تاريخ الطبري ٤٨٤/٢ ) تبيرا .  
(٤) في المصدر نفسه ( مشتعل ) .  
(٥) في النسختين ( المسمحين ) وللتصحيح من المصدر نفسه .  
(٦) في النسختين ( ويرقى ) والتصحيح من تاريخ الطبري .  
(٧) في النسختين ( النضر ) والتصحيح من المصدر نفسه .

ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان

فيها استشهد ببدر مع رسول الله ﷺ عبيدة بن الحارث بن المطلب (١) وعمر بن أبي وقاص ، وسعد بن خيشمة من الأوس ، وذو الشمالين بن عبد عمرو بن نضلة الخزاعي حليف بني زهرة ، ومبشر بن عبد المنذر من بني عمرو ابن عوف ، وعافل بن البكير اللثي ، ومهناج مولى عمر بن الخطاب ، وصفوان بن بيضاء السفهرى ، ويزيد بن الحارث من الخزرج ، ورافع بن المعلى ، وحارثة (٢) بن سراقه ، وعوف ، ومعوذ ابننا عفراء رضي الله عنهم .

ومن مشاهير قتل المشركين

حنظلة بن أبي سفيان قتله زيد بن حارثة ، وعبيدة بن سعيد بن العاص ، قتله الزبير ، وأخوه العاص بن سعيد قتله على بن أبي طالب . وعتبة وشيبة ابنا ربيعة . والوليد بن عتبة . وعقبة بن أبي معيط ، قتله عاصم بن ثابت صبراً وقيل قتله على بن أبي طالب . والحارث بن عامر بن نوفل قتله على ، وطعيمة ابن عدي ، قتله حمزة ، وزمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، وابنه الحارث ابن زمعة ، وأخوه عقيل بن الأسود ، وأبو البختري العاص بن هشام ، ونوفل ابن خويلد ، قتله على وقيل الزبير ، والنضر بن الحارث قتل صبراً بالصفراء . وعمر بن عثمان عم طلحة بن عبيد الله ، وأبو جهل بن هشام ، ومسعود بن أبي أمية المخزومي أخو أم سلمة ، وأبو قيس بن الوليد أخو خالد بن الوليد ،

(١) في النسختين (عبد المطلب) والتصحيح من جوامع السيرة وتاريخ الطبرى وتاريخ خليفة بن خياط .

(٢) في النسختين (والحارث) والتصحيح من (الثمره البهية في الصحابة البدريه للعارف بالله الشيخ محمد الحنفى شيخ الأزهر) وتاريخ خليفة بن خياط .

وأبو قيس بن الفاكه (١) بن المغيرة ، والسائب بن أبي السائب المخزومي ، وقد قيل لم يقتل يومئذ وأسلم بعد ذلك ، ومنبه ونيه ابنا الحجاج بن عامر السهمي والعاص والحارث ابنا منبه بن الحجاج ، وأميه بن خلف الجحى ، وابنه علي ، وأسر مالك بن عبيد الله أخو طلحة فسات أسيرا ، وحذيفة بن أبي حذيفة ابن للمغيرة ، وأخوه هشام وغيرهم .

وفيها هلك أبو هلب عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم . وكان سبب هلاكه أنه لما جاء الخبر عن مصاب قریش بدر قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب ، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت فأسلم العباس وأسلمت أم الفضل وأسلمت أنا ، وكان العباس يهاب قومه ويسكره خلافهم فكان يكره إسلامه ، وكان ذا مال ، فلما جاء الخبر بكسرة قریش بدر كنت رجلاً ضعيفاً أعمل الأقداح أنحتها في حجرة زمزم ، فوالله إنى لجالس فيها أنعمت أقداحى وعندى أم الفضل جالسة ، وقد سرنا ما جاءنا من الخبر إذ أقبل أبو هلب يجر رجله بشر ، حتى جلس على طنب الحجرة فكان ظهره إلى ظهري ، فبينما هو جالس إذ قدم أبو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب فقال له أبو هلب : هلم إلى يابن أخى فعندك الخبر (٢) ، قال : والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمحنهم أكتافنا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاءوا .

وايم الله مع ذلك ما ملت الناس ، لقينا رجال بيعض على خيل بلق بين السماء والأرض لا يقوم لها شيء ، قال أبو رافع فرفعت طنب الحجرة بيدي

(١) في النسختين ( قيس بن الفاكه ) والتصحيح من سيرة ابن هشام وجوامع السيرة لابن حزم .

(٢) لم يشهد أبو هلب بدرأ ، لأن رؤيا أخته عاتكة في مهلك أهل بدر ثبتته عن ذلك ، على ما في ( سير أعلام النبلاء للذهبي ١٩٥/٢ ) .

( ١٩ — أول عيون التواريخ )

ثم قلت : تلك والله الملائكة (١) قال فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة فتاورته فاحتلمني فضرب بي الأرض ثم برك على يضرني ، فقامت أم الفضل إلى عمود فضربت به ضربة فلقت في رأسه فتحة منكرا ، وقالت : استضعفته أن غاب عنه سيده ، فقام مولياً ذليلاً ، فلم يلبث إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتلته .

قال محمد بن جرير الطبري في تاريخه : إن العدسة قرحة كانت العرب تشاءم بها ، ويرون أنها تعدى أشد العدوى ، فلما أصابت أبا لهب تباعد عنه بنوه ، وبقي بعد موته ثلاثاً لا يقربه أحد ، فلما خافوا السبة في تركه حفروا له ثم دفعوه بعود في حفرة ، وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه .

وفيها توفي عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة (٢) بن جمح الجمحي ، أسلم قديماً بعد ثلاثة عشر رجلاً ، وهاجر الهجرتين وشهد بدر ، وكان أول رجل مات بالمدينة من المهاجرين بعد ما رجع من بدر ، ولما دفن قال رسول الله ﷺ ( نعم السلف لنا عثمان بن مظعون ) وعلم قبره بحجر (٣) ،

(١) قال تعالى ( إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني مدم بألف من الملائكة مردفين ) . — سورة الأنفال ، ٩ — قال الشيخ زاهد الكوثري عليه رحمة الله : وأما العدد المذكور في سورة آل عمران من الثلاثة الآلاف والخمسة الآلاف فلا دليل على إنزاله في نص الكتاب يوم بدر ، ولا على عدم إنزاله كما يقول ابن جرير ، فصار مثار خلاف من غير حجة ظاهرة . فالعدد الأول مقرون بالاستفهام الاستنكاري فلا يدل على الوقوع ، والعدد الثاني مشروط بشرطين لم يتحقق أحدهما جزواً ، فتعين أن الإمداد يوم بدر كان بألف من الملائكة . من مقدمة ( الثرة البهية في الصحابة البدوية لشيخ الأزهر العارف بالله الشيخ محمد الحفني رضي الله عنه ) .

(٢) في الأحمدية ( حذافة ) وهو تصحيف .

(٣) لما دفن النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن مظعون قال لرجل : ( هلم تلك



وكان يزوره . وكان عابداً مجتهداً من فضلاء الصحابة ، وكان هو وعلى ابن أبي طالب وأبو ذر رضى الله عنهم قد هموا بأن يختصوا فنيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، ونزلت فيهم ( ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا (١) ) الآية . وهو أحد من حرم الخمر في الجاهلية وقال : لا اشرب شراباً يذهب عقلي ويضحك بي من هو أدنى مني .

وقالت امرأته ترثيه :

يا عين جودى بدمع غير ممنون      على رزية عثمان بن مظعون  
على امرئ بات في رضوان خالقه      طوبى له من فقيد الشخص مدفون  
طاب البقيع به سكنى وغرقده      وأشرق أرضه من بعد تفنين  
وأورث القلب حزناً لا انقطاع له      حتى المات ولا يرقى له شون  
وفيهالولد المستور بن مخزومة ، وعبد الله بن الزبير ، ومروان بن الحكم ،  
والنعمان بن بشير الأنصارى .

#### السنة الثالثة من الهجرة

في المحرم سمع رسول الله ﷺ أن جمعاً من بني ثعلبة بن سعد (٢) بن ذبيان

==الصخرة فاجعلها عند قبر أخى أعرفه بها ، أدفن إليه من دفنت من أهلى .  
فقام الرجل فلم يطقها ، فقال — يعنى الذى حدثه — فلما كأنى أنظر إلى ساعدى  
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين احتملها حق وضعها عند قبره . هذا حديث  
مرسل أورده الحافظ الذهبي في ( سير أعلام النبلاء ١/ ١١١ ) .

(١) سورة المائدة ، الآية ٩٣ .

(٢) سقط من الظاهرية ( بن سعد ) والاستدراك من الاحمدية وتاريخ  
ابن الأثير .

وبنى محارب (١) تجمعوا ليصيبوا من أطراف المدينة ، فسار إليهم في أربعمائة وخمسين رجلاً ، فلما صار بذى القصة لقي رجلاً من ثعلبة فدعاه إلى الإسلام فأسلم ، وأخبره أن المشركين أتاها خبره فهربوا إلى رؤوس الجبال ، فعاد ولم يلق كيدا . وكان مقامه اثنتي عشرة ليلة .

وفيها في جمادى الأولى غزا بني سليم ببحران (٢) . وسبب هذه الغزوة أن جمعاً من بني سليم تجمعوا ببحران من ناحية الفرع ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فسار إليهم في ثلاثمائة ، فلما صار إلى بحران وجدهم قد تفرقوا ، فانصرف ولم يلق كيدا ، فكانت غيبته عشر ليال . واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم .

بحران بالباء الموحدة والحاء المهملة الساكنة .

#### هقتل كعب بن الأشرف

وفي هذه السنة قتل كعب بن الأشرف اليهودي ، وهو أحد بني نهبان من طيء ، وكانت أمه من بني النضير ، وكان قد كبر عليه قتل من قتل يبرر من قريش ، فسار إلى مكة وحرض على رسول الله ﷺ وبكى أصحاب بدر وكان يشجب بنساء المسلمين حتى آذاهم ، فلما عاد إلى المدينة قال رسول الله ﷺ ( من لي بابن (٣) الأشرف ) ؟ فقال محمد بن مسلمة الأنصاري : أنا لك به ، أنا أقتله ، قال : ( فافعل إن قدرت على ذلك ) . قال يا رسول الله : لا بد لنا ،

(١) سقطت من الظاهرية ( وبني محارب ) والاستدراك من الإجمدية وتاريخ ابن الأثير .

(٢) بحران : قيده ابن الفرات بفتح الباء كالعمراني والوخشري . وبالضم رواية عن بعضهم ، على ما في تاج العروس للزبيدي ، ومعجم البلدان .  
(٣) في الإجمدية وتاريخ الطبري ( من لي من ابن ) .

ما نقول ، قال : ( قولوا ما بدا لكم فأنتم في حل من ذلك ) فاجتمع محمد بن مسلمة وسادكان بن سلامة بن وقش وهو أبو نائلة ، والحارث بن أوس ابن معاذ وكان أخا كعب من الرضاعة ، وعباد بن بشر ، وأبو عبيس بن جبر (١) ثم قدموا إلى ابن الأشرف أبا نائلة ، فجاءه فتحدث معه ، ثم قال له : يا ابن الأشرف إني قد جئتكم لحاجة فاكتمها علي ، قال : أفعل ، قال : كان قدوم هذا الرجل بلاءً ، عادتنا العرب وانقطعت عنا السبل حتى ضاع العيال وجهدت الأنفس ، فقال كعب : كنت قد أخبرتك بهذا . قال أبو نائلة : وأريد أن تبيعنا طعاماً وزهرك ونوثق لك ونحسن في ذلك ، قال : ترهونوني أبناءكم ، قال : أردت أن تفضحنا ، إن معي أصحاباً علي مثل رأيي تبيعهم وتحسن ، وزهرك من الحلقة ما فيه وفاء ، وأراد أبو نائلة بذكر الحلقة — وهي السلاح — ان لا ينكر السلاح إذا جاء مع أصحابه ، فقال كعب : إن في الحلقة لوفاء .

فرجع أبو نائلة إلى أصحابه وأخبرهم ، فأخذوا السلاح وساروا إليه ، وشيعهم النبي ﷺ إلى بقيع الغرقد (٢) ودعا لهم ، فلما انتهوا إلى حصن كعب ابن الأشرف هتف به أبو نائلة — وكان كعب قريب عهد بعرس — فوثب إليهم وتحدث معهم ساعة ، وساروا معه إلى شعب العجوز (٣) .

ثم إن أبا نائلة أخذ برأس كعب وشم يده وقال : ما رأيت كالليلة طيب عطر قط ، ثم مشى ساعة ، وعاد لثلبها حتى اطمأن كعب ، ثم مشى ساعة وأخذ بفود (٤) رأسه ثم قال : اضربوا عدو الله ، فاختلفت عليه أسياقهم فلم تغن

(١) هذا العلم مصحف في النسختين ، فصحيحته من ( جوامع السيرة لابن حزم ) .

(٢) هو مقبرة المدينة المنورة .

(٣) بظاهر المدينة ، على ما في ( معجم البلدان ) .

(٤) الفود : معظم شعر الرأس مما يلي الأذن . وفي ( تاريخ الطبري

شيئا . قال محمد بن مسلمة فذكرت مغولا<sup>(١)</sup> في سيفي فأخذته ، وقد صاح عدو الله فلم يبق حولنا حصن حتى أوقدت عليه نار ، فوضعت مغولي في نندوته<sup>(٢)</sup> ثم تحملت عليه حتى بلغ عاتقه ، فوقع عدو الله .

وقد أصيب الحارث بن أوس بن معاذ ، أصابه بعض أسيافا . قال : نخرجنا على بعث ، وقد أبطأ علينا صاحبنا ، فوقفنا له ساعة وقد نزع الدم ثم أتانا فاحتمناه وجئنا به رسول الله ﷺ وأخبرناه بقتل عدو الله فتغل على جرح صاحبنا ، وعدنا إلى أهلنا فأصبحنا وقد خافت يهود ، فليس بها يهودى إلا وهو يخاف على نفسه .

وقال رسول الله ﷺ : ( من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه ) فوثب حيصة بن مسعود على ابن ستينة اليهودى وهو من تجار يهود فقتله وكان يبايعهم ، فقال له أخوه حويصة وهو مشرك : يا عدو الله قتلته ، أما والله لرب شتم فى بطنك من ماله ، ثم ضربه ، فقال له حيصة : أمرنى بقتله من لو أمرنى بقتلك لقتلتك ، فقال : إن ديناً بلغ بك ما أرى لعجب . ثم أسلم .

وفى ربيع الأول من هذه السنة تزوج عثمان بن عفان أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ ودخل بها فى جمادى الآخرة .

( ٤٩٠/٢ ) : ( بفردى رأسه ) قال فى تاج العروس : لإذا كان للرجل ضفيرتان يقال : الرجل فودان .

( ١ ) المغول : شبه سيف قصير ، وقيل هو حديدة دقيقة لها حد ماض وقفا ، وقيل هو سرط فى جوفه سيف دقيق يشده الفاتك على وسطه . كما فى ( النهاية فى غريب الحديث ) .

( ٢ ) محرفة فى النسختين ، والتصحيح من هامش الأحمدية ومن تاريخ الطبرى والشندونان الرجل كالشدين للمرأة ، فمن ضم الشاء همز ومن فتحها لم يميز . وفى بعض المصادر ( ثلثه ) والثنى : ما بين السرة والعانة .

وفيها ولد السائب بن يزيد .

وقال الواقدي : فيها غزا رسول الله ﷺ غزوة أنمار .

وفيها كانت ( غزوة القردة ) وكان أميرها زيد بن حارثة ، وهي أول سرية خرج فيها زيد أميراً .

وكان من حديثها أن قريشاً خافت طريقها التي كانت تسلك إلى الشام بعد بدر ، فسلكوا طريق العراق ، فخرج منهم جماعة فيهم صفوان بن أمية وأبو سفيان بن حرب ، وكان معظم تجارتهم الفضة ، وكان دليلهم فرات ابن حيان من بكر بن وائل ، فبعث رسول الله ﷺ زيدا فلقاهم على ماء يقال له القردة<sup>(١)</sup> فأصاب العير وما فيها ، وأعجزه الرجال ، فقدم بها على رسول الله ﷺ .

وكان الخمس عشرين ألفاً ، وقسم الأربعة أخماس على السوية ، وأتى بفرات ابن حيان أسيراً فأسلم ، فأطلقه رسول الله ﷺ .

القردة ماء يتجدد . وقد اختلف العلماء في ضبطه : فقليل فردة بالفاء المفتوحة والراء الساكنة . وبه مات زيد الخيل ويرد ذكره . وضبطوا قردة بالقاف في غير موضع .

### ذكر قتل أبي رافع

في هذه السنة في جمادى الآخرة قتل أبو رافع سلام بن أبي الحقيق اليهودي ، وكان يظاهر كعب بن الأشرف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قتل كعب بن الأشرف وكانت قتلته من الأوس قالت الخزرج : والله لا يذهبون بها علينا عند رسول الله ﷺ وكانا يتصاولان قصاويل الفحلين ، فتذاكر الخزرج من يعادي رسول الله ﷺ كابن الأشرف

(١) في الإحمدية هنا وفي المواضع الأخرى ( الفردة ) بالفاء .

فذكروا ابن أبي الحقيق وهو بخير، فاستأذنوا رسول الله ﷺ في قتله فأذن لهم، فخرج إليه من الخزرج عبد الله بن عتيك ومسعود بن سنان وعبد الله بن أنيس وأبو قتادة وخزاعي بن الأسود حليف لهم .

وأمر عليهم عبد الله بن عتيك<sup>(١)</sup>، فخرجوا حتى قدموا خيبر فأتوا دار أبي رافع ليلاً، فلم يدعوا باباً في الدار إلا أغلقوه على أهلها، وكان في عليمة، فاستأذنوا عليه فخرجت امرأته فقالت : من أنتم ؟ قالوا : ففر من العرب نائمس الميرة<sup>(٢)</sup>، قالت : ذاك صاحبكم فادخلوا عليه، فلما دخلوا أغلقوا باب عليمة وابتدروه على فراشه، فصاحت المرأة، فجعل الرجل منهم يريد قتلها فيذكر نهي النبي ﷺ إياهم عن قتل النساء والصبيان فيكفون عنها، وضربوه بأسيا ففهم، وتحامل عليه عبد الله بن أنيس بسيفه في طنه حتى أنقذه، ثم خرجوا من عنده .

وكان عبد الله بن عتيك سىء البصر فوقع من الدرجة فوثنت رجله وثأ<sup>(٣)</sup> شديداً، فاحتملوه واختفوا .

وطلبتهم يهود في كل وجه فلم يروهم، فرجعوا إلى صاحبهم، فقال المسلمون : كيف نعلم أن عدو الله قد مات، فعاد بعضهم ودخل في الناس فرآه والناس حوله وهو يقول لهم : قد عرفت صوت ابن عتيك، ثم صاحت امرأته وقالت : مات والله، قال : فما سمعت كلمة ألد في أذني منها، ثم عاد إلى أصحابه وأخبرهم الخبر، وسمع صوت الناعى يقول :

أنعى أباً رافع تاجر أهل الحجاز

(١) ونهاهم عن قتل النساء والصبيان . كما في (جوامع السيرة لابن حمزم ١٩٩) .

(٢) الميرة بالكسر : الطعام .

(٣) الوثء : وسم يصيب اللحم لا يبلغ العظم أو توجع في العظم . على ما في (القاموس المحيط) .

وساروا حتى قدموا على النبي ﷺ ، واختلفوا في قتله فقال النبي ﷺ :  
( هاتوا أسيافكم ) فجاءوا بها ، فنظر فيها فقال لسيف عبد الله بن أنيس :  
( هذا قتله أرى فيه أثر الطعام ) .

وقيل إن قتل أبي رافع كان في سنة أربع ، والله أعلم .  
سلام بتشديد اللام ، وتحقيق بضم الحاء المهملة وفتح القاف الأولى  
تصغير حق .

وفيهما تزوج رسول الله ﷺ حفصة بنت عمر بن الخطاب ، وكانت قبله  
تحت خنيس — بضم الخاء المعجمة وبالنون المفتوحة وبالياء المعجمة باثنتين  
من تحتها وبالسین المهملة — وهو ابن حذافة السهمي ، فتوفي عنها .

### وقعة أحد

وفيهما في شوال لسمع ليال خلون منه كانت وقعة أحد<sup>(١)</sup> وقيل للنصف منه  
وكان الذي هاجها وقعة بدر ، فانه لما أصيب من المشركين من أصيب مشى  
عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية وغيرهم عن أصيب  
آباؤهم ولاخوانهم بها ، فكلّموا أبا سفيان ومن كان له في تلك العير تجارة  
وسألوه أن يعينهم بذلك المال على حرب رسول الله ﷺ ليدركوا ثأرهم منه  
ففعّلوا ، وتجهّز الناس وأرسلوا أربعة نفر ، وهم : عمرو بن العاص وهبيرة  
ابن أبي وهب وابن الزبيري وأبو عزة الجحفي ، فساروا في العرب يستنقرونها<sup>(٢)</sup>  
فجمعوا جمعاً من ثميف وكنانة وأهل تهامة ، ودعا جبير بن مطعم غلامه وحشي

(١) سمي هذا الاسم لتوحيده وانقطاعه عن جبال آخر هنالك ، كما في  
( الروض الأنف ) .

(٢) معرفة في النسختين ، والتصحيح من ( عيون الأثر لابن سيد  
الناس ١/٢ ) .

( ٢٠ — أول عيون الزواريح )

ابن حرب - وكان حبشياً يقذف بالحربة قلباً يخطئ - وقال له : اخرج مع الناس ، فإن قتلت عم محمد بعمى طعيمة بن عدى <sup>(١)</sup> فأنت عتيق ، وخرجوا معهم بالظعن <sup>(٢)</sup> لثلاثاً يفرّوا .

وكان أبو سفيان قائد الناس فخرج بزوجه هند بنت عتبة بن ربيعة ، وغيره من رؤساء قريش خرجوا بدسائهم ، خرج عكرمة بن أبي جهل بزوجه أم حكيم بنت الحارث بن هشام ، وخرج الحارث بن هشام بن المغيرة بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة أخت خالد ، وخرج صفوان بن أمية ببرة بنت مسعود الثقفية أخت عروة بن مسعود وهي أم ابنه عبد الله بن صفوان ، وخرج عمرو ابن العاص بريطة <sup>(٣)</sup> بنت منبه بن الحجاج وهي أم ولده عبد الله بن عمرو ، وخرج طلحة بن أبي طلحة بسلافة بنت سعد .

وكان مع الدساء الدفوف يسكن قتل بدر وينجن عليهم ، يحرض بذلك المشركين ، وكان مع المشركين أبو عامر الراهب الأنصاري وكان قد خرج إلى مكة مباعداً لرسول الله ﷺ ومعه خمسون غلاماً من الأوس ، وقيل كانوا خمسة عشر ، وكان يعد قريشاً أنه لو لقي محمداً لم يتخلف عنه من الأوس وجلان .

فلما التقى الناس بأحد كان أبو عامر أول من لقي في الأحابيش <sup>(٤)</sup> ، فنادى : يا معشر الأوس أنا أبو عامر ، قالوا : فلا أنعم الله بك عيناً يا فاسق ، فقال : لقد أصاب قومي بعدى شر ، ثم قاتلهم قتالاً شديداً حتى راضخهم بالحجارة .

(١) سقط من الظاهرية ( بن عدى ) .

(٢) جمع ظعيمة ، كناية عن المرأة .

(٣) في النسختين ( رائطة ) . والتصحيح من تاريخ ابن جرير وابن الأثير والقاموس المحيط .

(٤) في الظاهرية ( الأحابيس ) وهو تصحيف . والأحابيش : جماعات من قبائل شتى . أنظر الروض الأنف والمعارف لابن قتيبة .



وكانت هند كلما مرت بوحي أو مر بها قالت له : أبادسمة اشف واشتف .  
وكان يكنى أبا دسمة .

فأقبلوا حتى نزلوا بعينين جبل بأحد<sup>(١)</sup> بيطن السبخة من قناة<sup>(٢)</sup> على شفير  
الوادي مما يلي المدينة ، فلما سمع بهم رسول الله ﷺ والمسلمون قال رسول  
الله ﷺ : ( إني رأيت بقرأ فأولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما ورأيت  
أنى أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة  
وتدعوهم فإن أقاموا أقاموا بشر وإن دخلوا علينا قاتلناهم بها ) . وكان رأى  
عبد الله بن أبي ابن سلول مع رأى<sup>(٣)</sup> النبي ﷺ يكره الخروج ، وأشار  
بالخروج جماعة ممن استشهد يومئذ .

وأقامت قريش يوم الأربعاء والخميس والجمعة ، وخرج رسول الله ﷺ  
حين صلى الجمعة ، فالتقوا يوم السبت نصف شوال .

فلما لبس رسول الله ﷺ سلاحه ندم الذين كانوا أشاروا بالخروج وقالوا  
استكبرنا<sup>(٤)</sup> رسول الله ﷺ وأشرنا عليه والوحي يأتيه ، فاعتذروا إليه  
وقالوا : اصنع ما شئت ، فقال : ( لا يلبغني لنبي أن يلبس لأمته<sup>(٥)</sup> ) فيضعها  
حتى يقاتل ( فخرج في ألف رجل ، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم .

فلما كان بين المدينة وأحد عاد عبد الله بن أبي ابن سلول بثلك الناس ، وكان

(١) لذلك يسمى يوم أحد ( يوم عينين ) . كما في معجم البلدان .

(٢) في النسختين ( قبا ) وهو تحريف ، على ما في تاريخ ابن جرير وابن الأثير  
ومعجم البلدان .

(٣) رأى ( ساقطة من الظاهرية ، فاستدركتها من الاحمدية وتاريخ  
السكامل لابن الأثير .

(٤) في الظاهرية ( استكبرنا ) وهو تحريف .

(٥) اللامة الدرع ، وقيل السلاح . كما في ( النهاية لابن الأثير ) وغيرها .

من تبعه من أهل النفاق والريب ، فاتبعهم عبد الله بن حرام أخو بني سلمة يذكرهم الله تعالى أن يخذلوا فيهم ، فقالوا<sup>(١)</sup> : لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم وانصرفوا فقال : أبعدكم الله أعداء الله فسيغنى الله عنكم .

وبقي رسول الله ﷺ في سبعمائة ، فسار في حرة بني حارثة وبين أموالهم فرمال لرجل من المنافقين يقال له مربع بن قيطى وكان ضريب البصر ، فلما سمع حس رسول الله ﷺ ومن معه قام يحشو التراب في وجوههم ويقول : إن كنت رسول الله فإني لا أحل لك أن تدخل حائطى ، وأخذ حفنة من تراب وقال : لو أعلم أنى لا أصيب بها غيرك لضربت بها وجهك ، فابتدروه ليعتلوه فقال النبي ﷺ : ( لا تفعلوا فهذا الأعمى القلب والبصر ) فضربه سعد<sup>(٢)</sup> بن زيد بقوس فشججه .

وسار رسول الله ﷺ حتى نزل بعدوة الوادى<sup>(٣)</sup> وجعل ظهر عسكره إلى أحد .

وكان المشركون ثلاثة آلاف ، منهم سبعمائة دارع<sup>(٤)</sup> ، والخييل مائتى فرس والظعن خمس عشرة امرأة .

وكان المسلمون مائة دارع ولم يكن من الخييل غير فرسين فرس لرسول الله ﷺ وفرس لأبي بردة بن نيار .

وعرض رسول الله ﷺ المقاتلة فرد زيد بن ثابت وعبد الله بن عمر<sup>(٥)</sup>

(١) فى النسختين ( فقال ) والتصحيح من تاريخ ابن جرير وابن الأثير .

(٢) فى النسختين ( سعيد ) والتصحيح من تاريخ ابن جرير وابن الأثير وجوامع السيرة .

(٣) أى جانبه .

(٤) فى الظاهرية فى الموضعين ( دارع ) وهو سهم .

(٥) فى الظاهرية ( عمير ) والتصحيح من الأحمديّة وتاريخ ابن الأثير وجوامع السيرة لابن حزم و ( عيون الأثر ٦/٢ ) .

وأسيد بن ظهير والبراء بن عازب وعمرارة بن أوس وأبا سعيد الخدري وغيرهم، وأجاز جابر بن سمرة ورافع بن خديج<sup>(١)</sup> .

وأرسل أبو سفيان إلى الأنصار يقول لهم : خلوا بيننا وبين ابن عمنا فتصرف عنكم فلا حاجة لنا بقتالكم ، فردوا عليه ما يسكرة .

وتعباً المشركون فجعلوا على ميمنتهم خالد بن الوليد ، وعلى يسرتهم عكرمة ابن أبي جهل ، وكان لواؤهم مع بني عبد الدار ، فقال لهم أبو سفيان : إنما يوثق الناس من قبل راياتهم فإذا أن تكفونا وإما أن تخلوا بيننا وبين اللوام ، يحرضهم بذلك ، فقالوا : ستعلم إذا التقينا كيف نصنع .

واستقبل رسول الله ﷺ المدينة وترك أحداً خلف ظهره ، وجعل وراءه الرماة وهم خمسون رجلاً ، وأمر عليهم عبد الله بن جبير أخا خوات بن جبير وقال له : ( انضح عنا الخيل بالنبل لا يأتونا من خلفنا وأثبت مكانك لأن كانت لنا أو علينا ) .

وظاهر رسول الله ﷺ بين درعين<sup>(٢)</sup> وأعطى اللوام مصعب بن عمير ، وأمر الزبير على الخيل ومعه المقداد .

وخرج حمزة بالجيش بين يديه ، وأقبل خالد وعكرمة ، فلقيهما الزبير والمقداد فهزما المشركين ، وحمل النبي ﷺ وأصحابه فهزموا أبا سفيان .

(١) كان صلى الله عليه وسلم استصغر رافعاً ، فقام على خفين له فيهما رقاع ، وأعطاه على أطراف أصابعه ، فلما رآه صلى الله عليه وسلم أجازته ، وكان صلى الله عليه وسلم قد رد سمرة بن جندب ، فقال مري بن سنان : يا رسول الله رددت ابني سمرة وأجرت رافع بن خديج ، وإني يصرعه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم ( تضارعا ) فصرع سمرة رافعاً ، فأجازته رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان سمرة ربيعاً لمري بن سنان .

(٢) أي لبس درعاً فوق درع .

وخرج طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين فقال : يا معشر أصحاب محمد إنكم تزعمون أن الله يعجلنا<sup>(١)</sup> بسيوفكم إلى النار ، فهل منكم أحد يعجله سيفي إلى الجنة أو يعجلني بسيفه إلى النار ؟ فبرز إليه علي بن أبي طالب فضربه على فقطع رجله ، وسقط وانكشف عورته ، فناشده الله ، فتركه ، فكبّر رسول الله ﷺ وقال لعلي : ( ما منعك أن تجهز عليه ) قال : ناشدني الله والرحم فاستحييت منه .

وكان بيد رسول الله سيفه فقال : ( من يأخذه بحقه ) فقام إليه رجال ، فأمسكه عنهم ، حتى قام إليه أبو دجانة فقال : وما حقه يا رسول الله ؟ قال ( تضرب به في وجه العدو حتى ينخني<sup>(٢)</sup> ) قال : أنا آخذه ، فأعطاه إياه ، وكان شجاعا ، وكان إذا علم رأسه بعصاة حمراء علم أنه يقاتل ، فعصب بها رأسه وأخذ السيف ، وجعل يتبخر بين الصفين ، فقال رسول الله ﷺ : ( إنها مشية ييغضها الله إلا في هذا الموطن<sup>(٣)</sup> ) فجعل لا يرتفع له شيء إلا حطمه ، حتى انتهى إلى نسوة في سفح جبل فهن امرأة تقول :

نحن بنات طارق  
نمشي على النمارق<sup>(٤)</sup>  
إن تقبلوا نعانق  
أو تدبروا نفارق  
فراق غير وامق<sup>(٥)</sup>

(١) (إن الله يعجلنا) ساقطة من الظاهرية ، فاستدركها من الإحمدية وتاريخ الطبري والسكامل لعز الدين بن الأثير .  
(٢) هكذا في عيون الأثر ( ٩/٢ ) وتاريخ الإسلام للذهبي ( الأول - المغازي ) وفي النسختين ( يشخن ) .

(٣) هكذا في الإحمدية وتاريخ ابن الأثير وتاريخ الإسلام للحافظ الذهبي ( الجزء الأول - المغازي ) والروض الأنف . وفي الظاهرية ( الموضع ) وهو موافق لما ورد في ( مجمع الزوائد للبيهقي ١٠٩/٦ ) .

(٤) التمرقة : الوسادة . وربما سموا الطنفسة التي فوق الرحل تمرقة ، على ما في ( لسان العرب ) .

(٥) أي غير محب .

وتقول أيضا :

أيها بنى عبد الدار      أيها حماة الأدبار  
ضرباً بكل بشار

فرفع السيف ليضربها ثم أكرم سيف رسول الله ﷺ أن يضرب به امرأة، وكانت المرأة هند بنت عتبة والنساء معها يضربن بالدفوف خلف الرجال يحرضن .

واقْتَتَلَ الناس قتالا شديدا ، وأمعن في الناس حمزة وعلي وأبو دجانة في رجال من المسلمين ، وأنزل الله نصره على المسلمين ، وكانت الهزيمة على المشركين .

وهرب النساء مصعدات في الجبل ، ودخل المسلمون عسكرهم يَنْهَبُونَ ، فلما نظر بعض الرماة إلى العسكر حين انكشف الكفار عنه أقبلوا يريدون النهب ، وثبتت طائفة ، وقالوا : نطيع رسول الله ﷺ ونثبت مكاننا ، فأنزل الله تعالى (منكم من يريد الدنيا — يعنى الغنيمة — ومنكم من يريد الآخرة <sup>(١)</sup>) يعنى اتباع أمر رسول الله ﷺ ، قال ابن مسعود : وما علمت أن أحداً من أصحاب النبي ﷺ يريد الدنيا حتى نزلت هذه الآية <sup>(٢)</sup> .

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٥٢ .

(٢) من أراد الغنيمة ليس هو مفرطاً في الآخرة مطلقاً ، فليس في هذا ما يدل على أن من أرادوا ثواب الدنيا قد ارتدوا عن الإيمان حينئذ ، إذ ليس الحرص على تحصيل فائدة دنيوية مع عدم الحرص على تحصيل ثواب الآخرة من ذلك العمل بدال على استخفاف بالآخرة ، وإنما سميت مخالفة من خالف أمر الرسول صلى الله عليه وسلم عصياناً مع أن تلك المخالفة كانت عن اجتهاد لا عن استخفاف إذ كانوا قالوا : إن رسول الله أمرنا بالشبات هنا لحماية ظهور المسلمين ، فلما نصر الله المسلمين فما لنا والوقوف هنا حتى تفرقتنا الغنائم . فكأوا متأولين . وإنما

فلما فارق بعض الرماة مكانه، ورأى خالد بن الوليد من بقي من الرماة حمل عليهم فقتلهم وحمل على أصحاب النبي ﷺ من خلفهم، فلما رأى المشركون خالدًا يقاتل تبادروا فشدوا على المسلمين فهزموهم وقتلوا فيهم.

وقد كان المسلمون قتلوا أصحاب اللواء، وبقي اللواء مطروحاً لا يدنو منه أحد، فأخذته عمرة بدت علقمة الحارثية فرفعته، فاجتمعت قريش حوله، وكان الذي قتل أصحاب اللواء على رضى الله عنه.

وكسرت ربيعة النبي ﷺ السفلى، وشقت شفته، وكلم في وجهه وجهته وعلاه ابن قينة<sup>(١)</sup> بالسيف، وكان هو الذى أصابه، وقيل أصابه عتبة بن أبى وقاص، وقيل عبد الله بن شهاب الزهرى<sup>(٢)</sup>.

وقيل إن عتبة بن أبى وقاص وابن قينة اللذين وأبى بن خلف الجمحي وعبد الله بن حميد الأسدى - أسد قريش - تعاقدوا على قتل النبي ﷺ، فأما ابن شهاب فأصاب جهته، وأما عتبة فرماه بأربعة أحجار فكسر رباعيته اليمنى وشق شفته، وأما ابن قينة فكلم وجهه وغيب خلق المغفر فيها وعلاه بالسيف فلم يقطع، وسقط رسول الله ﷺ فجحشت<sup>(٣)</sup> ركبته، وأما أبى ابن خلف فشد عليه بحربة، فأخذها رسول الله ﷺ وقتله بها، وقيل بل كانت حربة الزبير أخذها منه، وقيل أخذها من الحارث بن الصمة.

سميت هنا عصياناً لأن المقام ليس مقام اجتهاد، فإن شأن الحرب الطاعة للقائد من دون تأويل. من (تفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ١٢٩/٤).

(١) فى النسختين (قيمة) والتصحيح من (تاج العروس للزبيدي)، حيث ضبطه كسفية.

(٢) هو عم الفقيه محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى، كما فى (جوامع السيرة ١٦١).

(٣) أى انحدرت وانسحبت. كما فى (النهاية لابن الأثير).

وأما عبد الله بن حميد<sup>(١)</sup> فقتله أبو دجانة الأنصاري .

ولما جرح رسول الله ﷺ جعل الدم يسيل على وجهه وهو يسحبه ويقول : ( كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى الله ) ، وقاتل دونه خمسة نفر من الأنصار فقتلوا ، وترس<sup>(٢)</sup> أبو دجانة رسول الله ﷺ بنفسه فكان يقع النبل في ظهره وهو منحني عليه<sup>(٣)</sup> .

ورمى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله ﷺ فكان رسول الله ﷺ يناوله النبل ويقول : ( ارم فداك أبي وأمي ) .

وأصيب يومئذ عين قتادة بن النعمان فردها رسول الله ﷺ بيده فكانت أحسن عينيه ، وقاتل مصعب بن عمير ومعه لواء المسلمين حتى قتل ، قتله ابن قتيبة الليثي وهو يظن أنه رسول الله ﷺ ، ثم رجع إلى قريش وقال : قتلت محمدا ، فجعل الناس يقولون : قتل محمد قتل محمد .

ولما قتل مصعب بن عمير أعطى رسول الله ﷺ اللواء على بن أبي طالب وقاتل حمزة حتى مر به سباع بن عبد العزى فقال له حمزة : هلم إلى يابن مقطعة البظور ، وكانت أمه أم أثمار ختانة بمكة ، فلما التقيا ضربه حمزة فقتله ، فقال وحشي : والله إني لأنظر إلى حمزة وهو يهذ<sup>(٤)</sup> الناس بسيفه ، فهزئت حربي ودفعتها إليه فوقع في ثلثه<sup>(٥)</sup> وخرجت من بين رجله ، فأقبل نحوي فغلب

(١) في النسختين ( قتيبة ) بدل ( حميد ) والتصحيح من السياق ( وجوامع السيرة ١٧٣ ) وتاج العروس وغيرها .

(٢) في الأحمدية ( درس ) والتصحيح من الظاهرية و ( جوامع السيرة لابن حزم ١٦٢ ) وتاريخ عز الدين بن الأثير .

(٣) في الظاهرية ( عنه ) في موضع ( عليه ) وهو سهو ، على ما في الأحمدية وتاريخ ابن الأثير .

(٤) ألهذ : سرعة القطع .

(٥) الثنة : ما بين السرة والعانة من أسفل البطن ، وقد فسرت آنفا .

فوقع فأمهنته حتى إذا مات جثته فأخذت حربى ثم تنحيت عن العسكر ، ولم يكن لى بشىء حاجة غيره .

وقتل عاصم بن ثابت مسافع بن طلحة وأخاه بسهمين ، فحملا إلى أمهما وأخبراهما أن عاصماً قتلتما ، فذرت إن أمكنها الله تعالى من رأسه أن تشرب فيه الخمر ، وبرز عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق — وكان مع المشركين — وطلب المبارزة ، فأراد أبو بكر أن يبرز إليه فقال رسول الله ﷺ : ( أمتعنا بك ) .

وانتهى أنس بن النضر<sup>(١)</sup> عم أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب فى أناس من المهاجرين قد ألقوا<sup>(٢)</sup> بأيديهم ، فقال : ما يجلسكم ؟ قالوا : قتل النبى ﷺ قال فما تصنعون بالحياة بعده ، موتوا على ما مات عليه . ثم استقبل القوم حتى قتل فوجد به سبعون ضربة وطعنة ، فما عرفه إلا أخته عرفته بحسن بنائه .

وكان أول من عرف رسول الله ﷺ كعب بن مالك قال : فناديت بأعلى صوتى يا معشر المسلمين أبشروا ، هذا رسول الله ﷺ ، فلما عرفه المسلمون نهضوا نحو الشعب .

وكان قد أدركه أبى بن خلف وهو يقول : يا محمد لا نجوت إن نجوت ، فعطف عليه رسول الله ﷺ وطعنه بالحربة فى عنقه . وكان أبى يقول لرسول الله ﷺ بمكة : إن عندى لتهوداً أدلفه فى كل يوم فرقاً<sup>(٣)</sup> من ذرة

(١) فى النسختين ( النظر ) والتصحيح من تاريخ عزالدين بن الأثير وجوامع السيرة و ( تاريخ الطبرى ٥١٧/٢ ) .

(٢) فى الظاهرية ( أتوا ) فى موضع ( ألقوا ) والتصحيح من الأحمدية و ( تاريخ الطبرى ٥١٧/٢ ) .

(٣) الفرق بالتحريك — مكيال يسع ستة عشر رطلاً أو ثلاثة أصع عند أهل الحجاز ، وقيل غير ذلك — وأما الفرق — بالكون — فمائة وعشرون رطلاً . على ما فى ( النهاية ليجد الدين بن الأثير ) .



أقتلك عليه ، فيقول رسول الله ﷺ : ( بل أنا أقتلك إن شاء الله ) فلما رجع إلى قريش وقد خدشه رسول الله ﷺ خدشاً غير كبير قال : قتلني محمد ، قالوا : والله ما بك بأس ، قال : إنه قد كان قال لي : ( أنا أقتلك ) فوالله لو بصق عليّ لقتلني ، فمات عدو الله بسرف (١) .

وقاقتل رسول الله ﷺ يوم أحد قتالاً شديداً ، فرمى بالنبل حتى فنى نبله وانكسرت سية قوسه (٢) وانقطع وترها (٣) ولما جرح رسول الله ﷺ ، جعل على ينقل الماء في درقة من المهراس (٤) ويغسله ، فلم ينقطع الدم ، فأحرق حصيراً وجعل على الجرح من رماده فانقطع الدم .

ورمى مالك بن زهير الجشمي رسول الله ﷺ ، فاتقاه طلحة بيده ، فأصاب السهم خنصره ، وقيل رماه حبان (٥) بن العرسقة (٦) فشلت يده إلا السبابة والإبهام .

قال ابن إسحاق : والتقى حنظلة بن أبي عامر الغسيل وأبو سفيان ، فلما استعلى حنظلة رآه شداد بن الأسود قد علا أبا سفيان فضربه شداد فقتله

(١) موضع على ستة أميال من مكة أو أكثر .

(٢) السية : ما عطف من طرفي القوس ، وهما سيمان .

(٣) الوتر : ما يشد بين طرفي القوس . وفي الظاهرية ( وتره ) وهو تحريف .

(٤) الدرقة : الترس . والمهراس : حجر ضخم منقور لا تحمله الرجال

ولا يحركونه ، يملأونه ماء ، على ما في ( الإفصاح في فقه اللغة ) وفي ( الروض الأنف ) : وهم المبرد فجعل المهراس اسماً علماً للمهراس الذي بأحد خاصته ، وإنما هو اسم لكل حجر نقر فأمسك الماء .

(٥) في الظاهرية ( حباب ) وهو تصحيف صحته من الاحمدية و ( تبصير المنتبه في تحرير المشتبه للحافظ ابن حجر عليه رحمة الله ) .

(٦) هكذا ضبطها الحافظ في التبصير والفيروز آبادي في القاموس وقال : وقد تفتح الراء ، وهي أمه .

فقال رسول الله ﷺ : ( إن صاحبكم - يعني حفظة - لتغسله الملائكة )  
سئلت صاحبه فقالت : خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة فقال رسول الله ﷺ  
لذلك ( غسلته الملائكة ) .

ووقفت هند وصويحباتها على القتلى يمثلن بهم ، واتخذت هند من آذان  
الرجال وآنافهم خزماً<sup>(١)</sup> وقلائد ، وأعطت خزمها وقلائدها وحشياً ، وبقرت  
عن كبدة حمزة رضي الله عنه فلاكتها فلم تستطع أن تسيخها فلفظتها ، ثم علت  
على صخرة مشرفة وصرخت بأعلى صوتها وقالت :

نحن جزيناكم يوم بدر والحرب بعد الحرب ذات سُعرٍ  
ما كان لي عن عتبة من صبر ولا أخى وعمه وبكر  
شقيت نفسي وقضيت نذرى شقيت يا وحشى غليل صدرى  
فشكر وحشى على عمري حتى ترم أعظمى في قبرى

فأجابتها هند بدت أئانة بن عباد بن المطلب فقالت :

خزيت في بدر وبعد بدر يا بدت وقاع عظيم الكفر  
صبحك الله غداة الفجر منهاشيمين<sup>(٢)</sup> الطوال الزهر  
بكل قطاع حسام يفرى حمزة ليثى وعلى صقرى  
إذ رام شيب وأبوك غدري نقضيا منه ضواحي النحر  
ونذرك السوء فشر نذر

قال ابن إسحاق : ولما انهزم الناس عن رسول الله ﷺ انتهى بعضهم إلى

(١) كذا في النسختين ، وفي تاريخ ابن الأثير ( خدما ) وكلاهما معروف .

(٢) في النسختين ( بالهاشيمين ) والتصحيح من السيرة النبوية لابن هشام  
والروض الانف .

الْمُسْلِمِينَ<sup>(١)</sup> دون الأعوص ، وكان في المسلمين رجل يقال له قُزْمان ، وكان رسول الله ﷺ إذا ذكره يقول : ( إنه لمن أهل النار ) قال : فلما كان يوم أحد قاتل قتالا شديدا ، وقتل ثمانية من المشركين فأثبتته الجراحة ، فاحتمل إلى دار بني ظفر ، فجعل رجال من المسلمين يقولون : والله لقد أبليت اليوم<sup>(٢)</sup> يا قُزْمان فأبشر ، قال : بماذا أبشر ؟ والله إن قاتلت إلا عن أحساب قومي فلما اشتدت عليه جراحته أخذ سهماً من كنانته فقتل به نفسه .

ثم إن أبا سفيان حين أراد الانصراف أشرف على الجبل ثم صرخ بأعلى صوته : أفعمت فعال إن الحرب سجال يوم بيوم بدر أعْلُ هُبل ، أى اظهر دينك ، فقال رسول الله ﷺ : ( قم يا عمر فأجبه ) فقال : الله أعلى وأجل لا سواء قتلتنا في الجنة وقتلناكم في النار ، فقال : إن لنا العزى ولا عزى لكم ، فقال رسول الله ﷺ قولوا : ( الله مولانا ولا مولى لكم ) .

فلما أجاب عمر أبا سفيان قال له أبو سفيان : هلم إلى ياعمر ، فقال رسول الله ﷺ لعمر : ( اتنه فانظر ما شأنه ) فجاءه فقال أبو سفيان : أنشدك الله ياعمر أقتلنا محمداً ؟ فقال عمر : اللهم لا وإلنه ليسمع كلامك الآن ، قال : أنت أصدق عندي من ابن قبيصة وأبر ، لقول ابن قبيصة : إني قتلنا محمداً .

ثم نادى أبو سفيان : إن كان في قتلاكم مثل<sup>(٣)</sup> والله ما رضيت ولا سخطت وما نهيت ولا أمرت .

ولما انصرف أبو سفيان وأصحابه نادى : إن موعدكم بدر العام المقبل ،

(١) في الظاهرية ( المنتقى ) والتصحيح من الاحمدية ومعجم البلدان حيث قيده بالضم وتشديد القاف ، وقال : هو بين أحد والمدينة .

(٢) ( اليوم ) ساقطة من الظاهرية ، فاستدركتها من الاحمدية و ( تاريخ الطبرى ٢ / ٥٣١ ) .

(٣) جمع مثلة ، يعنى من نكل بهم ورشوهوا وقطعت بعض أعضائهم .

فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه : ( قل نعم هو والله <sup>(١)</sup> ) بينما وبينكم موعد ) .

ثم بعث رسول الله ﷺ علياً في أثرهم وقال : ( انظروهم فإن جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل فهم يريدون المدينة ، فوالذي نفسي بيده لئن أرادوها لأناجزنهم ) قال علي : فخرجت في أثرهم فامتطوا الإبل وجنبوا الخيل يريدون مكة .

واحتمل بعض الناس قتلاهم إلى المدينة ، فأمر رسول الله ﷺ بدفنهم حيث صرعوا ، وأمر أن يدفن الإثنان والثلاثة في القبر الواحد ، وأن يقدم إلى القبلة أكثرهم قرآناً ، وصلى عليهم ، وكان كلما أتى بشهيد جعل حمزة معه وصلى عليهما ، وقيل كان يجمع تسعة من الشهداء وحمزة عاشرهم فيصلى عليهم .

ولما دفن الشهداء أنصرف رسول الله ﷺ فلقبته كحمنة بذت جحش فدعى لها أخوها عبد الله بن جحش فاسترجعت واستغفرت ، ونعى لها خالها حمزة <sup>(٢)</sup> فاستغفرت له واسترجعت ثم نعى لها زوجها مصعب بن عمير فولوات وصاحت ، فقال رسول الله ﷺ : ( إن زوج المرأة منها بمكان ) .

ومر رسول الله ﷺ بدار من دور الأنصار فسمع البكاء والنوائح فذرفت عيناه بالبكاء وقال : ( لئن حمزة لا بواكي له ) فرجع سعد بن معاذ إلى دار بني عبد الأشهل وأمر نساءهم أن يذهبن فيسكنن على حمزة <sup>(٣)</sup> .

(١) لفظ الجلالة غير موجود في الظاهرية .

(٢) ابن عبد المطلب ، كما هو ظاهر .

(٣) فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء قال : ( ما هذا ؟ ) قال فأخبره ، فاستغفر لهم وقال لهم خيرا ، وقال : ( ما هذا أردت وما أحب البكاء ) ونهى عنه . كما في تاريخ الإسلام للحافظ الذهبي ( الجزء الأول — المغازي ) و ( البداية والنهاية ٤/٨٤ ) ولعله نهى عن ذلك لما جمعوا كل نائحة باكية كانت في المدينة .

ومر رسول الله ﷺ بامرأة من الأنصار قد أصيب أبوها وزوجها وأخوها وولدها ، فلما نعوها لها قالت : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالوا هو بحمد الله تعالى كما تحبين ، قالت : أرونيه ، فلما نظرت إليه قالت : كل مصيبة بعدك جلل (١) .

وكان رجوعه إلى المدينة يوم السبت بعد الواقعة .

### غزوة حمراء الأسد

لما كان الغد من يوم أحد أذن مؤذن رسول الله ﷺ بالغزو وقال : ( لا يخرج معنا إلا من حضر أمس ) فخرج ليظن الكفار به قوة ، وخرج معه بجماعة جرحى يحملون نفوسهم (٢) وساروا حتى بلغوا حمراء الأسد ، وهي من المدينة على سبعة أميال ، فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، ومر به معبد الخزاعي ، وكانت خزاعة مسلمهم ومشركهم عيمة (٣) ، نصح رسول الله ﷺ بتهامة ، وكان معبد مشركاً فقال : لقد عز علينا ما أصابك : ثم خرج من عند رسول الله ﷺ فلقى أبا سفيان ومن معه بالروحاء قد أجمعوا الرجعة إلى

(١) أي هينة ، ويكون في غير هذا بمعنى عظيم ، كما في (تاريخ الإسلام للذهبي) .  
(٢) لما انصرف المشركون قاصدين الرجوع لمسكة عن لهم في الطريق ندم وقالوا : لو رجعنا فاقترفنا آثار محمد وأصحابه ، فإننا قتلناهم ولم يبق إلا الغل والطريد فلم يرجع إليهم حتى نستأصلهم . وبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فندب المسلمين إلى لقاءهم فانتدبوا وكانوا في غاية الضعف ومثقلين بالجراحة ، حتى قيل إن الواحد منهم كان يحمل الآخر ثم ينزل المحمول فيحمل الذي كان حامله ، فقبض الله معبد بن أبي معبد الخزاعي وهو كافر . (تفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ١٢٥/٤) .

(٣) أي موضع نصحه ، وأصل العيبة : زبيل من آدم وما يجعل فيه الثياب كما في (القاموس المحيط) .

رسول الله ﷺ ليستأصلوا المسلمين برغمهم ، فلما رأى أبو سفيان معبداً قال : ما وراءك ؟ قال : محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله ، قد جمع معه من تخلف عنه ، وندموا على ما صنعوا ، وما ترحل حتى ترى نواصي الخيل ، قال : فوالله لقد أجمعنا الرجعة المستأصل بقيتهم ، قال : فإني أنهارك عن هذا ، فثنى <sup>(١)</sup> أبا سفيان ومن معه <sup>(٢)</sup> .

ومر بأبي سفيان ركب من عبد القيس فقال : بلغوا عنى محمداً رسالة وأحل لكم إيلكم هذه زيبياً بعكاظ ، قالوا : نعم ، قال أخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه ليستأصلهم ، فروا برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد فأخبروه ، فقال رسول الله ﷺ : ( حسبنا الله ونعم الوكيل ) ثم عاد إلى المدينة وظفر في طريقه بمعاوية بن المغيرة بن أبي العاص وبأبي عزة عمرو بن عبد الله <sup>(٣)</sup> الجمحي ، وكان قد تخلف عن المشركين بحمراء الأسد .

وكان أبو عزة قد أسر يوم بدر فأطلقه رسول الله ﷺ بغير فداء لأنه شكاً إليه فقرا ، فأخذ رسول الله ﷺ عليه العهود أن لا يقاتله ولا يعين على قتاله ، فخرج مع قريش يوم أحد وحرص على المسلمين ، فلما أسره رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا محمد أبوق على ، قال : ( المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين <sup>(٤)</sup> ) وأمر به فقتل .

وأما معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية ، وهو الذي جدع أنف

(١) في ( تاريخ الإسلام للذهبي ) : ( فثنى ذلك أبا سفيان ) .

(٢) لوقوع الرعب في قلوبهم .

(٣) ( عمرو بن عبد الله ) ساقطة من الظاهرية .

(٤) نص الشيخين البخاري ومسلم ( لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ) ورواه الإمام أحمد في المسند وأبو داود وابن ماجه .

حمزة رضى الله عنه ومثل به مع من مثل به فإنه كان قد<sup>(١)</sup> أخطأ الطريق فدخل على عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فلما رآه عثمان قال : أهلكنى وأهلك نفسك ، فقال معاوية : أنت أقربهم منى رحماً<sup>(٢)</sup> وقد جئتك لتجبرنى<sup>(٣)</sup> ، فأدخله عثمان داره ، وقصد رسول الله ﷺ ليشفع فيه ، فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ( إن معاوية بالمدينة فاطلبوه ) فأخرجوه من منزل عثمان وانطلقوا به إلى رسول الله ﷺ فقال عثمان : والذي بعثك بالحق ما جئت إلا لأطلب له أماناً ، فهبه لى ، فوهبه له وأجله ثلاثة أيام ، وأقسم لئن أقام بعدها ليمتتنه ، فجهره عثمان وقال له : ارتحل ، فأقام معاوية قريباً ليعرف أخبار النبي ﷺ ، فلما كان فى اليوم الرابع قال النبي ﷺ : ( إن معاوية أصبح قريباً ولم يبعد فاطلبوه ) فطلبه زيد بن حارثة وعمار بن ياسر فأدركاه بالجماء<sup>(٤)</sup> فقطعوا لاه .

وهذا معاوية هو جد عبد الملك بن مروان لأمه .

وفى هذه السنة ولد الحسن بن على فى النصف من شهر رمضان .

وفىها علمت فاطمة بالحسين رضى الله عنهما . وكان بين ولادتها وحملها خمسون يوماً .

وفىها دخل رسول الله ﷺ بحفصة ابنة عمر بن الخطاب ، وبزيد

(١) فى الظاهرية ( قد كان ) .

(٢) سقط من الظاهرية ( رحماً ) فاستدركتها من الاحمدية وقاربخ ابن الأثير .

(٣) فى الظاهرية ( لتجبرنى ) وهو تصحيف صحته من الاحمدية وقاربخ ابن الأثير .

(٤) جبل بالمدينة من ناحية العقيق إلى الجرف ( وفاء الوفاء للسهمودى ) و ( معجم البلدان )

بذت خزيمة العامرية أم المساكين ، فعاثت عنده نحو ثلاثة أشهر وتوفيت  
رضي الله عنها .

ذكر من توفي في هذه السنة من الاعيان

فيها استشهد حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، عم رسول  
الله ﷺ وأخوه من الرضاع ، أرضعتها ثوية الأسدية ، كان يكنى أبا عماره  
وأبا يعلى ، وكان أسن من رسول الله ﷺ بأربع سنين .

شهد بدرآ وأبلى فيها بلاء حسناً ، قتله وحشى بن حرب الحبشى مولى جبير  
ابن مطعم كما ذكرنا ، وكان عمره يوم قتل تسعاً وخمسين سنة ، ودفن هو وابن  
أخته عبد الله بن جحش في قبر واحد ، وقال رسول الله ﷺ : ( حمزة سيد  
الشهداء ولولا أن تجد صفيه <sup>(١)</sup> لتركته حتى يحشر من بطون الطير والسباع ) ولم  
يمثل بأحد ما مثل به ، قطعت هند كبده وجدعت أنفه وقطعت أذنيه وبقرت  
بطنه ، وقيل إن رسول الله ﷺ صلى على حمزة سبعين مرة ، كلما قدمت له جنازة  
صلى عليه معها .

وقال كعب بن مالك يرثى حمزة ، وقيل عبد الله بن رواحة :

بسكت عيني وحق لها بسكاها	وما يغنى البسكاه ولا العويل
على أسد الإله <sup>(٢)</sup> غداة قالوا	لحمزة ذاكم الرجل القسيم
أصيب المسلمون به جميعاً	هناك وقد أصيب به الرسول
أبا يعلى لك الأركان هدت	وأنت الماجد البر الوصول
عليك سلام ربك في جنسان	يخالطها نصيم لا يزول

(١) هي أخت سيدنا حمزة . ومن رحمة النبي ﷺ لإياها أنه لما جاءت يوم  
أحد معها ثوبان لتكفين حمزة كره أن ترى حمزة على حاله فبعث إليها الزبير  
يحبسها ، وأخذ الثوبين ، كما في ( سير النبلاء ) .

(٢) كان يقال لسيدنا حمزة ( أسد الله وأسود رسول الله ) على ما في الاسمها .



ألا يا هاشم الأخيار صبراً  
رسول الله مصطبّر كريم  
ألا من مبلغ عنى لؤيا  
وقبل اليوم ما عرفوا وذاقوا  
نسيتم ضربنا بقليب بدر  
غداة ثوى أبو جهل صريعاً  
وعتبه وابنه خرا جميعاً  
ألا يا هند لا تبدي شمتاً  
ألا يا هند فابكي لا تملئي

فكل فما لكم حسن جميل  
بأمر الله ينطق إذ يقول  
فبعد اليوم دائلة تدول  
وقائمنا بها يشقى الغليل  
غداة أتاكم الموت العجيب  
عليه الطير حائمة<sup>(١)</sup> تجول  
وشيبة عضه السيف الصقيل  
بحمزة إن عزكم ذليل  
فأنت الواله العبرى الهبول

واستشهد (من المهاجرين) عبدالله بن جحش ، ومصعب بن عمير ، وشماس  
ابن عثمان المخزومي ، وسعد مولى حاطب بن عبد العزى ، وعبد الله وعبد الرحمن  
ابن الهبيب من بني سعد بن ليث ، ووهب بن قابوس المزني ، وابن أخيه  
الحارث بن عقبة بن قابوس ، ومالك ونعمان ابنا خلف بن عوف  
ابن دارم ، وكافا طليعتين للنبي ﷺ فقتلا يوم أحد شهيدين ودفنا في قبر .  
(أحد عشر<sup>(٢)</sup>) .

ومن الأنصار : حسيل بن جابر وهو اليمان أبو حذيفة ، وثابت بن وقش  
وكان رسول الله ﷺ لما خرج إلى أحد قد رفعهما في الآطام مع النساء والبيان  
فقال أحدهما لصاحبه وهما شيخان كبيران : لا أبالك ما ننتظر فوالله إن بقي  
لواحد منا من عمره إلا ظمهم حمار<sup>(٣)</sup> وإنما نحن هامة اليوم أو غدا ، أفلا نأخذ

(١) في النسختين ( جائمة ) والتصحيح من ( الاستيعاب ) .

(٢) المذكورون هنا عشرة ، وسها عن ذكر ( حمزة بن عبد المطلب ) فهو  
من المهاجرين وكانت وفاته سنة ثلاث من الهجرة ، يؤيد هذا ما ورد في ( تاريخ  
خليفة بن خياط ٣٢/١ من طبعة دمشق ) .

(٣) أى شئ يسير ، وإنما خص الحمار لأنه أقل الدواب صبراً عن الماء ،  
على ما في ( النهاية في غريب الحديث والأثر ) .

أسيافنا ثم نلحق برسول الله ﷺ ، لعل الله تعالى يرزقنا الشهادة معه ، فأخذنا أسيافهما ، ثم خرجا حتى دخلا في الناس ولم يعلم بهما ، فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون ، وأما اليمان<sup>(١)</sup> حسيل بن جابر فاختلف عليه أسياف المسلمين فقتلوه وهم لا يعرفونه ، فقال حذيفة : أباي والله ، فقالوا : والله ما عرفناه . وصدقوا . فقال حذيفة : يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين .

فأراد رسول الله ﷺ أن يديه ، فتصدق حذيفة بديته على المسلمين ، فزاده عند رسول الله ﷺ خيرا .

وفيهما استششهد عمرو بن الجموح الأنصاري ، كان شيخاً كبيراً أعرج شديد العرج ، وكان له بنون أربعة مثل الأسد يشهدون المشاهد مع رسول الله ﷺ فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه ، فأتى رسول الله ﷺ فقال : إن بني يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك ، فوالله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة . فقال له رسول الله ﷺ : ( أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك ) وقال لبنيه : ( ما عليكم ألا تمنعوه لعل الله يرزقه الشهادة<sup>(٢)</sup> ) فأخذ سلاحه وخرج وقال : اللهم ارزقني الشهادة ولا تردني إلى أهلي خائباً . فقتل يوم أحد فقال رسول الله ﷺ : ( والذي نفسي بيده إن منكم من لو أقسم على الله لأبره منهم عمرو بن الجموح ولقد رأيته يطأ في الجنة بعرجته<sup>(٣)</sup> ) .

وقيل حمل هو وابنه خلاد حين انكشف المسلمون فقتلا جميعاً رحمهما الله تعالى .

(١) قيل له ( اليمان ) لأنه نسب إلى جده اليمان بن الحارث الذي حالف اليمانية ، على ما في ( الاستيعاب ) .

(٢) سقط من الظاهرية ( الشهادة ) فاستدركتها من الاحمدية .

(٣) سقط من الظاهرية ( بعرجته ) فاستدركتها من الاحمدية .

وفيها استشهد سعد بن الربيع بن عمرو<sup>(١)</sup> الأنصاري الخزرجي ، عقي بدرى أحد نقيب الأنصار ، وكان رسول الله ﷺ قد أمر أن يلتبس في القتل يوم أحد ، فأوه وبه رمق فقال للذي رآه : أبلغ رسول الله ﷺ عني السلام وقل له : جزاك الله خير ما جزى نبياً عن أمته ، وأبلغ قومي السلام ، وقل لهم : لا عذر لكم عند الله تعالى إن خلاص إلى<sup>(٢)</sup> رسول الله ﷺ وفيكم عين تطرف ، ثم مات رضى الله عنه ، وكان الذي رآه أبي بن كعب رضى الله عنه .

وفيها استشهد خارجة بن زيد بن أبي زهير الخزرجي ، ودفن هو وسعد ابن الربيع في قبر واحد وكان ابن عمه . وكانت ابنته تحت أبي بكر<sup>(٣)</sup> رضى الله عنه ، وكانت الرماح قد أخذته يوم أحد فجرح بضعة عشر جرحاً ، فربه صفوان ابن أمية فعرفه فأجهز عليه ومثل به . وقال : هذا ممن قتل أبا علي يوم بدر ، يعنى أباه أمية بن خلف ، وكان خارجة بن زيد من كبار الصحابة رضى الله عنه .

وفيها استشهد عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر بن عبد الله ، أحد النقباء ، عقي بدرى ، قال جابر : قتل أبي يوم أحد فجئت إليه وقدمت به وهو مغطى الوجه ، فكشفت عن وجهه وجعلت أبكي ، وجعل الناس يهونى ، ورسول الله ﷺ لا ينهاى ، وجعلت فاطمة بنت عمرو عمتي تبكيه ،

(١) في الأحمدية ( عمر ) وهو شهو صحبته من الظاهرية ومن ( جوامع السيرة لابن حزم ٧٥ ) .

(٢) سقطت ( إلى ) من الظاهرية ، فاستدركتها من الأحمدية .

(٣) هى والددة أم كلثوم التى مات أبو بكر وهى حامل بها فقال : ذو بطن بنت خارجة ما أظنها إلا أنثى . فكان كذلك . على ما فى ( الإصابة للحافظ ابن حجر ) وغيرها .

فقال رسول الله ﷺ : ( لا تبكيه فما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه <sup>(١)</sup> ) .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : ( أعلمت أن الله أحيا أباك فقال له : تمنه ، فقال : أرد إلى الدنيا فأقتل ، فقال قد قضيت أن لا يرجعوا ) .

وأمر رسول الله ﷺ أن يدفن عبد الله بن عمرو وعمرو بن الجوح في قبر واحد لما كان بينهما من الصفاء <sup>(٢)</sup> ، وكان عبد الله قد أصابه جرح في وجهه وبده عليه ، فأميطت يده عن وجهه فانبعث الدم فردت يده إلى مكانه فسكت <sup>(٣)</sup> .

وفيها استشهد أنس بن النضر <sup>(٤)</sup> بن ضمضم بن زيد بن حرام النجاري الأنصاري ، عم أنس بن مالك رضي الله عنهما ، غاب عن قتال بدر فقال : يا رسول الله غبت عن قتال بدر ، عن أول قتال قاتلت <sup>(٥)</sup> فيه المشركين ، أما والله لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع ، فلما كان يوم أحد انكشف الناس فقال : اللهم <sup>(٦)</sup> إني أعتمد إليك مما صنع هؤلاء <sup>(٧)</sup> وأبرأ إليك

(١) في صحيح الإمام البخاري : ( أبكيه أو لا تبكيه ، ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه ) ورواه بصيغة أخرى أبو داود الطيالسي ، على ما في ( الاستيعاب للحافظ ابن عبد البر ) .

(٢) كانا صهرين وصديقين متآخيين . على ما في ( الدرر في المغازي والسير للحافظ ابن عبد البر ١٦٥ ) .

(٣) في الأحمدية ( فسكن )

(٤) في الأحمدية ( النظر ) وهو سهو ، صحبته من الظاهرية والاشتقاق لابن دريد ، وصفة الصفوة لابن الجوزي وتاريخ خليفة بن خياط .

(٥) في الظاهرية ( قابلت ) وهو تصحيف .

(٦) سقط من الظاهرية ( اللهم ) فاستدركتها من الأحمدية .

(٧) يعني المسلمين ، كما في ( صحيح الإمام البخاري ) وغيره .

مما جاء به هؤلاء يعنى المشركين ، ومشى بسيفه فاستقبله سعد بن معاذ فقال :  
يا سعد هذه الجنة ورب أنس أجد ريحها ، ثم حمل وقاتل حتى قتل ، فوجدنا  
به بضعا وثمانين ضربة بين ضربة سيف وطعنة رح ورشقة سهم ، ومثل به  
المشركون ، وفيه نزلت ( رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه<sup>(١)</sup> ) الآية .

واستشهد من الأنصار أيضا : عمرو بن معاذ ، وابن أخيه الحارث بن أوس  
ابن معاذ ، والحارس بن أنس ، وعمار بن زياد ، وسلمة وعمرو ابنا ثابت بن  
وقش ، وأبوهما ، وعمهما رفاعه ، وصيفي وحباب<sup>(٢)</sup> ابنا قيظي بن  
عمرو بن سهل بن مخزومة بن عبد الأشهل ، وعمهما عباد بن سهل ،  
وعمره معبد بن مخزومة ، وعامر بن يزيد بن السكن ، ويزيد بن السكن بن  
رافع ، وسهل بن رومي بن وقش ، ورافع بن يزيد ، وقرة بن عقبة بن  
قرة ، وإياس بن أوس بن عتيك ، وحبيب بن يزيد<sup>(٣)</sup> بن تيم بن أمية ، وعبيد  
ابن التيهان ، وسيار مولى أبي الهيثم بن التيهان ، ويزيد بن حاطب بن أمية ، وقيس  
ابن الحارث بن عدى ، ورفاعة بن عبد المنذر ، وأبو سفيان بن الحارث  
ابن قيس ، وحظلة بن أبي عامر غسيل الملائكة ، وأنيس بن قنادة ، وثابت  
ابن الدحداح ، وسبيع بن حاطب بن قيس ، ومالك بن تميلة ، وأبو حبة<sup>(٤)</sup>  
ابن عمرو بن ثابت ، وعبد الله بن جبير ، وخيثمة بن الحارث بن مالك ، والحارث  
ابن عدى بن خرشة ، وعمرو بن قيس ، وابنه قيس ، وثابت بن عمرو ، وعامر  
ابن مخلد ، وأبو هبيرة بن الحارث ، وعمرو بن مطرف بن علقمة ، وقيس بن

(١) سورة الاحزاب ، الآية ٢٣ .

(٢) فى الاحمدية ( جناب ) أو ( خباب ) وكلاهما تصحيف صححه من  
الظاهرية وجوامع السيرة لابن حزم وتبصير المنتبه للحافظ ابن حجر .

(٣) فى النسختين ( زيد ) والتصحيح من السيرة النبوية لابن هشام والروض  
الأنف للسبيل . وفى تاريخ خليفة بن خياط ( زيد ) .

(٤) هكذا فى النسختين ، وقد اختلف فيه فقيلى أبو حبة وأبو حنة قال  
الحافظ فى التمهيد : الجمهور على أنه بالوحدة .

مخلد ، وسليم بن الحارث ، والنعمان بن عبد عمرو ، وعمرو بن قيس بن مالك وأوس بن الأرقم ، والحارث بن ثابت بن سفيان ، والحارث بن ثابت بن عبد الله بن سعد ، ومالك بن سنان بن عبيد<sup>(١)</sup> بن ثعلبة ، وسعيد بن سويد ، وعتبة بن ربيع بن رافع ، وعبد الله بن الربيع بن قيس ، وثعلبة بن سعد بن مالك وثقف<sup>(٢)</sup> بن فروة بن البدن ، وعبد الله بن عمرو بن وهب بن ثعلبة ، وضمرة ابن عمرو بن كعب ، والعباس بن عباد بن فضلة ، ونوفل بن عبد الله بن فضلة المذكور ، والنعمان بن مالك ، والمجنذر<sup>(٣)</sup> بن ذياب<sup>(٤)</sup> وعبد بن الحسحاس ، ورفاعة بن عمرو ، وزيد بن وداعة ، وسليم بن عمرو ، وسهل بن قيس ، وذكوان ابن عبد قيس ، ورافع بن مالك ، وحارثة بن مالك ، وعبيد بن المعلى .

جميعهم ستة وتسعون ، منهم من المهاجرين أحد عشر ، ومن الأنصار خمسة وثمانون : من الأوس ثمانية وثلاثون ، ومن الخزرج سبعة وأربعون .

وقتل من كفار قريش يوم أحد حملة اللوا من بني عبد الدار : عشرة ، وأبو يزيد بن عمير بن هاشم بن عبد الدار ، والقاسط بن شريح ، وعبد الله ابن حميد ، وأبو الحكم بن الأحنس بن شريق<sup>(٥)</sup> ، وسباع بن عبد العزى ، وهشام بن أبي أمية بن المغيرة ، والوليد بن العاص بن هشام بن المغيرة ، وأبو

(١) في الإحمدية «عبيد الله» وهو سهو صححته من الظاهرية و ( تاريخ خليفة ابن خياط ٣٦/١ من طبعة دمشق ) .

(٢) في النسختين « ثقب » والتصحيح من « تاريخ خليفة بن خياط ٣٦/١ من طبعة دمشق » .

(٣) في النسختين « المجنذر » وهو تصحيح .

(٤) في النسختين « زياد » بالزاي ، وهو تصحيح صححته من تاريخ الإسلام للذهبي « الجزء الأول - المغازي » ، ومن تاريخ ابن الأثير .

(٥) في الظاهرية ( شريف ) وهو تصحيح صححته من الإحمدية والسيرة النبوية لابن هشام .

أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة ، وخالد بن الأعلم حليف لهم ، وعمرو بن عبد الله ابن عمير بن وهب الجمحي ، وأبي بن خلف الجمحي ، وعبيدة بن جابر ، وشيبة ابن مالك ، وغيرهم .

وقال حسان بن ثابت يذكر أصحاب اللواء من بني عبد الدار :

منع النوم بالعشاء المموم	وخيال إذا تغور النجوم
من حبيب أصاب <sup>(١)</sup> قلبك منه	سَقَمَ فَمُو دَاخِل <sup>(٢)</sup> مَكْتُوم <sup>(٣)</sup>
لم تفتحها شمس النهار بشيء	غير أن الشباب ليس يدوم
رب حلم <sup>(٤)</sup> أضاعه عدم الما	ل وجهل غَطَى <sup>(٥)</sup> عليه النعيم
لا تسبني فاست بسبي	إن سبي من الرجال الكريم
ما أبالي أنب بالحزن تيس <sup>(٦)</sup>	أم لحاني بظهر غيب لنسيم

(١) هكذا في النسخين وديوانه ، وفي السيرة النبوية لابن هشام والروض الأنف « أضاف ، أي نزل وزار .

(٢) في الأحمدية « راحل » وما في الظاهرية موافق لما في السيرة النبوية لابن هشام وديوان حسان .

(٣) كذا في السيرة النبوية لابن هشام والروض الأنف وديوان حسان . وفي النسختين « مكلوم » .

(٤) كذا في النسختين والسيرة النبوية لابن هشام والروض الأنف . وفي بلوغ الأرب الألوحي : « علم » ، ومثله في « رسالة الغفران للبرقي » .

(٥) كذا في النسختين . وفي الروض الأنف « غطا » بتخفيف الطاء ومعناه ارتفع وعلا .

(٦) يعني قد استوى لدى نقيب التيس في الحزن ونيل اللثم من عرضي . ونقيب التيس : صوته عند السقاد . والحزن : ما غلظ من الأرض . كما في « بلوغ الأرب » وفي الأحمدية « أبت بالحزن ييس » وهو تحريف .

( م ٢٣ — عيون الخواص )

ولى البأس<sup>(١)</sup> منكم إذ رحلتم  
تسعة تحمل اللواء وطارت  
وأقاموا حتى أبيضوا<sup>(٢)</sup> جميعاً  
وأقاموا<sup>(٣)</sup> حتى أزيروا شعوباً<sup>(٤)</sup>  
وقريش تفر منا لو اذا  
لم تطق حملة العواتق منهم  
أسرة من بنى قصى صميم  
في راع من القنا مخزوم  
في مقام وكلهم مذموم  
والقنا في نخورهم محطوم  
أن يقيموا وخف منها الخلوم  
إنما يحمل اللواء النجوم<sup>(٥)</sup>

وقال عبد الله بن الزبيرى ولم يكن أسلم يومئذ :

يا غراب البين أسمعت فقل  
كل عيش ونعيم زائل  
أبلغاً حسان عنى<sup>(٦)</sup> آية  
كم قتلنا من كريم سيد  
صادق النجدة قرم<sup>(٧)</sup> بارع  
إنما تنطق شيئاً قد فعل  
وبنات الدهر يلعبن بكل  
فقريض الشعر يشفى ذا العلل<sup>(٨)</sup>  
ماجد الجدين مقدم بطل  
غير ملثا لى لدى وقع الأسل

- (١) فى النسختين « الناس » وهو تصحيف . والتصحيف من السيرة النبوية لابن هشام والروض الأنف وديوان حسان .  
(٢) فى النسختين « أبيضوا » وهو تصحيف صححته من السيرة النبوية لابن هشام والروض الأنف .  
(٣) فى الظاهرية « وأقيموا » وهو سهو صححته من الأحمدية والسيرة النبوية لابن هشام والروض الأنف .  
(٤) شعوب : المغنية .  
(٥) فى « ديوان حسان » كلمات مغايرة لما ورد فى النص لم أشر إليها .  
(٦) هكذا فى الظاهرية والسيرة النبوية . وفى الأحمدية « عنا » .  
(٧) فى السيرة النبوية لابن هشام والروض الأنف (الغلل) . وفى النسختين « العلل » .  
(٨) القرم : السيد .



ليت أشية-أخى ببدر شهدوا      جزع الخزرج من وقع الأسل  
حين حكمت<sup>(١)</sup> بقاء بركها<sup>(٢)</sup>      واستحر<sup>(٣)</sup> القتل في عبد الأشل<sup>(٤)</sup>  
قد قتلنا الضعف من أشرافهم      وعدلناه ببدر فاعتدل<sup>(٥)</sup>

• • •

### السنة الرابعة

#### غزوة الرجيع

في هذه السنة في صفر كانت غزوة الرجيع<sup>(٦)</sup> وكان سببها أن رهطاً من  
عَصْل والقارة قدموا على رسول الله ﷺ فقالوا : إن فينا إسلاماً فابعث معنا  
نقرأ يفقهوننا في الدين ويقرئونا القرآن ، فبعث معهم نفرأ ستة وأمر عليهم  
عاصم بن ثابت ، وقيل مرثد بن أبي مرثد ، فلما كانوا بالهدأة<sup>(٧)</sup> غدروا  
واستصرخوا عليهم حياً من هذيل يقال لهم بنو لحيان ، فبعثوا لهم<sup>(٨)</sup> مائة رجل

(١) هذا ما في السيرة النبوية لابن هشام والروض الأنف . وفي النسختين

« حلت » .

(٢) في الأحمدية « مبركها » ولعله من تصرف الناسخ .

(٣) في الأحمدية « واستحجر » وهو تصحيف .

(٤) في النسختين ( الأسل ) والتصحيح من المصدرين السابقين والهدأة

والنهاية لابن كثير .

(٥) في المصادر السابقة « وعدلنا ميل بدر فاعتدل »

(٦) الرجيع : ماء هذيل ، لبني لحيان منهم .

(٧) الهدأة والرجيع متجاوران بين عسفان ومكة . وفي الأحمدية « الهدة »

قال أبو جاتم : يقال لموضع بين مكة والطائف ( الهدة ) بغير ألف ، وهو

غير الهدأة ، ذكر مع لنفي الوهم .

(٨) « لهم » مستدركة من « تاريخ ابن الأثير » .

فالتجأ المسلمون إلى جبل ، فاستنزلوهم وأعطوهم العهد ، فقال عاصم بن ثابت :  
والله لا أنزل على عهد كافر ، اللهم خبر عنا نبيك . وقتلهم هو ومروءته وخالده  
ابن البكير حتى قتلوا .

ونزل إليهم<sup>(١)</sup> ابن الدثينة وخبيب بن عدي ورجل آخر فأوثقوهم ،  
فقال الرجل : هذا أول الغدر ، والله لا أصحبكم إن لي بهؤلاء أسوة — يعني  
القتلى — فقتلوه .

وانطلقوا بخبيب وابن الدثينة حتى باعوهما ، فابتاع بنو الحارث بن عامر بن نوفل  
خبيباً ، وكان خبيب هو الذي قتل الحارث بن عامر يوم بدر ، فلبث خبيب  
عندهم أسيراً ، فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستجدها<sup>(٢)</sup> فأعارته ،  
فدرج بنى لها وهي غافلة حتى أتاه فأجلسه على فخذه والموسى بيده ، قالت :  
ففرغت فزعة عرفها خبيب فقال : أتخشين أن أقتله ، ما كنت لأفعل ذلك ، قالت  
والله ما رأيت أسيراً خيراً من خبيب ، والله لقد وجدته يوماً يأكل قطعاً من  
عنب في يده وإنه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة ، وكانت تقول : أنه لرزق رزقه  
الله خبيباً .

فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحل قال لهم خبيب : دعوني أصلي  
ركعتين ، فتركوه فركع ركعتين<sup>(٣)</sup> وقال : والله لولا أن تخشوا أن ما بي  
جوزع لزدت ، ثم قال : « اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدداً<sup>(٤)</sup> » ولا تبق

(١) في الظاهرية « عليهم » .

(٢) الاستعداد : الاحتلاق بالحديد . على ما في « القاموس المحيط » .

(٣) سقط من الظاهرية « فركع ركعتين » فاستدر كتهما من الأحمدية والمصادر  
للشهور .

(٤) بروى بكسر الباء : جمع بدعة وهي الحصة والنصيب ، أى اقتلهم حصصاً  
مقسمة ، لكل واحد حصته ونصيبه ، وىروى بالفتح : أى متفرقين في القتل  
واحد بعد واحد ، من التبديد ، على ما في « النهاية لابن الأثير المحدث » .

منهم أحداً<sup>(١)</sup> ، ثم أنشأ يقول :

فلست أبالي حين أقتل مسلماً      على أي جنب كان الله<sup>(٢)</sup> مصرعي  
وذلك في ذات الإله وإن يشأ      يبارك على<sup>(٣)</sup> أوصال شلو ممزع

فقام أبو سروعة عقبه بن الحارث فقتله وصلبه .

وكان خبيب هو أول من<sup>(٤)</sup> سن لكل مسلم قتل صبراً الصلاة<sup>(٥)</sup> .

وأما ابن الدثينة فإن صفوان بن أمية بعث به مع غلامه نسطاس إلى التنعيم ليقتله بأبيه ، فقال له نسطاس : أنشدك الله أتجب أن محمداً عندنا الآن مكانك تضرب عنقه وأنت في أهلك ، قال : « ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس في أهلي » فقال أبو سفيان : مارأيت من

(١) أصابت دعوته من سبق في علم الله أن يموت كافراً ، ومن أسلم منهم فلم يعنه خبيب ولا قصده بدعائه . ومن قتل منهم كافراً بعد هذه الدعوة فإنما قتلوا بدداً غير معسكرين ولا مجتمعين كاجتماعهم في أحد وقبل ذلك في بدر . وإن كانت الخندق بعد قصة خبيب فقد قتل منهم آحاد فيها متبددون ، ثم لم يكن لهم بعد ذلك جمع ولا معسكر غزوا فيه . على ما في « الروض الأنف » للحافظ أبي القاسم السهيلي .

(٢) في المصادر المشهورة كالبداية والنهاية لابن كثير ٦٣/٤ ، وفي الله ، في موضع « لله » وفي « تاريخ الطبري ٥٤١/٢ » ، على أي شق كان لله مصرعي .

(٣) في الأحمدية « في » في موضع « على » .

(٤) سقط من الأحمدية « أول من » والاستدراك من الظاهرية والمراجع المشهورة .

(٥) وقد صلى هاتين الركعتين أيضاً زيد بن حارثة مولى النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك في حياته عليه السلام ، على ما في « الروض الأنف » للبيهقي .

الناس أحداً يجب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً . ثم قتله نستاس (١) .

ذكر إرسال عمرو بن أمية الضمري لثقل أبي (٢) سفيان

ولما قتل عاصم وأصحابه بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى مكة مع رجل من الأنصار، وأمرهما بقتل أبي (٣) سفيان بن حرب، قال عمرو : فخرجت أنا وصاحبي ومعى بعير لى ، وبرجل صاحبي علة ، فكنت أحمله على بعيرى ، حتى جئنا بطن يأجج فعقلنا بعيرنا فى الشعب، وقلت لصاحبي : انطلق بنا إلى دار أبي سفيان لنقتله ، فإن خشيته شيئاً فالحق بالبعير فاركه والحق برسول الله ﷺ ، وخل عني فإني عالم بالبلد نجيب الساق (٤) .

فدخلنا مكة ومعى خنجر إن عانقنى (٥) إنسان ضربته به، فقال لى صاحبي : هل لك أن نبدأ فنتطوف ونصلى ركعتين ؟ فقلت : إن أهل مكة يجلسون بأفئتهم وأنا أعرف بها، فلم نزل حتى أنينا البيت (٦) فطفقنا وصلينا، ثم خرجنا فررنا بمجلس لهم فعرفنى بعضهم ، فصرخ بأعلى صوته : « هذا عمرو بن أمية » فنار أهل مكة إلينا وقالوا : ما جاء إلا لشر (٧) فقلت لصاحبي : النجاء ، من هذا كنت أخطر .

(١) أورد الحافظ الهيثمى فى « مجمع الزوائد ١٩٩/٦ » ، أحاديث هذه الغزوة ورجالها رجال الصحيح، وبعضها حسن .

(٢) فى الظاهرة « بنى » وهو سهو .

(٣) فى الظاهرية « بنى » وهو سهو . (٤) النجيب من الابل : السريع .

(٥) هكذا فى « الظاهرية » ، وفى الاحمدية « عايقنى » ، وفى تاريخ ابن الاثير

« عاقنى » ولعله المصواب .

(٦) البيت ، ساقطة من الظاهرية .

(٧) كان عمرو رجلاً فاتكاً متشيطناً فى الجاهلية ، كما فى « تاريخ الطبرى

٢ / ٥٤٣ » ، وتاريخ ابن الاثير .

أما أبو سفيان فليس إليه - بعد ما عرفوني - سبيل ، فخرجنا حتى صعدنا الجبل فدخلنا في غار ، فبتنا فيه ليلتنا ننتظر أن يسكن الطلب ، قال : فوالله إني لفيه إذ أقبل عثمان بن مالك التيمي بفرس له فقام على باب الغار ، فخرجت إليه فضربته بالخنجر فصاح صيحة أسمع أهل مكة ، فأقبلوا إليه ، ورجعت إلى مكاني فوجدوه وبه رمق ، قالوا : من ضربك ؟ قال : عمرو بن أمية ، ثم مات ولم يقدر أن يخبرهم بمكاني ، وشغلهم قتل صاحبهم عن طلبى ، فاحتملوه ، ومكثنا في الغار يومين حتى سكن الطلب .

ثم خرجنا إلى التنعيم<sup>(١)</sup> فإذا خشبة خبيب وحوله حرس ، فصعدت إلى خشبته فاحتملته على ظهري ، فما مشيت به إلا نحواً من أربعين خطوة حتى نذروني<sup>(٢)</sup> فطرحته ، واشتدوا في إثرى ، فأخذت الطريق فأعيوا ورجعوا .

وانطلق صاحبى فركب البعير وأتى رسول الله ﷺ وأخبره الخبر .

وأما خبيب فلم ير بعد ذلك ، فسكان الأرض ابتلعته .

قال : وسرت حتى دخلت غاراً بضجنان<sup>(٣)</sup> ومجى قوسى وأسهمى ، فبينما أنا فيه إذ دخل على رجل من بنى الديل<sup>(٤)</sup> أعور طويل ، يسوق غنماً له ، فقال : من الرجل ؟ قلت : من بنى الديل فاضطجع معى ورفع عقيرته يتغنى ويقول :

ولست بمسلم ما دمت حياً      ولست أدين دين المسلمين

(١) بينة وبين مكة فرسخان ومعجم ما استعجم ، وهو في الحل خارج الحرم .

(٢) أى علوا وأحسوا بمكاني . وفي النسختين « نذروا بي » ، وهو تصحيف صحبته من « تاريخ الطبرى ٢ / ٥٤٤ » .

(٣) فى الاحمدية « بضجنان » ، وهو تصحيف صحبته من « تاريخ الطبرى » ، وضجنان : جبل بناحية مكة على طريق المدينة ومعجم ما استعجم .

(٤) فى الاحمدية فى الموضعين « الديل » ، وهو تصحيف .

ثم قام ، فقتلته ، ثم سرت فإذا رجلا نبعثهما قریش يتجسسان<sup>(١)</sup> أمر رسول الله ﷺ . فرميت أحدهما بسهم فقتلته ، واستأسرت<sup>(٢)</sup> الآخر ، فقدمت على رسول الله ﷺ فأخبرته الخبر فضحك ودعا لي بخير .

### غزوة بئر معونة

كانت في صفر على رأس أربعة أشهر من أحد ، وكان سفيها ما ذكره عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن عمرو بن حزم وغيره من أهل العلم ، قالوا : قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة<sup>(٣)</sup> على رسول الله ﷺ فعرض عليه الإسلام ودعاه إليه ، فلم يسلم ولم يبعد عن الإسلام ، وقال : يا محمد لو بعثت رجلا من أصحابك إلى أهل نجد فدعوتهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك .

فقال رسول الله ﷺ : (لاني أخشى أهل نجد عليهم) فقال أبو براء : أنا جار لهم فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك ، فبعث رسول الله ﷺ المنذر ابن عمرو أخا بني ساعدة في أربعين رجلا وقيل في سبعين رجلا من خيار المسلمين .

فساروا حتى نزلوا بئر معونة ، وهي بين أرض بني عامر وحرّة بني سليم ، كلا البلدين منها قريب<sup>(٤)</sup> ، فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله ﷺ إلى عدو الله عامر بن الطفيل ، فلما أتاه لم ينظر في كتابه حتى عدا على

(١) في تاريخ الطبري « يتجسسان » بالحاء ، والمعنى واحد . أنظر « النهاية لابن الأثير المحدث » .

(٢) في الظاهرية « استأمرت » وهو سهو .

(٣) سمى « ملاعب الأسنة » بقول أوس بن حجر :

ولاعب أطراف الأسنة عامر فراح له حظ الكتبية أجمع

(٤) وهي إلى حرّة بني سليم أقرب ، كما في « تاريخ الطبري » و « مجمع الزوائد

للحافظ الهيثمي ٦ / ١٢٨ ، و « عيون الأثر ٢ / ٤٤ » .

الرجل فقتله ، ثم استصرخ عليهم بنى عامر ، فأبوا أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه وقالوا : لن نخفر أبا براء فى جواره ، فاستصرخ عليهم قبائل بنى سليم : عَصِيَّة ورعلا<sup>(١)</sup> فأجابوه إلى ذلك ، ثم خرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم فى رحالهم ، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم فقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم رحمهم الله تعالى ، إلا كعب بن زيد فإنهم تركوه وبه رمق فارتدت<sup>(٢)</sup> من بين القتلى ، فعاش حتى قتل يوم الحندق شهيداً رحمه الله تعالى .

وكان فى سرح<sup>(٣)</sup> القوم عمرو بن أمية الضميرى والمنذر بن محمد بن أحيحة ابن الجلاح الأنصارى ، فلم يشبههما<sup>(٤)</sup> مصاب أصحابهما إلا الطير تحوم على العسكر ، فقالوا : والله إن لهذه الطير لشأناً ، فأقبلا ينظران ، فإذا القوم فى دمائهم ، وإذا الخيل التى أصابتهم واقفة ، فقال المنذر لعمرو : ماذا ترى ؟ قال : نرى أن نلحق برسول الله ﷺ فنخبره الخبر ، فقال المنذر : لكننى لم أرغب بنفسى عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ، ثم قاتل القوم حتى قتل رحمه الله تعالى .

وأخذوا عمرو بن أمية أسيراً ، فلما أخبرهم أنه من مضر أخذهم عامر بن الطفيل وجز ناصيته وأعتقه عن رقة زعم أنها كانت على أمه . فخرج عمرو بن أمية حتى إذا كان بالقرقرة<sup>(٥)</sup> من صدر قناة أقبل رجلان

(١) فى الاحمدية «رعلا» وهو تصحيف صحبته من «الاشتقاق لابن دريد» وهو خطأ ظاهر . وفى تاريخ الطبرى «عصية ورعلا وذكوان» ومثله فى «الدرر فى المغازى والسير لابن عبد البر ١٧١» .

(٢) أى وقع وبه جراح أثمخته فحمل من المعركة .

(٣) السرح : الرعاء .

(٤) فى اللسان «فلم يشبههما» وهو تصحيف صحبته من «عيون الاثر فى المغازى والسير لابن سيد الناس ٢ / ٤٤» .

(٥) هى قرقرة الكندر .

من بني عامر حتى نزلا معه في ظل هو فيه ، وكان معهم عقد من النبي ﷺ وجوار لم يعلم به عمرو بن أمية ، وسألهما من أين أنتم ؟ فقالا : من بني عامر فأمرهما حتى إذا ناما عدا عليهما فقتلهما ، وهو يرى أن قد أصاب بهما ثأره (١) من بني عامر فيما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ .

فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله ﷺ فأخبره الخبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( لقد قتلت قتيلين لأدينسهما ) ثم قال رسول الله ﷺ : ( هذا عمل أبي براء ، لقد كنت لهذا كارها متخوفا ) فبلغ ذلك أبا براء فشق عليه إخفار عامر إياه وما أصاب أصحاب رسول الله ﷺ بسببه .

وقال حسان بن ثابت يحرض بني براء على عامر بن الطفيل :

بني أم البنين الم يرغكم	وأتم من ذوائب أهل نجد
تمكم عامر بأبي براء	لينخره وما خطأ كعمد
ألا أبلغ ربيعة ذا المساعى	فما أحدثت في الحدثن بعدى
أبوك أبو الحروب أبو براء	وخالك ماجد حكم بن سعد

أم البنين هي أم أبي براء ، فحمل ربيعة بن أبي براء على عامر بن الطفيل وطعنه بالرح ، فوقع في نخذه فأشواه (٢) ووقع عن فرسه ، فقال : هذا عمل أبي براء ، إن أنامت فدمى لعمى ، وإن أعش فسأرى رأيي (٣) .

وأنزل الله عز وجل في أهل بئر معونة قرآنا : أبلغوا قومنا عنا أنا قد لقينا ربنا فرضى عنا ورضينا عنه . ثم نسخت .

(١) في الأحمدية « ثوره » وفي تاريخ الطبرى ٢ / ٥٤٧ « ثورة » - مبهوضه - وهي بمعنى الثأر .

(٢) يعنى لم يصب مقتله ، على ما فى « النهاية » و ( الاقتباس لحل مشكل سيرة ابن سيد الناس ليوسف بن عبد الهادى ) .

(٣) أورد هذا الخبر الحافظ الهيثمى فى « مجمع الزوائد » وقال : رواه الطبرانى ، ورجاله ثقات إلى ابن إسحاق .



ذكر إجلال بني النضير<sup>(١)</sup>

وكان سبب ذلك أن رسول الله ﷺ خرج إلى بني النضير يستعينهم في دية الرجلين (٢) اللذين قتلتهما عمرو بن أمية الضمري للجوار الذي كان رسول الله ﷺ عقد لهما، فلما أقام رسول الله ﷺ قالوا: نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم إن تجددوا الرجل على مثل حاله هذه، ورسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد، فقالوا: من منكم يعلو هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب أحدهم فقال: أنا لذلك، فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال، ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم.

فقال سلام بن مشكم لليهود: لا تفعلوا، والله لينخبرن بما هممتم به، وإنه لنقض للعهد الذي بيننا وبينه.

قال فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام رسول الله ﷺ راجعاً إلى المدينة، وأخبر أصحابه الخبر، وأمر المسلمين بحربهم، ونزل بهم، فتحصنوا منه في الحصون فقطع النخل وأحرق<sup>(٣)</sup>، وأرسل إليهم عبد الله ابن أبي سلول وجماعته<sup>(٤)</sup> أن أثبتوا وتمنعوا فإننا لنسلمكم، وإن قوتلتم قاتلنا معكم وإن أخرجتم خرجنا معكم.

(١) في النسختين هنا «النظير» وهو سهو.

(٢) بل اختلف في سبب ذلك، على ما في «إنسان العيون لبرهان الدين الحلبي» عليه رحمة الله، حيث أورد بضعة أسباب لذلك.

(٣) كذا في النسختين وفي المراجع الأخرى «وأحرقها». وجميع ما قطعوا وأحرقوا ست مخلات، كما في «إنسان العيون لبرهان الدين الحلبي».

(٤) من المنافقين، على ما في «الدرر في المغازي والسير الحافظ ابن

عبد البر» ١٧٠.

وقد قذف الله في قلوبهم الرعب ، فسألوا رسول الله ﷺ أن يجعلهم  
ويكف عن دماهم ، على أن لهم ما حملت الإبل من الأموال إلا السلاح ،  
فأجابهم إلى ذلك ، فخرجوا إلى خير ، ومنهم من سار إلى الشام .

وكان ممن سار إلى خير كنانة بن الربيع وحيي بن أخطب (١) وكان منهم  
يومئذ أم عمرو صاحبة عروة بن الورد التي ابتاعوا منه ، وكانت غفارية .

فكانت النضير (٢) لرسول الله ﷺ وحده يضعها حيث شاء ، فقسمها  
على المهاجرين الأولين دون الأنصار (٣) ، إلا أن سهل بن حنيف وأبا دجاجة  
ذكرا فقرا ، فأعطاهما .

ولم يسلم من بنى النضير إلا يامين بن عمير بن كعب ، وهو ابن عم عمرو  
ابن جحاش (٤) .

واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، وكانت رايته مع علي بن أبي طالب  
رضي الله عنه .

\* \* \*

(١) في الظاهرية « أخطب » وهو تصحيف .

(٢) يعنى أموالهم ، وجبارة ابن الأنثير في تاريخه : « فكانت أموال النضير » .

(٣) « ولما تقسمها بين المهاجرين لأنهم إذ قدموا المدينة شاطرتهم الأنصار  
ثمأرما ، وعلى ذلك بايعوا ليلة العقبة على نصرته ومواساة أصحابه ، فرد المهاجرون  
على الأنصار ثمارهم » . هذا ما قاله الحافظ ابن عبد البر في « الدرر » وقال  
الدكتور شوقي ضيف محقق « الدرر » : أوضح ابن عبد البر العلة في ذلك : حق  
بؤد المهاجرون على الأنصار ما أخذوا من ثمارهم التي شاطروهم فيها ، ومن حينئذ  
وقفت المواساة التي كانت مفروضة عليهم للمهاجرين . وانظر « لسان العيون  
لبرهان الدين الحلبي » و « عيون الأثر » ٢ / ٥٥٠ . (٤) بكسر الجيم .

## غزوة ذات الرقاع

أقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد ( بنى النضير ) شهرى ربيع ، ثم غزا نجدا ، يريد بنى محارب وبنى ثعلبة من غطفان ، وهى غزوة ذات الرقاع .

سميت بذلك لأجل جبل كانت الواقعة به ، فيه سواد وبياض وحمرة<sup>(١)</sup> واستخلف على المدينة عثمان بن عفان<sup>(٢)</sup> فلقى المشركين ولم يكن قتال ، وخاف الناس بعضهم بعضاً فنزلت صلاة الخوف . وجاء رجل من بنى محارب إلى رسول الله ﷺ فطلب منه أن ينظر إلى سيفه ، فأعطاه السيف فلما أخذه وهزه قال : يا محمد أما تخافنى ؟ قال : ( لا ) قال : أما تخافنى وفى يدي السيف ؟ قال : ( لا ، يمنعنى الله منك ) فرد السيف على رسول الله ﷺ .

وأصاب المسلمون امرأة منهم ، وكان زوجها غائبا ، فلما أتى أهله أخبر الخبر ، فحلف لا يذتهى حتى يهريق فى أصحاب رسول الله ﷺ ، فخرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ، فنزل رسول الله ﷺ وقال : ( من يحرسنا الليلة ) ؟ فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار<sup>(٣)</sup> ، فأقاما بضم شعب نزله النسي ﷺ ، فاضطجع المهاجرى وحرس الأنصارى أول الليل ، وقام يصلى

(١) وقيل سميت بذلك لأن أقدامهم نقيبت ، رقت جلودها ، فكانوا يلفون عليها الخرق . وقيل بل سميت بذلك لأنهم رقعوا راياتهم فيها ، ويقال : ذات الرقاع شجرة بذلك الموضع . على ما فى الدرر فى المغازى والسير للحافظ ابن عبد البر ١٧٦ ، وانظر صحيح الإمام البخارى د باب غزوة ذات الرقاع .

(٢) فى المصدر نفسه : واستعمل على المدينة أباه ذر الغفارى ، وقيل بل استعمل عليها عثمان بن عفان . والاول أكثر .

(٣) هما عباد بن بشر من الأنصار ، وعمار بن ياسر من المهاجرين ، على ما فى د إنسان العيون فى سيرة الامين المأمون للورخ برهان الدين الحلبي .

لجاء زوج المرأة فرأى شخصه فعرف أنه ريبة<sup>(١)</sup> فرماه بسهم فوضعه فيه ، فانزعه وثبت قائماً يصلى ، ثم رماه بسهم آخر فأصابه ، فنزعه وثبت يصلى ، ثم رماه الثالث فوضعه فيه ، فانزعه ثم ركع وسجد .

ثم أيقظ صاحبه وأعلمه فوثب ، فلما رآهما الرجل عرف أنهما عليا به . ولما رأى المهاجرى ما بالأنصارى قال : سبحان الله ألا أيقظتنى أول ما رماك قال : كنت فى سورة أقرأها فلم أحب أن أقطعها ، فلما تابعت على الرمي ركعت وأعلمتك ، وإيم الله لولا خوفى أن أضيع ثغراً أمرنى رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسى قبل أن أقطعها .

وقيل إن هذه الغزوة كانت فى المحرم سنة خمس<sup>(٢)</sup> والله أعلم .

• • •

#### غزوة بدر الثالثة<sup>(٣)</sup>

##### وتسمى غزوة السويق

وفى شعبان من هذه السنة خرج رسول الله ﷺ إلى بدر لميعاد أبى سفيان ابن حرب ، حتى نزل بدرا ، فأقام عليها ثمانى<sup>(٤)</sup> ليال ينتظر أبى سفيان ، وخرج

(١) فى النسختين « ريبة » والتصحيح من « جوامع السيرة لابن سوزم ١٨٣ » والريبة : العين والعليمة الذى ينظر للقوم لئلا يدهمهم عدو ، ولا يكون إلا على جبل أو شرف ينظر منه ، على ما فى « النهاية لابن الأثير المحدث » .

(٢) أنظر « عيون الأثر لابن سيد الناس » . وغيره لتحقيق ذلك .

(٣) فى النسختين « الثانية » والصواب « الثالثة » كما سماها الحفاظ ابن عبد البر فى « الدرر فى المغازى والسير ١٧٧ » .

(٤) فى النسختين « ثمان » وثبتت ياقه عند الإضافة كما ثبتت ياء « القاضى » .

أبو سفيان في أهل مكة إلى مَرِّ الظهران<sup>(١)</sup> ، وقيل إلى عُسْفان<sup>(٢)</sup> ثم رجع ورجعت قريش معه ، فسيّاهم أهل مكة جيش السويق ، يقولون : إنما خرجتم تشربون السويق .

واستخلف رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة .

وفيها تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة .

وفيها أمر رسول الله ﷺ أن تتعلم كتابة اليهود<sup>(٣)</sup> .

وفيها ولد الحسين بن علي بن أبي طالب . وولى الحج فيها المشركون .

ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان

فيها توفي عبد الله بن عثمان بن عفان ، وأمه رقية بنت رسول الله ﷺ وكان عمره ست سنين .

وفيها استشهد عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح<sup>(٤)</sup> قيس بن عصمة بن النعمان الأنصاري ، وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب لأمه ، قد ذكرنا مقتله ، فلما علمت قريش بمقتله بعثوا إليه ، وكان قد قتل أخا سلافة بنت سعد يوم بدر ، وكانت نذرت أن تشرب الخمر في قحف<sup>(٥)</sup> دماغه ، فبعث الله عليه مثل الظلة من الدّبر — والدّبر<sup>(٦)</sup> ذكور النحل — فحمته عن رسلهم ، فلم يقدروا

(١) مر الظهران : موضع على مرحلة من مكة ، على ما في « معجم البلدان » .

(٢) عُسْفان على مرحلتين من مكة على طريق المدينة . على ما في « معجم البلدان » .

(٣) أمر النبي زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب يهود ، فتعلمه في خمسة عشر يوماً على ما في « الثقات لابن حبان ١ / ٢٤٦ » .

(٤) في صورة النسخة الظاهرية « الأفلح » وهو تصحيف .

(٥) القحف — بالكسر — العظم فوق الدماغ ، وما انفلق من الجمجمة فبان ، ولا يدعى قحفاً حتى يبين أو ينكسر منه شيء ، على ما في « القاموس المحيط » .

(٦) بالفتح ، ويكسر ، على ما في « القاموس المحيط » .

على شيء منه ، فلما أعجزهم قالوا : إن الدبر ستذهب إذا جاء الليل فلما جاء الليل بعث الله عز وجل مطراً جاء بسيل فغمله فلم يوجد ، وحال الله تعالى بينهم وبينه ، فسمى عاصم (حمى الدبر) رحمه الله تعالى (١) . ومن ذريته الأحوص الشعير ، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

وفيها استشهد عامر بن فُهَيْرة مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنهما . كان مولداً من الأزدي ، أسود اللون مملوكاً للطفيل بن سخبرة . أسلم وهو مملوك ، فاشتراه أبو بكر وأعتقه ، وكان رفيق رسول الله ﷺ وأبي بكر في هجرتهم إلى المدينة . شهد بدرًا وأحداً ، وقتل يوم بدر معونة وهو ابن أربعين سنة ، قتله عامر بن الطفيل ، وكان يقول عامر : لما طعنته رأيته وقد رفع بين السماء والأرض حتى رأيت السماء دونه ثم وضع ، وطلب بين القتيلى فلم يوجد ، زعم عروة بن الزبير أن الملائكة دفنته . وقيل إن الذي قتله جبار بن سلمى من بني كلاب ، فلما طعنه قال : فزت والله (٢) ، ورفع إلى السماء ، فأسلم جبار لما رأى (٣) من رفعه . وقال رسول الله ﷺ : ( إن الملائكة وارت جثته وأنزلته عليين ) .

ومن استشهد يوم بدر معونة الحكم بن كيسان مولى بني مخزوم ، والمنذر ابن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح . وأبو عبيدة بن عمرو بن محصن ، والحارث بن الصمة . وأبي بن معاذ بن أنس . وأخوه أنس . وأبي بن ثابت بن المنذر . وسليم وحرام ابنا ملحان ، وهما أخوا أم سليم أم أنس بن مالك وأخوا أم حرام امرأة عبادة بن الصامت ، ومالك وسفيان ابنا ثابت (٤) . وعروة بن

(١) قال عمر بن الخطاب حين بلغه أن الدبر منعتة : يحفظ الله العبد المؤمن ، كان عاصم نذر أن لا يمسسه مشرك ولا يمس مشركاً أبداً في حياته ، فنعاه الله بعد وفاته كما امتنع منه في حياته . « البداية والنهاية لابن كثير ٤ / ٦٤ » .

(٢) يعني بالجنة ، على ما في « البداية والنهاية للحافظ ابن كثير ٤ / ٧٢ » .

(٣) سقط من الظاهرية « لما رأى » فاستدركتها من الأحمدية .

(٤) من الانصار من بني النخيت ، على ما في « عيون الأثر في المغازي والسير

بن سيد الناس ٢ / ٤٦ » .

أسماء بن الصلت . وقطبة بن عبد عمرو بن مسعود بن عبد الأشهل . والمنذر  
ابن عمرو بن خنيس وهو أميرهم . ومعاذ بن ماعص وأخوه عائذ . ومسعود بن  
سعد بن قيس . وغالد بن ثابت بن النعمان . وسفيان بن حاطب بن أمية ،  
وسعد بن عمرو بن ثقف ، وابنه الطفيل ، وابن أخته سهل بن عامر . وعبد الله  
ابن قيس بن صرمة . ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي ، وفيه يقول عبد الله  
ابن رواحة يرثيه :

رحم الله نافع بن بديل رحمة المبتغى ثواب الجهاد  
صابراً صادق اللقاء إذا ما أكثر القوم قال قول السداد

والضحاك بن عبد عمرو بن مسعود بن عبد الأشهل . وعمرو بن معبد  
ابن الأزعر ، رحمهم الله تعالى (١) .

#### السنة الخامسة

في هذه السنة تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش ، وهي ابنة عمته .  
كان زوجها مولاه زيد بن حارثة ، فخرج رسول الله ﷺ يريد على الباب  
ستر من شعر فرفعته الريح فرآها وهي حاسرة فأعجبته وكرهت إلى زيد فلم  
يستطع يقربها (٢) ، فجاء إلى رسول الله ﷺ فأخبره ، فقال له : ( هل رابك  
منها شيء ؟ ) قال : لا والله ، فقال له رسول الله ﷺ : ( أمسك عليك زوجك

(١) هنا في حاشية الاحمدية : « بلغ قراءة » .

(٢) القول بمحبة النبي صلى الله عليه وسلم لها وإرادة طلاقها جهل عظيم من  
قائله بما يجوز في حقه تعالى وما لا يجوز ، ولا يليق بحق النبي صلى الله عليه وسلم  
ذلك ولا بحق غيره من الانبياء ، فإن مقام النبوة يحل عن ذلك ، وهو جهل  
بمقام النبوة وأى جهل . « من كتاب كشف الغيب في زواج النبي صلى الله  
عليه وسلم بالمسيدة زينب للشيخ محمد سعيد إياس عليه رحمة الله » .

واتق الله (ففارقها زيد وحلّت (١) . وأنزل الوحي على رسول الله ﷺ :  
فقال : ( من يبشر زينب أن الله زوجها ) وقرأ عليهم قوله تعالى ( وإذا تقول  
للذي أنعم الله عليه (٢) ) الآية . فكانت زينب تفخر على نساءه وتقول :  
زوجكن أهلوكن وزوجني الله تعالى من السماء .

#### غزوة دومة الجندل

وفيهما كانت غزوة دومة (٣) الجندل في ربيع الأول . وسببها أنه بلغ  
رسول الله ﷺ أن بها جمعاً من المشركين ، فغزاهم فلم يلق كيذاً ، وخلف على  
المدينة سبعاً بن عرفة (٤) الغفاري ، وغنم المسلمون إبلاً وغنماً وجدت لهم .  
وماتت أم سعد بن عباد وسعد مع رسول الله ﷺ في هذه الغزاة .  
وفيهما وادع رسول الله ﷺ عيينة بن حصن الفزاري .

#### غزوة الخندق ، وهي غزوة الأحزاب

قال ابن إسحاق : وكانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس ، وكان من  
حديثها أن نفرأ من يهود ، منهم سلام بن أبي الحقيق وحي بن أخطب وكنانة

(١) في الأحمدية دخلت ، وما في الظاهرية موافق لما في « تاريخ الطبري »  
٥٦٣ / ٢ من طبعة دار المعارف ، وفيه : وقامت إليه زينب فضلاً — أي تلبس  
ثوباً واحداً — فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وإنما عجلت زينب  
أن تلبس إذ قيل لها : رسول الله على الباب ، فوثبت عجلة .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية ٣٧ ، ومن هذه الآية قوله تعالى « وتخفى في  
نفسك ما الله مبديه ، أي أخفى في نفسه ما أعلمه الله به من أنها ستكون زوجته »  
وأنه سيزوجه إياها ، على ما في « كتاب كشف الغيب » .

(٣) بضم الدال . ودومة بالفتح موضع آخر ، كما في تاريخ الإسلام للذهبي  
« الجزء الأول » بتحقيق محمد محمود حمدان .

(٤) في النسختين « عرفة » وهو تحريف صحته من « جوامع السيرة  
لابن حزم » .



ابن الربيع بن أبي الحقيق النضريون (١) ، وهوذة بن قيس وأبو عمار الوائلي ،  
في قصر من بني النضير وبني وائل ، وهم الذين حزبوا الأحزاب على  
رسول الله ﷺ .

خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة يدعونهم إلى حرب رسول الله ﷺ  
وقالوا : إنا سنكون معكم حتى نستأصله ، فقالت لهم قريش : يا معشر يهود  
إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه (٢) فديننا خير أم دينه ؟  
قالوا : بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه ، فأنزل الله تعالى فيهم  
( ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجحمت والطاغوت (٣) )  
إلى قوله ( وكفى بجهنم سعيراً ) قال : فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطوا لما  
دعواهم إليه من حرب رسول الله ﷺ ، فاجتمعوا لذلك واعتدوا له ، ثم خرج  
أولئك نفر من يهود حتى جاءوا غطفان فدعواهم إلى حرب رسول الله ﷺ  
فخرجت غطفان ، وقائدها عيينة بن حصن في بني فزارة ، والحارث بن عوف  
المري في بني مرة ، ومسعر بن ربيعة (٤) فيمن تابعه من بني أشجع ، وخرجت  
قريش ، وقائدها أبوسفيان بن حرب ، فلما سمع بهم رسول الله ﷺ وما أجمعوا  
عليه من الأمر ضرب على المدينة الخندق ، فعمل فيه رسول الله ﷺ ترغيباً  
للمسلمين في الأجر ، وعمل معه المسلمون ، وتسلسل جماعة من المنافقين بغير علم  
رسول الله ﷺ ، فأنزل الله تعالى ( قد يعلم الله الذين يتسللون منكم  
لو إذا (٥) ) الآيات .

(١) بفتح الضاد ، على ما في الباب في الأنساب لابن الأثير ، والقاموس  
المحيط .

(٢) د نون ومحمد ، كما في تاريخ الطبري ٢ / ٥٦٥ .

(٣) سورة النساء ، الآية ٥١ .

(٤) في النسختين دخلة ، وهو تحريف صحته من جوامع السيرة .

(٥) سورة النور ، الآية ٦٣ .

وكان الرجل من المسلمين إذا نابتة نائبة لحاجة استأذن رسول الله ﷺ فيقضى حاجته ثم يعود ، فأُنزل الله تعالى ( إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله <sup>(١)</sup> ) الآية .

ثم قسم الخندق بين المسلمين ، فاختلف المهاجرون والأنصار في سلمان ، كل يدعى أنه منهم ، فقال رسول الله ﷺ : ( سلمان منا أهل البيت <sup>(٢)</sup> ) وجعل لكل عشرة أربعين ذراعا ، فكان سلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن وعمرو ابن عوف وستة من الأنصار يعملون ، فخرج عليهم صخرة كسرت المعاول ، فأعلموا رسول الله ﷺ فهبط إليها ومعه سلمان ، فأخذ المعول وضرب الصخرة ضربة صدعتها ، وبرق منها برقة أضاءت ما بين لابقى المدينة ، فكبر رسول الله ﷺ والمسلمون ، ثم الثانية كذلك ، ثم الثالثة كذلك ، ثم خرج وقد صدعتها ، فسأله سلمان عما رأى من البرق ، فقال رسول الله ﷺ : ( أضاءت لى الحيرة وقصور كسرى فى البرقة الأولى وأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها ، وأضاء لى فى الثانية القصور الحجر من أرض الروم وأخبرنى أن أمتى ظاهرة عليها وأضاء لى فى الثالثة قصور صنعاء وأخبرنى أن أمتى ظاهرة عليها فأبشروا ) فاستبشر المسلمون ، وقال المنافقون : ألا تعجبون ، يعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم ، وأنتم لا تستطيعون أن تبرزوا ، فأُنزل الله تعالى ( ولذيقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا <sup>(٣)</sup> ) .

(١) سورة النور ، الآية ٢٢ .

(٢) رواه الحاكم فى المستدرک ، والطبرانى فى الكبير ، على ما فى د الفتحة الكبير للشيخ يوسف النبهائى عليه رحمة الله . . وإنما وقع التنافس فى سلمان رضى الله عنه لأنه كان رجلا قويا ، يعمل عمل عشرة رجال فى الخندق ، أى فكان يحفر فى كل يوم خمسة أذرع فى عمق خمسة أذرع ، على ما فى د لسان العميون لبرهان الدين الحلبي . .

(٣) سورة الأحزاب ، الآية ١٢ .

وأقبلت قريش حتى نزلت مجتمع الأسياال<sup>(١)</sup> بين الجرف<sup>(٢)</sup> والغابة، في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تابعهم من كثافة وتهامة، وأقبلت غطفان ومن تابعهم، حتى نزلوا إلى جنب أحد، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون فجعلوا ظهورهم إلى سلع<sup>(٣)</sup> في ثلاثة آلاف، فنزل هناك ورفع الذراري والساء في الآطام<sup>(٤)</sup>.

وخرج حيي بن أخطب حتى أتى كعب بن أسد سيد قريظة، وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه، فأغلق كعب حصنه ولم يأذن له. فقال حيي: يا كعب قد جئتكم بعز الدهر وبيحر طام، جئتكم بقريش وقادتها وسادتها وغطفان بقادتها وسادتها، وقد عاهدوني أنهم لا يعرّحون حتى يستأصلوا محمداً وأصحابه، فقال كعب: جئتني بذل الدهر وبجهام<sup>(٥)</sup> قد هراق ماؤه يردد ويبرق ليس فيه شيء، وأنت امرؤ مشثوم، وقد وادعت محمداً ولم أر منه إلا الوفاء، ولم يزل معه يفتله في الذروة<sup>(٦)</sup> والغارب<sup>(٧)</sup> حتى حملة على الغدر

(١) في جوامع السيرة: «مجمع السيول».

(٢) على ثلاثة أميال من المدينة من جهة الشام، وفي بعض المصادر «بين الجرف وزغابة» أنظر الروض الأنف ووفاء الوفا للسمهودي. والجرف بضم الجيم.

(٣) جبل متصل بالمدينة، على ما في «معجم ما استعجم».

(٤) جمع أطم، وهو البناء المرتفع، الحصن، على ما في «شرح السيرة النبوية للخشنى»، و«النهاية لابن الأثير». وقيل: كل حصن مبنئ بحجارة، كما في «الإفصاح للاستاذين عبد الفتاح الصعيدى وحسين يوسف موسى جزأهما الله خيراً».

(٥) الجهم: السحاب الذي لا ماء فيه.

(٦) في الظاهرية «الذروة»، والتصحيح من الأحمدية ولسان العرب.

(٧) الغارب: مقدم السنام، والذروة أعلاه، أراد أنه ما زال يحادده ويتناطفه حتى أجابه. والأصل فيه أن الرجل إذا أراد أن يؤنس البعير الصعب ليزمه وينقاد له جعل يمر يده عليه ويمسح غاربه ويقتل وبره حتى يستأنس ويضع فيه الزمام، على ما في «لسان العرب لابن منظور رحمه الله».

بالنبي ﷺ ، ففعل ونكث العهد ، فعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف ، وأنهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم ، ونجم النفاق من بعض المنافقين .

وأقام رسول الله ﷺ والمشركون عليه بضعا وعشرين ليلة ، قريبا من شهر ، ولم يكن بين القوم حرب إلا الرمي ، فلما اشتد البلاء بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عيينة بن حصن والحارث بن عوف المري قائد غطفان فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما ، فأجابا إلى ذلك .

فاستشار رسول الله ﷺ سعد بن معاذ وسعد بن عباد فقالا : يا رسول الله شيء تحب أن تصنعه أو شيء أمرك الله به أم شيء تصنعه لنا ؟ قال : ( بل رأيت العرب ترميكم عن قوس واحدة فأردت أن أكسر عنكم شوكتهم ) فقال سعد بن معاذ : قد كنا نحن وهم على شرك ولا يطعمون أن يأكلوا منا ثمرة إلا قرى أو بيعا ، فحين أكرمنا الله تعالى بالإسلام نعطهم أموالنا ، ما نعطهم إلا السيف حتى يحكم الله تعالى بيننا وبينهم .

فترك ذلك رسول الله ﷺ ، وتناول سعد الصحيفة فحما ما فيها من الكتابة ، ثم قال : ليجهدوا علينا .

فتقدم فوارس من قریش منهم عمرو بن عبد ود وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب وضرار بن الخطاب الفهري <sup>(١)</sup> يلتمسون القتال ، فأقبلوا حتى وقفوا على الخندق ، فلما رأوه قالوا : والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها ، ثم يمموا مكانا من الخندق ضيقا فضربوا خيلهم فاقتحمته فجأوا في السبخة بين الخندق ولسلح ، وخرج علي بن أبي طالب في نفر معه من المسلمين

(١) ونوفل بن عبد الله ، على ما في « لسان العيون لبرهان الدين الحلبي » وتاريخ ابن الأثير وتاريخ ابن جرير . ولما قتل نوفل بن عبد الله سألت قریش رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعههم جسده بثمان كبير ، فقال : « لا حاجة لنا بجسده ولا ثمنه ، فثمانكم به » ، نفى بينهم وبينه ، على ما في « تاريخ الطبري » و « البداية والنهاية لابن كثير » ١١٦ / ٤ .

حتى أخذوا عليهم الشجرة التي اقتحمت منها خيلهم، وأقبلت الفرسان  
تعنق<sup>(١)</sup> نهمهم.

وكان عمرو بن عبدود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة<sup>(٢)</sup> فلم يشهد  
يوم أحد، فلما كان يوم الخندق خرج معلماً<sup>(٣)</sup> ليرى مكانه، فلما وقف هو  
وخيله قال: من يبارز، فبرز له علي بن أبي طالب رضي الله عنه - قال  
ابن سعد: كان عمرو ابن تسعين سنة - فقال له علي<sup>(٤)</sup>: يا عمرو إنك  
كنت عاهدت الله أن لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها  
منه. قال عمرو: أجل. قال علي: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله ﷺ،  
وإلى الإسلام. قال لا حاجة لي بذلك. قال له علي: فإني أدعوك إلى النزال.  
قال: لم يا بن أخي فوالله إني ما أحب أن أقتلك؟ قال له علي: لكنني والله  
أحب أن أقتلك. قال: فخمى عند ذلك عمرو<sup>(٥)</sup> فاقتحم عن فرسه فعقره<sup>(٦)</sup>  
وضرب<sup>(٧)</sup> وجهه ثم أقبل على علي فتنازلا وتجاولا، فقتله علي  
رضي الله عنه، وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت الخندق. وقال علي  
في ذلك:

(١) في الظاهرية «بعنق» وهو تصحيف، صححته من الأحمدية و«تاريخ  
الطبري ٢ / ٥٧٤». وتعنق يعني تسرع.

(٢) أي جعلته ثابتاً في مكانه لا يتحرك، علي ما في «تاج العروس للزبيدي».

(٣) يعني جعل له علامة يعرف بها.

(٤) (علي) ساقطة من الظاهرية فاستدركتها من الأحمدية.

(٥) أي أخذته الحمية، علي ما في «لسان العيون لبرهان الدين الحلبي».

(٦) «فَعَقَرَهُ» ساقطة من الظاهرية، فاستدركتها من الأحمدية و«تاريخ  
الطبري». وعقره: أي ضرب قوائمه. وربما قيل: عقره إذا نحره، علي ما في  
«المصباح المنير».

(٧) كذا في النسختين، وفي تاريخ الطبري «أو ضرب».

نصر الحجارة من سفاهة رأيه      ونصرت دين محمد بضراب  
فصدرت حين تركته متجدلاً (١)      كالجذع بين دكادك وروابي (٢)  
وعففت عن أثوابه ولو اننى      كنت المقطر بزنى أثوابي  
لا تحسب الله خاذل دينه      ونبيه يا معشر الأحزاب

وقيل في قتل عمرو من رواية ابن إسحاق إن عمراً لما نادى بطلب من يبارزه قام على رضى الله عنه - وهو مقنع في الحديد - فقال : أنا له يابى الله ، فقال : ( اجلس إنه عمرو ) ثم نادى الثانية وجعل يؤنبهم ويقول : أين جئتكم التي ترعمون أنه من قتل منكم دخلها ، أفلا تبرزون لي رجلاً ؟ فقام على رضى الله عنه فقال النبي ﷺ : ( اجلس إنه عمرو ) ثم نادى الثالثة وقال :

واقعد بحت من النداء      بجمعكم هل من مبارز  
ووقفت إذ جبن المشي      جمع وقفة الرجل المناجز (٣)  
وكذاك إنى لم أزل      متسرعاً قبل الهزاهز (٤)  
إن الشجاعة في الفتى      والجود من خير الغرائز

فقام على رضى الله عنه فقال : أنا له يا رسول الله فقال : ( إنه عمرو ) فقال : وإن كان عمراً ، فأذن له رسول الله ﷺ ، وأعطاه سيفه وعممه بيده وقال : ( اللهم أعنه عليه ) فمشى إليه على وهو يقول :

- (١) في النسختين « متجدلاً » والتصحيح من « الدرر في المغازي والسير للحافظ ابن عبد البر ٩٨٦ » .  
(٢) متجدلاً : لا صقاً بالأرض . الدكادك : الزمال اللينة ، الروابي : التلال والمرتفعات .  
(٣) في البداية والنهاية للحافظ ابن كثير : « موقف القرن المناجز » ومثله في « الروض الأنف » .  
(٤) هي الفتن التي تمزق الناس .

لا تعجلن فقد أنا ك مجيب صوتك غير عاجز  
 ذو نية وبصيرة والصدق منجى (١) كل فائر  
 إلى لأرجو أن أقبى سم عليك نائحة الجنائز  
 من ضربة نجلاء يب سقى ذكرها عند المراهز  
 فقال له عمرو : من أنت ؟ قال : أنا على ، قال : ابن عبد مناف ؟ قال :  
 أنا على بن أبي طالب ، فقال : غيرك يا بن أخي من هو أسن منك (٢) فأني  
 أكره أن أهرق دمك ، فقال على : لكنى والله ما أكره أن أهرق دمك ،  
 ففضض ونزل وسل سيفه كأنه شعلة نار ، ثم أقبل نحو على مغضبا ، ويقال  
 إنه كان على فرسه ، فقال له على : كيف أقاتلك وأنت على فرسك ؟ ولكن  
 انزل معى ، فنزل عن فرسه ثم أقبل نحوه ، فاستقبله على بدرقته (٣) فضربه  
 عمرو فيها فقدها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشججه ، وضربه على على  
 حبل العاتق ، فسقط وثار العجاج ، وسمع رسول الله ﷺ التكبير فعرّف  
 أن علياً قد قتله .

قالت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : كنت فى حصن بنى حارثة يوم  
 الخندق ، وكان من أحصن حصون المدينة ، وكانت أم سعد بن معاذ معى فى  
 الحصن ، وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب ، فر سعد وعليه درع له مقلصة  
 قد خرجت منها ذراعه كلها ، وفى يده حربته وهو يقول :

لبك قليلا يشهد الهيجا حمل (٤)  
 لا بأس بالموت إذا حان الأجل

(١) فى الظاهرية « مجى » وهو سهو ، أو تكون النون طمسها التصوير ، لأن  
 لدينا المصور لا الأصل .

(٢) فى الروض الأنف : « غيرك يا بن أخي من أعمامك من هو  
 أسن منك » . (٣) الدرقة : الترس .

(٤) فى النسختين « حمل » والتصحيح من « الروض الأنف » حيث قال :  
 عنى به حمل بن سعدانة بن حارثة بن معقل بن كعب السكبي . وفى حاشية  
 الأحمدية : « حمل بالحاء المهملة ، قيده الحفاظ » .

فمالت له أمه : الحق أى بنى فقد والله أخرت ، قالت عائشة رضى الله عنها : فقلت يا أم سعد والله لو ددت أن درع سعد كانت أسبغ بما هى ، قال : فرمى سعد بسهم فأصاب منه الأكل<sup>(١)</sup> رماه جبان<sup>(٢)</sup> بن العرقة أحد بنى عامر ابن لؤى ، فلما أصابه قال : خذها منى وأنا ابن العرقة ، فقال له سعد : عرق الله وجهك فى النار ، ثم قال سعد : اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقتى لها فإنه لا قوم أحب إلى أن أجاهد من قوم آذوا رسولك وأخرجوه وكذبوه ، اللهم إن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لى شهادة ولا تمتنى حتى تقر عيني من بنى قريظة ، وكانوا حلفاءه ومواليه فى الجاهلية . فلما قال سعد ما قال انقطع الدم .

وكانت صفية عمة رسول الله ﷺ فى ( فارغ ) حصن حسان بن ثابت ، وكان حسان فيه مع الدساء لأنه كان جباناً<sup>(٣)</sup> . قالت : فأتانا آت من اليهود ، فقلت لحسان : إن هذا اليهودى يطوف بنا ولا آمنه أن يدخل<sup>(٤)</sup> على عورتنا فانزل إليه فاقتله ، قال : والله ما أنا بصاحب هذا ، قالت : فأخذت عموداً

(١) الأكل : عرق ، زعموا أنه لم ينقطع من أحد قط إلا لم يزل يبض دماً حتى يموت . على ما فى « تاريخ الطبرى ٢ / ٥٧٦ » .

(٢) فى الظاهرية « حجاب » وهو تصحيف صحخته من الأحمدية و « تبصير المنتبه للحافظ ابن حجر » .

(٣) هذا حديث منقطع الإسناد ذكره ابن إسحاق وطائفة من أهل السير . وأنكره آخرون وقالوا : لو كان فى حسان من الجبن ما وصفتهم لهجاء بذلك من كان يهاجمهم فى الجاهلية والإسلام ، ولهجى بذلك ابنه عبد الرحمن فإنه كان كثيراً ما يهاجم الناس من الشعراء ، على ما فى « الدرر فى المغازى والسير لابن عبد البر ١٨٦ » و « الروض الأنف » والاستيعاب .

(٤) فى الأحمدية « يدل » عوض « يدخل » التى فى الظاهرية .



ونزلت إليه فقتلته ، ورجعت وقلت لحسان : انزل إليه وخذ سلبه فإنني يمنعني منه أنه رجل ، فقال : والله مالي بسلبه من حاجة .

ثم إن نعيم بن مسعود الأشجعي أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إني قد أسلمت ولم يعلم قومي ، ففرني بما شئت فقال له رسول الله ﷺ : ( إنما أنت رجل واحد فنحنل عنا ما استطعت فإن الحرب خدعة ) فخرج حتى أتى بني قريظة وكان نديماً لهم في الجاهلية ، فقال لهم : قد عرفتم ودي إياكم ، قالوا : لست عندنا بمتهم ، قال : قد ظاهرتم قريشاً وغطفان على حرب محمد ، وليسوا كهيئةكم ، البلد بلدكم ، به أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم ، لا تقدرون على أن تتحولوا منه ، وإن قريشاً وغطفان إن رأوا نهزة وغنيمة أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين محمد ، ولا طاقة لكم به . قالوا : أشرت بالنصح .

ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لأبي سفيان ومن معه : قد عرفتم ودي إياكم ، وقد بلغني أن قريظة قد ندموا ، وقد أرسلوا إلى محمد يقولون : هل يرضيك عنا أن نأخذ من قريش وغطفان رجالاً من أشrafهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ، ثم نكون معك على من بقي منهم ، فأجابهم أن نعم ، فإن طلبت قريظة منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم رجالاً واحداً .

ثم خرج حتى أتى غطفان فقال : أنتم أهلي وعشيرتي ، وقال : لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ، فلما كان ليلة السبت من شوال ، وكان مما صنع الله لرسوله أن<sup>(١)</sup> أرسل أبو سفيان ورؤوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان ، وقالوا لهم : إنا لسنا بدار مقام وقد

(١) ( أن ) استدركتها من تاريخ ( الكامل لابن الأثير ) .

هلك الخنف والحافر فاغدوا للقتال ، فقالوا لهم : إن يوم السبت لا نعمل فيه شيئاً ، ولأسنا نقاتل معكم حتى تعطونا رهائن ثقة لنا ، فانا نخشى أن ترجعوا إلى بلادكم وتركونا والرجل ، ونحن يبلاده .

فقات قريش وغطفان : والله لقد صدق نعيم بن مسعود ، فأرسلوا إلى قريظة : والله لا ندفع اليكم رجلاً واحداً ، فأخرجوا معنا إن شئتم وإلا فلا عهد بيننا وبينكم ، فقال بنو قريظة : صدق والله نعيم بن مسعود .

وخذل الله بينهم واختلقت كلمتهم ، وبعث الله عليهم ريحاً عاصفاً<sup>(١)</sup> في ليل شديدة البرد ، فجعلت الريح تقلب آيتهم وتسكفأ قدورهم .

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ اختلاف أمرهم دعا حذيفة بن اليمان ليلاً فقال : ( انطلق إليهم وانظر حالهم ولا تحدثن شيئاً حتى تأتينا ) قال حذيفة : فذهبت فدخلت فيهم والريح تفعل فيهم ما تفعل . لا تقر لهم قدر ولا بناء ولا نار .

فقام أبو سفيان فقال : يا معشر قريش لينظر امرؤ جلسه ، قال : فأخذت بيد الرجل الذي يجنبي فقلت : من أنت ؟ قال : أنا فلان ابن فلان ، ثم قال أبو سفيان : والله لقد هلك الخنف والحافر وأخلفتنا قريظة ، ولقينا من هذه الريح ماترون ، فارتحلوا فاني مرتحل ، ثم قام إلى جملة وهو معقول فجلس عليه وضربه فوثب على ثلاث قوائم ( ثم قال حذيفة )<sup>(٢)</sup> :

ولولا عهد رسول الله ﷺ أن لا أحدث شيئاً لقتلته ؛ قال : فرجعت إلى

(١) يقال . ريح عاصف ، وعاصفة ، ومعصفة ، تنكسر الشيء فتجعل له كعصف ، ويقال لحطام النبات المنكسر : عصف ، على ما في ( المفردات للراغب الأصفهاني ) .

(٢) ( ثم قال حذيفة ) هكذا في ( الثقات لابن حبان ٢٧٣/١ ) .

رسول الله ﷺ وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه ، فأدخلني بين رجاليه وطرح عليّ طرف المرط ، فلما سلم خبرته الخبر .

وسمعت غطفان بما فعلت قريش فعادوا راجعين إلى بلادهم . وقال رسول الله ﷺ : ( الآن نغزوهم ولا يغزونا ) وكان كذلك حتى فتح مكة .

وأقام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد في مائتي فارس ساقية لعسكر قريش<sup>(١)</sup> مخافة الطلب ، وانصرف رسول الله ﷺ يوم الأربعاء لسبع ليال بعين من ذي القعدة .

وتم في حفر الخندق ( معجزات من أعلام النبوة ) :

منها أن جابراً كان يحدث أنه اشتد عليهم في بعض الخندق كدية<sup>(٢)</sup> فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فأخذ المعول وضرب فعاد كثيباً أهيل<sup>(٣)</sup> وروى في هذا الخبر أنه دعا بما فتل فيه ثم دعا ما شاء الله أن يدعو به ، ثم فضح الماء على تلك الكدية<sup>(٤)</sup> فانهاالت حتى عادت كالكثيب ما ترد فأساً ولا مسحاة<sup>(٥)</sup> .

ومنها ( خبر الحفنة من التمر ) التي جاءت بها ابنة بشير بن سعد وخالها عبد الله بن رواحة ليتخذيا به ؛ فقال لها رسول الله ﷺ : ( هاتيه ) فصبته

(١) في الإحدى ( المشرकिन ) عوض ( قريش ) التي في الظاهرية .

(٢) في النسختين ( كدنة ) وهو تصحيف .

(٣) أي رملا سائلا . وفي الظاهرية ( أحرميل ) عوض ( أهيل ) .

(٤) في النسختين ( الكدنة ) وهو تصحيف . والكدية : صخرة غليظة صلبة لا يعمل فيها الفأس .

(٥) المسحاة : المجرفة .

في كفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما ملأهما ، ثم أمر بثوب فبسط له ، ثم قال لإنسان عنده : ( اصرخ في أهل الخندق أن هلم إلى الغداء ) فاجتمع أهل الخندق عليه فجعلوا يأكلون منه ، وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه وإنه ليسقط من أطراف الثوب .

ومنها ( حديث شوية جابر ) قال : صنعتها وإنما أريد أن ينصرف معي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده ، فلما قالت له أمر صارخاً فصرخ : أن انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت جابر بن عبد الله . قال قلت : ( إنا لله وإنا إليه راجعون ) .

( قال : فأقبل الناس معه ، فجلس ، فأخرجنا إلى فيه فبرك ثم سمي الله عز وجل وأكلوا ، وتوارد الناس جميعاً ، كلما فرغ قوم قاموا وجاء آخرون ، حتى صدر أهل الخندق عنها .

رواه البخاري وفيه : وهم ألف ، فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغطف (١) كما هي وأن عجيتنا ليخبر كما هو .

( غزوة بني قريظة )

لما أصبح النبي صلى الله عليه وسلم عاد إلى المدينة ، ووضع المسلمون السلاح ، وضرب على سعد بن معاذ قبة في المسجد ليعوده من قريب ، فلما كانت الظهر أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ( أقدم وضعت السلاح ) قال : نعم ، قال جبريل : ما وضعت الملائكة السلاح إن الله عز وجل يأمرك

(١) أى تغلى ويسمع غطيطها بمعنى صوتها . وفي الظاهرية ( لتغطف ) وهو تصحيف .

بالمسير إلى بني قريظة ، فأتى عامد إليهم فزلزل بهم .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم منادياً فنادى : من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة .

وقدم على رضى الله عنه إليهم برأيتهم ، ثم تلاحق الناس . ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأتاه رجال بعد عشاء الآخرة فصلوا العصر بها ، وما عابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة شهراً أو خمساً وعشرين ليلة . فلما اشتد عليهم الحصار أرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابعت إلينا أبا لبابة ابن عبد المنذر — وهو أنصارى من الأوس — نستشير به ، فأرسله ، فلما رآه قام إليه الرجال وبكى له (١) النساء والصبيان ، فرق لهم فقالوا له (٢) : نزل على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال نعم ، وأشار إلى حلقة أنه الذبح (٣) .

قال أبو لبابة : فإزالت قدمي حتى عرفت أني خنت الله ورسوله فقلت : والله لا أقمت بمكان عصيت الله فيه ، وانطلق على وجهه حتى ارتبط في المسجد وقال : لا أبرح حتى يتوب الله علي .

(١) اشتهر بهذه السكينة . واختلف في اسمه .

(٢) (له) ساقطة من الاحدية .

(٣) (له) ساقطة من الظاهرية .

(٤) لما حاصر المسلمون بني قريظة سأل بنو قريظة الصالح ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( تنزلون على حكم سعد بن معاذ ) فأبوا وقالوا : أرسل إلينا أبا لبابة . فبعثه إليهم ، وكان ولده وعياله وماله عندهم ، فلما جاءهم قالوا له : ما ترى أننزل على حكم سعد ؟ فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقة أنه الذبح ، ثم فطن أنه خان الله ورسوله ، كما في ( تفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ٣٢١/٩ ) .

فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره وكان قد استبطأه قال : ( أما لو جاءني لاستفقرت له فأما إذ فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه ) .

قال ابن هشام : أقام أبو لبابة مرتبطاً بالجذع ستة أيام ، تأتبه امرأته في وقت كل صلاة فتحله للصلاة ، ثم يعود فيربط بالجذع ، ومكث سبع ليال<sup>(١)</sup> لا يأكل ولا يشرب حتى ذهب سمعه وكاد يذهب بصره .

فزلت توبته على رسول الله ﷺ وهو في بيت أم سلمة ، قالت أم سلمة : فسمعت رسول الله ﷺ من السحر وهو يضحك ، قلت : مم تضحك أضحك الله سنك ؟ قال : ( تيب على أبي لبابة ) قالت قلت : أفلا أبشره يا رسول الله ؟ قال : ( بلى إن شئت ) قال : فقامت على باب حجرتها — وذلك قبل أن يضرب الحجاب — فقالت : يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك .

قال : فثار الناس إليه ليطلقوه فقال : لا والله حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يطلقني بيده ، فلما مر عليه خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه .  
رجع إلى الأول :

ثم نزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، فقالت الأوس : يا رسول الله أفعل في موالينا مثل ما فعلت في موالى الخزرج — يعنى بنى قينقاع ، وقد تقدم ذكرهم — فقال رسول الله ﷺ : ( ألا ترضون أن يحكم فيهم سعد بن معاذ ) قالوا : بلى ، فأتاه قومه فاحتملوه على حمار ، ثم أقبلوا به إلى رسول الله ﷺ وهم يقولون : يا أبا عمرو أحسن إلى مواليك .

(١) وفي رواية ( بضع عشرة ليلة ) كما في الاستيعاب للحافظ ابن عبد البر .

فلما أكثروا عليه قال : قد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم ،  
فعلم كثير منهم أنه يقتلهم .

فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ قال : ( قوموا إلى سيدكم ) أو قال :  
( خيركم ) ، فقاموا إليه وأنزلوه وقالوا له : يا أبا عمرو أحسن إلى مراليك فقد  
رد رسول الله ﷺ الحكم فيهم إليك .

فقال سعد : عليكم عهد الله وميثاقه أن الحكم فيهم إلى ؟ قالوا : نعم ،  
فالتفت إلى الناحية الأخرى التي فيها رسول الله ﷺ وغمض (١) بصره عن  
رسول الله ﷺ إجلالا له وقال : وعلى من هاهنا العهد أيضا ، قالوا : نعم ،  
وقال رسول الله ﷺ : ( نعم ) قال : فاني أحكم أن تقتل المقاتلة وتسبى  
الذرية والنساء وتقسم الأموال ، فقال له رسول الله ﷺ : ( لقد حكمت  
بحكم الله تعالى من فوق سبعة أرقعة (٢) ) .

ثم جلسوا في دار بنت الحارث امرأة من بنى النجار ، ثم خرج رسول  
الله ﷺ إلى سوق المدينة فخندق بها خنادق ، ثم بعث إليهم وضرب  
أعناقهم فيها .

وفيهم حيي بن أخطب وكعب بن أسد سيدهم ، وكانوا ستائة أو سبعمائة ،  
وقيل مابين الثمانمائة والسبعمائة : وأتى يحيى بن أخطب وهو مكتوف ، فلما  
رأى رسول الله ﷺ قال : والله مالت نفسي في عداوتك ولكن من يغذل  
الله يغذل ، ثم قال للناس : إنه لا بأس بأمر الله كتاب وقد رمل ملحمة كتبت  
على بنى إسرائيل ، فأجلس وضربت عنقه .

(١) في الظاهرية ( وغمض ) .

(٢) الأرقعة : السموات .

ولم يقتل منهم إلا امرأة واحدة بحدث أحدثته . وقتل من أنبت (١) منهم .  
 وأسلم منهم ثعلبة بن سعية (٢) وأسد بن سعية وأسد بن عبيد .  
 ثم قسم رسول الله ﷺ أموالهم فكان للفارس ثلاثة أسهم : للفارس  
 سهمان ولل فارس سهم ، ولل راجل سهم (٣) وكانت الخيل يومئذ ستة  
 وثلاثين فرسا .

واصطفى رسول الله ﷺ لنفسه ربحانة ابنة عمرو بن خنافة من بنى  
 قريظة ، فأراد أن يتزوجها فقالت : أتركنى فى ملكك فهو أخف  
 علىّ وعليك .

قال ابن اسحاق : وقد كان ثابت بن قيس بن شماس الانصارى قد أتى  
 إلى الزبير بن باطا القرظى ، وكان الزبير قدمنّ على ثابت بن قيس فى الجاهلية  
 يوم بعث (٤) أخذه فجوز ناصيته ثم خلى سبيله ، فجاءه ثابت ، وهو شيخ كبير  
 فقال : هل تعرفنى ؟ قال الزبير : وهل يحفل مثلى مثلك ، قال إنى قد أردت  
 أن أجزيك بيدك عندى ، قال : إن الكريم يحزى الكريم .

فأتى ثابت رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إنه كان للزبير على منة

(١) أراد نبات شعر العانة ، فجعله علامة للبلوغ . وليس ذلك حسداً  
 عند أكثر أهل العلم إلا فى أهل الشرك لأنه لا يوقف على بلوغهم من جهة السن  
 ولا يمكن الرجوع إليهم للثمة فى دفع القتل . على ما فى ( النهاية لابن الأثير ) .  
 (٢) فى النسختين ( سعيد ) عوض ( سعية ) فى الموضعين . والتصحيح من  
 ( جوامع السيرة لابن حزم ) .

(٣) فى ( الثقات لابن حبان ) زيادة : وأخرج منها ﷺ الخمس .  
 (٤) من أيام الأوس والخزرج ، بين المبعث والهجرة . وكان الظرف فيه الأوس  
 وهو آخر الحروب المشهورة بين الأوس والخزرج . ثم جاء الاسلام وافقت  
 الكلمة واجتمعوا على نصر الاسلام وأهله . وبعث : اسم حصن الأوس ( من تاج  
 العروس وتاريخ الكامل لابن الأثير ) .



وقد أحببت أن أجزيه بها فهب لي دمه ، فقال رسول الله ﷺ : ( هو لك )  
فأتى ثابت إليه فقال : إن رسول الله ﷺ قد وهب لي دمك ، قال : شيخ كبير  
لا أهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة ، قال فأتى ثابت النبي ﷺ قال : يا رسول  
الله ماله ، قال ( هو لك ) فأتاه ثابت قال : قد أعطاني رسول الله ﷺ ماله فهو لك .

قال : أي ثابت : ما فعل الذي كان وجهه امرأة صيدية<sup>(١)</sup> يترامى فيه  
عذارى الحى كعب بن أسد ؟ قال : قتل ؛ قال فما فعل سيد الحاضر والبادى جبي  
ابن أخطب ؟ قال : قتل ، قال : فما فعل مقدمتنا إذا شددنا وحاميتنا إذا فررنا  
عزال بن سموم<sup>(٢)</sup> قال : قتل ، قال : فما فعل المجلسان ؟ يعنى بنى كعب بن  
قريظة وبنى عمرو بن قريظة ، قال : قتلوا .

قال : فإني أسألك يا ثابت بيدي عندك إلا ألحقتنى بالقوم ، فوالله ما في  
العيش بعد هؤلاء من خير ، فما أنا بصابر لله فتلة<sup>(٣)</sup> دلو فاضح حتى ألقى  
الآحبة ؛ فقدمه ثابت فضرب عنقه .

فلما بلغ أبا بكر الصديق رضى الله عنه قوله « ألقى الآحبة » ، قال : يلقيهم  
والله في نار جهنم خالداً فيها مخلداً .

( ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان )

فيها انفجر جرح ( سعد بن معاذ ) بن النعمان بن زيد بن عبد الأشهل —  
ويكنى أبا عمرو ، وأمه كبشة بنت رافع وهي من المبايعات — فمات منه ، ونزل

(١) في الظاهرية (ضيفة) وفي تاريخ الطبرى مثل ما في النص .

(٢) كذا في النسختين . وفي تاريخ الطبرى (شمويل) عوض (سموم) .

(٣) قال البخشي في شرح السيرة : ومن رواه (قبلة) فهو بمقدار ما يقبل  
الرجل الدلو ليصبها في الخوض ثم يصرفها ، وهذا كله لا يكون إلا عن  
استعجال وسرعة .

جبريل عليه السلام على النبي ﷺ معجباً بعمامة من استبرق<sup>(١)</sup> وقال : يا محمد من هذا الذى فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش ؟ فقام رسول الله ﷺ سريعاً بحج ثوبه إلى سعد بن معاذ فوجده قد مات .

وكان رجلاً جسيماً ، فلما حملوه جعل المنافقون يقولون وهم يمشون حول سريره : لم نر كاليوم رجلاً أخف ، وقالوا : أتدرون لم ذلك ؟ لحكمه فى بنى قريظة .

فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال : ( والذى نفسى بيده ، لقد كانت الملائكة تحمل سريره )<sup>(٢)</sup> .

وروى سلمة بن أسلم الأشهلى قال : دخل رسول الله ﷺ البيت وما فيه إلا سعد مسجى ، فرأيتنه يتخطى ، فوقف وأومأ إلى أن قف ، فوقفت ورددت من ورائى ، وجلس ساعة ثم خرج ، فقلت : يا رسول الله ما رأيت أحداً وقد رأيتك تتخطى ، فقال : ( لم أجد لى مجلساً من الملائكة ) .

وكان سعد رجلاً أبيض طوالاً جميلاً . وتوفى ابن سبع وثلاثين سنة ، ودفن بالبقيع . وروى ابن عمر عن النبي ﷺ قال : ( هذا العبد الصالح الذى قد تحرك له العرش<sup>(٣)</sup> وفتحت له أبواب السموات وشهده سبعون ألفاً من الملائكة لم ينزلوا إلى الأرض قبل ذلك ، ضم ضمة ثم أفرج عنه ) يعنى سعد بن معاذ رضى الله عنه .

(١) هو ما غلظ من الحرير والابرسم . وهى لفظة أعجمية معربة ؛ على ما فى ( النهاية فى غريب الحديث ) .

(٢) أخرجه الترمذى وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب .

(٣) روى هذا الحديث بروايات مختلفة ؛ كما فى ( خ م ت ) .

وفيهما استشهد (خلاد بن سويد بن ثعلبة) شهد العقبة وبدرًا وأحدًا والخندق ويوم بني قريظة، وقتل يومئذ شهيداً، دلت عليه امرأة من بني قريظة رعى شدخت رأسه، فقال رسول الله ﷺ: (له أجر شهيدين) وقتلها به. قالت عائشة رضي الله عنها: إنما لعندي تتحدث ورسول الله ﷺ يقتل رجالهم بالسوق إذ هتف هاتف باسمها أين فلانة؟ قالت: أنا والله. قلت: ويحك مالك؟ قالت: أقتل. قلت: ولم؟ قالت: لحدث أحدثته. فانطلق بهما فضربت عنقها، فما أنسى منها طيبة نفس وكثرة ضحك، وقد عرفت أنها تقتل.

(أمية بن أبي الصلت)

وفي هذه السنة هلك (أمية بن أبي الصلت) واسم أبي الصلت عبد الله بن أبي ربيعة<sup>(١)</sup>. وكان أمية قد قرأ الكتب المتقدمة ورغب عن عبادة الأوثان، وأخبر أن نبياً يخرج قد أظل زمانه، وكان يؤمل أن يكون هو ذلك النبي، فلما بلغه ظهور رسول الله ﷺ كفر به حسداً له؛ فأنزله الله تعالى فيه (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها<sup>(٢)</sup>) وكان يحرض قريشاً بعد ذلك على النبي ﷺ.

ورث قتل بدر بقصيدة، منها:

ما ذا ببدر والعقبة قتل من ضراغمة ججاج<sup>(٣)</sup>

(١) في النسختين (بن ربيعة) والتصحيح من (الاعلام للأستاذ الزركلي رحمه الله) و (بلوغ الأرب للكلوسي).

(٢) سورة الاعراف؛ الآية ١٧٥.

(٣) في الظاهرية (ججاج) وهو تصحيف، وفي ديوان أمية المطبوع الذي جمعه بشريوت:

كم بين بدر والعقبة قتل من مراغبة ججاج

وما في النسختين موافق لما في (بلوغ الأرب للكلوسي). والعنقل: كشيء من الرمل ببدر. والججاج: السيد الكريم. والمرزبان: الفارس الشجاع.

ونهى النبي ﷺ أن تروى . وهو القائل في عبد الله بن جدهان :  
 قومي ثقيف إن سألت وأسرتي وبهم أدافع ركن من عاداني  
 قوم إذا نزل الغريب بدارهم ردوه رب صواهل وقيان  
 لا يكثرن الأرض عند سؤالهم لتطلب<sup>(١)</sup> العلات بالعيان  
 وعن ثابت بن الزبير قال : لما مرض أمية المرض الذي مات فيه جعل  
 يقول : قد دنا أجل وهذه المرضة فيها منيتي ، وأنا أعلم أن الحنيفة حق ولكن  
 الشك بداخلي<sup>(٢)</sup> في محمد ، فلما دنت وفاته أغمى عليه قليلاً ثم أفاق وهو يقول :  
 ليبيكا ليبيكا \* هأنذا لديكا \* لا مال لي يفديني \* ولا عشيرة تنجيني  
 ثم أغمى عليه أيضاً ساعة ، حتى ظن من حضره من أهله أنه قد قضى .  
 ثم أفاق وهو يقول :  
 ليبيكا ليبيكا \* هأنذا لديكا \* لا برىء فأعتذر \* ولا قوى فأتنصر  
 ثم إنه بقي يحدث من حضر ساعة ، ثم أغمى عليه مثل المرتين ، حتى يتسوا  
 منه ، ثم أفاق وهو يقول :

ليبيكا ليبيكا هأنذا لديكا  
 إن تغفر اللهم تغفر جما وأى عبد لك لا ألما  
 ورفع رأسه وهو يقول :

كل حي<sup>(٣)</sup> وإن تطاول دهرأ صائر مرة<sup>(٤)</sup> إلى أن يزولا

(١) في الأغاني (لتلمس) عوض (لتطلب) .  
 (٢) كذا في النسختين و (الوافي بالوفيات للصلاح الصفدي ٣٩٨/٩) وورد  
 (يداخلني) في تفسير (التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ١٧٤/٩)  
 والأغاني .

(٣) في ديوانه المطبوع في بيروت (كل عيش) ومثله في بلوغ الأرب للكلوسي  
 والبداية والنهاية ٢٢٦/٢ ومروج الذهب والوافي بالوفيات ٣٩٩/٩ .

(٤) كذا في النسختين وبلوغ الأرب . وفي الأغاني (صائر أمره) . وفي

ليتني كنت قبل ما قد بدا لي في قلال<sup>(١)</sup> الجبال أرمي الوعولا  
لجعل الموت نصب عينيك واحذر غولة الدهر إن للدهر غولا  
ثم قضى نحبه .

وقيل إن أمية بينما هو يشرب مع إخوان له بالطائف في قصر من قصورها  
إذ سقط غراب على شرفة القصر ، فنعب نعمة فقال أمية : بفيك الكشكش .  
وهو التراب ، فقال أصحابه : ما يقول ؟ قال يقول إنك إذا شربت الكأس  
التي<sup>(٢)</sup> بيدك مت ، فقلت : بفيك الكشكش ، ثم نعب أخرى فقال أمية بحق  
ذلك ؟ فقال أصحابه ما يقول ؟ قال زعم أنه يقع على هذه المازلة فيثير<sup>(٣)</sup>  
عظما فيبلعه فيشجى به فيموت ، فقلت : بحق ذلك ؟ فوقع الغراب فأثار العظامة  
وابتلعها فمات ، فاندكسر أمية ووضع الكأس التي بيده وتغير لونه ، فقال له  
أصحابه : ما أكثر ما سمعنا مثل هذا منك باطلا ، وألحوا عليه حتى شرب  
الكأس ، قال وأغنى عليه ، وأفاق وهو يقول :

لا يرى فاعتذر ولا قوى فانتصر ، ثم خرجت نفسه .

ولما أنشد للنبي ﷺ قول أمية :

الحمد لله ممسانا ومصبحنا بالخير صبحنا ربى ومسانا

ألا نبى لنا منا يخبرنا ما بعد غاياتنا من رأس محيانا<sup>(٤)</sup>

ديوان أمية (منتهى أمره) . وفي مروج الذهب (فقصارى أيامه أن يزولا) .  
(١) في النسختين (قلال) عوض (قنان) التي في (الأغانى) وهى أعلى الجبال  
وفي ديوانه المطبوع (في رموس الجبال) وكذلك في بلوغ الأرب ومروج  
الذهب . وفي تاريخ ابن كثير (في ظلال) .

(٢) في النسختين (الذى) والتصحيح من الواقى بالوفيات للصفدى .

(٣) في النسختين (فيشير) والتصحيح من (الأغانى) ومن السياق .

(٤) في ديوانه المطبوع (مجرانا) عوض (محيانا) ومثله في بلوغ الأرب  
ومجلة الأزهر ١٣/٢٢٦ - وما في النسخ موافق لرواية الأغانى .

بينما يرى بيننا آباؤنا<sup>(١)</sup> هلكوا      وبينما نقتنى الأولاد أفنانا  
وقد علمنا لو أن العلم ينفعنا  
أن سوف يلحق آخرانا بأولانا<sup>(٢)</sup>

فقال النبي ﷺ (إن كاد أمية ليسلم) . وعتب أمية على ابن له فقال :  
غذوتك مولوداً وعلمتك<sup>(٣)</sup> يافعاً      تعلم بما أجنى عليك<sup>(٤)</sup> وتنهل  
إذا ليلة نابتك بالشكو لم أبت      لشكوكك إلا ساهراً أتململ  
كأنى أنا المطروق دونك بالذى      طرقت به دوني فعيناي<sup>(٥)</sup> تهمل  
تخاف الردى نفسى عليك وإنها      لتعلم أن الموت وقت مؤجل<sup>(٦)</sup>  
فلما بلغت السن والغاية التى      إليها مدى ما كنت فيك أو مل  
جعلت جزائى غلظة وفضاظة<sup>(٧)</sup>      كأنك أنت المنعم المتفضل  
وسميتنى باسم المقتد رأيه      وفى رأيك التفنيد لو كنت تعقل  
فليتك إذ<sup>(٨)</sup> لم ترع حق أبوتى      فعلت كما الجار المجاور يفعل

- (١) فى ديوانه المطبوع (بينما يربينا آباؤنا) ؛ يعنى : يربينا آباؤنا .  
(٢) فى الظاهرية (أولانا بأخرانا) وهو سهو . وقد وردت هذه القطعة  
فى (الأغانى) باختلاف فى بعض الكلمات ؛ وفى مجلة الأزهر زيادة عما هنا .  
(٣) فى الظاهرية (وعلمتك) وهو تحريف . وفى مجلة الأزهر ١٣ / ٣٦٠  
(ومتك) تبعاً للأغانى .  
(٤) أجنى عليك : أكسب . وفى الاحمدية وديوانه المطبوع (أجنى عليك) .  
(٥) فى النسختين والوافى بالوفيات (فعيناي) وفى الأغانى وديوان المعانى (فعينى) .  
(٦) فى ديوانه المطبوع ومجلة الأزهر :  
تخاف الردى نفسى عليك وإننى      لأعلم أن الموت حتم مؤجل  
(٧) فى الظاهرية (وقضاضة) وفى الاحمدية (فضاضة) وكلاهما تصحيف .  
(٨) فى النسختين (إن) عوض (إذ) المثبتة فى ديوانه المطبوع فى بيروت .

تراه معمداً للخلاف كأنه برد على أهل الصواب موكل<sup>(١)</sup>

وحكى ابن الجوزى فى ( المنتظم ) بسنده إلى الشريد الحمدانى قال :  
خرجنا مع النبي ﷺ فى حجة الوداع فاذا وقع ناقة خلقي ، فالتفت ، فاذا رسول  
الله ﷺ ، فقال : ( الشريد ) فقلت نعم ، قال ( ألا أحملك ) قلت بلى ؛ وما بى  
من إعياء ولا لغوب ولكنى أردت البركة بركوبى مع رسول الله ﷺ ،  
فأناخ فحملنى ثم قال :

( أمعك من شعر أمية بن أبى الصلت شئ ؟ )<sup>(٢)</sup> قلت نعم ، قال : ( هات )  
فأنشدته قوله : \* لك الحمد والنعماء والملك ربنا \*

وأنشدته قوله : \* سبجان من سبحت طير السماء له \*

ويقوله : \* إله محمد حقاً إلهى \*

فقال النبي ﷺ : ( عند الله علم أمية ، عند الله علم أمية ) .

القصيدة الأولى قالها فى أول المبعث وهى :

لك الحمد والنعماء والملك ربنا فلا شئ أعلى منك جداً<sup>(٣)</sup> وأجد  
ملكك على عرش السماء مهيمن لعزته تغزو الوجوه وتسجد

(١) أورد الدكتور السطلى فى ( ديوان أمية ) زيادة فى هذه القطعة ؛ نسبها  
[ المستشرق بور ] إلى نسخة مخطوطة من حماسة أبى تمام .

(٢) أورد محمد بن سلام الجهمى بعض شعر أمية باختلاف فى بعض  
الألفاظ عما هنا فى ( طبقات فحول الشعراء — تحقيق الاستاذ مدره الاسلام  
الامين محمود محمد شاكر ) .

(٣) فى النسختين ( جـ د ) عوض ( مجدأ ) المشبته فى ديوانه المطبوع  
فى بيروت . والجد : العظمة .

( م ٢٨ — أول عيون التواريخ )

عليه حجاب النور والنور حوله      وأنهار نور حوله تنوقد<sup>(١)</sup>  
 فلا بصر يسمو إليه بطرفه      ودون حجاب النور خلق مؤيد  
 ملائكة أقدامهم تحت عرشه<sup>(٢)</sup>      وأعناقهم فوق السموات صعد  
 فمن حامل إحدى قوائم عرشه      بكفيه لولا الله كلوا وبلدوا  
 قيام على الأقدام عانين تحته      فرائضهم<sup>(٣)</sup> من شدة الخوف تردد  
 وسيط صفوف ينظرون قضاءه      مصيخون بالآسماع للوحي ركذ<sup>(٤)</sup>  
 أمين كروح القدس جبريل فيهم      وميكال ذو الروح القوى المسدد  
 وحراس أبواب السموات دونهم      قيام عليها بالمقاليد رصد  
 فنعم العباد المصطفون لأمره      ومن دونهم جند كشف مجند  
 ملائكة لا يفترون عبادة      كروية<sup>(٥)</sup> منهم ركوع وسجد  
 فساجدهم لا يرفع الدهر رأسه      يعظم رباً فوقه ويمجد  
 وراكمهم يحنوله الظاهر خاشعاً<sup>(٦)</sup>      يردد آلاء الإله ويحمد  
 ومنهم ملف في جناحيه رأسه      يكاد لذكري ربه يتفصد  
 من الخوف لا ذوسامة من عبادة      ولا هو من طول التعبد يجهد

(١) في الظاهرية : وأنهار نور نوره يتوقد . والذي في النص هو من  
 الاحمدية ؛ وهو موافق لما في ديوانه المطبوع ببירות من جمع بشير يموت .  
 (٢) في النسختين ( أرضه ) عوض ( عرشه ) المثبتة في ديوانه ( طبعة بيروت ) .  
 (٣) الفريضة : لجة بين الجنب والكتف ؛ جمعها فرائض ، على ما في  
 ( مختار الصحاح ) .

(٤) هكذا في الاحمدية وديوانه المطبوع . وفي الظاهرية ( وكذ ) .  
 (٥) الكروبيون : سادة الملائكة ، هم المقربون ؛ كما في ( النهاية لابن الأثير ) .  
 (٦) في ديوانه المطبوع ببירות : وراكمهم يعنوله الدهر خاشعاً .



وساكن أقطار بأرجاء مصعد  
ودون كثيف الماء في غامض الهوى  
وبين طباق الأرض تحت بطونها  
فسبحان من لا يقدر الخالق قدره  
ومن لم تنازعه الخلائق ملكه  
ملك السموات الشداد وأرضها  
وسبحان ربى خالق النور لم يلد  
وسبحانه من كل إفك وباطل  
هو الله باري<sup>(١)</sup> الخلق والخلق كلهم  
هو الصمد الله الذى لم يكن له  
وأنى يكون الخلق كالخالق الذى  
وليس مخلوق من الدهر جدة  
ونفى<sup>(٢)</sup> ولا يبق سوى القاهر الذى  
تسبحه الطير الجوانح فى الخفا  
ومن خوف ربى سبح الرعد فوقنا  
وسبحه النينان<sup>(٥)</sup> والبحر زائراً  
وذو الغيث والأرواح كل معبد  
ملائكة تنحط فيه وتصعد  
ملائكة بالأمم فيها تردد  
ومن هو فوق العرش فرد موحد  
وإن لم تفرد العباد فمفرد  
وليس بشيء عن قضاء تأود  
ولم يك مولوداً بذلك أشهد  
ولما يلد ذو العرش أم كيف يولد  
إمام له طوعاً جميعاً وأعيد  
من الخلق كفء قد يضاهيه مضد  
يدوم ويبقى والخلقة تنفذ  
ومن ذا على مر الحوادث يخلد  
يميت ويحيى دائماً ليس يهدم  
وإذهى فى جو السماء تصعد  
وسبحه<sup>(٣)</sup> الأشجار والوحش أبد<sup>(٤)</sup>  
وما صم من شيء وما هو متلد

- (١) فى النسختين (بأدى) عوض (بارى) المثبتة فى ديوانه طبعة بيروت ،  
بمجموعة بشير يموت ، وكذلك فى ديوانه تحقيق الدكتور السطلى .  
(٢) فى لديوان تحقيق الدكتور السطلى (ونفى) وفى النسختين (وينفى) .  
(٣) فى الظاهرية (وتسبحه) وهو سهو .  
(٤) فى الظاهرية (أبعد) وهو سهو .  
(٥) فى أساس البلاغة (النينان) عوض (النينان) جمع نون وهو الحوت .

ألا أيها القلب المقيم على الهوى  
 عن الحق كالأعمى المميط عن الهدى  
 بنور على نور من الحق واضح  
 ترى فيه أنباء القرون التي خلت  
 وحالات دنيا لا تدوم لأهلها  
 ألا إنما الدنيا بلاغ وبلغاة  
 إذ انقلبت عنه وزال نعيمها  
 وفارق روحاً كان بين جنانه  
 فأى قى قبلى رأيت مخلداً  
 ومن يبتليه الدهر منه بعثرة  
 فلن تسلم الدنيا وإن ضن<sup>(١)</sup> أهلها  
 ألسنت ترى فيما مضى لك عبرة  
 وقد جاء ما لا شك فيه من الهدى  
 فكن خائفاً للموت والبعث بعده  
 فانك فى دنيا غرور لأهلها  
 من الحقد نيران العداوة بيننا  
 لأدم لما أكمل الله خلقه  
 فقال عدوا لله لا كبر والشقا

إلى أى حين منك هذا التصدد  
 وقد جاءك النجد النسبي محمد  
 دليل على طرق الهدى ليس يحمد  
 وأخسار غيب فى القيامة توجد  
 وفيها منون ربهها متردد  
 وينسا الفتى فيها مهيب مسود  
 وأصبح من ترب القبور يوسد  
 وجاور موتى ما لهم متبدد  
 له فى قديم الدهر ما يتودد  
 سيكبو لها والنائبات تردد  
 بصحبته<sup>(٢)</sup> والدهر قد يتجرد  
 فله لا تكن يا قلب أعمى تلدد  
 وليس يرد الحق إلا مفند  
 ولاتك بمن غره اليوم والغد  
 وفيها عدو كاشح الصدر يوقد  
 لأن قال ربى للسلائكة اسجدوا  
 غفروا له طوعاً سجوداً ووكدوا  
 أطين على نار السموم يسود

(١) فى الاحمدية والديوان (ظن) .

(٢) فى الاحمدية والديوان (بصحبته) .

فأخرجه العصيان من خير منزل  
 علينا ولا يألو خبثاً ودخلة  
 جميعاً تلظى لا تفتر ساعة  
 فمالك والشيطان في النار أسوة  
 هو القائد الداعي إلى النار جاهداً  
 فمالك من عذر بطـاعة فاسق  
 فذاك الذي في سالف الدهر يحقد  
 ليوردنا منها الذي تتورد  
 ولا الحر منها آخر الدهر يبرد  
 إذا ما صليت النار بل أنت أبعد  
 ليوردنا منها الذي تتورد  
 ولا بلظى نار عملت لها يد<sup>(١)</sup>

والقصيدة الأخرى هي قوله :

إله محمد حقاً إلهي  
 إله العالمين وكل أرض  
 بناها وابتنى سبغاً شداداً  
 وسواها وزينها بنور  
 ومن شهب تلالاً في دجاها  
 وأنشأ المزن تدليج بالروايا  
 ليسقى الحرث والأنعام منها  
 وشق الأرض فانبجست عيوننا  
 وبارك في نواحيها وزكى  
 ودينى دينه غير انتحال  
 ورب الراسيات من الجبال  
 بلا عمد يرين ولا رجال  
 من الشمس المضيئة والهلل  
 مراميهما أشد من النصال  
 خلال الرعد مرسله العزالي<sup>(٢)</sup>  
 سجال الماء حالا بعد حال  
 وأنهاراً من العذب الزلال  
 بهاما كان من حرث ومال

(١) عدد أبيات هذه القصيدة المشبهة هنا ٥٦ بيتاً ؛ وهي في الديوان المطبوع ٢ ؛ فقط .

(٢) العزالي جمع العزلاء وهو فم المزايدة الأسفل ؛ يشبه اتساع المطر واندقافه بالذى يخرج من فم المزايدة ؛ كما في ( النهاية للحدث ابن الأثير ) .

وأجرى الفلك في تيار مزج      يفيض على المداليج الثقال  
وكل معمر لا بد يوماً      وذى دنيا يصير إلى زوال  
ويبقى بعد جدته وييلي      سوى الباقي المقدس ذى الجلال  
كأننا لم نعش إلا قليلاً      إذا كنا من الهام البوالى  
وصرنا في مضاجعنا رمياً      إلى يوم القيامة ذى الوبال  
ونادى مسمع الموتى فجئنا      من الأجداث كالسفر العجبال  
وأعطى كل إنسان كتاباً      مبيناً باليمين وبالشمال  
ليقرأ ما يقارف ثم يكفى      حساباً نفسه قبل السؤال  
وقام القسط بالميزان حولا      كما بان الخصيم من الجدال  
فلا أنساب بين الناس ترجى      ولا رحم تمت إلى وصال  
سوى التقوى ولا مولى يرجى      سوى الرب الرحيم من الموالى  
وسيق المجرمون وهم عراة      إلى ذات المقامع والنكال  
إلى نار تحش بصم صخر      وبالأوصال من أهل الضلال  
إذا نضجت جلودهم أعيدت      كما كانت وعادوا فى سفال  
ونادوا: ويلنا ويلنا طويلاً      على ما فاتنا أخزى الليالى  
فهم يتلاعنون إذا تلاقوا      بها لعناً أشد من القتال  
ونادوا مالكا ودعوا ثبوراً      وعجوا فى سلاسلها الطوال  
إذا استسقوا هناك سقوا حياً      على ما فى البطون من الأكال  
شراهم من الزقوم فيها      ضريع يحتلى عقد الحبال  
فليسوا ميتين فيستريحوا      وكلهم ببحر النار صالى  
وحل المتهقون بدار صدق      وعيش ناعم تحت الظلال  
خلال بين أعناب ونخل      وبنيان من الفردوس عالى

لهم ما يشتهون وما تمنوا من اللذات فيها والجمال  
ومن استبرق يكسون فيها عطايا جمة من ذى المعالي  
ومن خدم بها يسعون فيها كدر خالص الألوان غالى  
وأشربة من العسل المصفى ومن لبن ومن ماء سجال  
وكأس لذة لا غول فيها من الخمر المشعشة الحلال  
على سرر مقابلة عوال معارجها أذل من الفعال  
صفوف متكون لدى عظيم بكفيه الجزيل من النوال<sup>(١)</sup>  
وله ديوان شعر كله من هذا النوع<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

## (السنة السادسة من الهجرة)

في هذه السنة كانت :

(غزوة بنى لحيان<sup>(٣)</sup>)

في جمادى الأولى من هذه السنة خرج رسول الله ﷺ إلى بنى لحيان يطلب  
ثأر أصحاب الرجيع خبيب وأصحابه ، وأظهر أنه يريد الشام ليصيب من  
القوم غرة ، وأغذ<sup>(٤)</sup> السير حتى نزل على غران<sup>(٥)</sup> منازل بنى لحيان وهى بين

(١) عدد أبيات هذه القصيدة هنا ٣٨ بيتا . وعددها في الديوان المطبوع  
١٣ فقط .

(٢) لعل هذا الديوان فقد . وقد شرحه محمد بن حبيب .

(٣) من بطون هذيل بن مدركة ، على ما في ( الاشتقاق لابن دريد ١/١٧٦ )  
و ( جمهرة أنساب العرب لابن حزم ٤٦٦ ) تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون .  
(٤) في الظاهرية ( وأعد ) وهو تصحيف .

(٥) واد بين أمج وعسفان ، على ما في ( جوامع السيرة لابن حزم ٢٠١ ) .

أمج وعسفان ، فوجدهم قد حذروا وتمنعوا في رؤوس الجبال ، فلما أخطأه ما أراد منهم خرج في مائتي راكب حتى نزل عسفان تخويفاً لأهل مكة ، وأرسل فارس بن من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم (١) ثم عادوا وعاد قافلاً .

( غزوة ذي قرد (٢) )

ثم قدم رسول الله ﷺ المدينة فلم يبق إلا أياماً قلائل ، حتى أغار عيينة بن حصن بن حذيفة الفزاري في خيل غطفان على لقاح (٣) رسول الله ﷺ ، وأول من نذر (٤) بهم سلمة بن الأكوع الأسلمي .

هكذا ذكرها الطبري ، والرواية الصحيحة أنها كانت بعد مقدمه المدينة منصرفاً من الحديبية ، وبين الوقتين تفاوت .

قال سلمة بن الأكوع : أقبلنا مع رسول الله ﷺ إلى المدينة بعد صلح الحديبية ، فبعث رسول الله ﷺ بظهره (٥) مع رباح غلامه ، وخرجت معه بفرس طلحة بن عبيد الله ، فلما أصبحنا إذا عبد الرحمن بن عيينة بن حصن الفزاري قد أغار على ظهر رسول الله ﷺ فاستاقه أجمع وقتل راعيه . قلت : يا رباح هذا الفرس فأبلغه طلحة وأخبر رسول الله ﷺ أن المشركين قد أغاروا على سرحه .

(١) فما بين عسفان ومر الظهران ، أنظر (وفاء الوفا للسيد السهمودي ، عليه رحمة الله) وأنظر (معجم ما استعجم) .

(٢) وتسمى : غزوة الغابة ، كما في (الطبقات الكبرى لابن سعد) والسيرة الخليفة .

(٣) اللقاح من النوق : الحوامل . وقيل : ذوات الالبان .

(٤) في النسختين (نذر) وهو تصحيف . ونذر : أعلم وحذر ، على ما في (القاموس المحيط) .

(٥) أى لإبله .

ثم استقبلت الأكمة فناديت ثلاثه أصوات (يا صباحاه<sup>(١)</sup>) ثم خرجت في آثار القوم أرميهم بالنبل وأرتجز وأقول :

إني<sup>(٢)</sup> أنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع<sup>(٣)</sup>

قال : فوالله ما زلت أرميهم وأعقرهم ، فإذا خرج إلى فارس قعدت في أصل شجرة فرميته فعقرت به<sup>(٤)</sup> ، وإذا دخلوا في مضائق الجبل رميهم بالحجارة من فوقه ، فما زلت كذلك حتى ما تركت من ظهر رسول الله ﷺ بعيراً إلا جعلته وراء ظهري ، وخلوا بيني وبينه وألقوا أكثر من ثلاثين رجلاً وثلاثين برودة يستخفون بها ، لا يلقون شيئاً إلا جعلت عليه آراماً<sup>(٥)</sup> حتى يعرفه أصحاب رسول الله ﷺ .

حتى إذا انتهوا إلى متضائق من ثلثة أتاهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر مدأ لهم ، فقعدها يتضحون<sup>(٦)</sup> ، فلما رأني قال : ما هذا ؟ فقالوا : لقينا

(١) كلمة يقال عند استنفار من كان غافلاً عن عدوه ، لأنهم يسمون يوم الغارة يوم الصباح ، على ما في (لإنسان العيون لنور الدين الحلبي)

(٢) (إني) غير موجود في الظاهرية ، فاستدركتها من الأحمدية .

(٣) أي يوم هلاك اللثام ، ويوم جبينهم . أنظر (الروض الأنف) وإنسان العيون وشرح صحيح مسلم للنووي ، ففيه بسط معناه .

(٤) أصل العقر : ضرب قوائم البعير أو الشاة بالسيف وهو قائم ، ثم اتسع في العقر حتى استعمل في القتل والهلاك ، على ما في (النهاية في غريب الحديث) .

(٥) في النسختين (ازاما) والتصحيح من (تاريخ الطبري ٢/٥٩٧) ، والآرام : الأعلام ، وهي حجارة تجمع وتنصب في المفازة يهتدى بها ، كما في (شرح صحيح مسلم للنووي) .

(٦) في الظاهرية (يتضحون) والتصحيح من الأحمدية و (تاريخ الطبري) حيث قال محققه : يقال لكل من أكل في وقت الضحى : هو يتضحى . . .

( ٢٩٠ - أول عيون التواريخ )

منه البرح<sup>(١)</sup> وقد استنقذ كل ما بأيدينا . فابرحت مكانى حتى أبصرت فوارس رسول الله ﷺ يتخللون الشجر ، أولهم الآخرم الأسدى ، واسمه نحرز بن نضلة ، وعلى أثره أبو قتادة ، وعلى أثرهما المقداد بن عمرو الكندى<sup>(٢)</sup> ، فأخذت بعنان الآخرم وقلت : احذر القوم لا يقتطعوك حتى تلحق رسول الله ﷺ وأصحابه<sup>(٣)</sup> فقال : يا سلمة إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فلا تحل بينى وبين الشهادة ، قال : نخليته فالتقى هو وعبد الرحمن بن عيينة بن حصن ، فعقر الآخرم فرس عبد الرحمن ، وطعن عبد الرحمن الآخرم فقتله ؛ وتحول عبد الرحمن على فرس الآخرم ، فانطلقوا هاربين ، قال سلمة : فوالذى كرم وجهه محمد لتبعهم أعدو على رجلى حتى ما أرى من أصحاب محمد ولا غبارهم شيئاً .

وعدلوا قبل غروب الشمس إلى غار فيه ماء يقال له ذو قرد — بفتح القاف والراء — يشربون منه وهم عطاش ؛ فنظروا إلى أعدو في آثارهم فخليتهم<sup>(٤)</sup> فماذا قوا منه قطرة .

قال واشتدوا في ثنية ذى أثير ، فأرشق بعضهم بسهم فيقع في فخر كنفه ؛ وقلت : خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع ، وإذا فرسان على الشدة جئت بهما أقودهما إلى رسول الله ﷺ .

(١) يعنى الشدة .

(٢) هو المقداد بن الأسود ،

(٣) (وأصحابه) ساقطة من الظاهرية ، فاستدركتها من الاحمدية وشرح صحيح مسلم للنووى .

(٤) هكذا فى الاحمدية وهو الموافق لما فى (النهاية) حيث قال : هكذا جاء فى الرواية غير مهموز والاصل الممز . أى منهم من ورود الماء . وفى الظاهرية (فخليتهم) . وفى الطبقات الكبرى لابن سعد (فجالاتهم) .



ولحقني عمي عامر بسطيحة<sup>(١)</sup> فيها مذقة من لبن وسطيحة فيها ماء فتوضأت وصليت وشربت .

ثم جئت إلى رسول الله ﷺ وإذا هو على الماء الذي حلات<sup>(٢)</sup> عنه العدو ، وهو ذو قرد ، وقد أخذ تلك الإبل التي استنقذت من القوم وكل رمح وكل بردة ؛ وإذا بلال قد نحر لهم ناقة من الإبل وهو يشوى منها .

فقلت : يا رسول الله خلني أنتخب مائة رجل وألحقهم فلا يبقى منهم عين ، فقال رسول الله ﷺ : (خير فرساننا أبو قتادة وخير رجالنا سلمة بن الأكوع) ثم أعطاني رسول الله ﷺ سهم الفارس وسهم الراجل<sup>(٣)</sup> ، قال : ثم أردفتي وراءه على ناقته العضباء ، فبينما نحن نسير وكان رجل من الأنصار لا يسبق شدا<sup>(٤)</sup> ، فقال : ألا من مسابق ، مراراً ؛ فقلت : يا رسول الله بأبي أمت وأمي أئذن لي فأسبقه<sup>(٥)</sup> ، قال : (إن شئت) قال : فطفرت فربطت<sup>(٦)</sup> شرفاً أو شرفين ، فألحقه فقلت : سبقتك والله ، فسبقت إلى المدينة . وفي هذه الغزاة نودي : (يا خيل الله اركبي) ولم تكن تقال قبلها .

(١) السطيحة : إزاء من جلد .

(٢) في الظاهرية (خالات) وفي الاحمدية (جالات) والتصحيح بما سبق آنفاً .

(٣) هذا محمول على أن الزائد على سهم الراجل كان نفلاً ، وهو حقيق باستحقاق النفل رضى الله عنه لمديع صنعه في هذه الغزوة ، على ما في (شرح صحيح مسلم للنووي) .

(٤) أي عدواً على القدمين .

(٥) في الاحمدية (فأسابقه) .

(٦) في النسختين (فهبطت) والتصحيح من تاريخ الطبري وشرح صحيح مسلم للنووي . ومعنى ربطت أي حبست نفسي عن الجري الشديد . والشرف : ما ارتفع من الارض على ما في المصدر المذكور .

## ( غزوة بني المصطلق بن خزاعة )

وهي غزوة المريسيع

كانت هذه الغزاة بعد غزاة ذي قرد ، وكانت في شعبان من هذه السنة .

وكان بلغ رسول الله ﷺ أن بني المصطلق يجمعون له ، وقائدهم الحارث ابن أبي ضرار أبو جويرية زوج النبي ﷺ ؛ فلما سمع بهم خرج إليهم فلقبهم بماء يقال له المريسيع بناحية قديد فاقتتلوا فانهزم المشركون وقتل من قتل منهم ، وأصيب رجل من المسلمين اسمه هشام بن صباية الليثي ، أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت وهو يرى أنه من العدو فقتله .

وكان حامل راية المهاجرين أبا بكر ؛ وراية الأنصار سعد بن عبادة ، وأمر رسول الله ﷺ بالأسارى فكتفوا ، وجمع الغنائم ، وكانت الإبل ألفي بعير والشاة خمسة آلاف شاة ، وكان السبي مائتي بيت (١) .

وكانت غنية رسول الله ﷺ عن المدينة ثمانية وعشرين يوماً .

وبينا الناس على ذلك الماء إذ وردت واردة الناس . ومع عمر بن الخطاب أجبر له من بني غفار يقال له جهجاه (٢) بن مسعود يقود فرسه ، فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهنى - حليف بنى عوف بن الخزرج - على الماء فاقتتلا ، فصرخ الجهنى : يامعشر الأنصار ، وصرخ جهجاه : يامعشر المهاجرين ، فغضب عبد الله بن أبي ابن سلول ، وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم غلام حدث ، فقال : أقد فعلوها ونافرونا وكثرونا في بلادنا ؟ أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل .

(١) في الظاهرية ( بنت ) . والتصحيح من الأحمدية ومن ( نهاية الأرب للنويرى ١٦٥/١٧ ) وفيه ( مائتي أهل بيت ) وفي عيون الأثر ( مائتي بيت ) كما في نصنا .

(٢) لعل الصواب ( جهجاه ) بدون هاء . ( عيون الأثر ١٠٠/٢ ) .

ثم أقبل على من حضره من قومه وقال : هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتهم بلادكم وقاسمتهم أموالكم<sup>(١)</sup> أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم .

فسمع ذلك زيد بن أرقم رضى الله عنه فمشى به إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : مر به عباد بن بشر فليقتله ، فقال رسول الله ﷺ : ( فكيف إذا تحدث الناس بأن محمداً يقتل أصحابه ) ورحل رسول الله ﷺ في ساعة لم يكن يرتحل فيها .

وقد مشى عبد الله بن أبي ابن سلول إلى رسول الله ﷺ ، حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمعه منه ، خلف بالله : ما قلت ما قال ولا تكلمت به ، وكان في قومه شريفاً عظيماً ، فقال من حضر من الأنصار : يا رسول الله عسى أن يكون الغلام أوهم في حديثه .

ولما استقل رسول الله ﷺ وسار لقيه أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وقال : يا نبي الله والله لقد<sup>(٢)</sup> رحت في ساعة منكرا ما كنت تروح في مثلها ، فقال له رسول الله ﷺ : ( أو ما بلغك ما قال صاحبكم ) قال : أى صاحب يا رسول الله ؟ قال : ( عبد الله بن أبي ) قال : وما قال ؟ قال : ( زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعز منها الأذل ) قال : فانت والله يا رسول الله تخرجه إن شئت ، هو والله الذليل وأنت العزيز ، ثم قال : يا رسول الله ارفق

(١) في النسختين ( أولادكم ) عوض ( أموالكم ) الواردة في ( عيون الاثر ٩٣/٢ ) .

(٢) في النسختين ( حق ) عوض ( حين ) التي في عيون الاثر .

(٣) في الظاهرية ( لو ) عوض ( لقد ) المثبتة في الاحمدية وعيون الاثر ( ٩٤/٢ ) .

به فوالله لقد جاء الله بك وإن قومه لينظّمون له الخرز ليتوجوه وأنه يرى أفك  
قد استلقته ملسا .

فسمار رسول الله ﷺ بالناس يومه ذلك حتى أمسى وليلتهم حتى أصبح  
وصدر يومهم ذلك حتى آذته الشمس ، ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا  
مس الأرض فوقعوا نياما ، وإنما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذي  
كان بالأمس من حديث عبد الله بن أبي .

وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول ما كان من أمر أبيه فأتى  
رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل أبي عبد الله بن  
أبي فيما بلغك عنه ، فإن كنت فاعلا فمرفى فأنا أحمل لك رأسه ، فوالله لقد علمت  
الخرزج ما كان بها (١) من رجل أبر بوالده مني ، إني أخشى أن تأمر به غيري  
فيقتله (٢) فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل أبي يمشي في الناس فأقتله فأقتل مؤمنا  
بكافر فأدخل النار ، فقال رسول الله ﷺ : ( بل تفرق به ونحسن صحبته  
ما بقى معنا ) .

وكان في جملة السبي جويرية بذت الحارث ، وكان اسمها برة ، فسمها  
رسول الله ﷺ جويرية ، وكانت إحدى أزواج رسول الله ﷺ .

#### (حديث الإفك)

وكان من حديث الإفك ما رواه البخاري في كتابه مما روى عن عائشة  
رضي الله عنها أنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج أقرع بين  
أزواجه فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه .

(١) في النسختين ( لها ) والتصويب من ( عيون الأثر ) .

(٢) سقط من ( عيون الأثر ٢/ ٩٤ ) كلمات رردت هنا فاستدرك هناك .

قالت عائشه : فأقرع بيننا في غزوة بني المصطلق فخرج سهمي ، فخرجت مع رسول الله ﷺ بعد ما نزل الحجاب ، فأنا أحمل في هودجى وأنزل فيه ، حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك ، وقيل ، ودنونا من المدينة قافلين أذن ليلة بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش ، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلى فإذا عقد لى من جزع أظفار<sup>(١)</sup> قد انقطع ، فالتصت عقدى وحسبى ابتغاءوه ، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لى فاحتلموا هودجى فرحلوه على بعيرى وهم يحسبون أنى فيه ، وكان السماء إذ ذاك خفافاً لم يهبان<sup>(٢)</sup> ولم يثقلن اللحم ، إنما ياكى العلقه من الطعام<sup>(٣)</sup> .

فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه ، وكنت جارية حديثة السن ، فبعثوا الجمل وساروا ، فوجدت عقدى بعد ما استمر الجيش ، فحنت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب ، فأمت منزل الذى كنت به وظننت أنهم سيفقدونى فيرجعون لى ، فبينما أنا جالسة فى منزل غلبتنى عينى فتمت ، وكان صفوان بن المعطل السهمى ثم الذكوانى من وراء الجيش فأدبج فأصبح عند منزلى ، فرأى سواد إنسان نائم فأتانى فعرفنى حين رآنى وكان رآنى قبل الحجاب ، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفنى فتمرت وجهى بجلبائى ، والله ما كلفنى كلفة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حتى أناخ راحلته فوطئ على يدفا فركبتها ، فانطلق فى يهودى الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزل القوم موغرين فى نحر الظاهرة<sup>(٤)</sup> فهلك من هلك .

وكان الذى تولى الإفاك عبد الله بن أبى ابن سلول ، فقد مننا المدينة فاشتكى حين قدمت شهراً ، والناس يفيضون فى قول أصحاب الإفاك ، وأنا لا أشعر

(١) وبرى (ظفار) وهى مدينة باليمن . واختلفوا فى تحقيق الروايتين .  
(٢) مصحفة فى الظاهرية ، والتصحيح من صحيح البخارى . وسقط من الاحمدية ( يهبان ولم ) ، واختلفوا فى ضبط ( يهبان ) .  
(٣) تعنى القليل .  
(٤) تعنى داخلين فى شدة الحر .

بشيء من ذلك ، غير أنى لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطيف الذى كنت أرى منه حين أشتكى ، إنما يدخل على فيسلم ثم يقول : ( كيف تيمكم ) ثم ينصرف فذاك الذى يربىنى ولا أشعر بالشر .

حتى خرجت بعد ما نقيمت ، فخرجت معى أم مسطح قبل المناسيع وهى مبرزنا ، وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل ، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريباً من بيوتنا ، وأمرنا أمر العرب الأول ، وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا ، فانطلقت أنا وأم مسطح . وهى ابنة أبى رهم (١) بن عبد مناف ، وأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتى قد فرغنا من شأننا ، فعثرت أم مسطح فى مرطها (٢) فقالت : « تعس مسطح » فقلت لها : بأسماء قلت أتسبين رجلاً شهد بدرأ ؟ فقالت : أى هتاه أو لم تسمعى ما قال ؟ قلت : وما قال ؟ قال فأخبرتني بتول أهل الإفك ، فازددت مرضاً على مرضى .

فلما رجعت إلى بيتى ودخل رسول الله ﷺ وقال : ( كيف تيمكم ؟ ) فقلت : أتأذن لى أن آتى أبوى ، قالت : وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما ، قالت : فأذن لى رسول الله ﷺ فجئت أبوى فقلت لأبى : يا أمتاه ما يتحدث الناس ؟ قالت : يا بنية هو فى عليك ، فوالله لقلبا كانت امرأة وضيفة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها ، قالت : فقلت سبحان الله أو لقد تحدث الناس بهذا ؟ قالت فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا ترقأ لى دمة ولا أكنجلى بنوم .

ودعا رسول الله ﷺ على بن أبى طالب وأسامة بن زيد حين استلبت الوحى يستأمرهما فى فراق أهله ، قالت : فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول

(١) فى الإحدى ( زحم ) وهو تصحيف على ما فى تاريخ الطبرى وغيره .

(٢) المرط : كساء من صوف أو خز .

الله ﷺ بالذى يعلم من براءة أهله وبالذى يعلم لهم فى نفسه من الود ، فقال  
يا رسول الله أهلك ولا نعلم إلا خيراً . وأما على بن أبى طالب فقال :  
يا رسول الله لم يضيق الله عليك (١) ، والنساء سواها كثير وإن تسأل  
الجارية تصدقك . قال : فدعا رسول الله ﷺ ببريرة فقال : ( يا بريرة هل  
رأيت من شئ يربيك ) فقالت بريرة : والذى بعثك بالحق إن رأيت عليها  
أمراً أغضه (٢) عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها  
فتأتى الداجن فتأكله .

فقام رسول الله ﷺ فاستعذر من عبد الله بن أبى سلول ، قالت :  
فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر : ( يا معشر المسلمين من يعذرني (٣)  
من رجل قد بلغنى أذاه فى أهل بيتي ، فوالله ما علمت على أهلى إلا خيراً ، ولقد  
ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً وما كان يدخل على أهلى إلا معي ) .  
فقام أسيد بن حضير (٤) فقال : يا رسول الله أنا أعذرک منه ، إن كان

(١) قال ذلك تسهيلاً للأمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإزالة ما  
هو متلبس به ، وتخفيفاً لما هو شاهده فيه ، لا عداوة لها . أنظر (شرح صحيح  
البخارى للكرمانى) .

(٢) أى أعيبه . وفى الأحمدية (أغضه) والتصحيح من الظاهرية وصحيح  
الإمام البخارى .

(٣) أى يقوم بعذرى إن كافأته على قبيح فعله .

(٤) فى صحيح الإمام البخارى (سعد بن معاذ) عوض (أسيد بن حضير) .  
قال الحافظ ابن سيد الناس فى (عيون الأثر ١٠٢/٢) : وقع فى هذا الحديث :  
فقام سعد بن معاذ الأنصارى فقال : يا رسول الله أنا أعذرک منه . ووقع عند  
ابن اسحاق فى هذا الخبر بدل سعد بن معاذ أسيد بن حضير . فمن الناس من يرى  
أن ذكر سعد فى هذا الخبر وهم لأن سعداً مات عند انقضاء أمر بنى قريظة ،  
( ٣٠ م - أول عيون التواريخ )

من الأوس ضربت عنقه ، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك ؛ قالت فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج - وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمية - فقال لسعد : كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله ، فقال أسيد بن حضير : كذبت ، لعمر الله لنقتله فإنك منافق (١) تجادل عن المنافقين .

فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر ، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكثوا وسكت .

ومكثت يومى ذلك لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم ، فأصبح أبواى عندى وقد بكيت ليلتين ويوماً لا أكتحل بنوم ولا يرقأ لى دمع ، يظنان أن البكاء فالى كبدى ، قالت : فبينما هما جالسان عندى وأنا أبكى فاستأذنت على امرأة من الأنصار فأذنت لهما فجلست تبكى معى ، قالت فبينما نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ فسلم وجلس ، قالت : ولم يجلس عندى منذ قيل ما قيل ، وقد لبث شهراً لا يوحى إليه فى شأنى .

قالت : فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال : ( أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغنى عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت أملت بذهب فاستغفرى الله وتوبى إليه فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه ) قالت : فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قاص دمعى حتى ما أحس منه قطرة ،

ويرى أن العيوب ما ذكره ابن إسحاق من ذكر أسيد بن حضير ولواتفق أهل المغازى على أن ورقة الخندق وبني قريظة متقدمة على غزوة بني الصطلق كان الوهم لازماً لمن رآه كذلك ، ولكن هم مختلفون فى ترتيب هذه المغازى كما سبق . . .

(١) لم يرد به نفاق السكر ، وإنما أراد أنه كان يظهر المودة لقومه الأوس ثم ظهر منه فى هذه القصة ضد ذلك . فأشبهه حال المنافق ، لأن حقيقة النفاق إظهار شيء وإخفاء غيره . ولعل هذا هو السبب فى ترك إنكار النبي صلى الله عليه وسلم . أنظر ( فتح البارى للحافظ ابن حجر ) .



فقلت لأبي : أجب عنى رسول الله ﷺ فسيما قال ، قال : والله (١) ما أدرى ما أقول لرسول الله ﷺ ، فقلت لأبى : أجبى رسول الله ﷺ ، قالت : ما أدرى ما أقول لرسول الله ﷺ ، قالت : فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن : والله لقد علمت أنكم سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به ، فإن قلت لكم إني بريئة (٢) لا تصدقوني بذلك ، وإن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أنى منه بريئة لتصدقنى ،

والله ما أجد لى ولكم مثلاً إلا قول أبى يوسف حين قال : ﴿ فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون (٣) ﴾ قالت : ثم تحولت فاضطجعت على فراشى ، قالت : وأنا حينئذ أعلم أنى بريئة وأن الله مبرئى ببراءتى ، ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل فى شأنى وحياً يتلى ، ولشأنى فى نفسى كان أحقر من أن يتكلم الله فىّ بأمر يتلى ، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ فى النوم رؤيا يبرئنى الله بها .

قالت فوالله ما رام (٤) رسول الله ﷺ ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل الله عليه ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء (٥) حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان (٦) من العرق وهو فى يوم شات من ثقل القول الذى ينزل عليه ، قالت : فلما سرى عن رسول الله ﷺ سرى عنه وهو يضحك فكانت أول كلمة تكلم بها : ( يا عائشة أما الله فقد برأك ) فقالت أبى : قومى (٧) إليه ، قالت فقلت : لا والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله .

(١) هنا سقطت كلمات من النسختين استندركتها من صحيح البخارى وغيره .

(٢) فى الاحمدية هنا زيادة ( والله يعلم أنى بريئة ) .

(٣) سورة يوسف ، الآية ١٨ .

(٤) أبى : ما فارق .

(٥) أبى العرق من شدة وطأة الوحى .

(٦) الجمان : اللؤلؤ .

(٧) ( قومى ) سقطت من الظاهرية فاستندركتها من الاحمدية ومصادر أخرى .

وأنزل الله تعالى ﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم﴾ (١) العشر الآيات كلها، فلما أنزل الله تعالى هذا في براءتي قال أبو بكر الصديق - وكان ينفق على مسطح بن أثانة لقرابته منه - وفقره : والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال ، فأنزل الله تعالى ﴿ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم﴾ (٢) قال أبو بكر : بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي ، ورجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال : والله لا أرفعها منه أبداً .

قالت عائشة : وكان رسول الله ﷺ يسأل زيد بن ثابت جحش عن أمرى قال : يا زيد ماذا علمت أو رأيت ؟ قالت : يا رسول الله أحمى سمعى وبصرى ، ما علمت إلا خيراً ، قالت : وهى التى كانت تسامنى من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله بالورع ، وطفقت أختها حمنة تجادل فهلكت (٣) فيمن هلك من أصحاب الإفك .

ثم أمر رسول الله ﷺ بمسطح بن أثانة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش - وكانوا بمن أفصح بالفاحشة - فضربوا حدهم .

ثم إن صفوان بن المعطل اعترض حسان بن ثابت بالسيف فضربه (٤) ثم قال :

(١) سورة النور ، الآية ١١ .

(٢) سورة النور ، الآية ٢٢ .

(٣) فى ( تاريخ الطبرى ٢/ ٦١٤ ) : وأما حمنة بنت جحش فأشاعت من ذلك ما أشاعت . . .

(٤) وذلك لأن حسان بن ثابت قال شعراً يعرض فيه بصصفوان . أنظر ( تاريخ الطبرى ٢/ ٦١٨ ) من طبعة دار المعارف سنة ١٩٦٩ .

تلقّ ذباب السيف عنك (١) فأنى غلام إذا هوجيت لست بشاعر

فوثب ثابت بن قيس بن شماس على صفوان فجمع يديه إلى عنقه وانطلق به إلى دار بني الحارث بن الخزرج ، فلقبه عبد الله بن رواحة فقال : ما هذا ؟ فقال ضرب حسان وما أراه إلا قتله ، فقال عبد الله : هل علم رسول الله ﷺ بشيء (٢) مما صنعت ؟ قال : لا ، قال : والله لقد اجتأت ، أطلق الرجل ، فأطلقه .

فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فدعا حسان وصفوان بن المعطل ، فقال صفوان : هجاني يا رسول الله وآذاني فضربته ، فقال رسول الله ﷺ لحسان : ( أحسن يا حسان ) قال هي لك يا رسول الله ، فأعطاه رسول الله ﷺ عوضاً منها بئر حاهى قصر بني حذيلة — بالحاء المهملة المضمومة والdal المفتوحة — وأعطاه سيرين (٣) أمة قبطية (٤) وهى أخت مارية أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ ، وقيل إن مارية وسيرين أهديتا إلى النبي ﷺ سنة سبع ، وإنما أعطاه غيرها ، فولدت له ابنه عبد الرحمن .

وكان صفوان حصوراً لا يأق السماء .

(١) فى ( تاريخ الطبرى ٢/٦١٨ ) : ( عفى ) عوض ( عنك ) .

(٢) ( بشىء ) استدركتها من ( نهاية الأرب للنوبرى ١٦/٤١٥ ) .

(٣) فى النسختين ( سيرين ) والتصحيح من ( نهاية الأرب للنوبرى ١٦/٤١٧ ) .

(٤) أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم ذلك تمويضاً عن ضربته .

## (عمرة الحديبية (١))

وفي هذه السنة خرج رسول الله ﷺ معتمراً في ذي القعدة لا يريد حرباً ،  
ومعه من المهاجرين والأنصار ومن تبعه من الأعراب ألف وأربعمائة ، وقيل :  
وخمسمائة ، وقيل ثلاثمائة ، وساق الهدى - معه - سبعين بدنة ليعلم الناس  
أنه جاء زائراً للبيت ، فلما بلغ عسفان لقيه بسر (٢) بن سفيان السكبي فقال :  
يا رسول الله هذه قريش قد سمعوا بمسيرك فاجتمعوا بذى طوى (٣) يحلفون  
بالله لا تدخلها عليهم أبداً ، وقد قدموا خالد بن الوليد إلى كراع الغميم ،  
وقيل إن خالداً كان مع النبي ﷺ مسلماً ، والأول أصح .

فلما سمع رسول الله ﷺ مقال بسر (٤) قال : ( يا ويح قريش لقد  
أهلكتم الحرب ، ما عليهم لو خلوا بيني وبين سائر الناس ، فإن أصابوني كان  
الذي أرادوا ، وإن أظفرنني الله دخلوا في الإسلام وأفرين ، والله لا أزال

(١) قال الخافظ ابن عسجد البر في مقدمة (الاستيعاب) : ليس في غزواته  
صلى الله عليه وسلم ما يعدل بدرأ في الفضل أو يقرب منها إلا غزوة الحديبية ،  
حيث كانت بيعة الرضوان . و (الحديبية) : بئر سمي المكان بها ، وقيل غير ذلك ،  
أنظر (معجم البلدان لياقوت) .

(٢) في النسختين (بشر) والتصحيح من (تبصير المنتبه في تحرير المشتبه  
لابن حجر) .

(٣) مثلثة الطاء : واد معروف بقرب مكة ، على ما في (شرح صحيح  
مسلم للنووي) .

(٤) في النسختين (بشر) وهو تصحيح على ما ذكرت آنفاً . ووقع في عيون  
الآثر ١١٤/٢ (بشر) فأرجو تصحيحه فيها ، وورد في الصفحة ١١٥ وغيرها  
غير مصحف ، والله الحمد .

أجاءهم على الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله تعالى أو تنفرد هذه السالفة (١) ثم خرج على غير الطريق التى هم بها ، سلك ذات اليمين حتى سلك ثنية المزار على مهبط الحديدية - وهى اسم بئر - فبركت به ناقته فقال الناس : دخلت (٢) ، فقال : ( ما خلأت ولكن حبسها حابس الفيل (٣) ، لاندعوني قريش اليوم إلى مخطئة يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها ) ثم قال للناس : ( انزلوا ) فقالوا : ما بالوادي ماء ، فأخرج سهماً من كنانته وأعطاه رجلاً من أصحابه ، فنزل في قليب من تلك القلب ففرزه في جوفه ، فجاش الماء بالرى حتى ضرب الناس عنه بعطن (٤) . وكان اسم الذى أخذ السهم ناجية بن عمير (٥) سائق بدن النبي ﷺ .

فبينما هم كذلك أتاهم بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه خزاعة ، وكانت عيبة نصح (٦) رسول الله ﷺ من تهامة ، فقال : تركت كعب بن لؤى

(١) السالفة : صفحة العنق ، وهما سالفتان من جانبيه ، وكفى بانفراذها عن الموت ، وقيل : أراد : حتى يفرق بين رأسى وجسدى ، على مافى ( النهاية في غريب الحديث ) .

(٢) أى تلكأت وحزنت . والخلاء - بالكسر مدوداً - للإبل كالخران للدواب ، وهو في النوق خاصة ، على مافى ( مشارق الأنوار للقاضي عياض ) . (٣) هو الله القادر سبحانه .

(٤) مثل لتوسع الناس بكثرة الماء ، على مافى ( الاقبياس لحل مشكل سيرة ابن سيد الناس ليوسف بن عبد الهادي ) . وأصله في الإبل ، يقال : ضربت الإبل بعطن ؛ إذا رويت ثم بركت حول الماء لتعاد إلى الشرب مرة أخرى . أنظر ( لسان العرب ) و ( النهاية ) .

(٥) هو ناجية بن جندب بن عمير ، على مافى عيون الأثر وتاريخ الطبري .

(٦) أى خاصته وأصحاب سره .

وعامر بن لؤى نزلوا (١) أعداد (٢) مياه الحديبية ، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ، فقال رسول الله ﷺ ( إنا لم نأت لقتال أحد ولسكننا جثنا معتمرين ، وإن شاءت قريش ماددتناهم مدة ويخلون بيني وبين الناس ، فإن أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتي ) .

فانطلق بديل إلى قريش فأعلمهم ما قال النبي ﷺ ، فقام عروة بن مسعود الثقفي فقال : إن هذا الرجل عرض عليكم مخطئة رشدا فاقبلوها ودعوني آتاه ، فقالوا : آتاه ، فأتاه فحكمه فقال له النبي ﷺ نحو مقالته لبديل ، فقال عروة : يا محمد أرأيت إن استأصلت قومك فهل سمعت بأحد من العرب اجتاح أصله قبلك ؟ وجعل يرمق أصحاب النبي ﷺ ، فوالله إن تنهجم النبي ﷺ نغامة إلا وقعت في كف أحدهم فذلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وما يحذون النظر إليه تعظيما له .

فرجع عروة إلى أصحابه فقال : أي قوم ! قد وفدت على كسرى وقبصر والنجاشي ، والله ما رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً ؛ وحدثهم ما رأى وما قال له النبي ﷺ ، فقال رجل من كنانة اسمه الحليس بن علقمة وهو سيد الأحابيش : دعوني آتاه ، فأتاه ؛ فلما رآه النبي ﷺ قال : ( هذا من قوم يعظمون البدن (٣) فابعثوا الهدى في وجهه )

(١) (نزلوا) استدركتها من (تاريخ الطبري ٢/٦٢٥) .

(٢) في الظاهرية (عدد) وفي الاحمدية (عدو) والتصحيح من النهاية لابن الأثير وتاريخ الطبري . قال ابن الأثير المحدث : أي ذوات المادة كالعيون والآبار . وقال محقق تاريخ الطبري : الأعداد جمع عد — بالكسر — وهو الماء الدائم الذي له مادة لا انقطاع لها .

(٣) البدنة من الإبل والبقر كالأضحية من الغنم ؛ والجمع بدن ، على ما في (بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي) .

فلما رأى الهدى رجع إلى قريش ولم يصل إلى النبي ﷺ فقال : يا قوم قد رأيت ما لا (١) يحل صده : الهدى في قلائده ، قالوا : اجلس فانما أنت أعرا بى لا علم لك . فقال : والله ما على هذا حالنا كم أن تصدوا عن البيت من جاء معظما له ، والذي نفسى بيده اني نخلت بين محمد وبين البيت أو لأنفرن بالأحابيش (٢) نفرة رجل واحد ، فقالوا : مه ، كف عنا يا حميس حتى نأخذ لأنفسنا ، فقام رجل منهم يقال له مكرز (٣) بن حفص فقال : دعوني آتته ، قالوا آتته ، فلما أشرف على النبي ﷺ قال (٤) لأصحابه : ( هذا رجل فاجر ) فجعل يكلم النبي ﷺ ، فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو ، فلما جاء قال النبي ﷺ : ( سهل أمركم ) .

وكان رسول الله ﷺ قد دعا عمر بن الخطاب رضى الله عنه لبيعته إلى مكة ليلبلغ عنه أشراف مكة ما جاء له ، فقال : يا رسول الله إني أخاف قريشاً على نفسى ، وما بمكة من بنى عدى بن كعب أحد يمنعى ، وقد عرفت قريش عداوتى إياها وغلاظتى عليها ، ولكن أدلك على رجل أعز بها منى : عثمان بن عفان ، فدعا رسول الله ﷺ عثمان رضى الله عنه فبعثه إلى أبى سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وأنه لم يأت إلا زائراً لهذا البيت ومعظماً لحرمة .

فخرج عثمان إلى مكة فلقى به أبان بن سعيد بن العاص فحمله بين يديه ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ ، فقال أبو سفيان لعثمان حين بلغ الرسالة

(١) ( لا ) سقطت من النسختين ، فاستدركتها من ( تاريخ الطبرى ٢/٢٢٨ ) وغيره من المصادر .

(٢) الاحابيش : جماعات يتجمعون من قبائل شتى ، على ما فى ( مقاييس اللغة لابن فارس ) .

(٣) فى النسختين ( يكرز ) والتصحيح من المراجع المشهورة .

(٤) أى النبي عليه صلوات الله وسلامه .

( م ٣١ - أول عيون الخوارىخ )

إليهم : إن شئت أن تطوف بالبيت فطف ؛ قال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ . واحتجسته قریش عندها ، وبلغ رسول الله ﷺ أن عثمان قتل فقال : ( لا نبرح حتى نناجز القوم ) .

ودعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة فكانت ( بيعة الرضوان ) تحت الشجرة وهي سمرة<sup>(١)</sup> .

وكان أول من بايعه رجل من بني أسد يقال له أبو سنان<sup>(٢)</sup> ، فكان الناس يقولون : بايعهم رسول الله ﷺ على الموت ، وكان جابر يقول : لم يبايعنا على الموت ولكن بايعنا على أن لا نفر ، فبايع رسول الله ﷺ الناس ، ثم بلغه أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل .

وبعث قریش سهيل بن عمرو إلى رسول الله ﷺ ليصالحه على أن يرجع عنهم عامه ذلك ، فأقبل سهيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأطال معه الكلام وتراجعا ، ثم جرى بينهم الصلح .

ودعا رسول الله ﷺ على بن أبي طالب فقال ( اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ) فقال سهيل : لا أعرف هذا ، ولكن اكتب : « باسمك اللهم » ، ثم قال :

(١) ضرب من شجر الطلح ، على مافي ( النهاية لابن الأثير ) .

(٢) في ( عيون الأثر في فنون المغازي والسير للحافظ ابن سيدي الناس ١٢٥/٢ ) : الصواب سنان بن أبي سنان . قال الواقدي : وسنان أول من بايع بيعة الرضوان ، وتوفي سنان سنة اثنتين وثلاثين ، وأما أبوه أبو سنان فمات في حصار بني قريظة ...

وفي ( الاستيعاب للحافظ ابن عبد البر ) : سنان أول من بايع بيعة الرضوان في قول الواقدي . وقال غيره : بل أبو سنان أول من بايع بيعة الرضوان . وقال الواقدي : أول من بايع بيعة الرضوان سنان ، بايعه قبل أبيه . قال أبو عمر : الأكثر والأشهر أن أبا سنان هو أول من بايع بيعة الرضوان ، والله أعلم . وانظر ( الطبقات الكبرى لابن سعد ) .



(أكتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سبيل بن عمرو) فقال سبيل : لو نعلم أنك رسول الله لم نقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، فقال لعلي : ( أوح رسول الله ) فقال : لا أحوك أبداً ، فأخذه رسول الله ﷺ وأيس يحسن يكتب فكتب مكان رسول الله : ( محمد بن عبد الله ) وقال لعلي : - لَتُبْنِيَنَّ بِمِثْلِهَا - اصطلاحاً على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ، من أتى منهم رسول الله ﷺ (١) بغير إذن وليه رده إليهم ، ومن جاء قريشاً بمن مع محمد لم يردوه إليه ، ومن أحب أن يدخل في عهد [محمد] دخل ومن أحب أن يدخل في عهد [٢] قريش دخل . فدخلت خزاعة في عهد رسول الله ﷺ ، ودخلت بنو بكر في عهد قريش ، وأن يرجع رسول الله ﷺ عامه ذلك (٣) ، فإذا كان عام إقبال خرجنا عنها فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثاً ، معك سلاح الراكب : السيوف في القرب .

فبينما رسول الله ﷺ يكتب الكتاب إذ جاء أبو جندل بن سبيل بن عمرو يرسف في قيوده ، قد انفلت إلى رسول الله ﷺ ، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله ﷺ .

فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع وما تحمل عليه رسول الله ﷺ دخل الناس من ذلك (٤) أمر عظيم ، وكادوا يهلكون ، ووثب عمر بن الخطاب فأتى أبا بكر وقال له : يا أبا بكر أليس هو برَسُولِ الله ؟ قال : بلى . قال :

(١) في نص الوثيقة : ( من أتى محمداً ) على ما في المصدر المقبل .

(٢) ما بين المعقنين ساقط من الظاهرية ، فاستدركته من الأحمدية ومن مجموعة الوثائق السياسية للدكتور محمد حميد الله ص ٥٩ من الطبعة الثالثة .

(٣) في نص الوثيقة : ( في عهد محمد وعهده ) ، كما في المصدر السابق .

(٤) في نص الوثيقة : ( وأنت ترجع عنا عامك هذا ) .

(٥) ( من ذلك ) مستدرك من الأحمدية وعيون الآثار .

(٦) هكذا تكتب ولكن أحياناً تخالف قواعد الإملاء للايضاح .

أو لسمنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ، قال : أو ليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ؛ قال :  
فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ قال أبو بكر : يا عمر الزم غرضه <sup>(١)</sup> فإني أشهد  
أنه رسول الله ، قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله ، ثم أتى رسول الله ﷺ  
فقال : يا رسول الله ؛ أأنت رسول الله ؟ قال : ( بلى ) قال : أو لسمنا بالمسلمين ؟  
قال : ( بلى ) ؛ قال : أو ليسوا بالمشركين ؟ قال : ( بلى ) ، قال : فعلام نعطي  
الدنية في ديننا ؟ قال : ( أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني )  
فكان عمر يقول : ما زلت أصوم وأتصدق وأصلي وأعتق من الذي صنعت  
يومئذ مخافة كلامي الذي تكلمت به حين رجوت أن يكون خيراً .

ولما رأى سميل ولده أبا جندل قام إليه يضرب وجهه وأخذ بتلبينه <sup>(٢)</sup>  
وقال : يا محمد قد تمت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا ، قال : ( صدقت ) ،  
فجعل ينتره <sup>(٣)</sup> بتلبينه ويجره ليرده إلى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى  
صوته : يا معشر المسلمين أورد إلى المشركين يفتنون في ديفي ، فزاد الناس ذلك  
إلى ما بهم ، فقال رسول الله ﷺ : ( يا أبا جندل اصبر واحتسب فإن الله  
جاعل لك ولهن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ، إنا عقدنا بيننا وبين  
القوم صلحاً وأعطيناهم على ذلك وأعطيناهم الله ولما لا نفدر بهم ) قال  
فوثب عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع أبي جندل يمشي إلى جنبه <sup>(٤)</sup> ويقول :

(١) أي اتبعه ولا تخالفه ، فاستعار له الغرض ؛ كالذي يمسك بركاب الراكب  
ويسير بسيره .

(٢) في الظاهرية ( بتلبينه ) والتصحيح من الاحمدية وعيون الاثر . وأخذ  
بتأليه : أي جمع عليه ثوبه عند صدره ولبته ، وجره ؛ على ما في المشارق للقاضي  
عياض والنهاية لابن الأثير .

(٣) النمر : جذب فيه قوة وجفوة . وفي الاحمدية ( ينزّه ) وهو تصحيف .

(٤) ( يمشي إلى جنبه ) مستدركة من الاحمدية .

اصبر يا أبا جندل فانما هم المشركون وإنما دم أحدكم دم كلب، قال ويدني قائم  
السيف منه، قال يقول عمر: رجوت أن يأخذ السياف فيضرب به أباه، قال  
فضن<sup>(١)</sup> الرجل بأبيه<sup>(٢)</sup> ونفذت القضية.

فلما فرغ الكتاب أشهد على الصلح رجالاً من المسلمين ورجالاً من المشركين،  
منهم أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف<sup>(٣)</sup> وغيرهم وجماعة من المشركين،  
وكان رسول الله ﷺ مضطرباً في الحل<sup>(٤)</sup>، وكان يصلي في الحرم.

فلما فرغ رسول الله ﷺ قام إلى هديه فنهجه ثم جلس فخلق رأسه، فلما  
رأى الناس النبي ﷺ قد نحر وخلق تواشوا ينحرون ويحلقون.

ثم انصرف رسول الله ﷺ من وجهه ذلك قافلاً حتى إذا كان بين مكة  
والمدينة نزلت عليه سورة الفتح (لما فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم  
من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً<sup>(٥)</sup>) ثم كانت  
القصة فيه وفي أصحابه، حتى إذا انتهى إلى ذكر البيعة (إن الذين يبايعونك  
إنما يبايعون الله<sup>(٦)</sup>) الآية. قال ابن عباس: ووعده به أنه فاتح مكة وبين له  
فتحها.

(١) في الظاهرية (فظن) والتصحيح من الاحمدية وتاريخ الطبري وابن كثير.

(٢) في الظاهرية (بأبيه) وهو تصحيف.

(٣) سقط من الظاهرية (بن عوف) فاستدركتها من الاحمدية و (بجموعة  
الوثائق السياسية للدكتور محمد حميد الله ص ٥٩ من الطبعة الثالثة).

(٤) معناه أن خيامه كانت مضروبة في الحل خارج منطقة الحرم، وكانت  
صلاته في الحرم لقرب الحديبية من الحرم، على ما في (شرح غريب سيرة ابن  
هشام للقاضي المحدث أبي ذر الحاشني) وغيره.

(٥) سورة الفتح، الآية الأولى.

(٦) سورة الفتح، الآية ١٠.

ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة جاءه أبو بصير عتبة (١) بن أسيد بن جارية  
الثقفي وهو مسلم ، وكان ممن حبس بمكة ، فكتب فيه الأزهر بن عبد (٢) عوف  
والأخض بن شريق : وبعث فيه رجلا من بني عامر بن لؤي ومعه مولى لهم  
فقال له رسول الله ﷺ : ( قد علمت أنا أعطينا هؤلاء القوم عهداً ولا يهملح  
العدو في ديننا ) فانطلق معهما إلى ذي الحليفة وجلسوا ، فأخذ أبو بصير سيف  
أحدهما فقتله به ، فخرج المولى سريعاً إلى رسول الله ﷺ فأعلمه بقتل صاحبه  
وأقبل أبو بصير فقال يا رسول الله قد وفيت ذمتك وأنجاني الله منهم ، فقال  
رسول الله ﷺ : ( ويل أمه مسعر حرب لو كان له رجال ) فلما سمع ذلك  
عرف أنه سيرده إليهم .

فخرج أبو بصير حتى نزل بناحية ذي المروة على ساحل البحر على طريق  
قريش إلى الشام ، وبلغ المسلمين الذين كانوا بمكة ذلك ، فخرجوا إلى أبي  
بصير ، منهم أبو جندل ، فاجتمع إليه قريب من سبعين رجلاً ، فضيقوا على قريش  
يعترضون لغيرهم ، فأرسلت قريش إلى رسول الله ﷺ يناشدونه الله والرحم  
لما أرسل إليهم ، فن أتاها فهو آمن ، فأواهم رسول الله ﷺ .

ودخل في الإسلام في هذه السنة مثل ما دخل فيه قبل ذلك  
وأكثر (٣) .

(١) أبو بصير سماه ابن إسحاق (عتبة) ، ومن الناس من يسميه عبيدا ،  
على ما في (عيون الأثر) .

(٢) (عبد) سقطت من النسختين . فاستدركتها من (عيون الأثر في فنون  
الغزاة والشمال والسير للحافظ ابن سيد الناس ١٢٧/٢) وغيرها من المصادر  
المشهورة .

(٣) لذلك ورد في صحيح الإمام البخاري عن البراء بن عازب أنه قال :  
تعدون فتح مكة فتحاً ونحن نعد الحديبية هي الفتح .

وهاجر إلى رسول الله ﷺ نسوة : فبين أم كلثوم بدت عقبة بن أبي معيط فجاء أخوها الوليد وعمار يطلبانها فأنزل الله تعالى ( فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعهن إلى الكفار لا هن حل لهم ) (١) الآية . فلم ترسل امرأة مؤمنة إلى مكة ، فأنزل الله تعالى ( ولا تمسكوا بهنم الكوافر ) (١) فطاق عمر ابن الخطاب رضى الله عنه امرأتين له إحداهما قريبة ابنة أبي أمية ؛ فتزوجها معاوية ، وهما مشركان ، والثانية أم كلثوم ابنة عمرو بن جرجل الخزاعية ، فتزوجها أبي جهم بن حذافة بن غاثم ، وهما مشركان .

وفى هذه السنة كانت عدة من السرايا والغزوات :

( سرية عكاشة بن خصن فى أربعين رجلا إلى الغمر (٢) )

فغذر القوم بهم ، فهربوا ، فبشت الطلائع ؛ فوجدوا مائتي بير فأخذوها إلى المدينة وكانت فى ربيع الآخر .

== وزاد عدد الجيش حتى رجع إلى مكة فى الفتح بأكثر من عشرة آلاف ، وكان عدد المسلمين فى الحديبية لا يزيد على الألف وأربعمائة .

وكان دور هذه المعاهدات العسكرية خيرا وبركة على المسلمين . وتقدمت فيها قواهم العسكرية ونفوذهم فى الجزيرة . مما مهد لدور الفتح والنصر . على ما فى ( كتاب النبى صلى الله عليه وسلم والسياسة الدولية للأستاذ الجليل المؤمن القوى الدكتور مصطفى كمال وصفي ) .

(١) سورة الممتحنة ، الآية ١٠ .

(٢) فى المصنفين ( العمق ) عوض ( الغمر ) وهو تحريف . والغمر : ماء لبنى أسد .

(٣) فى عيون الأثر وغيرها : ( فى ربيع الأول ) .

ومنها:

(سرية محمد بن مسلمة)

أرسله رسول الله ﷺ في عشرة فوارس إلى بني ثعلبة بن سعد ، فكمن  
القوم لهم حتى نام هو وأصحابه فظفروا عليهم ، فقتل أصحابه ونجوا وحده  
جريحاً .

(سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى ذي النضلة<sup>(١)</sup>)

فهرب أهله . وأصابوا نعماً ورجلاً<sup>(٢)</sup> أسلم ، فتركه رسول الله ﷺ .  
ومنها :

(سرية زيد بن حارثة بالجحوم<sup>(٣)</sup>)

فأصاب امرأة من مزينة اسمها حليلة ؛ فدانتهم على نخلة من محال بني سليم ،  
فأصابوا نعماً وشاءً وأسرى ، فيهم زوجها ، فأطلقها رسول الله ﷺ وزوجها  
معباً .

ومنها :

(سرية زيد بن حارثة أيضاً)

إلى العيص<sup>(٤)</sup> في جمادى الاولى

وفيهما أخذت الأموال التي كانت مع أبي العاص بن الربيع ، واستعجار  
بن زيد بنت رسول الله ﷺ فأجارتها ، وقد تقدم ذكره في غزاة بدر .

(١) بينها وبين المدينة أربعة وعشرون ميلاً في طريق الرهبة .

(٢) سقط من النسختين (رجلاً) والاستدراك من تاريخ السكامل لابن الأثير ،  
و (عيون الاثر ١٠٥/٢) .

(٣) بفتح الجيم . ناحية بطن نخل عن يسارها . وبطن نخل من المدينة على  
أربعة برد ، على ما في (عيون الاثر) .

(٤) بينها وبين المدينة أربع ليال .

ومنها :

(سرية زيد بن حارثة أيضا )

في جمادى الآخرة إلى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلا ، فربوا منه ،  
وأصاب من نعمهم عشرين بعيراً .

(سرية زيد بن حارثة أيضا )

إلى حسمى (١) في جمادى الآخرة

وسببها أن رفاعة بن زيد الجذامي ثم الضبيي (٢) قدم على رسول الله ﷺ  
في هذنة (٣) الحديدية ، وأهدى له غلاما ، وأسلم فحسن إسلامه ، وكتب له  
رسول الله ﷺ كتاباً إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام ، فأسلموا ، ثم سار إلى  
الحرّة حرّة الرّجلاء (٤) .

ثم إن دحية بن خليفة الكلبي أقبل من الشام من عند قيصر ؛ إذ كان  
بأرض جذام أغار عليه الهنيد بن عوص (٥) وابنه عوص الصليعيان (٦) —

(١) هي وراء وادي القرى .

(٢) في النسختين (الضبي) تحريف . وبنو الضبيب بطن من جذام ، على  
ما في (جمهرة أنساب العرب لابن حزم ٤٧٧) والإيناس بعلم الأنساب للوزير  
ابن المغيرة . وورد في الباب في الأنساب ، وعجالة المبتدئ للحازمي  
والاستيعاب : (الضبي) أو (الضبيي) أنظر (تبصير المنتبه) .

(٣) في الظاهرية (هذه السنة إلى) عوض (هذنة) التي في الاحمدية ، وهي  
الصواب ، على ما في الاستيعاب وغيره .

(٤) في النسختين (الرحلاء) والتصحيح من الروض الأنف ووفاء الوفا  
للسيد المهودي وتاريخ الطبري .

(٥) في النسختين (عوص) والتصحيح من تاريخ الطبري والقاموس  
المحيط وغيرهما .

(٦) في الظاهرية (الصليعيان) وهو تصحيف صحبته من الاحمدية وتاريخ  
الطبري ١٤٠/٣ .

( ٣٢ - أول عيون التواريخ )

وهو بطن من جذام — فأخذنا كل شيء معه ، فباع ذلك نفرأ من بني الضبيب فاستنقذوا كل شيء أخذ من دحية وردوه عليه ، فخرج دحية حتى قدم على رسول الله ﷺ فأخبره خبره ، وطلب منه دم الهنيد وابنه عوص .

فبعث رسول الله ﷺ إليهم زيد بن حارثة في جيش ، فأغاروا بالقضا فض ، وجمعوا ما وجدوا من مال ، وقتلوا الهنيد وابنه ، فلما سمع بذلك بنو الضبيب رهم رفاعه بن زيد سار بعضهم إلى زيد بن حارثة فقالوا : إنا قوم مسامون ، فقال زيد : فافروا أم الكتاب ؛ فقرأها بعضهم ، فقال زيد : نادوا في الجيش « إن الله حرم علينا ما أخذ من طريق القوم التي جاءوا منها ، وأراد أن يسلم إليهم سبائهم ، فأخبره بعض أصحابه عنهم بما أوجب أن يحتاط ، فتوقف في تسليم السبائيا وقال : « هم في حكم الله تعالى » .

ونهى الجيش أن يهبطوا (١) فعادوا إلى رفاعه بن زيد ، ولم يكن عنده علم بذلك ، فأتوه وهو في كراع ربة (٢) فقالوا : إنك جالس تحلب المعزى ونساء جذام أسارى قد غرهن كتابك الذي جئت به .

فسار رفاعه والقوم معه إلى المدينة ، فعرض كتاب رسول الله ﷺ عليه فقال : ( كيف أصنع بالقتلى ) فقالوا : لنا من كان حيا ، ومن قتل فهو تحت أقدامنا — يعنون تركوا الطلب به — فأجابهم إلى ذلك ، وأرسل معهم على بن أبي طالب رضى الله عنه إلى زيد بن حارثة ، فرد على القوم ما لهم حتى كانوا ينتزعون لبد المرأة من تحت الرحل ، وأطلق الأسارى .

(١) إلى واديهم الذي جاءوا منه ، على مافي (تاريخ الطبرى) وغيره .

(٢) في النسختين ( كراع له ) والصواب ( كراع ربة ) في ديار جذام ، على ما في معجم البلدان والروض الأنف وتاريخ الطبرى .



ومنها :

( سرية عبد الرحمن بن عوف الزهري )

الى دومة الجندل في شعبان

فأسلموا ، فتزوج عبد الرحمن تماضر<sup>(١)</sup> بنت الأصبح<sup>(٢)</sup> رئيسهم ، وهي أم أبي سلمة<sup>(٣)</sup> .

ومنها :

( سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه )

الى فدك في شعبان في مائة رجل

وذلك أن رسول الله ﷺ بلغه أن حياً من بني سعد<sup>(٤)</sup> قد تجمعوا يريدون أن يمدوا أهل خيبر ، فسار إليهم على فأصاب عيناً لهم ، فأخبره أنه سائر إلى أهل خيبر يعرض عليهم نصرهم ، على أن يجعلوا له تمر خيبر .

ومنها :

( سرية زيد بن حارثة )

الى أم قرقة في رمضان

وكانت عجوزاً كبيرة ، فلقى بني فزارة بوادي القرى ، فأصيب أصحابه ،

(١) في الأحمدية ( تماظر ) وهو تحريف .

(٢) في الظاهرية ( الأصبح ) وهو تصحيف .

(٣) ( سلمة ) ساقطة من الظاهرية ، فاستدركتها من الأحمدية ، وأبو سلمة

هذا هو ابن عبد الرحمن بن عوف .

وأما هذه المصاهرات تعتبر من أعظم الأسباب لتوطيد الود والمحبة بين القبائل ، كما أنها عامل من عوامل انتشار الإسلام بين الناس ، كما في ( السرايا الحربية في العهد النبوي ) للدكتور محمد السيد طنطاوي .

(٤) سعد بن بكر ، على ما في ( سيره مفصلة ) ( الملتحصة من ) ( الزهر الباسم

في سيرة أبي القمام ) .

وارث زيد من بين القتلى فنذر أن لا يمس ماءً من جنباته حتى يغزو فزارة ، فبعثه رسول الله ﷺ إلى بني فزارة ، فلقى بهم بوادي القرى فأصاب منهم وقتل ، وأسر أم قرفة ، وهي فاطمة بنت ربيعة بن بدر عجزاً كبيرة وبتاً لها ، فربط أم قرفة بين بعيرين فشقاها نصفين (١) ، ثم قدموا على رسول الله ﷺ بابلتها ، وكانت في بيت شرف من قومها ، كانت العرب تقول : (لو كنت أعز من أم قرفة) (٢) فسأل سلمة بن الأكوع رسول الله ﷺ فيها فوهبها له ، فأهداها سلمة لخاله حزن بن أبي وهب ، فولدت له عبد الرحمن بن حزن .

(١) اختلف أهل السير فيمن قتلها . والمشهور عندهم أنه قيس بن مالك بن المحسر ، وإن لم يثبت قتلها في تلك السرية عند أهل الحديث . وفي (عيون الآثار ١٠٨/٢) : وعن ابن إسحاق من طريق يونس بن بكير قال : حدثني عبد الله بن أبي بكر ، ذكر قيس بن مالك بن المحسر لأم قرفة وقتله إياها بأمر زيد بن حارثة قتلاً عنيفاً فربط رجلها ببعيرين حتى شقاها ، لكن ليس في رواية ابن هشام ذكر للبعيرين . قال الشيخ الكوثري في (مقالاته) : وفي هذه الأقصوصة وقفات من جهة أن الراوي عن ابن إسحاق هو يونس بن بكير ، وعنه يقول أبو داود : ليس بحجة عندي ، كان يأخذ كلام ابن إسحاق فيوصله بالحديث . وقد ضعفه العجلي والنسائي . فانفراد مشله يكون موضع ريب ، بل وقع في تاريخ الطبري عن عنة ابن إسحاق لهذا الخبر عن ابن أبي بكر ، فتعين الرد لكونه مدلساً . وشيخ الطبري ابن حميد وشيخه سلمة بن الفضل الراوي عن ابن إسحاق لا يحتج بهما عند كثيرين . . . فيضرب برواية ابن إسحاق عرض الحائط كما فعل ابن كثير في (البداية والنهاية) اعتماداً على الرواية الصحيحة لأحمد ومسلم وأبي داود . والنبي صلى الله عليه وسلم نهى عن المثلة نهياً باتاً . . . . .

وكانت أم قرفة سببت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل : لأنها جهزت ثلاثين راكباً من ولدها وولد ولدها وقالت : اغزوا المدينة واقتلوا محمداً . أنظر عيون الآثار لابن سيد الناس : وشرح المواهب اللدنية ، ولإنسان العيون . (٢) وإنما قالوا : (أعز من أم قرفة) لأنه كان يهلك في بيتها خمسون سيفاً ، كلهم لها ذو محرم ، كما في (عيون الآثار ١١٠/٢) .

ومنها :

(سرية كرز بن جابر النهري)

إلى العربيين الذين قتلوا راعى رسول الله ﷺ ، واستاقوا الإبل .  
وكانت في شوال .

وفيه تزوج عمر بن الخطاب رضى الله عنه جميلة بنت ثابت بن أبي  
الأفلق<sup>(١)</sup> أخت عاصم ، فولدت له عاصمًا .

وفيه أجذب الناس جدباً شديداً ، فاستبق رسول الله ﷺ بالناس  
في رمضان .

(ذكر مكانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الملوكة<sup>(٢)</sup>)

في هذه السنة بعث رسول الله ﷺ الرسل إلى كسرى وقيصروا النجاشي  
وغيرهم .

فأرسل حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس بالأسكندرية .

(١) في الظاهرية (الأفلق) والتصحيح من الاحمدية و(تبصير المنتبه) حيث  
قال : وبقياف هو ... فرد .

(٢) من الدليل على صحة نبوة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أنه كاتب كسرى  
وقيصرو وغيرهما ، وأمره مع قومه كلهم ما استتب فضلاً عن عامة العرب .  
ولولا أنه مدفوع إلى المسكائسة من جهة من إليه حفظ العاقبة لم يفعل ذلك ،  
فإن ذلك لا يصدر عن رأى ذى رأى قط . . . . . فما أسخف عقول الشاكين  
في نبوته مع تشعشع أنوار صدقه .

من (الوفا بأحوال المصطفى للحافظ ابن الجوزى عليه رحمة الله ٧٤٣/٢) .

وأرسل شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني بدمشق  
وأرسل دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر .  
وأرسل سليط بن عمرو العامري إلى هوزة<sup>(١)</sup> بن علي الحنفي .  
وأرسل عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى .  
وأرسل عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي .  
وأرسل العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين .

فأما المقوقس فإنه قبل كتاب رسول الله ﷺ ، وأهدى إليه أربع (٢)  
جوار أحدهن مارية أم إبراهيم بن رسول الله ﷺ ، والأخرى سيرين  
وهما رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت، وأهدى له أيضاً بغلته لدل وحماره  
يعفور وكسوة .

وأما قيصر وهو هرقل فإنه قبل كتاب رسول الله ﷺ وجعله بين  
نخذه وخاصرته (٣) . وكتب إلى رجل برومية كان يقرأ الكتب يخبره بشأنه  
فكتب إليه صاحب رومية : إنه النبي الذي كنا ننتظر ، لاشك فيه ، فأنبعه  
وصدقه .

(١) في الظاهرية ( هوزة ) وهو تصحيف صحاحته من الاحمدية ومن (صبح  
الاعشى ٣٧٩/٦) و ( هوزة ) بفتح الهاء ؛ وزعم بعضهم أنها بالضم وهو وهم ،  
على ما في ( تاج العروس ) .

(٢) ( أربع ) ساقطة من النسختين ، فاستدركتها من تاريخ ابن جرير وتاريخ  
ابن الأثير .

(٣) في ( الروض الأنف للسبيل ) : روى أن هرقل وضع كتاب رسول  
الله صلى الله عليه وسلم الذي كتب إليه في قصة من ذهب تعظيماً له ، وأنهم لم  
يزالوا يتوارثونه كابراً عن كابر في أرفع صوان وأعز مكان ، حتى كان عند =

فجمع هرقل بطارقته في دسكرة (١) وغلقت أبوابها ، ثم اطلع عليهم من عليّة ، وخافهم على نفسه وقال لهم : قد أتاني كتاب هذا الرجل يدعوني إلى دينه ، وإنه والله النبي الذي كننا نجده في كتبنا فلم نتيّعه ونصدقه فتسلم لنا دنيانا وأخرتنا . فنخروا نخرة رجل واحد ، ثم ابتدروا الأبواب ليخرجوا ، فقال ردوهم على ، وخافهم على نفسه وقال لهم : إنما قلت لكم ما قلت لأنظر كيف صلابتكم في دينكم ، وقد رأيت منكم ماسرني . فوجدوا له وانطلقوا . فقال لدحية : إني لأعلم أن صاحبك نبي مرسل ولكني أخاف الروم على نفسي ، ولولا ذلك لاتبعته فاذهب إلى ضغاطر (٢) الأسقف فهو أعظم في الروم مني ، فاذكر له أمر صاحبك وانظر ما يقول لك ، فجاء دحية وأخبره ما جاء به من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضغاطر : والله إن صاحبك نبي مرسل نعرفه بصفته ونجده في كتبنا ، ثم أخذ عصاه وخرج على الروم وهم في الكنيسة وقال : يامعشر الروم قد جاءنا كتاب من أحمد يدعونا فيه إلى الله ، وإني أشهد ألا إله إلا الله وأن أحمد عبده (٣) ورسوله . قال فوثبوا عليه فقتلوه ، فرجع

== اذفونش ... ثم كان عند ابن بنته المعروف بالسليطين . حدثني بعض أصحابنا أنه حدثه من سألته رؤيته من قواد أجناد المسلمين كان يعرف بعبد الملك بن سعيد قال : فأخرجني إلى فاستعبرته وأردت تقبيله وأخذته بيدي ؛ فنعني من ذلك صيانة له وضناً به على .

وفي (أهرام ٨ - ١٥ / ٤ / ١٩٧٥) أن هذا الكتاب النبوي نقل إلى خزائن أحد البنوك السويسرية وكان من ممتلكات الملك عبد الله ملك شرق الأردن .  
(١) الدسكرة : بناء على هيئة القصر ، فيه منازل ويوت للخدم والحش ، على مافي (النهاية) .

(٢) هكذا في النسختين و (بمجموعة الوثائق السياسية للاستاذ الدكتور محمد حميد الله) وفي تاريخ الطبري (ضغاطر) بالصاد المهملة .

(٣) في الظاهرية (عبد الله) عوض (عبده) .

دحية إلى هرقل وأخبره الخبر ، قال : قد قلت لك إنا نخافهم على أنفسنا .  
وقال هرقل الروم : هلموا نعطه الجزية ، فأبوا ، فقال : نعطيه أرض سورية  
- وهى الشام - ونصلحه ، فأبوا .

والتدعى هرقل أبو سفيان ، وكان بالشام تاجراً فى الهدنة (١) ، فحضر  
عنده ومعه جماعة من قريش ، فأجلسهم هرقل خلفه ، وقال : إني سأله ، فإن  
كذب فكذبوه . فقال أبو سفيان : لولا أن يأتروا عني الكذب لكذبت ، فسأله  
عن النبي ﷺ ، قال : فصغرت له شأنه ، فلم يلتفت إلى قولى ، وقال : كيف  
نسبه فيكم ؟ قلت هو أوسطنا نسباً (٢) ، قال : هل كان أحد من أهل بيته  
يقول مثل قوله ؟ قلت : لا ، قال : فهل كان له فيكم ملك سلبتموه إياه ؟ قلت  
لا ، قال : فمن أتباعه منكم ؟ قلت : الضعفاء والمساكين والأحداث : قال :  
فهل يحبه من يتبعه ويلزمه أم يقلبه (٣) ويفارقه ؟ قلت : ما تبعه رجل ففارقه .  
قال : فكيف الحرب بينكم وبينه ؟ قلت : يدال علينا وندال عليه . قال هل  
يغدر ؟ قال : فلم أجد شيئاً أخمزه به غيرها ، قلت : لا ، ونحن منه فى هدنة  
لأننا من غدوره ، قال فما التفت إليها .

قال أبو سفيان قال لى هرقل : سألتك عن نسبه فزعمت أنه من أوسطكم  
نسباً ، وكذلك الأنبياء . وسألتك هل قال أحد من أهل بيته مثل قوله فم-و  
يتشبه به ، فقلت : لا . وسألتك هل كان له ملك سلبتموه ملكه ، فجاء بهذا  
لتردوا عليه ملكه ، فزعمت أن لا . وسألتك عن أتباعه ، فزعمت أنهم الضعفاء  
والمساكين والأحداث . وكذلك أتباع الرسل : وسألتك عن يتبعه أيحبه أم

(١) هدنة الحديبية .

(٢) أى من أشرفهم وأحسبهم ، على ما فى ( النهاية لمجد الدين بن الأثير ) .

(٣) أى يبغضه .

يفارقه ، فزعمت أنهم يحبونه ولا يفارقونه ، وكذلك حلاوة الايمان لا تدخل قلباً فتخرج منه . وسألتك هل يغدر ؟ فزعمت أن لا .

ولئن كنت صدقتني ليغلبن على ما تحت قدمي هاتين ، ولوددت أنى عنده فأغسل قدميه ، إمض لشأنك .

قال فخرجت وأنا أضرب إحدى يدي بالأخرى وأقول : أى عباد الله ، لقد عظم أمر ابن أبي كبشة (١) ، أصبح ملوك الروم يهابونه في سلطانهم . وأما الحارث بن أبي شمر الغساني فأتاه كتاب رسول الله ﷺ مع شجاع ابن وهب ، فلما قرأه قال : أنا سائر إليه ؛ فلما بلغ قوله رسول الله ﷺ قال : ( باد ماسكه ) .

وأما النجاشي فلما جاءه كتاب رسول الله ﷺ آمن به واتبعه وأسلم على يد جعفر بن أبي طالب ، وأرسل إليه ابنه في ستين من الحبشة ، فغرقوا في البحر ، وأمره رسول الله ﷺ ليزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان ، وكانت مهاجرة بالحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش فتنصر وتوفي بالحبشة ، فخطبها النجاشي على رسول الله ﷺ فأجابته فزوجها ، وأصدقها أربعمائة دينار ؛ فلما سمع أبو سفيان تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة قال : ذلك الفحل لا يقدر (٢) أفقه ، .

(١) كان المشركون ينسبون النبي ﷺ إلى أبي كبشة ، وهو رجل من خزاعة خالف قريشاً في عبادة الاوثان ، وعبد الشعري العبور ، فلما خالفهم النبي ﷺ في عبادة الاوثان شبهوه به ، وقيل لأنه كان جد النبي ﷺ من قبل أمه ، فأرادوا أنه نزع في الشبهة لآلئه ، على ما في ( النهاية في غريب الحديث لابن الاثير ) .  
(٢) كناية عن كريم أصله وعراقته . وفي النسختين ( يقدح ) وهو تصحيف صحته من لسان العرب والنهاية .

( ٣٣ — أول عيون التواريخ )

وأما كسرى فجاءه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عبد الله بن حذافة، فزق الكتاب فقال رسول الله ﷺ: (مزق ملكه).

وكان كتابه: بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس. سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. وإني أدعوك بدعاية الله تعالى وإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين فأسلم تسلم وإن توليت فإنما إثم المجوس عليك.

فلما قرأه شقه وقال: يكتب إلى بهذا وهو عبيد.

ثم كتب كسرى إلى باذان وهو على اليمن أن ابعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين من عندك جليدين فليأتياي به، فبعث باذان بابويه (١) — وكان كاتباً حاسباً — ورجلاً آخر من الفرس يقال له خُسر خُسره، وكتب معهما إلى رسول الله ﷺ بالأسير معهما إلى كسرى، وتقدم إلى بابويه (١) أن يأتيه بخبر رسول الله ﷺ.

وسمعت قريش بذلك ففرحوا وقالوا: أبشروا فقد نصب له كسرى ملك الملوكة، وكفيتهم الرجل.

فخرجوا حتى قدما على رسول الله ﷺ، وقد حلقا لحاهما وشواربهما، فمكره النظر إليهما وقال: (ويلكما من أمركما بهذا؟) قالوا ربنا — يعليان الملك — قال: (لكن ربي أمرني أن أعفي لحيتي وأقص شاربي) فأعلماه بما قدما له، وقالوا: إن فعلت كتب باذان فيك إلى كسرى وإن أبيت فهو يهلكك ويهلك قومك، فقال لهما رسول الله ﷺ: (ارجعا حتى تأتياي غداً) وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء أن الله تعالى قد ساط على كسرى ابنه شيرويه

(١) في النسختين (بابويه) والتصحيح من (تاريخ الطبري ٢/٢٥٥) وغيره.



فقتله ، فدعاها رسول الله ﷺ وأخبرهما بقتل كسرى وقال لهما : ( إن ديني وسلطاني سيباغ ملك كسرى ويلتهى ملتهى الخنف والحافر ) وأمرهما أن يقولوا لبازان ليسلم فإن أسلم أقره على ما تحت يده وملسكه على قومه .

ثم أعطى خُرَّ خُسره مِنطَقة ذهب وفضة ، أهداها له بعض الملوك .

فخرجوا وقدموا على باذان فأخبراه الخبر فقال : والله ما هذا كلام ملك ، راني لأراه نبياً ، ولنظرون فإن كان ما قال حقاً إنه لنبى مرسل ، وإن لم يكن فسرى فيه رأينا ، فلم يلبث باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه يخبره بقتل كسرى وأنه قتله غضباً للفرس لما استحل من قتل أشرافهم ، ويأمره بأخذ الطاعة له باليمن وبالكعب عن رسول الله ﷺ ، فلما أتاه كتاب شيرويه أسلم وأسلم معه الأبناء من فارس . وكانت حمير تسمى خر خُسره صاحب المعجزة ، والمعجزة باغة حمير : المنطقة .

وأما هوذة<sup>(١)</sup> بن علي الخنفي فكان ملك اليمامة ، فلما أتاه سليط بن عمرو يدعوه إلى الاسلام - وكان نصرانياً - فأرسل إلى النبي ﷺ وفداً فيهم 'جِعاة بن مرارة والرجال'<sup>(٢)</sup> بن عَنُقُوة يقول له : إن جعل الأمر له من بعده أسلم وسار إليه ونصره ، وإلا قصد لحربه ، فقال رسول الله ﷺ : ( لا ولا كرامة ، اللهم اكفنيه ) فمات بعد قليل .

وأما 'جِعاة والرجال' فأسلما : وأقام الرجال عند رسول الله ﷺ حتى قرأ سورة البقرة وغيرها ، وتفقه ، وعاد إلى اليمامة فارتد وشهد أن رسول الله ﷺ أشرك مسيلمة معه ، فكانت فتنته أشد من فتنة مسيلمة .

(١) في الظاهرية (هردة) وهو تصنيف ، صحبته من الاحمدية وغيرها .

(٢) في النسختين (الرجال) وفي تبصير المنتبه للحافظ ابن حجر : ضبطه عبد الغنى بالخاء المهملة فوهم .

وأما المنذر بن ساوى بالبحرين ، فلما أتاه العلاء بن الحضرمي يدعوه ومن معه بالبحرين إلى الإسلام أو الجزية - وكانت ولاية البحرين للفرس - فأسلم المنذر بن ساوى وأسلم جميع العرب بالبحرين . وأما أهل البلاد من اليهود والنصارى والمجوس فإنهم صالحوا العلاء بن الحضرمي والمنذر على الجزية ، من كل عالم دينار .

( ذكر إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد رضي الله عنهما )

قال ابن إسحاق : حدثني يزيد بن أبي حبيب عن راشد مولى حبيب بن أبي أوس الثقفي عن حبيب بن أبي أوس قال حدثني عمرو بن العاص من فيه قال : لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعت رجالاتي من قريش كانوا يرون رأيي ويسمعون مني فقلت لهم : تعلموا (١) : والله إنني أرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكراً ، وإنني قد رأيت أمراً فما ترون فيه ؟ قالوا : وماذا رأيت ؟ قال : رأيت أن نكون عند النجاشي فإن ظهر محمد على قومه (٢) كنا عند النجاشي ، فنكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد ، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا فإن يأتينا منهم إلا خير .

قالوا : إن هذا الرأي ، قلت : فاجمعوا ما نهدي له - وكان أحب ما يهدي له من أرضنا الأدم - فجمعوا له أدماً كثيراً ، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه ، فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري ، وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه ، قال فدخل عليه ثم خرج من عنده ، قال فقلت لأصحابي : هذا عمرو

(١) أي ( اعلوا ) وفي النسختين ( تعلمون ) وهو خطأ ظاهر ، لأنهم لا يعلمون ما سبق قوله .

(٢) في الأحمدية ( قومنا ) ومثله في ( تاريخ الطبري ٣/ ٣٠ ) .

ابن أمية لو دخلت إلى النجاشي فسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه فترى قريش  
أنى قد اجترأت (١) وقتلت رسول محمد.

قال فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع ، فقال لى : مرحباً بصديقى ،  
أهديت لى من بلادك شيئاً ؟ قال قلت : نعم أيها الملك قد أهديت لك آدمأ  
كثيراً ، ثم قربته له فأعجبه ذلك واشتهاه ، ثم قلت أيها الملك لى قد رأيت  
رجلاً خرج من عندك وهو رسول رجل عدو لنا ، فأعطانيه لأقتله ، فإنه  
قد أصاب من أشرافنا وخيارنا ، قال فنضب النجاشي ثم مد يده فضرب بها  
أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره ، فلو انشقت لى الأرض لدخلت فيها فرقاً منه ،  
فقلت له : أيها الملك ، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتك .

قال تسألنى أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذى كان  
يأتى موسى لتقتله ا قال فقلت : أيها الملك كذلك هو ؟ قال : ويحك يا عمرو  
أطعنى على الاسلام ، قلت : نعم ، فبسط يده فبايعته على الاسلام ، ثم  
خرجت إلى أصحابى وقد حال رأيى عما كان عليه ، فكتمت أصحابى إسلامى .

ثم خرجت عامداً إلى رسول الله ﷺ لأسلم فلقيت خالد بن الوليد ،  
وذلك قبيل الفتح وهو مقبل من مكة ، فقلت : إلى أين يا أبا سليمان ؟ فقال :  
والله لقد استقام الميسم - أى ظهرت العلامة - وإن الرجل لنبى ، أذهب  
والله إليه أسلم ، فحتى متى ؟ قال قلت : وأنا والله ما جئته إلا لأسلم .

قال : فقد مننا المدينة على رسول الله ﷺ ، فتقدم خالد بن الوليد فأسلم  
وبايع ، ثم دنوت فقلت : يا رسول الله إنى أباعك على أن تغفر لى ما تقدم  
من ذنبى ، ولا أذكر ما تأخر ، فقال النبى ﷺ : ( يا عمرو بايع فإن الإسلام  
يُجِبُّ ما كان قبله وإن الهجرة تَجِبُّ ما كان قبلها ) .

(١) هكذا فى النسختين ، وفى تاريخ الطبرى : ( فاذا فعلت ذلك رأت قريش  
أنى قد أجرات عنها حين قتلت رسول محمد ) .

قال : فبايعته ثم انصرفت .

ويقال إن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة كان معهما (١) .

قال عمرو : كنت قد أضمرت في نفسي أن أذكر (٢) ، ما تقدم من ذنبي وما تأخر ، فلما بايعت قلت : على أن تغفر لي ما تقدم من ذنبي ، وأسيت أن أقول : وما تأخر ، .

( ذكر من توفي في هذه السنة )

من الأعيان

فيها توفيت ( أم رومان ) بنت عامر بن عويمر ، تزوجها الحارث بن سنجرة (٣) فولدت له الطفيل ، ثم مات عنها فتزوجها أبو بكر ، أسلمت بمكة قديماً وبايعت ، وولدت لأبي بكر عبد الرحمن وعائشة ، وهاجرت إلى المدينة وكانت صالحة . توفيت في ذي الحجة من هذه السنة ، ونزل رسول الله ﷺ في قبرها . رحمها الله تعالى .

وفيها توفي ( عتبة ) بن أسيد بن جارية (٤) ، كان حليفاً لبني زهرة . أسلم بمكة قديماً فحبسه المشركون عن الهجرة ، فلما أنزل رسول الله ﷺ المدينة وقاضى قريشاً على ما قاضاهم عليه وقدم المدينة أقبل أبو بكر (٥) على قدميه

(١) وأسلم حين أساما ، على ما في ( تاريخ الطبري ٣/٣١ ) .

(٢) هنا في الظاهرية تديم وتأخير في بعض كلمات النص .

(٣) في الاحمدية ( سنجرة ) وهو تصحيف ، صحته من الظاهرية و ( طبعات ابن سعد ) .

(٤) في الظاهرية ( عتبة ) وهو تحريف صحته من الاحمدية والاستيعاب للمحافظ ابن عبد البر .

(٥) في النسختين ( حارثة ) وهو تصحيف ، صحته من الاستيعاب والتبصير .

(٦) هو عتبة بن أسيد المذكور آنفاً ، وهو مشهور بكنيته .

سعيًا حتى وصل إلى رسول الله ﷺ ، فكتب الأخنس بن شريق (١) وأزهر ابن عبد عرف إلى رسول الله ﷺ كتابًا ، فيه أن يرد عليهم ما اصطالحوا عايشه ، وبعثاه مع خنيس بن جابر ، فخرج خنيس ومعه مولاة كوثر فدفعه إليهما فخرجا به .

فلما كانوا بذي الحليفة عدا أبو بصير على خنيس فقتله ، وهرب كوثر حتى قدم المدينة فأخبر النبي ﷺ ، ورجع أبو بصير وقال : وفيت ذمك يا رسول الله دفعتني إليهم فخشيت أن يفتنوني عن ديني . فقال النبي ﷺ لكوثر : ( خذه فانهب به ) قال : أخاف أن يقتلني ، وتركه ومضى إلى مكة فأخبر قريشًا بما كان ، وخاف أبو بصير من طالب قريش له فخرج إلى العيص ، فنزل بساحله على طريق قريش إلى الشام ، فجعل من بمكة من المؤمنين يتسلمون إلى أبي بصير .

فاجتمع قريش من سبعين رجلًا فجعلوا لا يتظفرون بأحد من قريش إلا قتلوه ولا يعير لهم إلا اقتطعوها ، فكتبت قريش (٢) إلى رسول الله ﷺ يسألونه بأرحامهم إلا أدخل أبا بصير وأصحابه إليه فلا حاجة لنا بهم ، فكتب النبي ﷺ إلى أبي بصير أن يقدم عليه مع أصحابه ، فجاءه الكتاب وهو ميت فجعل يقرؤه ويقبله ويضعه على عايشه ، ومات وهو في يده ، فغسله أصحابه وصلوا عليه ودفنوه هناك ، وبنوا عند قبره مسجدًا ، ثم قدموا على رسول الله ﷺ فأخبروه ، فترحم عليه ، رحمه الله تعالى (٣)

\* \* \*

(١) في الظاهرية ( شريف ) وهو تصحيف صحاحته ن الاحمدية و ( تاريخ الطبري ٣٤٧/٢ ) .

(٢) ( قريش ) ساقطة من الظاهرية . فاستدركتها من الاحمدية .

(٣) هنا في حاشية الاحمدية : ( بلغ قراءة ) .

## ( السنة السابعة من الهجرة )

فيها كانت ( غزوة خيبر<sup>(١)</sup> )

وكان رسول الله ﷺ لما رجع<sup>(٢)</sup> من الحديدية أقام بالمدينة ذا الحجة وبعض المحرم، وسار إلى خيبر في ألف وأربعمائة راجل ومائتي<sup>(٣)</sup> فارس. وخبير على ثمان برد من المدينة. واستخلف على المدينة سباع بن عرفة الغفاري .

وقال في مسيره لعامر بن الأكوع عم سلمة بن الأكوع ( أحشد لنا ) فنزل وحدا ، يقول :

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا  
فأنزلن سكة علينا وثبتت الأقدام إن لاقينا

فقال له رسول الله ﷺ : ( يرحمك الله يا عامر ) فقال عمر : هلا متعتنا به يا رسول الله - وكان إذا قالها للرجل قتل - فلما نازلوا خيبر بارز عامر، فعاد عايه سيفه فجرحه جرحاً شديداً فمات منه ، فقال الناس إنه قتل نفسه ، فقال سلمة ابن أخيه للنبي ﷺ ، فقال : ( كذبوا بل له أجره مرتين ) .

ولما أشرف رسول الله ﷺ على خيبر قال لأصحابه : ( قفوا ) ثم قال : ( اللهم رب السموات وما أظللن ورب الأرضين وما أقلن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما ذرين أنسألك خير هذه القرية وخير أهلها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها ، أقدموا بهم الله ) وكان يقول ذلك لكل قرية يقدمها .

(١) موضع قرب المدينة على ثمانية برد منها إلى الشام : سمي باسم رجل من العماليق نزل به ، وكانت به سبعة حصون ، على ما في ( تاج العروس للزبيدي ) .

(٢) سقط من الأحمدية ( لما رجع ) .

(٣) سقط من النسختين ( راجل ومائتين ) فاستدركتها من الدور في المغازي والسير للحافظ ابن عبد البر ٢١٧ .

ونزل على خيبر ليلاً ، ولم يعلم أهلها ، فلما أصبحوا خرج أهلها إلى عملهم ،  
ومعهم مكانهم ومساحيتهم<sup>(١)</sup> ، فلما رأوه عادوا وقالوا : محمد والخنيس<sup>(٢)</sup> ،  
يعنون الجيش فقال النبي ﷺ : ( الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا  
بساحة قوم فساء صباح المنذرين ) ثم حصرهم وضيق عليهم ، وبدأ بالأموال  
يأخذها مالا مالا ، ويفتحها حصناً حصناً ، وكان أول حصن<sup>(٣)</sup> افتتحه حصن  
ناعم ، وقتل عليه محمود بن مسلمة الأنصاري ، ألقيت عليه رchy فقتلته ، ثم  
القموص حصن ابن أبي الحقيق .

وأصاب منهم رسول الله ﷺ سبايا ، منهن صفية بنت حيي بن أخطب ،  
وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، فاصطفاه رسول الله ﷺ لنفسه .

وأكل الناس لحم الحر الإنسية ، فنهام رسول الله ﷺ عنها .  
ثم افتتح حصن الصعيب ، وهو أكثرها طعاماً وودكاً<sup>(٤)</sup> .

ثم قصد حصني الوطيط والسلام<sup>(٥)</sup> ، وكان آخر ما افتتح ، فخرج منه  
مرحب اليهودي وهو يقول :

(١) المسكاتل : جمع مكئل ، وهي قفة كبيرة ، يقال لها الزنيل . والمساحي :  
الفؤوس .

(٢) الخنيس : الجيش ، لأنه ينقسم خمسة أقسام : مقدمة ، وساقة ، وجناحان ،  
وهما الميمنة والميسرة . والقلب ، على ما في ( شرح السيرة النبوية لأبي ذر الحفص )  
٣٤٤/٢ ) والافصاح في فقه اللغة .

(٣) ( وكان أول حصن ) ساقطة من الظاهرية ، فاستدركتها من الاحمدية وغيرها .

(٤) دسم اللحم ودهنه الذي يستخرج منه .

(٥) في خيبر سبعة حصون ، منها شق ونطاة وكنيبة . ولم أجد في المعاجم  
( الصعيب ) .

قد علمت خير أنى مرحب شاكى السلاح بطل مجرب  
أطعن أحياناً وحيناً أضرب إذا الليوث أقبلت تلمب  
إن حماى كالحى (١) لا يقرب

وسأل المبارزة فخرج إليه محمد بن مسلمة وهو يقول : أنا والله الموتور  
النار ، قتلوا بالأمس أخى ، فقال رسول الله ﷺ : ( اللهم أعنه عليه ) فتقاتلا  
طويلاً ، ثم حمل مرحب على محمد بن مسلمة وضربه فأتقاه بالدرقة (٢) فلبس  
فيها سيف عدو الله ، وضربه محمد فقتله .

وقيل إنما قتله على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وهو الأصح ، وذلك أن  
أبا بكر رضى الله عنه أخذ الراية وقاتل قتلاً شديداً ، ثم أخذها عمر رضى الله  
عنه وقاتل أشد من القتال الأول ، ثم رجع فقال رسول الله ﷺ ( والله  
لأعطينها غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ) فتناولت  
لها قریش .

وكان على رضى الله عنه قد تخلف بالمدينة لرمد لحقه ، فلما أصبحوا إذا  
على (٣) على بعير له ، فنزل قريباً من رسول الله ﷺ وهو أرمد قد عصب  
عينيه ، فقال له رسول الله ﷺ : ( أدن منى ) فدنا منه ، فتغل في عينيه ، فما شكا  
وجعاً حتى مضى لسبيله .

وأعطاه الراية فنهض بها (٤) فأتى خيبر ، فأشرف عليه رجل من يهود وقال :  
من أنت ؟ قال أنا على بن أبى طالب ، فقال اليهودى : غلبتم يامعشر يهود ،

(١) وفي رواية (للحمى) عوض (كالحى) .

(٢) الدرقة : ترس من جلد .

(٣) فى الاحمدية ( جاء على رضى الله عنه ) عوض ( إذا على ) المشبهة  
فى الظاهرية .

(٤) رواه الشيخان . أنظر ( اللؤلؤ والمرجان ١٢٢/٣ ) وأنظر ( جامع  
الاصول لابن الاثير ٦٥٤/٨ من طبعة دمشق ) .



فخرج مرحب من الحصن ، وعليه مخفر يمانى ، وعلى رأسه بيضة عادية وهو يقول :

قد علمت خير أنى مرحب شاكى السلاح (١) بطل مجرب  
فقال على رضى الله عنه :

أنا الذى سمتنى أمى حيدره (٢) أكيلهم بالسيف كيل السندره (٣)  
ليث يغابات شديد القسوره

واختلفا بينهما ضربتين ، فسبقه على فقد البيضة والمخفر ورأسه ، فوقع إلى الأرض .

قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ : خرجنا مع على رضى الله عنه حين أعطاه رسول الله ﷺ الراية ، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقالت لهم ، فضربه رجل من اليهود فطرح ترسه من يده ، فتناول على بأكان عند الحصن فترس به عن نفسه ، فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله تعالى عليه ، ثم ألقاه من يده ، فلقد رأيتنى فى نفر سبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه .

وكان فتحها فى صفر .

(١) يريد حاد السلاح ، على ما فى ( شرح السيرة النبوية لأبى ذر الحفصى ) ٣٤٥ / ٢ .

(٢) الحيدرة : الاسد .

(٣) السندرة : مكيال كبير . يعنى أنه يقتلهم قتلا ذريعا .

ولما فتحت خير جاء بلال بصفية وأخرى معها على قتلى اليهود ، فلما رأتهم التي مع صفية صرخت وصكت وجهها وحشت التراب على رأسها ، فاصطفى رسول الله ﷺ صفية ، وأبعد الأخرى وقال : ( إنها شيطانة ) لأجل فعلها ، وقال رسول الله ﷺ لبلال : ( أنزعت منك الرحمة جئت بهما على قتلاهما ) .

وكانت صفية قد رأت في منامها وهي عروس لسكنانة بن أبي الحقيق قرأ وقع في حجرها ، فعرضت رؤياها على زوجها فقال : « ما هذا إلا أنك تتمنين محمداً ، وأطمع وجهها لطمعة أخضرت عينها منها .

ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم سكنانة بن أبي الحقيق إلى محمد بن مسلمة فقتله بأخيه محمود . وحاز رسول الله ﷺ الأموال كلها ، وسأله يهود أهل فدك أن يسيرهم ويحققن دماءهم ويخلون له الأموال ، ففعل ذلك .

ولما نزل أهل خير سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم في الأموال على النصف وأن يخرجوا إذا شاءوا ، فساقاهم على الأموال على الشرط الذي طلبوا وفعل مثل ذلك أهل ( فدك ) ، فكانت خير فيماً للمسلمين .

وكانت ( فدك ) خالصة لرسول الله ﷺ لأنهم لم يحملوا عليها بخيل ولا ركاب .

ولما استقر رسول الله ﷺ أهدت له زينب ابنة الحارث امرأة سلام ابن مشكم شاة مصلية مسمومة فوضعتها بين يديه ، فأخذ منها رسول الله ﷺ مضخة فلم يسغها ، ومعه بشر بن البراء بن معرور ، فأكل بشر منها . وقال رسول الله ﷺ : ( إن هذه الشاة تخبرني أنها مسمومة ) ثم دعا المرأة فاعترفت فقال : ( ما حملك على ذلك ) ؟ قالت : بلغت من قومي ما لم يخف عليك ، فقلت : إن كان نبياً فسينخبر ، وإن كان ملكاً استرحنا منه ، فتجاوز عنها .

ومات بشر بن البراء من تلك الأكلة .

وقال رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه : ( هذا الأوان وجدت انقطاع أبهري<sup>(١)</sup> من أكلة خيبر ) فكان المسلمون يرون أنه مات شهيداً مع كرامة النبوة .

ولما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر انصرف إلى وادي القرى فحاصر أهله ليالى فافتحه عنوة ، وفي حصاره قتل مدغم<sup>(٢)</sup> مولى رسول الله ﷺ الذي أهداه له رفاعه بن زيد الجذامي ، فقال المسلمون : هنيئاً لك الجنة ، فقال رسول الله ﷺ : ( والذي نفس محمد بيده إن شملته الآن لتشتعل عليه ناراً ) وكان غلبها من فناء المسلمين يوم خيبر ، فسمعه رجل فقال : أصبت شراكين لنعلين<sup>(٣)</sup> فقال رسول الله ﷺ : ( يقد لك مثلهما من النار ) .

وترك رسول الله ﷺ النخل والأرض في أيدي أهل الوادي - يعني فذلك - وعاملهم نحو ما عامل أهل خيبر ، فبقوا كذلك إلى أن ولي عمر الخلافة فأجلاهم ، وقيل إنه لم يحلبهم فإنها خارجة عن أرض الحجاز .

وأقر النبي ﷺ أهل خيبر بخيبر ، وأبو بكر بعده ، وعمر صدراً من خلافته ، حتى بلغه أن النبي ﷺ قال في مرضه الذي مات فيه : ( لا يجتمع في جزيرة العرب دينان ) فأجلى عمر من يهود من لم يكن معه عهد من رسول الله ﷺ .

(١) هو الشريان الأورطي Aorta ، الوتين ، كما في (القاموس المصري) وقد سألنا أحد كبار الأطباء ، فوافق على ما ورد في هذا القاموس .

(٢) في النسختين (مدغم) وهو تصحيف صحاحته من فتوح البلدان للبلاذري وغيره .

(٣) (لنعلين) ساقطة من الظاهرية ، فاستدركنها من الاحمدية وفتوح البلدان للبلاذري .

وكان نصف (فذك) خالصاً لرسول الله ﷺ، وكان يصرف ما يأتية منها إلى أبناء السبيل، ولم يزل أهلها بها حتى استخلف عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأجلى يهود الحجاز، فبعث أبا الهيثم بن التيهان وسهل بن أبي حشمة (١) وزيد بن ثابت فقوموا نصف تربتها بقيمة عدل، فدفعها إلى يهود وأجلاهم إلى الشام .

ولم يزل أبو بكر وعمر وعثمان وعلى يصنعون فيها صنع رسول الله ﷺ بعد وفاته ، فلما ولي معاوية الخلافة أقطعها مروان بن الحكم ، فوهبها مروان أبنيه عبد الملك وعبد العزيز ، ثم صارت لعمر بن عبد العزيز وللوليد وسليمان أبنى عبد الملك بن مروان ، فلما ولي الوليد الخلافة وهب نصيبه عمر بن عبد العزيز ، ثم ولي سليمان بن عبد الملك الخلافة فوهب نصيبه منها أيضاً عمر بن عبد العزيز .

فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة خطب الناس وأعلمهم أمر (فذك) وأنه قد ردها إلى ما كانت عليه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم ، فولياها أولاد فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، ثم أخذت منهم . فلما كانت سنة عشر ومائتين ردها المأمون إليهم .

وفى هذه السنة اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر ، وقيل إنه عمل سنة ثمان (٢) .

وفىها بعث رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى ثلاثين

(١) فى الأحمدية ( حيشمة ) وهو تحريف صحاحته من الاستيعاب للحافظ ابن عبد البر ، وغيره .

(٢) قال الواقدي : وهو الثبت عندنا ، على ما فى ( تاريخ الطبرى ٣/٢٢٠ ) .

رجلا إلى عجز (١) هوازن ، فهربوا منه ، ولم يلق كيدا .

وفيها كانت :

( سرية بشير بن سعد )

والد النعمان بن بشير الأنصاري ، إلى بني مرة بفدك في ثلاثين رجلا ، فأصيب أصحابه (٢) ، وارتث في القتلى ، ثم رجع إلى المدينة .

وفيها كانت :

( سرية غالب بن عبد الله الليثي )

إلى أرض بني مرة ، فأصاب مرداس بن نهيك حليفاً لهم من جهينة ، قتله أسامة ورجل من الأنصار ، قال أسامة : لما علوناه قال : أشهد ألا (٣) إله إلا الله ، فلم نزع عنه حتى قتلناه ، فلما قدمنا على النبي ﷺ أخبرناه الخبر فقال : ( كيف تصنع بلا إله إلا الله ) .

وفيها كانت :

( سرية غالب بن عبد الله أيضاً )

إلى بني عبد بن ثعلبة

فأغار عليهم ، واستاق النعم إلى المدينة .

(١) بفتح العين المهملة وبضم الجيم وبالزاي : محل بينه وبين مكة أربع ليال بطريق صنعاء ، على ما في ( إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون لنور الدين الحاربي ) .

(٢) بعد أن قاتلوا قتالا شديداً ، وقاتل بشير قتالا شديداً حتى ضرب كعبه وقيل : قد مات ، فلما أمسى تحامل إلى فدك . . . ثم رجع إلى المدينة ، كما في ( تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر ١٥٠/١٠ تحقيق الأستاذ دهمان ) (٣) أنظر هامش الصفحة ٢٧٦ .

وفيها كانت .

( سرية بشير بن سعد )  
إلى يمن وجبار (١) في شوال

وكان سببها أن حسيل بن نويرة الأشجعي كان دليلاً رسول الله ﷺ إلى خيبر ، قدم على النبي ﷺ فأخبره أن جمعاً من غطفان بالجناب قد أمدم عيننة بن حصن وأمرهم بالمسير إلى المدينة ، فبعث النبي ﷺ بشيراً ، فأصابوا نعماً ، وقتلوا مولى لعيننة ، ثم لقوا جمع عيننة فهزمهم المسلمون ، وانهمزم عيننة فلقمه الحارث بن عوف منهزماً فقال له : قد آن لك أن تقصر عما نرى .

( عمرة القضاء )

لما عاد رسول الله ﷺ من خيبر أقام بالمدينة جماديين ورجباً وشعبان ورمضان وشوالاً ، يبعث السرايا .

وخرج في ذي القعدة معتمراً (٢) عمرة القضاء ، وساق معه سبعين بدنة ، وخرج معه المسلمون ممن كان معه في عمرته الأولى .

(١) في النسختين ( جناب ) والتصحيح من ( تاريخ دمشق لابن عساكر ١٠/١٥١ ) و ( يمن ) ضبطها البكري في معجم ما استعجم بالضم . وقال ياقوت في معجم البلدان : يمن بالفتح ويروى بالضم ثم السكون : ماء لغطفان بين بطن قريظة وأرف على الطريق بين تيماء وفيد . و ( جبار ) صرح الزبيدي في ( التاج ) بأنها بالضم ، وكذلك في ( معجم ما استعجم ) وفي عيون الأثر : جبار بفتح الجيم وباء معجمة ثافية الحروف مخففة . ومثله في ( وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى للسيد الشريف السهمودي المصري ) .

(٢) ( معتمراً ) غير موجودة في النسختين ، فاستدل كتبها من ( تاريخ الطبري ٢٣/٢ ) ومن تاريخ ابن الأثير . وقد عوضهم الله مكاسب الدعوة في هذه الفترة .

فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه ، وتحدثت قريش أن محمداً وأصحابه في عسر وجهد وقد نهكتهم حمى يثرب ، فاصطفوا له عند دار الندوة ، فلما دخلها رسول الله ﷺ اضطجع بردائه (١) وأخرج عضده النبي ثم قال : ( رحم الله امرأ أراهم قوة ) ثم استلم الركن وخرج يهرول ويهرول أصحابه .

وكان بين يديه لما دخل مكة عبد الله بن رواحة آخذاً بخطام ناقته وهو يقول :

خلوا بني الكفار عن سبيله      خلوا فكل الخير في رسوله  
يا رب إني مؤمن بقبيله (٢)      أعرف حق الله في قبوله  
نحن قتلناكم على تأويله      كما قتلناكم على تنزيله  
ضرباً يزيل الهام عن مقيله      ويذهل الخليل عن خليله (٣)

وتزوج النبي ﷺ في سفرته هذه ميمونة بنت الحارث ، زوجه إياها العباس بن عبد المطلب وكان يلي أمرها ، وهي أخت أم (٤) ولده ، وهي آخر امرأة تزوجها .

وأقام بمكة ثلاثاً ، فأرسل المشركون إليه مع علي بن أبي طالب رضى الله عنه ليخرج عنهم ، فقال : ( ما عليهم لو عرست بين أظهرهم وحسننا لهم طعاماً فحضره معنا ) فقالوا : لا حاجة لنا في طعامه ، فخرج عنهم .

(١) أى أخذ رداءه فجعل وسطه تحت إبطه الأيمن ، وألقى طرفيه على كتفه الأيسر من جوف صدره وظهره ، على ما في (النهاية في غريب الحديث لابن الأثير) .

(٢) يعنى : قوله .

(٣) وردت هذه المقطوعة في تاريخ الطبرى وغيره بزيادة عما هنا .

(٤) أم الفضل ، على ما في (البداية والنهاية لابن كثير ٢٢٩/٤) وغيره .

( ٣٥ - أول عيون التواريخ )

وبنى بميمونة بسرف<sup>(١)</sup> .

ثم انصرف إلى المدينة فأقام بها بقية ذى الحجة والمحرم وصفر وشهرى ربيع ، وبعث جيشه الذى أصيب بمؤتة .

وولى تلك الحجة المشركون .

وفىها كانت غزوة ابن أبى العوجاء السلمى إلى بنى سليم ، فلقوه فأصيب هو وأصحابه ، وقيل بل نجا وأصيب أصحابه .

( ذكر من توفى فى هذه السنة )

من الأعيان

ففىها توفى ( بشر بن البراء<sup>(٢)</sup> بن معرور ) بن صخر<sup>(٣)</sup> شهد العقبة ، وكان من الرماة المذكورين ، وشهد بدرأ وأحداً والخندق والحديبية وخيبر ، وأكل مع رسول الله ﷺ من الشاة المسمومة فمات مكانه ، ويقال : بل بقى سنة مريضاً ومات ، وقال النبى ﷺ : ( يا بنى سلمة<sup>(٤)</sup> ) من سيدكم ؟ قالوا الجد بن قيس على أنه رجل فيه بخل ، قال : ( وأى داء أدوى من البخل ، بل سيدكم بشر ابن البراء بن معرور ) رحمه الله تعالى .

وفىها توفيت ( ثويبة مولاة أبى لهب ) أرضعت رسول الله ﷺ قبل حلیمة . وذكر أبو نعيم الأصفهاني أن بعض العلماء قال : قد اختلف فى إسلامها . قال الواقدي عن غير واحد من أهل العلم قالوا : كان رسول الله ﷺ يصل ثويبة

(١) بفتح أوله وكسر ثانية ، موضع على أميال من مكة ، على مافى ( معجم البلدان لياقوت الحموى رحمه الله ) .

(٢) بفتح الباء والراء . وهناك ( البراء ) بتشديد الراء ؛ وهو غير هذا .

(٣) فى الظاهرية ( صحر ) وهو تصحيف ، صحبته من جوامع السيرة للمحافظ ابن حزم .

(٤) بكسر اللام .



وهو بمكة ، وكانت خديجة تكرمها وهي يومئذ مملوكة ، وطلبت إلى أبي لهب أن يديعها منها فاعتقها ، فأبى أبو لهب ، فلما هاجر رسول الله ﷺ اعتقها أبو لهب<sup>(١)</sup> ، وكان رسول الله ﷺ يبعث إليها بصلة وكسوة حتى جاء خبرها أنها قد توفيت في سنة سبع مرجعه من خيبر ، فقال : ( ما فعل ابنها مسروح ؟ ) قالوا : مات قبلها ولم يبق من قرابتها أحد .

وفيها توفي ( الوليد بن الوليد بن المغيرة ) بن عبد الله بن عمر<sup>(٢)</sup> بن مخزوم ، خرج مع قومه إلى بدر وهو على دينهم فأسره عبد الله بن جحش ، فقدم في فدائه أخواه : خالد وهشام فافتسكا بأربعة آلاف ، وأبى رسول الله ﷺ أن يقديه إلا بشككة<sup>(٣)</sup> أبيه وكان درعاً فضفاضة وسيفاً وبيضة ، فأقيم ذلك مائة دينار .

فلما قبض ذلك وخرجا به بلغا ذا الحليفة فأفلت ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلحقه خالد فقال له : هلا كان هذا قبل أن تفتدى وتخرج مأثرة أبنينا ؟ فقال : ما كنت لأسلم حتى أقتدى ولا تقول قريش إنما اتبع محمداً فراراً من الفدى<sup>(٤)</sup> ، فلما دخل مكة حبسوه فكان النبي ﷺ يقول : ( اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة )

(١) هذا القول ضعيف ، والصحيح أنه اعتقها حين بشرته بولادة النبي ﷺ على مافي ( سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للحافظ محمد بن يوسف الصالحى رحمه الله ١ / ٤٥٨ ) .

(٢) في الظاهرية ( عمرو ) وهو وهم صحبته من الاحمدية والاصابة للحافظ ابن حجر وطبقات الرواة لخليفة بن خياط .

(٣) الشككة بالكسر : السلاح ، على مافي ( النهاية لابن الأثير ) .

(٤) فداء يقديه فداء وفدى — بالكسر — وفدا بفتح الفاء ، على مافي ( بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادى رحمه الله ) .

ثم أفلت الوليد فقدم المدينة وبها توفي في هذه السنة (١) فقالت أم سلمة (٢) :

يا عين بكى للوليد      د بن الوليد بن المغيرة  
كان الوليد بن الوليد      د أبو الوليد قتي العشير

فقال رسول الله ﷺ : ( لا تقولى هكذا ولكن قولى : وجاءت سكرة الموت بالحق ) رحمه الله تعالى .

وفيهما توفي ( يسار الحبشى ) ، قال ابن سعد : كان يسار عبداً لعامر اليهودى يرعى غنماً له ، فلما نزل رسول الله ﷺ خيبر وقع الإسلام فى قلبه فأقبل بغنمه يسوقها إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد إلام تدعو ؟ قال : ( إلى الإسلام ، تشهد ألا (٣) إله إلا الله وأنى رسول الله ) قال : فما لى ؟ قال : ( الجنة إن ثبت على ذلك ) فأسلم ، وقال : إن غنمى وديعة ، قال : ( أخرجها من العسكر ثم صح بها وارمها بحصيات فإن الله تعالى سيؤدى عنك أمانتك ) ففعل ذلك ، فخرجت الغنم إلى سيدها .

فعلم اليهودى أن غلامه قد أسلم ، وخرج على رضى الله عنه بالراية وتبعه العبد الأسود ، فقاتل حتى قتل ، فاحتمل فأدخل خباءً من أخيلية العسكر ، فاطلع رسول الله ﷺ فى الخباء فقال : ( لقد أكرم الله هذا العبد الأسود وساقه إلى خير ، قد رأيت عند رأسه زوجتين من الحور العين ) رحمه الله تعالى .

(١) سقط من الظاهرية ( فى هذه السنة ) فاستدركتها من الاحمدية .

(٢) أم المؤمنين رضى الله عنها .

(٣) أصلها ( أن لا ) وتدغم النون فى اللام وجوباً . ولما كان كثير من القراء يظهرون النون حذفناها وإن كان هذا مخالفاً للقاعدة الاملائية التى توجب لئمت نون ( أن ) غير الناصبة .

( السنة الثامنة من الهجرة )

فيها كانت ( سرية غالب بن عبد الله الليثي ) إلى بني الملوغ ، فلقبهم  
بالكديد وساق النعم .

ومن الحوادث أيضاً :

( سرية غالب )

إلى مصاب أصحاب بشير بن سعد بفدك ، في صفر

قال الواقدي : بعث رسول الله ﷺ الزبير بن العوام وقال له : ( سر  
حتى تنتهي إلى مصاب أصحاب بشير بن سعد ، فإن ظفرك الله بهم فلا تبق  
فيهم ) وعقد له لواءً ، فقدم غالب من سرية الكديد ، فقال النبي ﷺ للزبير :  
( اجلس ) وبعث غالباً في مائتي رجل ، وخرج فيها أسامة بن زيد ، فأصابوا  
نعماً وقتلوا قتلى .

ومن الحوادث في هذه السنة :

( سرية شجاع بن وهب )

في أربعة وعشرين رجلاً إلى جمع هوازن

وكان يسير الليل ويكمن النهار حتى صبحهم ، فأصابوا نعماً (١) كثيراً  
وشاء ، وساقوا ذلك ، وغابوا خمس عشرة ليلة .

---

(١) النعم : الإبل خاصة ، يذكر ويؤنث . وقال الفراء : النعم ذكر لا يؤنث ،  
والعرب إذا أفردت النعم لم يريدوا بها إلا الإبل ، فإذا قالوا : الأنعام ، أرادوا  
بها الإبل والبقر والغنم ، على ما في ( لسان العرب لابن منظور ) .

ومن الحوادث في هذه السنة :

( اتخذ منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم )  
وقيل في سنة سبع ، والأول أصح

عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضى الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب إلى جذع نخلة ، فقالت امرأة من الأنصار كان لها غلام نجار : يا رسول الله إن لي غلاماً نجاراً ، أفلا آمره أن يتخذ لك منبراً تخطب عليه ؟ قال ( بلى ) فاتخذ له منبراً ، فلما كان يوم الجمعة خطب على المنبر قال فإن الجذع الذي كان يقوم عليه أن<sup>(١)</sup> كما يثن الصبي ، فقال النبي ﷺ : ( إن هذا بسكى لما فقد من الذكر ) رواه أحمد في المسند ، وأخرجه في الصحيحين . .

وفي رواية أخرى عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ يصلي إلى جذع إذ كان المسجد عريشاً ، وكان يخطب إلى ذلك الجذع ، فقال رجل من أصحابه : يا رسول الله هل لك أن أعمل لك منبراً تقوم عليه يوم الجمعة حتى يراك الناس وتسمعهم خطبتك ؟ قال : ( نعم ) فصنع له ثلاث درجات ، فلما صنع المنبر ووضع في موضعه وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقوم على المنبر غار الجذع حتى تصدع وانشق ، فنزل رسول الله ﷺ ومسحه بيده حتى سكن ، ثم رجع إلى المنبر ، فلما هدم المسجد وتغير أخذ ذلك الجذع أبي بن كعب ، فساكن عنده في داره حتى بلى وأكثته الأرضة<sup>(٢)</sup> وعاد رفانا .

(١) البحوث والتجارب العلمية اليوم تثبت مثل هذا ، ونعوذ بالله من ضيق العطن .

(٢) بفتح الهمزة وفتح الراء : دودة بيضاء تشبه النملة تنخر الخشب وغيره

ومن الحوادث في هذه السنة :

(سرية مؤتة (١))

وكانت في جمادى الأولى سنة ثمان<sup>(٢)</sup> ، واستعمل رسول الله ﷺ على الناس زيد بن حارثة وقال : ( إن أصيب زيد لجعفر بن أبي طالب فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة فإن أصيب فليرضين المسلمون رجلاً ) فتهيأوا للخروج ، وودع الناس أمراء رسول الله ﷺ ، فبكى عبد الله بن رواحة فقال للناس : ما يسكيك ؟ قال : والله ما بي حب الدنيا ولا صباة بكم ولاكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية ( وان منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً )<sup>(٣)</sup> فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود ، فقال المسلمون : صحبكم الله وردكم إلينا صالحين ، فقال عبد الله بن رواحة :

لكنني أسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فرغ<sup>(٤)</sup> تقذف الزبد  
أو طعنة يبدى حران بجهرة بحربة تنفذ الأحشاء والكبد

(١) مؤتة : بادئ اللقاء بالقرب من الكرك ، في الأردن . وهذه سرية وليست من الغزوات ، لأنه ﷺ لم يكن فيها ، على ما في ( لسان العيون لنور الدين الحلبي ) .

(٢) وكان سببها أن النبي ﷺ بعث الحارث بن عمير الأزدي بكتاب ملك بصري ، فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقتله ، ولم يقتل أحداً من رسل النبي ﷺ سوى الحارث . فجهز الجيش وأمرهم بأن يدعو من هناك إلى الإسلام ، فان استجابوا تركوهم وإلا قاتلوهم . على ما في ( العليقات الكبرى لابن سعد ) وغـيـرها .

(٣) سورة مريم ، الآية ٧١ .

(٤) في النسختين ( قرع ) والنصحیح من ( تاريخ الإسلام للذهبي - الجزء الاول ) والفرغ : السعة . ويعني بالزبد : الدم .

حتى يقولوا إذا مروا على جدتي يا أرشد الناس<sup>(١)</sup> من غاز وقد رسدا  
ثم إنه ودع النبي ﷺ وقال :

خلف السلام على امرئ ودعته في النخل خير مشيع وخلييل  
ثم ساروا وهم ثلاثة آلاف فارس حتى نزلوا معان<sup>(٢)</sup> ، فبلغهم أن هرقل  
قد سار إليهم في مائة ألف من الروم ومائة ألف من المستعربة وبلسقين<sup>(٣)</sup>  
وبلى عليهم رجل من بلى يقال له مالك بن رافلة ، ونزلوا مأب من أرض البلقاء  
فأقام المسلمون بمعان ليلتين ينظرون في أمرهم ، وقالوا : نكتب إلى رسول الله  
صلى الله عليه وسلم نخبره الخبر وننتظر أمره .

فشجعهم عبد الله بن رواحة وقال : يا قوم والله إن الذي تكرهون للذي  
خرجتم تطلبون : « الشهادة » وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ، وما نقاتلهم  
إلا بهذا الدين ، فانطلقوا فانما هي إحدى الحسينين<sup>(٤)</sup> ، فقال الناس : صدق  
والله . وساروا ، وسمعه زيد بن أرقم ، وكان يتيماً في حجره — وقد أردفه  
في مسيره ذلك على حقيقته وهو يقول :

(١) في الإجماع (الله) عوض (الناس) ومثله في تاريخ الكامل لابن الأثير  
عليه رحمة الله . وانظر شرح المواهب اللدنية .

(٢) بفتح الميم ، والمحدثون يقولونه بالضم ، على ما في (معجم البلدان لياقوت  
الحوى) وبسط السهيلي في (الروض) وجه الخلاف .

(٣) يعني (بنى القين) بن جسر ، كما يقال تخفيفاً : بلحارث وبلهجم .  
انظر (الإشتقاق لابن دريد ٢/ ٥٤٢ تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون) .

(٤) إما ظهور وإما شهادة ، على ما في (الاكتفاء للكلاعي) ، و (الدرر  
في المغازي والسير لابن عبد البر) و (الروض الأنف) وفي الإجماع (الحسينيين)  
ولعله تصحيف .

إذا أدنيتني وحملت رحلي      مسيرة أربع بعد الحساء<sup>(١)</sup>  
 فشأنك فأنعمي وخلالك ذم      ولا أرجع إلى أهلي ورأى  
 وجاء المسلمون وغادروني      بأرض الشام مشهور<sup>(٢)</sup> الشواء  
 وردك كل ذي نسب قريب      إلى الرحمن منقطع الاخاء  
 هنالك لا أبالي طلع بعل      ولا نخل أسافلها رواء

فلما سمعه زيد بكى خفقته بالسوط<sup>(٣)</sup> وقال : ما عليك يا لكع ، يرزقني الله  
 الشهادة وترجع بين شعبي الرجل .

ثم ساروا فالتفتهم جموع الروم والعرب بقرية من البلقاء يقال لها  
 مشارف ، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤدة ، فالتقى الناس عندها ،  
 وكان على ميمنه المسلمين قطبة بن قتادة العذري<sup>(٤)</sup> وعلى ميسرتهم عبادة<sup>(٥)</sup>  
 ابن مالك الأنصاري ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، فقاتل زيد بن حارثة براءة  
 رسول الله ﷺ حتى شاطئته<sup>(٦)</sup> رماح القوم ، ووقعت الراية فأخذها جعفر

(١) لمم منزلة معروفة ، على ما في (عيون الآثار ١٥٦/٢) .

(٢) في تاريخ الطبري (مشتهي) بدل (مشهور) وفي الروض الأنف  
 (مستنهى) من الانتهاء ، أي حيث انتهى مشواه . قال السهيلي : ومن رواه  
 (مشتهي الشواء) أي لا أريد رجوعا .

(٣) في النسختين (بالصوت) وهو وهم ظاهر ، صححته من (الاكتفاء  
 للسكلاعي) وغيره .

(٤) في النسختين (العدوي) عوض (العذري) والتصحيح من (الدرر  
 في المغازي والسير لابن عبد البر) وغيره .

(٥) كذا في النسختين ، وفي بعض المصادر (عباية) قال ابن هشام : ويقال  
 عبادة ، ومثله في (عيون الآثار) .

(٦) يعني قتلتها .

(٣٦ - أول عيون التواريخ)

ابن أبي طالب ونزل عن فرسه فعقرها<sup>(١)</sup>، ثم تقدم وهو يقول :

يا حبذا الجنة واقتراهما طيبة وبارداً<sup>(٢)</sup> شرابها  
والروم روم قد دنا عذابها على<sup>(٣)</sup> إن لاقيتها ضرابها

وقاتل حتى قتل، فأخذ الراية عبدالله بن رواحة، فالتوى بها بعض الالتواء  
ثم تقدم بها على فرسه فجعل يستنزل نفسه ويتردد ويقول :

أقسمت يا نفس انزلني طائعة لي أو لنكرهني  
إن أجلب الناس وشدوا الرنه<sup>(٤)</sup> ما لي أراك تكرهين الجنة  
قد طالما قد كنت مطمئنة هل أنت إلا نطفة في شنه<sup>(٥)</sup>

ثم حمل على الروم وهو يقول :

يا نفس إن لا تقتلي<sup>(٦)</sup> تموتي هذا حمام الموت قد صليت

(١) عقرت الفرس : أى ضربت قوائمها بالسيف، أو جرحتها جرحاً لا ينتفع  
بها بعده . وإنما فعل ذلك موطناً نفسه على الموت ، لأنه إذا قتل فرسه وبقي  
راجلاً فقد حقق عزيمته على القتال وأنه لا يفر ولا ينهزم . على ما في ( جامع الأصول  
لابن الأثير ٨/ ٣٥٠ من طبعة دمشق ) . قال السيبلي في ( الروض ) : لم يعب  
ذلك عليه أحد ، فدل على جواز ذلك إذا خيف أن يأخذها العدو ، فلم يدخل  
هذا في باب النهي عن تعذيب البهائم . .

(٢) في النسختين ( باردة ) عوض ( بارداً ) المشبهة في أكثر المصادر .

(٣) أى ضجوا ، والرنة : صوت فيه ترجيع ، شبه البكاء .

(٤) النطفة : القليل من الماء . والشنة : السقاء البالي ، فيوشك أن تهراق  
النطفة وينخرق السقاء . ضرب ذلك مثلاً لنفسه في جسده ، على ما في ( الروض  
الأنف ) .

(٥) هذا ما في الظاهرية ، وهو الموافق لما في المصادر والمطان المشهورة  
وفي الأحمدية ( تقبلي ) .



وما تمنيت فقد أعطيت إن تفعل فاعلمها<sup>(١)</sup> هديت

وإن تأخرت فقد شقيت

فأناه ابن عمه بعرق لحم وقال : شد به صلبك ، فنهس منه نهسة<sup>(٢)</sup> ، ثم سمع الضجعة في ناحية العسكر فقال لنفسه : وأنت في الدنيا ، ثم ألقاه وأخذ سيفه وتقدم فقاتل حتى قتل رضى الله عنهم أجمعين .

واشتد الأمر على المسلمين وكتب عليهم العدو . وقد كان قطبة بن قتادة قد قتل مالك بن رافلة قائد النصارى المستعربة .

ثم إن الخبر جاء من السماء في ساعته إلى رسول الله ﷺ فصعد المنبر وأمر فنودي ( الصلاة جامعة ) فاجتمع الناس فقال : ( ثاب خبر<sup>(٣)</sup> جيشكم هذا الغازى ، إنهم لقوا العدو فقتل زيد شهيدا - فاستغفر له - ثم أخذ اللواء جعفر فشدد على القوم حتى قتل شهيدا - فاستغفر له - ثم أخذ اللواء عبد الله ابن رواحة ) وصمت حتى تغيرت وجوه الأنصار وظنوا أنه قد كان من عبد الله ابن رواحة ما يكرهون ، ثم قال رسول الله ﷺ : ( فقاتل حتى قتل شهيدا ) ثم قال : ( لقد رفعوا في الجنة على سرر من ذهب ، فرأيت في سرير عبد الله ابن رواحة أزواراً عن سرر صاحبيه فقلت عم هذا ؟ فقيل : مضيا وتردد بعض التردد ثم مضى ) .

(١) يعنى صاحبيه : جعفرأ وزيدا . على ما فى (الاكتفاء للسكلاعى ٢/٢٨٠) و (الروض الانف) .

(٢) النهس : أخذ اللحم بأطراف الأسنان . والنهس : الأخذ بجميعها ، على ما فى (النهاية لابن الأثير) .

(٣) كذا فى المخطوتين . وفى تاريخ ابن جرير وابن كثير : ( باب خبر باب خبر .. ) .

قال : (ولما قتل عبدالله بن رواحة أخذ الراية ثابت بن أقرم الأنصاري<sup>(١)</sup>)  
وقال : يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم ، فقالوا : رضينا بك ،  
قال : ما أنا بفاعل<sup>(٢)</sup> ، فاصطلحوا على خالد بن الوليد ، فأخذ الراية ودافع  
القوم وانحاز وانحيز عنه<sup>(٣)</sup> ، فقال رسول الله ﷺ : (ثم أخذ الراية سيف  
من سيوف الله تعالى خالد بن الوليد فساد بالناس) فمن يومئذ سمي خالد  
(سيف الله<sup>(٤)</sup>) .

وقال رسول الله ﷺ : (مر بي جعفر البارحة في نفر من الملائكة له  
جناحان مختضب القوادم<sup>(٥)</sup> بالدم) قالت أسماء : أتاني رسول الله ﷺ وقد  
فرغت من أشغالي وغسلت أولاد جعفر ودهنتهم ، فأخذهم وشبههم ودمعت  
عيناه ، فقلت : يا رسول الله أبلغك عن جعفر شيء ؟ قال : (نعم أصيب هذا  
اليوم<sup>(٦)</sup>) ثم عاد إلى أهله فأمرهم أن يصنعوا لآل جعفر طعاما ، فهو أول  
ما عمل في دين الإسلام . قالت أسماء بنت عميس : فقامت أصبح ، واجتمع  
إلى النساء .

(١) في بعض المصادر (المجلائي) عوض (الأنصاري) ، وكلاهما صواب ،  
لأن بنى العجلان بطن من الأنصار ، على ما في (اللباب لابن الأثير) و (جمهرة  
أنساب العرب لابن حزم) .

(٢) لا خوفا من الموت ، بل لوجود من هو أقدر منه .

(٣) في الظاهرية (وانحيزوا عنه) والتصحيح من الأحمدية ونهاية الأرب  
للتنويري (٢٨١/١٧) .

(٤) وهي أول مشاهد سيدنا خالد في الإسلام .

(٥) في النسختين (القوائم) عوض (القوادم) والتصحيح من (سير أعلام  
النبلاء) .

(٦) سيدنا جعفر أسن من أخيه سيدنا علي بعشر سنين ، على ما في  
(سير النبلاء للحافظ الذهبي ١٥٠/١) وفيه رواية عن التصحيح من حديث  
البراء وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجعفر (أشبهت خلقي وخلقي) ،

فلما رجس الجيش لقيهم رسول الله ﷺ والمسلمون ، فأخذ عبدالله ابن جعفر فحمله بين يديه ، فجعل الناس يحثون الثراب على الجيش ويقولون : يا فرار يا فرار (١) ، ويقول رسول الله ﷺ : ( ليسوا بالفرار ولكنهم السكران إن شاء الله تعالى ) .

### ( غزوة ذات السلاسل )

وفي هذه السنة أرسل رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى أرض بلي وعذرة يدعو الناس إلى الإسلام ، فسار حتى إذا كان على ماء بأرض جذام يقال له السلاسل (٢) - وبه سميت تلك الغزوة ذات السلاسل - فلما كان به خاف فبعث إلى رسول الله ﷺ يستمده ، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح في المهاجرين الأولين ، فيهم أبو بكر وعمر ، وقال لأبي عبيدة حين وجهه : ( لا تختلفا ) فلما قدم عليه قال له عمرو : إنما جئت مدداً لي ، قال أبو عبيدة : يا عمرو إن رسول الله ﷺ قال : ( لا تختلفا ) وإن عصيتني أطعتك ، قال : فأنا أمير عليك ، قال : فدونك .

فصلى عمرو بالناس ، فانطلق المخيرة بن شعبة إلى أبي عبيدة فقال : إن

(١) قال الحافظ ابن كثير في ( البداية والنهاية ٢٤٨/٤ ) : هذا مرسل من هذا الوجه وفيه غرابة ، وعندى أن ابن إسحاق قد وهم في هذا السياق فظن أن هذا لجمهور الجيش ، وإنما كان للذين فروا حين التقى الجمعان ، وأما بقيتهم فلم يفروا بل نصروا كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين وهو على المنبر في قوله : ( ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله على يديه ) . فما كان المسلمون ليسمواهم فراراً بعد ذلك وإنما تلقواهم إكراماً وإعظاماً ، وإنما كان التائب وحش الثراب للذين فروا وتركوا هذا الك . . . ( أنظر البداية والنهاية ففيه بسط القول في ذلك ) .

(٢) وراء وادي القرى ، وبينها وبين المدينة عشرة أيام ، على ما في ( الطبقات الكبرى لابن سعد ) .

رسول الله ﷺ استعملك علينا وإن عمراً ليس له معك أمر (١) فقال أبو عبيدة إن رسول الله ﷺ أمرنا أن نتطاولع ، فأنا أطيع رسول الله ﷺ وإن عصاه عمرو .

وسار عمرو حتى وطىء بلاد طىء ودوخها ، حتى أتى إلى أقصى بلادهم وبلاد عذرة وبلى ، ولقى في آخر ذلك جمعاً ، فحمل عليهم المسلمون ، فهربوا في البلاد وتفرقوا .

### ( سرية الخطب )

وكانت في رجب سنة ثمان ، وأميرها أبو عبيدة بن الجراح ، بعثه رسول الله ﷺ في ثلاثمائة رجل من المهاجرين والأنصار - وفيهم عمر ابن الخطاب رضي الله عنه - إلى حى من جهينة بالقبيلة (٢) مما يلي ساحل البحر ، وبينها وبين المدينة خمس ليال .

فأصابهم في الطريق جوع شديد فأكلوا الخطب (٣) ، وابتاع قيس بن سعد جزوراً ونحرها لهم ، وألقى لهم البحر حوتاً عظيماً فأكلوا منه وانصرفوا ولم يلقوا كيدا .

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : بعثنا رسول الله ﷺ ثلاثمائة راكب ، أميرنا أبو عبيدة بن الجراح نرصد غير قريش ، فأقمنا بالساحل

(١) في الأحمدية ( ليس لك معه أمر ) وهو سهو .

(٢) من نواحي الفرع بالمدينة ، على ما في ( معجم البلدان ) ووفاء الوفا للسيد السبوي .

(٣) ورق السم . يخبط به مصا فيشتر لنا كلة الابل . على ما في ( المشارق للقاضي عياض ) والنهاية وجامع الاصول لابن الاثير .

نصف شهر، فأصابنا جوع شديد فأكلنا الخبط، فسمى ذلك الجيش جيش الخبط، فألقى لنا البحر دابة يقال لها العنبر، فأكلنا منه نصف شهر وادھنا ودكه (١) حتى ثابت إلينا أجسادنا (٢)، فأخذ أبو عبيدة ضلعاً من أعضائه فنصبه (٣)، وعمد إلى أطول رجل معه وركبه بعيراً، فرتحته.

وقال جابر: أقننا عليها شهراً ونحن ثلاثمائة حتى سمنا، ولقد كنا نغترف من وقب (٤) عيليه بالقلال (٥) الدهن. ولقد أخذ أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلاً فأقعدهم في عينه، فلما قدمنا على رسول الله ﷺ ذكرنا له ذلك فقال: (هو رزق ساقه الله تعالى إليكم، فهل معكم من لحمه شيء تطعمونا) وكنا قد حملنا منه وشائقاً (٦) فأرسلنا منه إلى رسول الله ﷺ فأكل. أخرجه مسلم.

(سرية أبي قتادة بن ربعي)

إلى بني محارب، في خمسة عشر رجلاً

وأمره أن يشن عليهم الغارة، فسار الليل وكن النهار، وهجم على حاضر

(١) الودك: دسم اللحم ودهنه.

(٢) أى رجعت إلى القوة بعد الهزال. على ما في (شرح صحيح الإمام مسلم للنووي) و (جامع الأصول لابن الأثير).

(٣) وجه التذكير أنه أراد العضو. على ما في (شرح صحيح مسلم للنووي).

(٤) يعنى داخل العين، نقرتها.

(٥) القلة: الجرة الكبيرة التى يقلها الرجل بين يديه، أى يحملها، على ما فى المصدر المذكور آنفاً.

(٦) هو اللحم يؤخذ فيغلى لمغلاء لا ينضج. ويحمل فى الأسفار والوشيقة: الواحدة منه. وقيل: الوشيقة: القديد. على ما فى المصدر المذكور. وفى الذبيبين (وسائق) وهو تصحيف.

منهم عظيم ، فقتل منهم واستاق النعم ، فكانت الإبل مائتي بعير والغنم ألفي شاة والله أعلم .

( ذكر فتح مكة )

وأقام رسول الله ﷺ بعد غزوة مؤتة جمادى الآخرة ورجبا ، ثم إن بني بكر بن عبد مناة عدت على خزاعة وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له الوثير (١) ، وكانت خزاعة في عهد رسول الله ﷺ ، وبكر في عهد قريش في صلح الحديبية ، وكان بينهم حروب في الجاهلية .

فكلمت بنو بكر أشراف قريش أن يعينوهم على خزاعة بالرجال والسلاح فوعدوهم ووافوهم متسكرين ، فيهم صفوان بن أمية وحويطب ومكرز ، فيئتوا (٢) خزاعة ليلا ، فقتلوا منهم عشرين ، ثم قدمت قريش على ما صنعت وعلموا أن هذا نقض للعهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ .

وخرج عمرو بن سالم الخزاعي في طائفة من قومه ، فقدموا على رسول الله ﷺ مستغيثين به ، فوقف عمرو عليه وهو جالس في المسجد بين ظهري الناس فقال :

يا رب إني ناشد محمدا حلف أينا وأبيه ألا تلتدا  
قد كنتم ولداً وكنا والداً (٣) ثم أسلمنا فلم ننزع (٤) يدا

(١) الوثير : لاسم ماء بأسفل مكة لخزاعة . كما في معجم البلدان . وفي النسختين ( الوثير ) وهو تصحيف .

(٢) تبلييت العدو : هو أن يقصد ليلا من غير أن يعلم .

(٣) يريد أن بني عهد مناف أمهم من خزاعة . وكذلك قصي أمه فاطمة بنت سعد الخزاعية . كما في ( عيون الاثر ١٨٢/٢ ) نقلا عن السهيلي .

(٤) في النسختين ( تسرع ) عوض ( ننزع ) والتصحيح من عيون الاثر وتاريخ الاسلام ( الجزء الاول — المغازي ) .

فانصر هداك الله نصراً أعتدا وادع عباد الله يأتوا مددا  
 فيهم رسول الله قد تجردا إن سيم خسفاً وجهه تربدا  
 في فيلق كالبحر يجرى مزبدا إن قريشاً أخلفوك الموعدا  
 ونقضوا ميثاقك الموكد (١) وجعلوا إلى أذاننا رصد (٢)  
 وزعموا أن ليهن ندعو أحدا وهم أذل وأقل عددا  
 هم يبتونا بالوتير هجدا وقتلونا ركعاً وسجدا  
 فانصر هداك الله نصراً أيدا

فقال رسول الله ﷺ : ( نهضت يا عمرو بن سالم ) ثم قدم بديل  
 ابن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة على النبي ﷺ وأخبروه ، فقال  
 رسول الله ﷺ : ( كأنكم بآبي سفيان قد جاءكم يشد العقد وين يدي في المدة ) .  
 ومضى بديل وأصحابه فلقوا أبا سفيان بن حرب بعسفان ، قد جاء ليشد  
 العقد وين يدي في المدة ، وقد رهبوا للذي صنعوا ، فلما لقي بديل بن ورقاء قال :  
 من أين يا بديل ؟ وطن أنه أتى من عند رسول الله ﷺ ، قال : سرت في  
 خزاعة على الساحل ، قال : أو ما جئت محمداً ؟ قال : لا ، فلما راح بديل إلى  
 مكة قال أبو سفيان : لئن كان جاء بديل إلى المدينة لقد علف النوى ، فأتى  
 مبرك راحلته ففته (٣) فرأى فيه النوى فقال : أحلف بالله لقد أتى محمداً .

ثم قدم أبو سفيان المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة أم المؤمنين ، فلما  
 ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه فقال : ما أدرى ،

(١) غير مهموز ، وهو جازن . ورويت هذه المقطوعة ، في بعض المصادر  
 وفيها تقديم وتأخير في بعض الآيات .

(٢) في المصادر المشهورة : ( وجعلوا لي في كداء رصد ) .

(٣) أي فت البعر .

أرغبت في عن هذا الفراش أم رغبت به عني ١٩ قالت : بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك نجس ، قال : والله لقد أصابك بعدى يا بنية شر .

ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ فكلمه ، فلم يرد عليه شيئاً ، فذهب إلى أبي بكر رضي الله عنه فكلمه أن يكلم رسول الله ﷺ فقال : ما أنا بفاعل ، فأتى عمر رضي الله عنه فكلمه ، فقال : أنا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ فوالله لو لم أجد إلا الذر لجالدكم به (١) .

فخرج حتى أتى علياً رضي الله عنه وعنده فاطمة وابنها الحسن وهو غلام يذب فقال : يا علي إنك أمس القوم في رحما ، وقد جئت في حاجة فلا تدعني أرجع خائبا ، فاشفع لي إلى رسول الله ﷺ ، فقال علي : ويحك يا أبا سفيان لقد عزم رسول الله ﷺ علي أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه ، فالتفت إلى فاطمة رضي الله عنها وقال : يا ابنة محمد هل لك أن تأمرى بنيك هذا فيجير بين الناس فيسكون سيد العرب إلى آخر الدهر ، قالت : والله ما بلغ بني ذلك ، وما يجير أحد على رسول الله ﷺ .

قال : يا أبا الحسن إنى أرى الأمور قد اشتدت على فائضتي ، قال : والله ما أعلم شيئاً يغنى عنك ، ولكنك سيد بني كنانة فقم فاجر بين الناس والحق بأرضك ، قال : أو ترى ذلك مغنياً عني شيئاً ؟ قال : لا والله ما أظنه ، ولكن لا أجد لك غير ذلك .

فقام أبو سفيان في المسجد فقال : أيها الناس إنى قد أجرت بين الناس ، ثم ركب بعيره وانطلق ، فلما قدم على قريش قالوا : ما وراءك ؟ فقص شأنه

(١) في النسختين ( عليه ) عوض ( به ) المشبهة في ( الروض الأنف ) وهذا كالمثل مفهوم المعنى لأن الذر لا يقاوم به ، على ما قاله المصنف في ( الروض ) . والذر : صغار النمل .



وأنه قد أجاز بين الناس ، قالوا : فهل أجاز ذلك محمد ؟ قال : لا ، قالوا : والله إن زاد الرجل على أن لعب بك .

قال ثم أمر رسول الله ﷺ بالجهاز ، وأمر أهله أن يجهزوه ، ثم أعلم الناس أنه يريد مكة وقال : ( اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتهم في بلادهم ) .

قال فكتب حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش بذلك مع امرأة ، فجعلته في رأسها ، ثم فتلت عليه قرونها وخرجت به ، وأتى رسول الله ﷺ الوحي بفعلها ، فأرسل في طلبها علياً والزبير والمقداد ، وقال : ( انطلقوا ) حتى انتهوا إلى الروضة فرأوها فقالوا : أخرجى الكتاب ، قالت : ما معنى من كتاب ، قالوا : تخرجين الكتاب أو تقلعين الثياب . فأخرجته من شعرها فأتوا به النبي ﷺ فإذا فيه : من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين بمكة ، يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ .

فقال النبي ﷺ : ( يا حاطب ما هذا ) قال : يا رسول الله لا تعجل فإني والله لمؤمن بالله ورسوله ما غيرت ولا بدلت ، واسكن ليس لي في القوم أصل ولا عشيرة ، ولي بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم ، فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله دعني أضرب عنقه فإن الرجل قد نافق ، فقال رسول الله ﷺ : ( وما يدريك يا عمر لعل الله تعالى قد اطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم )<sup>(١)</sup> .

ثم مضى رسول الله ﷺ لسفره ، واستخلف على المدينة كلثوم ابن الحصين الغفاري — وقال ابن سعد عبد الله بن أم مكتوم — فخرج لعشر

(١) قال الحافظ السبكي في (الروض الأنف) : عاق حكم المنع من قتله بشهود بدر ، فدل على أن من فعل مثل فعله وليس به بدرى أنه يقتل .

مضين من شهر رمضان فصام وصام الناس معه ، حتى إذا كان بالسكديد أفطر ، ثم مضى حتى نزل من الظهران في عشرة آلاف ، وعملت الأخبار عن قریش وهم على وجل وارتقاب ، فخرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام (١) وبدیل بن ورقاء يتجسسون الأخبار .

وكان العباس قد خرج قبل ذلك بعياله مسلماً مهاجراً ، فلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قيل بالجحفة وقيل بذي الحليفة ، وكان فيمن خرج ، ولقي رسول الله ﷺ ببعض الطريق أبو سفيان بن الحارث وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بالآبواء (٢) فأعرض عنهما ، فقالت أم سلمة : لا يكن ابن عمك وابن عمتك أخى أشق الناس بك ، وجاء إليه أبو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب فقبل وجهه ، فقال رسول الله ﷺ : ( لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ) وقبل منهما إسلامهما ، فأنشده أبو سفيان معتذراً إليه أبياتاً ، منها :

لعمرك إني يوم أحمل راية لتغلب (٣) خيل اللات خيل محمد  
للكمالديج (٤) الحيران أظلم ليله فهذا أواني حين أهدى وأهتدى  
هداني هاد غير نفسى ودلنى على الله من طردت كل مطرد

(١) في الظاهرية ( حوام ) والتصحيح من الاحمدية و ( تبصير المنتبه في تحرير المشتبه للحافظ ابن حجر ) وهو مشهور .

(٢) موضع بين مكة والمدينة ، وهو إلى المدينة أقرب ؛ وهو على خمسة أميال منها ، على ما في ( الروض الاتنف ) وغيره .

(٣) في النسخة ( لنصر ) عوض ( لتغلب ) المثبتة في المصادر المشهورة كتاريخ ابن الأثير وغيره .

(٤) في الظاهرية ( لالكمالديج ) والتصحيح من الاحمدية والمراجع المشهورة . والمدالج : هو الذي يسير ليلاً .

فضرب رسول الله ﷺ صدره وقال : ( أنت طردتني كل مطرد ) .  
 وكان أبو سفيان بعد ذلك من حسن إسلامه فيقال : إنه ما رفع رأسه إلى  
 رسول الله ﷺ منذ أسلم حياءً منه ، وكان رسول الله ﷺ يحبه ويشهد له  
 بالجنة ويقول : ( أرجو أن يسكون خلفاً من حمزة (١) ) .

ولما نزل رسول الله ﷺ من الظهران (٢) ليلاً وأمر أصحابه فأوقدوا عشرة  
 آلاف نار ، وجعل على الحرس عمر بن الخطاب رضى الله عنه رقت نفس  
 العباس لأهل مكة ، قال : فجلست على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء وخرجت  
 عليها حتى جئت الأراك (٣) فقلت لعلى : أجد بعض الخطابة أو صاحب ابن  
 أو ذا حاجة يأتى مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ فيخرجوا إليه فيستأنوه

(١) قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره (التحرير والتنوير ٣٠٨/٩) :  
 كل من لم يؤمن من المشركين حتى مات على الشرك فقد انتفت مخالطة الخير  
 وكل من آمن منهم فهو في وقت عناده وتصميمه على العناد قد انتفت مخالطة الخير  
 نفسه ، ولسكن الخير يلصق عليه ، حتى إذا استولى نور الخير في نفسه على ظلمة  
 كفره ألقى الله في نفسه الخير فأصبح قابلاً للإرشاد والهدى ، حتى عليه أنه قد  
 علم الله فيه خيراً حينئذ فأسمعه : فمثل ذلك مثل أن سفيان إذ كان فيما قبل ليلة  
 فتح مكة قائد أهل الشرك ، فلما اقترب من جيش الفتح وأدخل إلى النبي صلى الله  
 عليه وسلم وقال له : ( أما آن لك أن تشهد ألا إله إلا الله ) قال أبو سفيان :  
 لقد علمت أن لو كان معي إله آخر لقد أغنى عني شيئاً . ثم قال له الرسول عليه  
 الصلاة والسلام : ( وأن تشهد أنى رسول الله ) فقال : أما هذه ففي القلب منها  
 شئ . فلم يكمل حينئذ لإسماع الله إياه ، ثم تم في نفسه الخير ، فلم يلبث أن أسلم  
 فأصبح من خيرة المسلمين .

(٢) الظهران : واد قرب مكة ، وعنده قرية يقال لها (مر) فيقال : مر الظهران .  
 كما في معجم البلدان .

(٣) من مواقف عرفة من ناحية الشام ، على ما في (معجم ما استمعهم) ،  
 وأراك : فرع من دون ثافل ، قرب مكة ، على ما في معجم البلدان .

قبل أو يدخلها عنوة (١) ، فوالله لاني لأسير عليها إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعا ، وأبو سفيان يقول : ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكرياً . قال يقول بديل : هذه والله نيران (٢) خزاعة [ حمشها الحرب ، فيقول أبو سفيان : خزاعة (٣) ] أذل وأقل أن تكون هذه نيرانها وعسكريها ، فعرفت صوته فقلت : يا أبا حنظلة ، فعرف صوتي فقال : أبو الفضل ؟ قلت : نعم ، قال : فذاك أبي وأمي من هذا (٤) ؟ قال قلت : هذا رسول الله ﷺ في الناس واصباح قريش والله ، قال (٥) : فما الحيلة فذاك أبي وأمي ؟ قال قلت : والله لئن ظفر بك ليمضرن عنقك ، فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله ﷺ فاستأمنه لك .

قال : فركب خلفي ورجع صاحبا ، فجنبت به ، كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا : من هذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ وأنا عليها قالوا : عم رسول الله ﷺ ، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب رضي الله عنه . قال : من هذا ؟ وقام إلى ، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال : أبو سفيان عدو الله ، الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ، ثم خرج يشتد نحو رسول الله ﷺ ، وركضت البغلة فسبقت فافتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله ﷺ ، ودخل عليه عمر فقال : يا رسول الله هذا أبو سفيان فدعني أضرب عنقه ، قال قلت : يا رسول الله لني قد أجرته .

ثم جلست إلى رسول الله ﷺ فأخذت برأسه وقلت : والله لا يناجيه الليلة

(١) أي حرباً .

(٢) ( نيران ) ساقطة من النسختين ، فاستدركتها من المصادر المشهورة .

(٣) ما بين الماتقين ساقط من الظاهرية فاستدركتها من الاحمدية .

(٤) ( من هذا ) ساقط من الاحمدية فاستدركتها من الظاهرية .

(٥) ( قال ) ساقطة من الظاهرية فاستدركتها من الاحمدية .

رجل دوني ، فلما أكثر عمر قلت : مهلا يا عمر ما تصنع هذا إلا لأنه من بني عبد مناف ، ولو كان من بني عدى ما فعلت هذا . فقال عمر : مهلا يا عباس فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم ، وما بي إلا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلي رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب . فقال رسول الله ﷺ : ( اذهب به يا عباس إلى رحلك فإذا أصبحت فأنتني به ) فذهبت به ، فلما أصبح غدوت به (١) إلى رسول الله ﷺ .

فلما رآه رسول الله ﷺ قال : ( ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله ؟ ) قال : بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ، لقد ظننت أنه لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عني (٢) شيئاً بعد ، قال : ( ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله ؟ ) قال : بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ، أما والله هذه فإن في النفس حتى الآن منها شيئاً (٣) فقال له العباس : ويحك أسلم واشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك ، قال فشهد شهادة الحق ، فأسلم .

قال العباس : قلت يا رسول الله : ان أبا سفيان رجل يحب الفخر ، فاجعل له شيئاً ، قال : ( نعم ، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن (٤) ومن أغلق بابيه عليه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ) .

(١) به ( ساقطة من الظاهرية . فاستدركتها من الاحمدية و (لإنسان العيون في سيرة الامين المأمون لنور الدين الحلبي) .

(٢) عني ( ساقطة من النسختين ، فاستدركتها من ( تاريخ الطبري ٥٣/٣ ) وغيره من المصادر .

(٣) في الظاهرية ( فان النفس حقي الآن فيها شيء ) والصواب ما في الاحمدية وهو مماثل لما ورد في ( عيون الاثر لابن سيد الناس ١٦٩/٢ ) .

(٤) وفي تاريخ الطبري وغيره زيادة وهي : ( ومن دخل دار حكيم فهو آمن ) ودار أبي سفيان هي بأعلى مكة ، ودار حكيم بن حزام بأسفل مكة . أنظر ( مجمع الزوائد ١٦٥/٦ ) وسنن أبي داود وصحيح مسلم .

ثم أمر العباس أن يجلس أبا سفيان بمضيق الوادي عند حطم الجبل (١) حتى تمر به جنود الله تعالى فيراها، ففعل، ففرت القبائل على راياتها، كلها مرت قبيلة فيقول: يا عباس من هذه؟ فأقول: سليم، فيقول: مالي وسليم، ثم القبيلة فيقول: يا عباس من هذه؟ فأقول: مزينة، فيقول: مالي ولمزينة، حتى ففدت القبائل، ما تمر به قبيلة إلا سألت عنها، فإذا أخبرته بهم قال: مالي ولبنى فلان.

حتى مر رسول الله ﷺ في كتيبتة الخضراء، فيها المهاجرون والأنصار، لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد، قال سبحان الله يا عباس من هؤلاء؟ قلت: هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار، قال: ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة، والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك ملكاً عظيماً، قال قلت: يا أبا سفيان إنها النبوة، قال: فنعلم إذا (٢)، قال قلت النجاة إلى قومك.

حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، فقامت إليه هند بدت عتبة فأخذت شاربه وقالت: اقتلوا الحميت (٣) الدسم الأحسم، قبح من طليعة قوم، قال: ويحكمكم لا تخزنكم هذه بقولها في أنفسكم فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، قالوا: قاتلك الله وما تغني عنا دارك؟ قال: ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، فنفرك الناس إلى دورهم وإلى المسجد.

(١) حطم الجبل هو الموضع الذي حطم منه أي ثلم، فبقى منقطعا. ويحتمل أن يريد عند مضيق الجبل حيث يزحم بعضهم بعضاً فيراها جميعها، على ما في (النهاية لابن الأثير).

(٢) ويجوز أن ترسم (لأذن).

(٣) هنا في هامش الظاهرية والاحمدية: الحميت: الزق الممتمل. والاحسم: الذي لا خير عنده.

قال ابن عباس : دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح وعلى السكبة ثلاثمائة وستون صنماً ، قد شد لهم إبليس أقدامها برصاص ، فجاء ومعه قضيب لجعل يرمى به إلى كل صنم منها فيخرب لوجهه (١) فيقول ( جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ) حتى مر عليها كلها

وكانت راية رسول الله ﷺ مع سعد بن عباد ، فلما مر بها على أبي سفيان - وكان قد أسلم أبو سفيان كما ذكرنا - فقال سعد إذ نظر إليه : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة ، اليوم أذل الله قريشا ، فأقبل رسول الله ﷺ [ في كتيبة الأنصار (٢) ] حتى إذا حاذى أبا سفيان نادى : يا رسول الله أمرت بقتل قومك ١٢ فإن سعداً زعم (٣) ومن معه حين مر بنا أنه قاتلنا . أنشدك الله في قومك ، وأنت أبر الناس وأرحمهم وأوصلهم .

وقال عثمان وعبد الرحمن بن عوف : يا رسول الله ، والله ما نأمن سعداً أن تكون منه في قريش صولة ، فقال رسول الله ﷺ : ( يا أبا سفيان اليوم يوم المرحمة ، اليوم أعز الله فيه قريشاً ) .

وقال ضرار بن الخطاب الفهري يومئذ (٤) :

يا نبي الهدى إليك لجا حبي - في قريش ولات حين السجسج

(١) إذا كان رسول الله ﷺ قد حطم الأصنام المادية ، فإنه من قبل ذلك ومن بعد ذلك قد حطم كل صنم يعبد من دون الله ، وبين أن الرياء شرك ، والهووى شرك ، والخضوع للشهوات شرك ، وكل عمل لا يقصد الإنسان به وجه الله فإنه هو من أعمال الشرك . من ( كتاب القرآن والنبي ﷺ لمولانا الدكتور عبد الحليم محمود عليه رحمة الله ص ٢٤١ من الطبعة الأولى ) .

(٢) ما بين المعقفين ساقط من الظاهرية .

(٣) في الاحمدية ( فإنه زعم سعد ) .

(٤) يستعطف النبي ﷺ على قريش ، على ما في ( الروض الأنف ) .

( ٣٨ - أول عيون التواريخ )

حين ضاقت عليهم سعة الأَرْض وعاداهمُ : إله السماء  
 والتقت حلقتا البطان (١) على القو م ونودي بالصيْل الصلحاء (٢)  
 إن سعاداً يريد قاصدة الظم - ر بأهل الحَجْرِن والبطحاء  
 خزر جى لو يستطيع من الغيب - ظ رمانا بالنسر والعواء (٣)  
 وغر الصدر لا يهيم بشيء غير سفك الدماء وسبي النساء  
 قد تافى على البطاح وجاءت عنه هند بالسوءة (٤) السواء  
 إذ ينادى بذل حتى قریش وابن حرب بذل من الشهداء  
 فلئن أقحم (٥) اللواء ونادى يا حماة اللواء أهل اللواء  
 ثم ثابت إليه من أسرة الخز رج والأوس أنجم الهيجاء  
 لتكونن بالبطاح قریش فقعة القاع (٦) في أكف الإمام  
 فانهميئنه فإنه أسد الأسد - د لدى الغاب والغث في الدماء  
 إنه مطرق يدير لنا الأمر - ر سـكوتاً كالحية الصماء

(١) البطان : حزام يجعل تحت بطن البعير ، يعنى اشتد الأمر .

(٢) هنا فى هامش الظاهرية والاحمدية : الصيْل الصلحاء : الداهية .

(٣) العواء : خمسة كواكب كأنها ألف معطوفة الذاب ، على ما فى كتاب  
 (الأزمنة والامكنة للبرزوقي ٣١٠/١) . وفى الظاهرية (باليسر والعواء)  
 وكلاهما تصحيف والنسر : كوكب ، على التشبيه بالنسر الطائر .

(٤) ( فى النسختين ) بالسوءة ) وهو خطأ لأن الهمزة المفتوحة هنا سبقها  
 حرف علة ساكن ، فتسكتب مفردة .

(٥) فى النسختين ( أخم ) وهو تصحيف ، صححته من ( عيون الأثر للمحافظ  
 ابن سيد الناس رحمه الله ١٧٢/٢ ) .

(٦) ( فقعة القاع ) مثل يضرب فى الذل . والفقعة أردأ الكرامة .



فأرسل رسول الله ﷺ إلى سعد بن عبادَة فنزع اللواء من يده وجعله بيد قيس ابنه ، ورأى رسول الله ﷺ أن اللواء لم يخرج عنه إذ صار إلى ابنه قيس .

وأمر رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فدخل من اللَّيْط أسفل مكة في بعض الناس ، فكان خالد على المجنبَة (١) اليمنى ، وفيها أسلم وسليم وغفار ومزينة وجهينة وقبائل من قبائل العرب .

وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بين يدي رسول الله ﷺ وكان على الرحالة ، ودخل رسول الله ﷺ من أذخر (٢) حتى نزل بأعلى مكة ، وضربت له هناك قبة .

وكان صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو قد جمعوا أناساً بالخندمة (٣) ليقاتلوا ، وقد كان حماس بن قيس بن خالد أخو بني بكر يعد سلاحاً قبل دخول رسول الله ﷺ ويصلح منه ، فقالت له امرأته : لماذا تعد ما أرى ؟ قال : لمحمد وأصحابه ، قالت : والله ما أرى يقوم لمحمد وأصحابه شيء ، قال : والله إنى لأرجو أن أخدِمَ مَلِكٍ بعضهم ، ثم قال :

إن يقبلوا اليوم فإلى الله هذا سلاح كامل وأله (٤)

وذو غرارين (٥) سريع السهله

(١) مجنبَة الجيش : هي التي تكون في الميمنة والميسرة ، وهما مجنبتان ، وقيل هي السكتينة ، والاول أصح ، على ما في ( النهاية لابن الأثير رحمه الله ) .  
(٢) ثذية بين مكة والمدينة ، على ما في ( معجم ما استعجم لابن عبيد البكري رحمه الله ) .

(٣) لاسم جبل بمكة .

(٤) الآلة : الحربه ، أداة الحرب .

(٥) أي ذو سدين .

ثم شهد الخندمة مع صفوان وسهيل وعكرمة ، فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد وناوشوهم شيئاً من قتال قتل من المسلمين اثنان ، وقتل من المشركين ثلاثة عشر رجلاً ، وانهمزوا ، وخرج حماس منهزماً حتى دخل بيته ، وقال لامرأته : أغلقي على بابي ، فقالت : وأين ما كنت تقول ؟ فقال :

(١) إنك لو شهدت يوم الخندمة إذ فر صفوان وفر عكرمة واستقبلتنا بالسيوف المسلبة يقطعن كل ساعد وجميعه ضرباً فلا تسمع إلا غمغمه (٢) لهم نهيت (٣) حولنا (٤) وهمهمه (٥) لم تنطقي في اللوم أدنى كلمة

وكان رسول الله ﷺ قد عهد إلى امرأته من المسلمين حين أمرهم بدخول مكة أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم ، إلا ثمانية رجال وأربع نسوة .

فأما الرجال (٦) فمنهم عكرمة بن أبي جهل ، وكان يشبه أباه في أذى رسول الله ﷺ وعداوته ، فلما فتح رسول الله ﷺ مكة خافه على نفسه فهرب إلى اليمن ، وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام ، فاستأمنت له وخرجت في طلبه ومعها غلام لها رومي ، فراودها عن نفسها فأطمعت ،

(١) أورد ياقوت هذه المقطوعة بزيادة ونقص عما هنا .

(٢) الغمغمه : أصوات مختلطة .

(٣) النهيت : صوت الصدر ، وأكثر ما يوصف به الأسد . وفي اللسخة (نهم) عوض (نهيت) وهو من تصحيف السمع . وصححته من عيون الآثار وتاريخ الطبري رحمهما الله .

(٤) في معجم ما استعجم (خلفنا) عوض (حولنا) ومثله في الروض الانف .

(٥) صوت في الصدر كذلك ، تردد الزئير في الصدر .

(٦) سقط من الظاهرية ( فأما الرجال ) فاستدركتها من الاحمدية .

ولم تزل تمنيه حتى انتهت إلى حى من العرب فاستغاثتهم عليه ، فأوثقوه ، فأدركت  
عكرمة وهو يريد ركوب البحر فقالت له : جئتك من عند أوصل الناس  
وأحلمهم وأكرمهم وقد أمنك ، فرجع ، وأخبرته خير الروى فقتله قبل أن  
يسلم ، فلما قدم على رسول الله ﷺ مُرَّبه فأسلم<sup>(١)</sup> وسأل رسول الله ﷺ  
أن يستغفر له ، فاستغفر له .

ومنهم صفوان بن أمية بن خلف ، وكان أيضاً شديداً على رسول الله ﷺ  
فهرب خوفاً منه إلى جدة ، فقال عمير بن وهب الجهمي : يا رسول الله إن  
صفوان سيد قومي وقد خرج هارباً منك فأمنه صلى الله عليه ، فقال :  
( هو آمن ) وأعطاه عمامته التي دخل بها مكة ليعرف بها أمانه ، فخرج بها  
همير فأدركه بجدة فأعلمه بأمانه وقال إنه أحلم الناس وأوصلهم وإنه ابن عمك  
وعزه عزك وشرفه شرفك ، فقال : إني أخافه على نفسي ، قال : هو أحلم من  
ذلك ، فرجع صفوان ، وقال لرسول الله ﷺ : إن هذا يزعم أنك آمنتني ،  
قال : ( صدق ) قال اجعلني بالخيار شهرين ، قال : ( أنت فيه أربعة أشهر )  
فأقام معه كافراً وشهد حنيناً والطائف ، ثم أسلم وحسن إسلامه .

ومنهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح من بني عامر بن لؤى ، وكان قد  
أسلم وكتب الوحي لرسول الله ﷺ ، فكان إذا أملى عليه ( عزيز حكيم )  
يكتبه ، عليهم حكيم ، وأشبه ذلك ، ثم ارتد ، وقال لقريش : إني كنت  
أصرف محمداً في قرآنه حيث شئت ، ودينكم خير من دينه ، فلما كان يوم  
الفتح فر إلى عثمان بن عفان رضى الله عنه وكان أخاه من الرضاعة ، فغيبه  
عثمان حتى اطمأن الناس ، ثم أحضره عند رسول الله ﷺ وطلب له الأمان

(١) من حديث أم سلمة قالت قال رسول الله ﷺ : ( رأيت لاني جهل عذفاً  
في الجنة ) فلما أسلم عكرمة قال : ( يا أم سلمة هذا هو ) . على ما في الإصاغة  
والطبقات للسكري لابن سعد .

فصمت رسول الله ﷺ طويلاً ثم أمنه فأسلم وعاد، فلما انصرف قال رسول الله ﷺ لأصحابه: (لقد صمت ليقته أحدكم) فقال بعضهم: هلا أومأت إلينا؟ فقال: (ما كان لني أن يقتل بالإشارة، إن الأنبياء لا تكون لهم خائنة الأعين).

ومنهم عبد الله بن خطل وكان قد أسلم، فأرسله رسول الله ﷺ مصدقاً<sup>(١)</sup> ومعه رجل من الأنصار و غلام له روى قد أسلم أيضاً، وكان الروى يخدمه ويصنع له الطعام، ففسى يوماً أن يصنع له طعاماً فقتله، وارتد، وكانت له قيلتان تغنيان بهجاء<sup>(٢)</sup> رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقتله سعيد ابن حريث المخزومي.

ومنهم الحويرث بن نقيذ<sup>(٣)</sup> بن وهب بن عبد<sup>(٤)</sup> بن قصى، وكان يؤذى رسول الله ﷺ بمكة ويشدد الهجاء فيه، فلما كان يوم الفتح هرب من بيته فلقيه على بن أبي طالب فقتله.

ومنهم مقيس بن صبابه، وإنما أمر بقتله لأنه قتل الأنصارى الذى قتل أخاه هشاماً خطأ<sup>(٥)</sup> وارتد، فلما انهزم أهل مكة يوم الفتح اختفى بمكان هو

(١) أى جامعاً للصدقات، وهى الزكاة.

(٢) فى النسختين (هجاء) عوض (بهجاء) المثبتة فى (نهاية الأرب للنويزى ٣٠٩/١٧).

(٣) فى الظاهرية. (نفيل) وفى الاحمدية (نقيذ) والتصحيح من (الدر لابن عبد البر رحمه الله) وغيره. وصحف فى (عيون الاثر ١٧٥/٢) فأرجو تصحيحه.

(٤) فى الظاهرية (عبد الله) والتصحيح من الاحمدية والمراجع المشهورة.

(٥) مع أن النبى ﷺ أعطاه دية أخيه.

وجماعة يشربون الخمر ، فعلم به نميلة بن عبد الله الكنانى (١) فأثاه فضر به بالسيف حتى قتله .

ومنهم عبد الله بن الزبعرى السهمى ، وكان يهجو رسول الله ﷺ ويظم القول فيه ، فهرب يوم الفتح هو وهبيرة بن أبي وهب المخزومي زوج أم هانئ ابنة أبي طالب إلى نجران ، فأما هبيرة فأقام بها مشركاً وتوفى بها ، وأما ابن الزبعرى فرجع إلى رسول الله ﷺ واعتذر فقبل عذره ، وقال حين أسلم :

يا رسول الملك إن لسانى راتق ما فتقت إذ أنا (٢) بور  
إذ أبارى الشيطان فى سنن الغيب سى ، ومن مال ميله مشبور  
آمن اللحم والعظام برين ثم نفسى (٣) الشهيد أنت النذير

فى أشعار كثيرة يعتذر فيها .

ومنهم وحشى بن حرب قاتل حمزة رضى الله عنه ، فلما فتح رسول الله ﷺ مكة هرب إلى الطائف ، ثم قدم فى وفد أهله على رسول الله ﷺ وهو يقول :  
أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ :  
( أوحشى ؟ ) قال : نعم ، قال : ( أخبرنى كيف قتلت عمى ) فأخبره فبسكى وقال : ( غيب وجهك عنى ) .

(١) السكابي الميثى .

(٢) فى النسختين ( أيام ) عوض ( إذ أنا ) والتصحيح من الروض الأنف  
وتاريخ ابن الأثير . قال السهيلي فى الروض الأنف : فتقت : يعنى فى الدين ،  
فدكل لثم فتق ، وكل توبة رتق . وقوله ( إذ أنا بور ) أى هالك .

(٣) فى الروض الأنف ( قلبى ) عوض ( نفسى ) .

ومنهم من يجعل هبار بن الأسود منهم ، وهو الذي عرض لزيب بنت رسول الله ﷺ في سفهاء قريش حين بعث بها زوجها أبو العاص إلى المدينة فأهوى إليها هبار هذا ونخس بها فسقطت على صخرة فألقت ذابطنها وأهراقت الدماء ، فلم يزل بها مرضها ذلك حتى ماتت سنة ثمان ، فقال عليه الصلاة والسلام : ( إن وجدتم هذا فأحرقوه بالنار <sup>(١)</sup> ) ثم قال عليه السلام : ( إن النار <sup>(٢)</sup> لا يعذب بها إلا رب النار ) فلم يوجد ، ثم أسلم بعد الفتح وحسن إسلامه ، وصحب النبي ﷺ ، ولما أسلم وقدم مهاجراً جعلوا يسبون ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال له : ( سب من سبك ) فأنتموا عنه .

وأما قيلنا ابن خطل فسرتهني وقريسة فقتلت إحداها ، واستؤمن رسول الله ﷺ للآخرى فأمنها فعاشت مدة ثم ماتت في حياة رسول الله ﷺ . وأما سارة فاستؤمن لها أيضاً فأمنها ، وعاشت إلى أن أوطأها رجل فرساً بالآبطح فماتت في زمن عمر ، وهي التي حملت كتاب حاطب بن أبي بلتعة . وكانت قد قدمت مسلمة ، ثم عادت مرتدة .

ومنهن هند ابنة عتبة ، وكان رسول الله ﷺ قد أمر بقتلها لما فعلت بحمزة ما فعلت ، وكانت تؤذى رسول الله ﷺ بمكة ، فجاءت مع النساء محتفية فأسلمت وكسرت كل صنم في بيتها ، وقالت : لقد كنا منكم في غرور ، وأهدت إلى رسول الله ﷺ جديدين واعتذرت من قلة ولادة غنمها ، فدعا لها بالبركة في غنمها <sup>(٣)</sup> فكثرت ، فكانت تقول : هذا من بركة رسول الله ﷺ والحمد لله الذي هدانا للإسلام .

(١) في الاحمدية ( إن وجدتم هباراً فاقتلوه ) .

(٢) ( إن النار ) غير موجود في الاحمدية .

(٣) سقط من الاحمدية ( في غنمها ) .

وهرب حويطب بن عبد العزى فرآه أبو ذر في حائط (١) فأخبر النبي ﷺ بمكانه فقال : ( قد أمانا الناس إلا من أمرنا بقتله ) فأخبره بذلك فجاء إلى النبي ﷺ ، قيل إنه دخل يوماً على مروان بن الحكم وهو على المدينة ، فقال له مروان : تأخر إسلامك يا شيخ ، فقال : لقد هممت به غير مرة فكان يصدني عنه أبوك .

قال الواقدي : ولما دخل رسول الله ﷺ مكة كانت عليه عمامة سوداء ، فوقف على باب الكعبة (٢) وقال : ( لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ألا إن كل دم ومأثرة أو مال مدعى فهو تحت قدمي هاتين ، إلا سدانة البيت وسقاية الحاج ) ثم قال : ( يا معشر

(١) الحائط : البستان من النخيل إذا كان عليه حائط . على ما في ( النهاية لابن الأثير ) .

(٢) للاستاذ على الطنطاوى كذا في مؤلفه ( من نفحات الحرم ) يقول فيها : ها هي ذى الكعبة ، وهذا الحطيم وزمزم والمقام ، وهؤلاء المسلمون صفوفاً حولها ، وراءها صفوف ، صفوف تمتد إلى خارج الحرم ، إلى ما وراء الحجاز إلى الدنيا كلها . ( فهذه مركز الدائرة ، وهذه سررة الأرض ) . وهنا يلتقى المسكن كله ، فإشرق هنا والمغرب ، والثاني من الأرض والدنى ، وهنا الشام ومصر والعراق والمغرب وفارس والهند هنا وجاوة والأرض المسلمة كلها . . . لا يستطيع قلم ولا إنسان أن يصف هاتيك العواطف السماوية . . .

والاستاذ الدكتور حسين كمال الدين مقال في ( جريدة الاهرام ) قال فيه إن البحث أثبت له أن موقع مكة المكرمة هو في وسط العالم وأن الأرض اليابسة على سطح الكرة الأرضية موزعة حول مكة توزيعاً منتظماً . وأعد خريطة للعالم القديم ، قبل اكتشاف أمريكا وأستراليا ، وكرر المحاولة ، فوجد أن مكة هي أيضاً مركز الأرض اليابسة ، حتى بالنسبة إلى للعالم القديم يوم بدأت الدعوة إلى الإسلام .

قريش ماترون أنى فاعل بكم) ؟ قالوا خيراً : أخ كريم وابن أخ كريم ، قال : ( اذهبوا فأنتم الطلقاء ) فأعتقهم رسول الله ﷺ ، وكان الله تعالى قد أمكنه منهم وكانوا له فياً ، فبذلك سمى أهل مكة ( الطلقاء ) .

وطاف بالسكبة سبعا ، ورأى ما فيها من صور الأنبياء فأمر بها فحيت (١) ثم جلس رسول الله ﷺ على الصفا ، واجتمع الناس لبيعة رسول الله ﷺ على الإسلام ، فكان يبايعهم على السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا . فكانت هذه بيعة الرجال .

وأما بيعة النساء فإنه لما فرغ من الرجال بايع النساء ، فأتاه نساء من قريش ممن : أم هانئ بنت أبي طالب ، واسمها فاختة وقيل هند ، وأم حبيبة بنت العاص بن أمية ، وكانت عند عمرو بن عبدود العامري ، وأروى بنت أبي العيص عمة عتاب (٢) بن أسيد ، وأختها عاتكة ، وآمنة بنت عثمان أخت عثمان ، وهند بنت عتبة ، وبسرة بنت صفوان بن نوفل (٣) بن أسد بن

(١) في صحيح الإمام البخارى أنه ﷺ أنى أن يدخل البيت وفيه الآلهة ، فأمر بها فأخرجت . فأخرج صورة إبراهيم وإسماعيل في أيديهما من الأزام ، فقال : ( قاتلهم الله ، لقد علموا ما استقاما بها قط ) . وما جاء في بعض الآثار من أنه ﷺ أمر بمحو جميع الصور إلا صورة فباطل قطعاً ، فإن بقاء الصورة في المسجد منكر . والنبي ﷺ لا يقر منكراً ، كما في مقالة ( أديان العرب قبل الإسلام ) للإمام الأكبر السيد محمد الخضر حسين عليه رحمة الله في ( مجلة الهداية الإسلامية - شعبان ١٣٥٨ ) .

(٢) في الفسختين ( عثمان ) عوض ( عتاب ) والتصحيح من جمهرة أنساب العرب ١١٣ وغيرها .

(٣) سقط من الظاهرية ( بن نوفل ) والاستدراك من الأحادية والإصابة للمحافظ ابن حجر رحمه الله .



عبد العزى ، وأم حكيم بذت الحارث بن هشام ، وفاخنة بذت الوليد بن المغيرة  
وربيعة بذت منبه بن الحجاج ، وغيرهن .

فقال لمن : ( أنبا يعنى على أن لا تشركن بالله شيئاً ولا تسرقن ) قالت  
هند : والله إن كنت لأصيب من مال أبى سفيان الهنة والهنة . فقال أبو سفيان  
وكان حاضراً : أما ما مضى فأنت منه فى حل ، قال : ( ولا تزفنين ) قالت :  
وهل ترى الحرة الزنى (١) ، قال : ( ولا تقتلن أولادكن ) قالت : ربنا هم  
صغاراً وقتلهم يوم بدر كباراً ، فأنت وهم أعلم ، فضحك عمر بن الخطاب  
رضى الله عنه قال : ( ولا تأتين بهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن )  
قالت : والله إن إتيان البهتان لقبيح ولبعض التجاوز أمثل ، قال : ( ولا  
تعصينى فى معروف ) قالت : ما جلسنا هذا المجلس ونحن نريد أن نعصيك .

فقال لعمر : ( بايعن ) واستغفر لمن رسول الله ﷺ .

وكان لا يمس النساء ولا يصالحهن ، ولا تمسه إلا امرأة أحلها الله تعالى له  
أو ذات محرم .

وقام إليه على رضى الله عنه ومفتاح السكبة فى يده فقال : يا رسول الله  
اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك ، فقال رسول الله ﷺ : ( أين  
عثمان بن طلحة ) ؟ فدعى له فقال : ( هاك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم بر  
ووفاء ) قال عثمان بن طلحة : كننا نفتح السكبة فى الجاهلية يوم الإثنين  
والخمس ، فأقبل النبى ﷺ يوماً يريد أن يدخل السكبة مع الناس فغلظت  
عليه ونلت منه ، وحلم عني ثم قال : ( يا عثمان أملك ستري هذا المفتاح يوماً  
بيدى أضعه حيث شئت ) فقلت له : لقد هلكك قریش يومئذ (٢) وذلت ،

(١) فى المصادر الأخرى : ( وهل ترى الحرة ) .

(٢) ( يومئذ ) ساقطة من الظاهرية .

فقال : ( بل عمرت وعزت يومئذ ) ، ودخل السكبة ووقعت كلبته منى موقعا ظننت يومئذ أن الأمر سيصير إلى ما قال .

فلما كان يوم الفتح قال لى : ( يا عثمان ائتني بالمفتاح ) ، فأتيته به ، فأخذه منى ودفنه إلى وقال : ( خذوها تالدة خالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم ، يا عثمان إن الله استأمنكم على بيته فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف ) قال عثمان : فلما وليت ناداني فرجعت إليه فقال : ( ألم يكن الذى قلت لك (١) ) قال : فذكرت قوله لى بمكة قبل الهجرة : ( لملك ستري هذا المفتاح يوماً بيدي أضعه حيث شئت ) قلت : بلى أشهد أنك رسول الله .

وقال العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه تناولت يومئذ لأخذ المفتاح فى رجال من بنى هاشم ، فدفنه رسول الله ﷺ إلى عثمان .

ودخل رسول الله ﷺ السكبة ومعه بلال فأمره أن يؤذن ، وأبو سفيان ابن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بغناء السكبة ، فلما أذن بلال قال عتاب : لقد أكرم الله أسيداً أن لا يكون سمع هذا فيسمع منه ما يغيظه ، فقال الحارث : أما والله لو أعلم أنه حق لا تبعته . فقال أبو سفيان : لا أقول شيئاً ، لو تكلمت لأخبرت هذه الحصباء .

فخرج عليهم النبي ﷺ فقال لهم : ( قد علمت الذى قلتم ) ثم ذكر ذلك لهم فقال الحارث وعتاب (٢) : نشهد أنك رسول الله ، والله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك .

وأحدثت الأنصار برسول الله ﷺ فقالوا أفيما بينهم : أترون رسول الله ﷺ إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها ؟ فالتفت إليهم وقال : ( ماذا قلتم ؟ )

(١) سقط من الظاهرية ( لك ) .

(٢) استعمل النبي صلى الله عليه وسلم عتاباً على مكة حين خروجه الى حنين فأقام للناس الحج ، وبقي عتاب أميراً على مكة ، وأفره الصديق عليها الى أن مات .

قالوا : لا شيء يا رسول الله ، فلم يزل بهم حتى أخبروه ، فقال النبي ﷺ :  
( معاذ الله ، المحيا يحياكم والمات ماتكم ) .

وذكر أن فضالة بن عمير بن الملوح أراد قتل النبي ﷺ وهو يطوف  
بالببيت عام الفتح ، فلما دنا منه قال رسول الله ﷺ : ( أفضالة ؟ ) قال : نعم  
فضالة يا رسول الله ، قال : ( ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ ) قال : لا شيء ،  
كنت أذكر الله تعالى ، فضحك النبي ﷺ ثم قال : ( استغفر الله ) ووضع  
يده على صدره فسكن قلبه ، قال فضالة : والله ما رفع<sup>(١)</sup> يده عن صدرى حتى  
ما خلق الله تعالى شيئاً أحب إلى منه ، فرجعت إلى أهلى فمرت بامرأة  
كنت أتحدث إليها فقالت : هلم إلى الحديث ، فقلت لا ، وانبت فضالة  
يقول :

قال هلم إلى الحديث فقلت لا يابى عليك الله والإسلام  
لو ما رأيت محمداً وقبيله بالفتح يوم<sup>(٢)</sup> تكسر الأصنام  
لرأيت دين الله أضحى بيناً والشرك يغشى وجهه الإظلام  
ثم بعث رسول الله ﷺ تميم بن أسد الخزاعى لجدد أنصاب الحرم<sup>(٣)</sup> ،  
ووقف رسول الله ﷺ بالحزورة<sup>(٤)</sup> فقال : ( إنك لخير أرض الله وأحب  
أرض الله إلى ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت ) .

(١) هكذا فى الاحمدية والروض الانف ، وفى الظاهرية ( وضع )  
عوض ( رفع ) .

(٢) فى الظاهرية ( بعد ) عوض ( يوم ) الواردة فى الاحمدية .

(٣) الانصاب من الحرم : حدوده ، وهى أعلام تنصب هناك لمعرفة ما على  
ما فى ( تاج العروس للسيد محمد مرتضى الحسينى الزبيدى رحمه الله ) والحديث  
خرجه الدارقطنى .

(٤) موضع يلى البيت الحرام ، وفيه كانت سوق مكة ، ودخل فى المسجد  
لما زيد فيه ، على ما فى ( معجم ما استعجم ) و ( الروض الانف ) .

وبث رسول الله ﷺ السرايا إلى الأصنام التي حول مكة فكسرها ،  
منها العزى ومناة وسواع وبوانة وذو الكفين<sup>(١)</sup> ، ونادى مناديه بمكة : من  
كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنماً إلا كسره

وبما قيل من الشعر يوم فتح مكة قول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

عفت ذات الأصابع فالجسواء إلى عذراء منزلها خلاء<sup>(٢)</sup>  
ديار من بني الحسحاس قفر تعفها الروامس والسماء<sup>(٣)</sup>  
وكانت لا يزال بها أنيس خلال مروجها نعم وشاء  
فدع هذا وامكن من لطيف يؤرقني إذا ذهب العشاء  
لشعشأ التي قد تيمته فليس لقلبه منها شفاء  
كأن خبيثة<sup>(٤)</sup> من بيت رأس<sup>(٥)</sup> يسكون مزاجها عسل وماء

(١) (العزى) : كانت شجرة بنخلة ، عندها وثن ، تعبد لها غطفان ، ففُطِحَ  
خالد بن الوليد الشجرة وهدم البيت وكسر الوثن .  
و ( مناة ) كان بسميف البحر ، تعبد له الانصار وأزد شنوءة وأكثر الازد .  
و ( سواع ) تعبد له بنو كنانة وهذيل ومزينة وعمر بن قيس عيلان .  
و ( ذو الكفين ) : كان لحزاعة ودوس ، كسره عمرو بن حمزة الدوسي .  
كما في ( جمرة الانساب لابن حزم ) وللإطلاع على ما ورد في ( بوانة ) راجع  
سنن أبي داود ومسند أحمد ومعجم البلدان .  
(٢) ذات الأصابع : موضع بالشام ، والجواء كذلك ، وهذراء : قرية  
عند دمشق .

(٣) يعني الرياح والمطر .

(٤) يعني الخمر . وفي معجم البلدان ( سبيثة ) عوض ( خبيثة ) .

(٥) بيت رأس : اسم لقريتين ، في كل واحدة منهما كروم كثيرة ، ينسب  
إليها الخمر ، أحدهما بالبيت المقدس . وقيل بيت رأس : كورة بالأردن ،  
والأخرى من نواحي حلب .

إذا ما الأشربات ذكرن يوماً فهن لطيب الراح الغداء  
 نوليها الملامة إن ألمانا<sup>(١)</sup> إذا ما كان مغث<sup>(٢)</sup> أو الحاء  
 ونشربها فتجعلنا<sup>(٣)</sup> ملوكاً وأسدأ ما ينهننا<sup>(٤)</sup> اللقاء  
 عدمنا خيلنا إن لم تروها تأثير النقع موعدها كداء<sup>(٥)</sup>  
 ينازعن<sup>(٦)</sup> الأعنة مصغيات<sup>(٧)</sup> على أكتافها الأسل<sup>(٨)</sup> الظماء  
 تظل جياننا متمطرات<sup>(٩)</sup> يلطمهن بالخمير النساء  
 فإما تعرضوا عنا اعتمرنا وكان الفتح وافكشف الغطاء

(١) ألام الرجل إذا أتى ما يلام عليه .

(٢) المغث : القتال والشر ، اللحاء : الملاحاة باللسان . والسكمة في الظاهرية  
 معرفة إلى ( مغثاف ) عوض ( مغث أو ) .

(٣) في معجم البلدان وديوان حصان : ( فتكرنا ) عوض ( فتجعلنا )  
 وقيل إن بعض هذه القصيدة قالها في الجاهلية ، وسيدنا حسان لم يشرب الخمر  
 منذ أسلم .

(٤) يعنى : ما يكفنا .

(٥) النقع : الغبار . وكداء : موضع الثنية التي في أصابها مقبرة مكة .

(٦) في ديوان حسان ( يبارين ) ومباراتها إياها أن يضجع الرجل رحمه ،  
 فكأن الفرس يركض ليسبق السهم .

(٧) في الظاهرية ( مصغيات ) وهو تصحيف . والمصغيات : الموائل  
 المنحرفات للطن .

(٨) الأسل : الرماح .

(٩) هكذا في ديوان حسان ، وفي النسختين ( متمطرات ) ومتمطرات :  
 أى خارجات من جمهور الخيل من سرعتها ، يقال : تمار الفرس أمام الخيل  
 إذا سبقتها خارجاً منها ، يقول : فاجأتهم الخيل تفرج النساء يلطنن نخود الخيل  
 يرددنها لترجع .

وإلا فاصبروا لجلاد يوم يعين الله فيه من يشاء  
 وجبريل رسول الله فينا وروح القدس ليس له كفاء  
 وقال الله قد أرسلت عبداً يقول الحق إن يقع البلاء  
 شهدت به فقوموا صدقوا فقالوا لا نقوم ولا نشاء  
 وقال الله قد يسرت (١) جنداً هم الأنصار عرضتها اللقاء (٢)  
 لنا في (٣) كل يوم من معد شتات (٤) أو قتال أو هجاء  
 فنحكم بالقوافي من هجانا ونضرب حين تختلط الدماء  
 ألا أبلغ أبا سفيان عنى مغلفة فقد برح الخفاء  
 بأن سيرفتا تركتك عبداً وعبد الدار سادتها الإمام  
 هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء  
 أتهموه ولست له بكفء فشركا لخديركا الفداء  
 عجوت مباركاً برأ حنيفاً أمين الله شيمته الوفاء  
 أمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء  
 فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء  
 لسانى صارم لا عيب فيه وبحرى لا تكدره الدلاء

وقال أنس بن زعيم يعتذر إلى رسول الله ﷺ بما قاله فيهم عمرو بن سالم  
 من أبيات :

(١) هكذا في النسختين وديوان حسان ، وفي الروض الأنف ( سيرت ) .

(٢) أى هم أقوياء على القتال .

(٣) في النسختين ( ليالى ) عوض ( لنا في ) المثبتة في ديوان حسان .

(٤) في ديوان حسان ( سباب ) وفي الظاهرية ( شتان ) وهو تصحيف .  
 واستعنت في التحقيق ببعض الشرح بديوان حسان تحقيق الدكتور سيد حنى  
 حسنين ، وبالروض الأنف للعلامة السبيلي .

وما حملت من ناقة فوق رحلها أبر وأوفى ذمة من محمد  
أحث على خير وأسبغ نائلا إذا راح كالسيف الصقيل المهند  
وأكسى لبرد الخال (١) قبل ابتذاله وأعطى لرأس السابق المتجرد  
تعلم رسول الله أنك مدركي وأن وعيداً منك كالأخذ باليد  
تعلم رسول الله أنك قادر على كل صرم متهمين ومنجد  
تعلم بأن الركب ركب عويمر هم الكاذبون المخلفون كل موعد  
ونبوا رسول الله أني هجوته فلا حملت سوطي إلى إذا يذني

(ذكر غزوة خالد بن الوليد بنى جذيمة)

وفي هذه السنة بعد الفتح كانت (غزاة خالد بن الوليد بنى جذيمة) وكان  
رسول الله ﷺ قد بعث السرايا (٢) بعد الفتح فيما حول مكة يدعون الناس  
إلى الله، ولم يأمرهم بقتال، وكان ممن بعث خالد بن الوليد، بعثه داعياً ولم يعثه  
مقاتلاً، فنزل على الغمصياء - ماء من مياه بنى جذيمة بن عامر بن عبد مناة  
ابن كنانة - وكانت جذيمة قد أصابت في الجاهلية عوف بن عبد عوف  
أبا عبد الرحمن بن عوف والفاكه بن المغيرة عم خالد، كانا أقبلتا من اليمن  
وأخذتا ما معهما .

فلما نزل خالد ذلك الماء أخذ بنو جذيمة السلاح، فقال خالد ضعوا السلاح

(١) الخال : من برود اليمن من رفيع الثياب، كما في حاشية النسخة الظاهرية .  
(٢) لولا هذه السرايا ما بالى اللصوص الهجوم على الاسلام واستباحة حماه .  
وكانت هذه السرايا تحمل معها كلام الله لتقرأ منه . . . وبعد أن كان أغلب  
المسكتبين في السرايا السابقة من المهاجرين أخذت البعثات الخارجة تتألف من  
المهاجرين والأنصار . ( أنظر فقه السنة للاستاذ الشيخ محمد الغزالي ) وكان أعداء  
الاسلام المحيطون به متحذرين ضده متناصرين للقضاء عليه ( أنظر كتاب النبي  
والسياسة الدولية للاستاذ الدكتور مصطفى كمال وصفي ) .

( ٤٠ - أول عيون التواريخ )

فإن الناس قد أسلموا ، فوضعوا السلاح ، فأمر بهم خالد عند ذلك فكتفوا ثم هرضهم على السيف فقتل من قتل منهم .

فلما انتهى الخبر إلى النبي ﷺ رفع يديه إلى السماء ثم قال : ( اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد (١) ) ثم أرسل علياً رضي الله عنه ومعه مال ، وأمره

(١) يقول الأستاذ الجليل الشيخ صادق إبراهيم عرجون في مؤلفه ( خالد ابن الوليد ) :

تختلف الروايات في هذه الواقعة كعهدنا بها في كبريات الحوادث ، وهذا الاختلاف من أقوى الأسباب التي تحملنا على التوقف في التسليم بهذه الروايات المتضاربة وعلى أن نعهد إلى الموازنة بينها واستنباط ما نطمئن إليه . ( وبعد أن أورد الرواية التي هنا قال ) : يرى الذين يأخذون بهذه الرواية أن حل السلاح في وجه المسلمين عذر قوي لخالد فيما صنع بالقوم . وحاشا أن تكون براءة النبي صلى الله عليه وسلم مما صنع خالد من أجل أن قوماً مؤمنين اعتدى عليهم قائده فقتل بعضهم مراغبة ثم لا يقتص منه ولا يعزله عن الإمارة .

وأما المال الذي دفع لهم على يد علي فليس فيه رائحة القصاص ، وإنما هو من قبيل الترضية والاحتياط وتعويض من بقي منهم مؤمناً . وخالد ظلت مكانته عند رسول الله هي مكانته التي أحبطها الله من قلبه . ويستحيل على مقام النبوة أن يرفع مكانة رجل قد وقع منه بعض ما تزعم الروايات الزائفة . والرواية التي نعهد عليها هي ما روى الإمام البخاري وبعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى بني جذيمة ، فدعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا ( أسلمنا ) فجعلوا يتولون ( صباناً صباناً ) فجعل خالد يقتل ويأمر . . . . وهذا صريح في أن خالد لم يبدأ القوم بقتال ولا أظهر لهم نية في القتال ، بل دعاهم إلى الإسلام . وفهم خالد أن ذلك كان تقيية منهم ، واستبعد أن لا يحسنوا التعبير عن إسلامهم بعنوانه وهي كلمة التوحيد .

قال الشيخ ابن تيمية : لم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا ، فقالوا صباناً ، فلم يقبل منهم وقال : إن هذا ليس بإسلام ، فقتلهم ولم يكن في الفقه والدين بمنزلة غيره نظري عليه حكم هذه القضية .



أن ينظر في أمرهم ، فودى لهم الدماء والأموال ، حتى إنه ليدى ميلاغة الكلب (١) وبقي معه من المال فضلة فقال لهم على : هل بقي لكم مال أو دم لم يود ؟ قالوا : لا ، قال فإني أعطيك هذه البقية احتياطاً لرسول الله ﷺ ، ففعل ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره فقال : ( أصبت وأحسنت ) .

وقيل إن خالداً اعتذر وقال : إن عبد الله بن حذافة السهمي أمره بذلك من رسول الله ﷺ ، وكان بين خالد وعبد الرحمن بن عوف كلام في ذلك ، فقال له عبد الرحمن : عملت بأمر الجاهلية في الإسلام ، فقال خالد : إنما تأرت بأبيك ، فقال عبد الرحمن : كذبت قد قتلت أنا قاتل أبي ، إنما تأرت بعمك الفاكه ، حتى كان بينهما شيء (٢) فبلغ رسول الله ﷺ فقال : ( مهلاً يا خالد دع عنك أصحابي ، فوالله لو كان لك أحد ذهباً ثم أنفقته في سبيل الله ما أدركت غدوة أحدم ولا روحته ) .

قال عبد الله بن أبي حذرد الأسلمي : كنت يومئذ في جند خالد ، فبعثنا في أثر ظعن<sup>٣</sup> مصعدة يسوق بهن فتية ، فقال : أدركوا أولئك ، فخرجنا في أثرهم ، حتى إذا أدركناهم مضوا ، ووقف لنا غلام شاب على الطريق ، فلما انتهينا إليه جعل يقاتلنا ويقول :

لرفعن أطراف الذبول وارتعن مشى حسيات كأن لم يفزهن  
إن تمنع اليوم نساء تمنعن

(١) هي الإماء الذي يبلغ فيه الكلب

(٢) في بعض المصادر ( شر ) عوض ( شيء ) .

(٣) الظعينة : الهودج ، فيه امرأة أولاً ، وقد يكنى عن المرأة بالظعينة وإن لم تكن في الهودج ، على ما في ( بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي رحمه الله ) .

فقاتلنا طويلا فقتلناه، ومضينا حتى لحقنا الظمن ، فخرج إلينا غلام كأنه  
الاول ، فجعل يقاتلنا ويقول :

أقسم ما إن خادر ذو لبسده يرزم بين أثلة (١) ووهده  
يفرس شبان الرجال وحده بأصدق الغداة مني نجده (٢)

فقاتلناه حتى قتلناه ، وأدركنا الظمن فأخذناه ، فإذا فيه غلام وضى  
الوجه ، به صفرة كالمنهوك ، فربطناه بحبل وقدمناه لنقتله (٣) فقال لنا : هل  
لكم في خير ؟ قلنا : ما هو ؟ قال : تدركون بي الظمن في أسفل الوادي ثم  
تقتلونني ، قلنا : نفعل ، فعارضنا الظمن ، فلما كان بحيث يسمعون الصوت نادى  
يأعلى صوته : إسلامي حبيش فقد نفذ (٤) العيش ، فأقبلت عليه جارية بيضاء  
حسناء وقالت : وأنت فاسلم على كثرة الأعداء وشدة البلاء ، قال : سلام عليك  
دهرا وإن بقيت (٥) عصرا ، قالت : وأنت سلام عليك عشرا وشفعا ووترا  
وثلاثا ترى ، فقال :

فإن يقتلونني يا حبيش فلم يدع هواك لهم مني سوى غلة الصدر  
فأنت التي أخليت لحمي من دمي وعظمي وأسبلت الدموع على نحري  
فأجابته تقول :

ونحن بسكيننا من فراقك مرة وأخرى وواسينناك في العسر واليسر

(١) في نهاية الأرب ١٧ / ٣٢٠ (أيكة) عوض (أثلة) .

(٢) في الظاهرية (تحدة) وهو تصحيف .

(٣) (لنقتله) ساقطة من الظاهرية ، فاستدركتها من الاحدية وغيرها .

(٤) مصحف في النسختين . فصححته من نهاية الأرب والروض الأنف .

(٥) في النسختين (بقيتم) والمثبت هو من (نهاية الأرب للنويزي ١٧ / ٣٢٠)

ومن (الكامل لابن الأثير المؤرخ) .

وأنت فلا تبعد فيهم قى الهوى جميل العفاف والمودة في ستر  
وقال :

أريتك إن طالبتكم فوجدتكم بحلية<sup>(١)</sup> أو الفيتسكم بالخوائق<sup>(٢)</sup>  
ألم اك أهلا<sup>(٣)</sup> أن ينول عاشق تكلف إدلاج<sup>(٤)</sup> السرى في الودائق<sup>(٥)</sup>  
فلا ذنب لي قد قلت إذ نحن جيرة<sup>(٦)</sup> أنبي بود قبل إحدى الصفائق<sup>(٧)</sup>  
أنبي بود قبل أن تشحط النوى وينأى الأمير<sup>(٨)</sup> بالحبيب للمفارق  
فإني لا سر لدى أذعته ولا منظر مذ غبت عنى برائق  
على أن ما ناب المشيرة شاغل ولا ذكر إلا ذكر هيمان وامق  
فقدموه فضر بوا عنقه<sup>(٩)</sup> ، فجاءت المرأة فوقعت عليه فشمقت شهقة أو

(١) موضع .

(٢) موضع في تهامة .

(٣) في نهاية الأرب للنويرى وتاريخ ابن الأثير ( ألم يك حقا ) .

(٤) في الظاهرية ( ادراج ) والتصحيح من الاحمدية ونهاية الأرب  
والروض الأنف .

(٥) شدة الحر .

(٦) هذا ما في النسختين ، ومثله في نهاية الأرب للنويرى ، وفي الروض  
الأنف ( إذ أهلنا معا ) وكذلك في عيون الأثر .

(٧) يعنى : الخطوب . وفي الأغاني ( البرائق ) .

(٨) هكذا في النسختين ، ومثله في عيون الأثر والروض الأنف . وفي نهاية  
الأرب للنويرى ( وينأى الخليط ) .

(٩) هؤلاء فتيان في ظعن يسوقون بهن ، وهم يرون الموت يلاحظهم  
فلا يذكرون كلمة الإسلام لينجوا بها من القتل ، بل إن أحدهم ليرضى بالموت  
قرير العين بعد حديث في الهوى والهيام ، كما في كتاب ( خالد بن الوليد للأستاذ  
الشيخ محمد صادق هرجون ) .

شبهتين ثم ماتت ، فلما قدموا على رسول الله ﷺ أخبروه الخبر فقال  
رسول الله ﷺ : ( أما كان فيكم رجل رحيم ) .

وهذا الشعر لعبد الله بن علقمة السكناني .

وكان من حديثه مع حبيشة بنت حييش السكنانية : أنه خرج مع أمه - وهو  
غلام نحو المحتلم - لتزور جارة لها ، وكانت لها ابنة اسمها حبيشة ، فلما رآها  
عبد الله هويها ووقعت في نفسه ، وأقامت أمه عند جارتها ، وعاد عبد الله إلى  
أهله ، ثم عاد لياخذ أمه فوجد حبيشة قد تزيت لأمر كان في الحى ، فزادها  
عجبا وانصرفت أمه فمضى معها وهو يقول :

وما أدري بلى إني لأدري أصوب القطر أحسن أم حبيش  
حبيشة والذي خلق الهدايا وما إن عندها للصب عيش (١)

فسمعت أمه فتعافلت عنه ، ثم إنه رأى ظيياً على ربوة فقال :

يا أمنا خبريني غير كاذبة وما يريد مسول الحق بالكذب  
أنتك أحسن أم ظي براية لابل حبيشة في عيني وفي أدبي

فزجرته أمه وقالت : ما أنت وهذا ؟ وأنا مزوجتك ابنة عمك ، فهي أجمل  
من تلك وأنت امرأة عمه فأخبرتها الخبر وقالت : زيني ابنتك له ، ففعلت  
وأدخلتها عليه ، فأطرق ، فقالت له أمه : أيهما أحسن فقال :

إذا غُيبت عني حبيشة مرة من الدهر لم أملك عزاء ولا صبرا  
كأن الحشا حر السعير يحشه (٢) وقود الغضى والقلب مضطرم جمر

(١) في الأغاني (وما عن بعدها للصب عيش) .

(٢) مصحفة في النسختين ، فصحتها من ( نهاية الأرب للنويري )

يحشه : يوقده .

وجعل يرسل الجارية وتراسله ، فعلمته كما علمها وكثر قوله الشعر فيها ،  
فن ذلك قوله :

حبشة هل جدى وجدك (١) جامع بشلحكم شملى وأهلـكم أهلى  
وهل أنا ملتف بثوبك مرة بصحراء بين الأثنتين (٢) إلى النخل

فلما علم أهلها خبرهما حجبوا عنه ، فازداد غرامه ، فقالوا لها : عديهِ  
السرحة ، فإذا أتاك فقولى له : نشدتك الله إن أحببته فواته ما على الأرض  
أبغض إلى منك ، ونحن قريب نسمع ما تقولين ، فوعده ، وجلسوا قريباً  
يسمعون ، فأقبل لموعدها ، فلما دنا منها دمعت عينها وانفتحت إلى حيث أهلها  
جلوس ، فعرف أنهم قريب ، فرجع وبلغه الحال فقال :

فإن قلت ما قالوا القزد تنى جوى على أنه لم يبق ستر ولا صبر  
ولم يك حبي عن نوال بذلته فيسلينى عنك التجنب والهجر  
وما أنسى الأشياء لأنسى دمعها ونظرتها حتى يغيبنى القبر

وبعث النبي ﷺ إثر ذلك خالد بن الوليد ، فكان منه ما تقدم ذكره .  
والله أعلم .

\* \* \*

( وفيها ) هدم خالد بن الوليد ( العزى (٣) ) ببطن نخلة وكان هذا

(١) في الظاهرية ( وجدى ووجدك )

(٢) في ( نهاية الأرب للنويرى ١٧ / ٢١٨ ) ( الايسكتين ) عوض ( الاثنتين ) .

(٣) هى أحدث من اللات ومناة ، وكانت أعظم الأصنام عند قريش ، وكانت  
قريش تخمسها بالإعظام ثم اللات ثم مناة ، على ما فى ( الأصنام لابن الكافى ) .

البيت<sup>(١)</sup> تعظمه قريش وكنانة ومضر كلها، وكان سدنتها بنى شيبان من بنى سليم  
حلفاء بنى هاشم، فلما سمع صاحبها بمسير خالد بن الوليد إليها علق عليها  
سيفه وقال :

أيا عُرْشُدَى شدة لا شَوَى لها<sup>(٢)</sup>      على خالد ألقى القيناع وشمري<sup>(٣)</sup>

فلما انتهى خالد إليها جعل السادن يقول : أعزى بعض غضباتك، فخرجت  
امرأة سوداء حبشية ناشرة شعرها مولولة، فقتلها خالد وكسر الصنم،  
وهدم البيت، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال ( تلك العزى  
لا تعبد أبداً<sup>(٤)</sup> ) .

(١) يعنى كعبتهم .

(٢) أى لا تشوى ولكن تقتل ، على ما فى ( لسان العرب لابن منظور  
رحمه الله ) .

(٣) فى ( الأصنام لابن هشام الكلبي ) :

أعزاء شدى شدة لا تسكننى      على خالد ألقى الخمار وشمري  
فإنك إلا تقتلى اليوم خالداً      تبوئى بدل حاجلا وتنصرى  
فقال خالد :

يا عز كفرانك لا سبجانك      لى رأيت الله قد أهانك

(٤) أتم الله على رسوله صلى الله عليه وسلم نعمة الفتح وتطهير البيت من  
الأصنام ، فليلاحقها انكسار الوثنية وتطهيرها أينما كانت :

أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبطل الإسلام الأول على بن أبى طالب أن  
يحطم ( هبل ) ويرى قريشاً أنها كانت فى عبادته من الخاطئين . ثم وجه  
رسول الله صلى الله عليه وسلم خالداً إلى ( العزى ) يحطمها ويحرق عار عبادتها  
عن قومه . فحطمها ورجع ببشرى الظفر باجداث جذر من جذور  
الوثنية المهينة .

وفيهما هدم عمرو بن العاص «سُواع»، وكان برهاطا (١) لهذيل، فلما كسر الصنم أسلم سادته (٢).

وفيهما هدم سعد (٣) بن زيد «مناة»، بالمششَل (٤).

( غزوة هوازن . وهى غزوة مُحَنِين (٥) )

قال ابن إسحاق : ولما سمعت هوازن برسول الله ﷺ وما فتح الله عليه من مكة جمع مالك بن عوف النصرى ، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها واجتمعت نصر وجُشَم كلها وسعد بن بكر وناس من بنى هلال .

وفى جشم مُدْرِيد بن الصنمة ، وهو شيخ كبير قد أتى عليه سبعون ومائة سنة ، ليس فيه شيء إلا التيمن برأيه ومعرفة بالحرب ، وكان شجاعاً مجرباً (٦) وأتى مع بنى مالك فارسهم سبيع بن الحارث بن مالك الملقب بذي الخمار وأخوه أحمر بن الحارث .

(١) فى الظاهرية ( مرهاطا ) والتصحيح من الاحدية ولسان العرب لابن منظور . وفى ( الاضنام لابن السكبي ) كان بأرض يقال لها رهاط من بطن نخلة .

(٢) وكانت سدنته بنى لحيان ( وهم من هذيل ) . كافى ( الاضنام لابن السكبي ) .

(٣) فى النسختين ( سعيد ) والصواب ( سعد بن زيد الأشهلي ) على ما فى الطبقات الكبرى لابن سعد وغيرها من المصادر .

(٤) كان منصوباً على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد بين المدينة ومكة كما فى كتاب ( الاضنام ) .

(٥) واد أجوف من أودية تهامة . كما فى ( موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان للحافظ الهيثمى ٤١٧ ) .

(٦) فى عيون الأثر : ( محرباً ) بكسر الميم ، أى كثير الحروب .

( ٤١ — أول عيون التواريخ )

وجامع أمر الناس إلى مالك بن عوف التنصري . فلما أجمع السير إلى رسول الله ﷺ حط مع الناس أموالهم ونساءهم وأبنائهم .

فلما نزلوا بأوطاس (١) اجتمع إليه الناس ، فبههم دريد بن الصمة فقال : بأى واد أنتم ؟ قالوا : بأوطاس ، قال : نعم بحال الخيل لا خزن ضرر ولا سهل كهنس (٢) مالى أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار (٣) الشاة ؟ قالوا : ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبنائهم ، قال : أين مالك ؟ قالوا : هذا مالك ، فدعى له مالك فقال : يا مالك إنك قد أصبحت رئيس قومك ، وإن هذا يوم كائن له بعده من الأيام ، مالى أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار (٤) الشاة ؟ قال : سقت مع الناس أموالهم ونساءهم وأبنائهم ، قال : ولم ؟ قال : أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقا تل عنهم ، فنفض دريد يده وقال : راعى ضأن والله (٥) ، وهل يرد المنهزم شيء ، إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فضحت فى أهلك ومالك .

ثم قال : ارفع أهلك ومالك إلا علياء بلادهم ، فقال مالك : والله لا أفعل إنك قد كبرت وخرفت ، ثم قال : يامعشر هوازن ، والله لتطيعننى أو لا تسكنن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري ، وكره أن يكون لدريد فيها ذكر ، فقال دريد : هذا يوم لم أشهده ولم يفتنى :

(١) واد فى ديار هوازن ، كما هو بين من السباق والسباق .

(٢) الحزن : خشونة فى الأرض . والدهس : ما لان من الأرض ، على .ا. فى ( بصائر ذوى التمييز للفيروز ابادى ) و ( النهاية لابن الاثير ) .

(٣) فى الظاهرية ( ثغال ) وفى الاحمدية ( ثغار ) وكلاهما خطأ .

(٤) فى النسختين ( ثغار ) وهو تصحيف .

(٥) يجهله بذلك ، على ما فى ( عيون الاثر ٢ / ١٩٩ ) .



يا ليتني فيها جذع . أُنخبُ فيها وأضع (١)  
أقود وطفاء (٢) الزرع كأنها شاة صدع

ولما بلغ رسول الله ﷺ خبر هوازن أجمع المسير إليهم ، وبلغه أن عند صفوان بن أمية أدراعاً وسلاحاً ، فأرسل إليه رسول الله ﷺ وهو يومئذ مشرك : ( أعرني سلاحك نلق فيه عدونا ) فقال له صفوان : أغصباً يا محمد ؟ قال : ( بل عارية مضمونة تؤديها إليك ) قال : ليس بهذا بأس ، فأعطاه مائة درع بما يصلحها من السلاح .

ثم سار النبي ﷺ ومعه ألفان من مسلمة الفتح مع عشرة آلاف من أصحابه فكانوا اثني عشر ألفاً ، فلما رأى رسول الله ﷺ كثرة من معه قال : ( لن تغلب من قلة ) وذلك قوله تعالى : ﴿ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً ﴾ (٣) وقيل إنما قالها رجل من بكر .

واستعمل رسول الله ﷺ على من بمكة عتاب بن أسيد .

قال جابر : فلما استقبلنا وادى حنين انحدرنا في واد أجوف حطوط ، ننحدر

(١) الحجب والوضع : ضربان من السير ، يتمنى لو كان شاباً له حركة الشباب واندفاعهم ليظهر بلاءه في تلك الحرب ؛ كما في حاشية في ( الدرر في المغازي والسير لابن عبد البر رحمه الله ) .

(٢) في الظاهرية ( ونماء ) عوض ( وطفاء ) والتصحيح من ( عيون الأثر للحافظ ابن سيد الناس اليعمرى المصرى ٢ / ١٨٩ ) . والطفاء : الطسويلة الشعر . والزمع : الشعر الذى فوق مربوط قيد الدابة . والمراد بالشاة الوعل . وصدع : أى وعل بين الوعلين ، ليس بالعظيم ولا بالحقيير ، كما في ( شرح السيرة لأبي ذر الحاشي ) .

(٣) سورة التوبة ، الآية ٢٥ .

فيه انحداراً في عماية الصبح ، وكان القوم قد سبقوا إلى الوادي ، فكنوا لنا في شعابه ومضايقه ، قد تهيئوا وأعدوا ، فوالله ما راعنا ونحن منحطون إلا الكتائب قد شدت علينا شدة رجل واحد ، وانهمز الناس أجمعون لا يلوى أحد على أحد ، فأنحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين ثم قال : ( أيها الناس هلم إلى أنا رسول الله أنا محمد بن عبد الله <sup>(١)</sup> ) قال فلا شيء ، إحتملت الإبل بعضها بعضاً ، إلا أنه قد بقي مع رسول الله ﷺ نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته ، منهم : أبو بكر وعمر وعلي والعباس وابنه الفضل وأبو سفيان بن الحارث وربيعة بن الحارث وأيمن بن أم أيمن وأسامة بن زيد .

وكان رجل من هوازن على جمل له أحمر ، بيده راية سوداء أمام الناس ، فإذا أدرك رجلاً طعنه ، ثم رفع رايته لمن وراءه <sup>(٢)</sup> فاتبموه ، فحمل عليه على رضى الله عنه فقتله .

ولما انهزم الناس تكلم رجال من أهل مكة بما في أنفسهم من الضغن ، فقال أبو سفيان بن حرب : لا تلتهمى <sup>(٣)</sup> هزيمتهم دون البحر وإن الأزلام لمعه في كنفاته <sup>(٤)</sup> ، وصرخ جبلة بن حنبل : ألا بطل السحر اليوم ، فقال له صفوان أخوه لأمه وكان بعد مشركاً : اسكت فض الله فاك ، فوالله لأن

(١) في تاريخ الكامل لابن الأثير : ( قالها ثلاثاً ) .

(٢) سقط من الظاهرية ( لمن وراءه ) والاستدراك من الإحمدية ومن الأكتفاء . للكلاعي . وهكذا النص في النسختين . والذي في ( تاريخ الإسلام للذهبي — الجزء الأول ) : بيده راية سوداء أمام هوازن ، فإذا أدرك الناس طعن برمح ، وإذا فاته الناس رفع رمح لمن وراءه فيتموه . . .

(٣) في النسختين ( لا لشتهمى ) وهو تصحيف صحيحته من ( الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء للكلاعي رحمه الله ) .

(٤) في الإحمدية ( كتابيه ) وهو تصحيف صحيحته من الظاهرية والمصدر المذكور آنفاً .

يَرْبُئِي<sup>(١)</sup> رجل من قريش أحب إلى من أن يَرْبُئِي رجل من هوازن .

قال الواقدي : ثنا خالد بن الياس عن منصور بن عبد الرحمن الحجبي عن أبيه عن أمه قالوا : كان شديدة بن عثمان رجلاً صالحاً له فضل ، وكان يحدث عن إسلامه وما أراد الله به من الخير ويقول : ما رأيت أعجب مما كنا فيه من لزوم ما مضى عليه أبائنا من الضلال ، ثم يقول : لما كان عام الفتح ودخل رسول الله ﷺ مكة عنوة قلت : أسير مع قريش إلى هوازن بحنين فعسى أن اختلطوا أن أصيب من محمد غرة فأثار منه فأكون أنا الذي قتت بشأركريش كلها ، وأقول : لو لم يبق من العرب والعجم أحد إلا أتبع محمداً ما تبعته أبداً ، وكنت مرصداً لما خرجت له لا يزداد الأمر في نفسي إلا قوة .

فلما اختلط الناس اقتحم رسول الله ﷺ وأصلت السيف [ فدنوت أروم ما كنت أريد منه ورفعت السيف (٢) ] فرفع لي شهاب من نار كالبرق كادي محشني (٣) ، فوضعت يدي على بصرى خوفاً عليه ، والتفت إلى رسول الله ﷺ فناداني ( يا شديدة ادن ) فدنوت فمسح صدرى ثم قال ( اللهم أعذه من الشيطان ) فوالله لو كان ساعتئذ أحب إلى من نفسي وسمعي وبصري ، فأذهب الله ما كان في ، ثم قال ( ادن فقاتل (٤) ) فتقدمت أمامه أضرب بسيفي

(١) في النسختين ( لا تربئى ) والتصحيح من ( موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان للمحافظ الهيثمي ٤١٧ ) ويربئى : أى يكون على أميراً وسيداً مقدماً ، يقال : ربه يربه أى كان له رباء ، على ما في ( النهاية في غريب الحديث ) وفي حاشية عيون الأثر ( يسوسنى ) .

(٢) ما بين المعتقدين ساقط من الظاهرية ، فاستدركته من الاحمدية ومن ( عيون الأثر ١٩١ / ٢ ) .

(٣) أى يجرقنى .

(٤) في الظاهرية ( قال ) عوض ( فقاتل ) وهو وهم . وهنا في ( تاريخ الإسلام للمحافظ الذهبي - الجزء الأول ) : غريب جداً .

الله يعلم أني أحب أن أقيه بنفسى كل شيء (١) ، ولو لقيت تلك الساعة أنى لو كان حياً لأوقعت به السيف .

وجعلت الزمه فيمن لزمه حتى تراجع المسلمون ، فكروا كرة رجل واحد حتى تفرقوا في كل وجه ، ورجع إلى معسكره فدخل خبائه ، فدخلت عليه ، مادخل عليه غيرى حباً لرؤية وجهه وسروراً به ، فقال : (يا شيبه ، الذى أراد الله بك خيراً ما أردت بنفسك) ثم حدثني بكل ما أضمرت في نفسى مما كنت لم (٢) أذكره لأحد قط ، قال فقلت : فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله ثم قلت : استغفر لى ، فقال : ( غفر الله لك ) .

قال ابن إسحاق : وحدثني الزهرى عن كثير بن العباس عن أبيه العباس ابن عبد المطلب قال إني لمع رسول الله ﷺ آخذاً بلبجام بغلته البيضاء ، قد شجرتها به (٣) وكنت أمراً جسيماً شديد الصوت ، قال ورسول الله ﷺ يقول حين رأى ما رأى من الناس : (إلى أين أيها الناس ؟) قال فلم أر الناس يلوون على شيء ، فقال لى : (يا عباس اصرخ) (٤) : يا معشر الأنصار يا أصحاب السمررة فأجابوا : لبيك لبيك ، قال فيذهب الرجل لىثنى بعيره فلا يقدر على ذلك ، فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه ويأخذ سيفه ويسته ويقتحم عن بعيره ويخلى سبيله فيؤم الصوت حتى يلمتهى إلى رسول الله ﷺ .

(١) فى الظاهرية (وبكل شيء) . والمثبت هو من الأحادية ، وهو موافق لما فى (عيون الآثار ٢ / ١٩١) .

(٢) فى النسختين (مما لم كنت) وهو سهو .

(٣) أى ضربتها بلبجامها ، أكفها حتى فتحت فاهما ، والشجر : مفتاح الفم ، وقيل هو الذقن ، على ما فى (النهاية فى غريب الحديث لمحمد الدين بن الأثير رحمه الله) .

(٤) كان جبير الصوت جنداً .

حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة استقبلوا الناس فاقتتلوا، فكانت الدعوة أول ما كانت: (يا للأنصار) ثم خلصت أخيراً: (يا للخزرج) وكانوا صبراً عند الحرب، ثم أشرف رسول الله ﷺ في ركابه فنظر إلى مجتلد القوم وهم يجتلدون فقال: (الآن حمى الوطيس<sup>(١)</sup>) وقال:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

ثم أخذ حصاة فرمى بها وجه القوم ثم قال: (انزموا ورب محمد) قال فما هو إلا أن رماهم، فازلت أرى حدهم كليلاً وأمرهم مدبراً.

وكانت الهزيمة، فارجع الناس إلا والأسرى في الجبال عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقتل من بنى مالك وثقيف سبعون رجلاً، وقصد بعض المشركين الطائف ومعهم مالك بن عوف.

واتبعت خيل رسول الله ﷺ المشركين تقتلهم وتأسرهم فأدرك ربيع ابن ربيعة بن يربوع<sup>(٢)</sup> السلمي دُرَيْدُ بن الصمة وكان في شجار<sup>(٣)</sup> لكبره، فأناخ بعيره، فقال له دريد: ماذا تريد؟ قال: أقتلك، قال: ومن أنت؟ فانتسب له، ثم ضربه بسيفه فلم يغن شيئاً، فقال له دريد: بئسما سلحتك أمك، خذ سيفي فاضرب ثم ارفع عن [العظام واخفض عن<sup>(٤)</sup>] الدماغ فإني كذلك

(١) الوطيس: شبه التنور، وقيل هو الضراب في الحرب، عبر به من اشتباك الحرب وقيامها على ساق، على ما في (النهاية لابن الأثير).

(٢) هكذا في النسختين، وفي جوامع السيرة لابن حزم: (وأدرك ربيعة ابن رفيع بن أهبان بن ثعلبة بن ربيعة بن يربوع . .) ومثله في تاريخ الطبري، ومثله مختصراً في الدرر لابن عبد البر.

(٣) أي هرج.

(٤) ما بين المعقنين زوده من (تاريخ الطبري ٣ / ٧٩) ليستقيم النص.

كنت أقتل الرجال ، وإذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصبية  
فرب يوم منعت فيه نساءك ، فقتله ، ولما بلغ أمه قالت : والله لقد أعتق  
أمهات لك .

وأمر رسول الله ﷺ بجمع السبي والغنائم ، فجمع ذلك كله ، وخذروه  
إلى الجعرانة (١) ، ووقف بها إلى أن أنصرف رسول الله ﷺ من الطائف .

وكان السبي ستة آلاف رأس ، والإبل أربعة وعشرين ألفاً ، والغنم أكثر  
من أربعين ألف شاة ، وأربعة آلاف أوقية من الفضة ، فاستأفى (٢) رسول  
الله ﷺ بالسبي ، وبدأ بالأموال فقسمها .

وأعطى المؤلفة قلوبهم أول الناس : فأعطى أبا سفيان بن حرب أربعين  
أوقية ومائة من الإبل ، قال : ابنى يزيد ، قال : أعطوه أربعين أوقية ومائة  
من الإبل . قال : ابنى (٣) [ معاوية ، قال : أعطوه أربعين أوقية ومائة من  
الإبل ، وأعطى حكيم بن حزام مائة من الإبل ، وأعطى أسيد بن جارية  
الثقفي مائة من الإبل .

وأعطى العلاء (٤) بن جارية الثقفي خمسين بعيراً ، وأعطى مخرمة بن نوفل  
خمسين بعيراً ، وأعطى الحارث بن هشام مائة من الإبل ، وأعطى سعيد

(١) بتسكين العين وتخفيف الراء ، هكذا يقوله الحجازيون ، والعراقيون يقولونها  
بكسر الجيم والعين وتشديد الراء . وهي ماء بين الطائف ومكة ، وهي إلى مكة  
أدنى ، على ما في ( مجمع ما استعجم للبكري رحمه الله ) .

(٢) أى انتظر .

(٣) ما بين المعقنين ساقط من الظاهرية ، فاستدر كته من الاحمدية .

(٤) في النسختين ( أسيد ) عوض ( العلاء ) وهو سهو صحاحته من  
( تاريخ الطبري ٣ / ٩٠ ) .

ابن يربوع خمسين من الإبل، وأعطى صفوان بن أمية مائة من الإبل، وأعطى عيينة بن حصن مائة من الإبل، وأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل وأعطى العباس بن مرداس أباعر، فلم يرض، وقال :

أتجعل نهبي ونهب العبيد<sup>(١)</sup> بين عيينة والأقرع  
وقد كنت في الحرب ذاتدر<sup>(٢)</sup> فلم أعط شيئاً ولم أمنع<sup>(٣)</sup>  
إلا أفائل<sup>(٤)</sup> أعطيتها عديد قوائمها الأربع<sup>(٥)</sup>  
فما كان حصن ولا حابس<sup>(٦)</sup> يفوقان مرداس في الجمع  
وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع  
من أبيات، فأعطاه مائة من الإبل، وإعطاء ذلك كله كان من الخمس،  
وهو أثبت الأقاويل .

ثم أمر زيد بن ثابت بإحصاء الناس والغنائم، ثم فضها على الناس، فكانت سهامهم لكل رجل أربع من الإبل أو أربعون شاة، وإن كان فارساً أخذ اثنتي عشرة من الإبل أو عشرين ومائة شاة .

وحينئذ تكلمت الأنصار فقالوا : أما عند القتال فنحن، وحينئذ قام

(١) العبيد : اسم فرسه، كما في حاشيتي المراجع المشهورة .  
(٢) أي شجاعة، وفي للظاهرية (إدرة) والتصحيح من (الدر في انغازي  
والسير ٢٤٧) .  
(٣) سقط هذا البيت من اللاحدية .

(٤) جمع أفيل وهو البعير الصغير، وفي اللسختين (أفائد) والتصحيح من  
(الدر لابن عبد البر) .

(٥) هذا البيت ساقط من اللاحدية .

(٦) في اللاحدية ( ثابت ) عوض ( حابس ) وهو سهو .

( ٤٢ - أول عيون التواريخ )

ذو الخويصرة فقال : اعدل فإنك لم تعدل<sup>(١)</sup> ، فقال النبي ﷺ : (ومن يعدل إذا لم أعدل) .

عن جابر قال : كان رسول الله ﷺ بالجعرانة وهو يقسم الغنائم والتبر وهو في حجر بلال ، فقام رجل فقال : اعدل يا محمد فإنك لم تعدل ، فقال عمر : دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق ، فقال رسول الله ﷺ : (إن هذا في أصحاب له يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ) وهذا الرجل يعرف بذي الخويصرة التميمي (٢) .

وأتى سعد بن عباد رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إن هذا الحى من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفىء الذى أصيب قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب ، ولم يكن في هذا الحى من الأنصار منها شيء ، قال : ( فأين أنت من ذلك يا سعد ) فقال سعد : يا رسول الله ما أنا إلا من قومي ، قال : ( فاجمعلى قومك في هذه الحظيرة (٣) ) فلما اجتمعوا أتى سعد فقال : قد اجتمع لك هذا الحى من الأنصار .

فأتاهم رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : ( يا معشر الأنصار بلغنى عنكم وجدة وجدتموها في أنفسكم ، ألم آتكم ضللاً فهداكم الله ، وعالة فأغناكم الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم ) قالوا

(١) كان صلى الله عليه وسلم مفطوراً على العدل منذ طفولته ، فقد كان يأخذ ثدياً واحداً وهو يرضع ، كان لا يقبل من حليلة إلا أحد الثديين ، فإذا عرضت عليه الثدي الآخر ياباه ، كأنه ألهم أن معه شريكاً في لبنها ، على ما في ( قصة المولد للشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله تعالى ) .

(٢) هو حرقوص بن زهير السعدي التميمي رئيس الخوارج .

(٣) في النسختين ( الحظيرة ) والتصحيح من ( الدرر في المغازي والسير ) .



بلى ، الله ورسوله أمنٌ وأفضل ، ثم قال : ( ألا تجيبونني يا معشر الأنصار ) ؟  
 قالوا : يا رسول الله بماذا نجيبك ، لله ورسوله المن والفضل ، قال : ( بلى  
 والله لو شئتم لقلتم - فلصدقتم وصدقتم - أتيتنا مكذبة بأفصدناك وغذولا  
 فنصرناك وطريداً فأويناك وعائلاً فواسيتناك ، أوجدتم يا معشر الأنصار في  
 الجماعة (١) من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا وولكنكم إلى إسلامكم ، ألا ترضون  
 يا معشر الأنصار أن يذهب للناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى  
 رحالكم ، فالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ،  
 ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار ،  
 اللهم ارحم الأنصار (٢) وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار ) قال فبكى القوم  
 حتى اخضلت لحاهم وقالوا : رضينا يا رسول الله بك (٣) قسماً وحظاً . ثم  
 انصرف رسول الله ﷺ ، وتفرقوا (٤) .

وقدمت ( الشجاء بنت الحارث ) بن عبد العزى أخت رسول الله ﷺ  
 من الرضاعة فقالت يا رسول الله : إني أختك ، قال : ( وما علامة ذلك ) ؟

(١) في النسختين ( لغافة ) وهو تصحيف . واللماعة - بالضم - نبت  
 ناعم في أول ما ينبت ، يعنى أن الدنيا كالنبات الاخضر قليل البقاء ، على ما في  
 ( النهاية للمحدث ابن الاثير ) .

(٢) الأنصار مثل فريدة للرجال الذين تقوم بهم الرسالات العظمى . . .  
 ولا ريب أن أولئك المتجردين لله سوف يلقون جزاءهم الآوفي ، وإن شأن  
 الدنيا أنزل قدراً من أن يأسى عليه رجل العقيدة . على ما في ( فقه السيرة  
 للأستاذ محمد الغزالي ) .

(٣) سقط من النسختين ( بك ) فاستدركتها من ( الطبقات الكبرى  
 لابن سعد ) .

(٤) روى الإمام البخاري هذا الحديث بروايات شتى في ( باب غزوة  
 الطائف ) . ورواه الإمام أحمد في المسند ورواه غيره .

قالت عضه عضضتليها في ظهري وأنا متوركتك ، قال فعرف رسول الله ﷺ العلامة ، فبسط لها رداه وأجلسها عليه وخيرها وقال :

[ إن أحبت فعندي محبة مكرمة وإن<sup>(١)</sup> ] أحبت أمتك وترجعى إلى قومك فعلت . قالت : بل تمتعني وتردني إلى قومي ، ففعل فرجعت بنو سعد أنه أعطاهم غلاماً له يقال له مكحول وجارية ، فزوجت إحداهما الآخر فلم يزل فيهم من نسلهم بقية ، ثم أعطاهم نعماً وشاء .

قال : وقدم ( وفد هوازن<sup>(٢)</sup> ) على رسول الله ﷺ وهم أربعة عشر رجلاً ، ورأسهم زهير بن صرد ، وفيهم أبو برقان عم رسول الله ﷺ من الرضاعة ، فسألوه أن يمن عليهم بالسبي ، فقال : ( أبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم ) ؟ قالوا : ما كنا نعدل بالأحساب شيئاً .

فقال : ( أما مالي ولبنى عبد المطلب فهو لكم ، وسأسأل لكم الناس ) فقال المهاجرون والأنصار : ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : ( إن هؤلاء القوم جاءوا مسلمين وقد كنت استأذنت سيدهم وقد خيرتهم فلم يعدلوا بالأبناء والنساء شيئاً ، فمن كان عنده منهن شيء فطابت نفسه بأن يرده فسيب ذلك ، ومن أبى فليرد عليهم ، وليسكن ذلك قرصاً علينا نعطيهم من أول ما يفي الله علينا ) قالوا : رضينا وسلمنا ، فردوا عليهم نساءهم وأبناءهم ولم يتخلف منهم أحد ، وكان رسول الله ﷺ قد كسا السبي قبضية قبضية<sup>(٣)</sup> .

(١) ما بين المعتقين ساقط من الظاهرية ، فاستدر كته من الاحدية ومن المصادر المشهورة .

(٢) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح .

(٣) التقبضية : الثوب من ثياب مصر ، رقيقة بيضاء ، وكأنه منسوب إلى التقبض . وضم القاف من تغيير النسب ، وهذا في الثياب ، فأما في الناس فتقبضى بالكسر . على ما في ( النهاية لابن الأثير ) .

## ( ذكر غزوة الطائف )

لما قدم المنهزمون من ثقيف ومن انضم إليهم من غيرهم إلى الطائف أغلقوا عليهم مدينتهم واستحصنوا ، وجمعوا ما يحتاجون إليه ، فسار إليهم رسول الله ﷺ وحصروهم نيفاً وعشرين يوماً ، ونصب عليهم منجنيقاً (١) أشار به سلمان الفارسي ، وقاتلهم قتالاً شديداً ، ودخل نفر من المسلمين تحت دبابته (٢) عملوها وزحفوا بها إلى جدار الطائف ، فرماهم من بالطائف بالنبل فقتلوا رجلاً ، فأمر رسول الله ﷺ بقطع أعناب ثقيف فقطعت .

ونزل إلى رسول الله ﷺ نفر من رقيق الطائف فاعتقهم ، منهم : أبو يسكرة نفيج بن الحارث مولى الحارث بن كلدة ، وإنما قيل له ( أبو بكرة ) ببكرة نزل فيها ، وغيره .

فلما أسلم أهل الطائف تكلم سادات أولئك العبيد في أن يردهم رسول الله ﷺ إلى رقهم ، فقال : ( لا أفعل ، أولئك عتقاء الله تعالى ) واستشار رسول الله ﷺ

(١) المنجنيق أنواع لرمي السهام التي توضع في المنجنيق ، وترى عنها بالاقواس إلى مسافات بعيدة وقوة خارقة ، وثانية لرمي الحجارة حتى تهدم الحصون ، وثالثة لرمي قدور النفط والسكرات المشتعلة ، كما في ( كتاب عتبة بن نافع القرني للواء الركن محمود شيت خطاب ) .

(٢) من آلات الحرب ، يدخل فيها الرجال فيدبون بها إلى الأسوار ليشقعوها وهي شبه برج متحرك ، له أحياناً أربع طبقات : الأولى من الخشب ، والثانية من الرصاص ، والثالثة من الحديد ، والرابعة من النحاس الأصفر ويصعد إلى طبقات الدبابات الجنود لتقب الحصون وتساق الأسوار ، وكانت الدبابات تسبق المشاة حتى تقترب إلى مسافات قصيرة من مواقع العدو أو حصونه . وهناك تعمل هملاً في قذف الحجارة أو كرات النار المشتعلة أو النبال ، على ما في المصدر المذكور آنفاً .

صل الله عليه وسلم نوفل بن معاوية الديلي في المقام على الطائف ، فقال :  
يا رسول الله : الطائف ثعلب في جحر ، إن أقت عليه أخذته ، وإن تركته لم  
يضرك ، فأذن بالرحيل ، فلما رحل الناس قال رجل : يا رسول الله أدع على  
ثقيف ، فقال : ( اللهم اهد ثقيفاً وأت بهم ) .

وسأل عن مالك بن عوف النصري ، فقيل إنه بالطائف ، فقال : ( أخبروه  
إن أتاني مسلماً رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة بعير ) فأخبر مالك بذلك  
فخرج من الطائف سراً ولحق برسول الله ﷺ ، فأسلم وحسن إسلامه ،  
فاستعمله رسول الله ﷺ على قومه وعلى من أسلم من تلك القبائل التي حول  
الطائف ، وأعطاه أهله وماله ومائة بعير .

وعاد رسول الله ﷺ إلى المدينة في ذي القعدة أو في ذي الحجة (١) .

وفيها ولدت مارية القبطية ( إبراهيم ابن رسول الله ﷺ ) في ذي الحجة  
فدفعه إلى أم بردة (٢) بنت المنذر الأنصارية وزوجها البراء بن أوس الأنصاري  
وكانت قابلهما سلمى مولاة رسول الله ﷺ ، فأرسلت أبا رافع إلى رسول الله ﷺ  
يُبشّره بإبراهيم ، فذهب له مملوكا ، وغار نساء النبي ﷺ وعظم عليهن حين  
رزقت مارية منه الولد .

( وفيها ) بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن عمير إلى ذات

(١) ولم يعط ثقيف على شركها ، فامسى إلا أشهر قلائل حتى أرسلوا  
وفداهم إلى المدينة يخبر النبي صلى الله عليه وسلم برغبتهم في الإسلام وانفساخ  
قلوبهم له . كما في ( فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي ) .

(٢) في الذخيتين ( أم برد ) وهو وهم صحبته من الطبقات الكبرى  
لابن سعد .

أطلاح<sup>(١)</sup> من الشام ، فأصيب هو وأصحابه .

( وفيها ) بعث أيضاً عيينة بن حصن الفزاري إلى بني العنبر من تميم ، فأغار عليهم وسبي منهم نساءً .

( وفيها ) بعث رسول الله ﷺ الطفيل بن عمرو الدوسي إلى ( ذى الكفين<sup>(٢)</sup> ) صنم عمرو بن حمة الدوسي ، فخرج فهدم ذا الكفين ، وأسلم معه من قومه أربعةائة ، فوافى بهم رسول الله ﷺ .

( وفيها ) قدم عروة بن مسعود الثقفي على رسول الله ﷺ بعد انصرافه عن الطائف فأسلم ، ثم استأذن رسول الله ﷺ في الخروج إلى قومه ليدعوم إلى الإسلام فقال : ( لمنهم إذن قاتلوك ) قال : لانا أحب إليهم من أبكار أولادهم ، ثم استأذنه الثانية ثم الثالثة فقال : ( إن شئت فاخرج ) فخرج فسار إلى الطائف فقدم عشاءً فدخل منزله ، فجاءه قومه فحيوه بتحيةة الشرك ، فقال : عليكم بتحيةة أهل الجنة ( السلام ) ودعاهم إلى الإسلام ، فخرجوا من عنده يأترون به .

فلما طلع الفجر أوفى على غرفة له فأذن بالصلاة ، فخرجت ثقيف من كل ناحية ، فرماه رجل من بني مالك يقال له أوس بن عوف فأصاب أكله<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) في الظاهرية ( الحلال ) وفي الأحمدية ( الحلاج ) عوض ( أطلاح ) وهو سهو . ( ذات أطلاح ) موضع من وراء ذات القرى إلى المدينة ، كما في معجم البلدان .

( ٢ ) كان هذا الصنم لدوس ثم لبني منبج بن دوس ، كما في ( كتاب الأصنام لابن الكلبي ) وفي جمهرة الأنساب ٩٤ ( كان لخزاعة ودوس ) .

( ٣ ) الأكحل : عرق في اليد .

فلم يرقأ (١) دمه ، وقام غيلان بن سلمة وكنانة بن عبد ياليل والحكم بن عمرو ووجوه الأحلاف فلبسوا السلاح ، فلما رأى ذلك عروة قال : قد تصدقت بدمي على صاحبه لأصلح بذلك بينكم ، وهي كرامة أكرمني الله بها وشهادة ساقها إلى ، ادفعوني مع الشهداء الذي قتلوا مع رسول الله ﷺ ، ومات فدفنوه معهم ، وبلغ رسول الله ﷺ خبره فقال : ( قتله كقتل صاحب آيس دعا قومه إلى الله فقتلوه ) .

( ومن الحوادث في هذه السنة ) أن رسول الله ﷺ أراد طلاق سودة بنت زمعة (٢) فقالت : دعني أحشر في نسائك ، واجعل يومي اعائشة .

( وفيها ) غلا السعر ، فقال الناس يا رسول الله : لو سمرت لنا ، فقال : ( إن الله تعالى هو الخالق القابض الباسط الرازق المسعر ، وإني لأرجو أن ألقى الله عز وجل ولا يطلبني أحد بمظلمة ظلمتها إياهم في دم ولا مال ) .

( ذكر من توفي في هذه السنة )

من الأعيان

فيها توفي ( جعفر بن أبي طالب ) بن عبد المطلب ، أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم ، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية ومعه زوجته أسماء بنت عيسى ، فولدت له هناك عبد الله ومحمداً وعونا ، ولم يزل بالحبشة حتى قدم على رسول الله ﷺ وهو بخير ، فالتزمه رسول الله ﷺ وقبل ما بين عينية وقال : ( ما أدرى بأيهما أنا أفرح بقدوم جعفر أم بفتح خيبر ) وقال له :

(١) في النسختين ( يرق ) وهو سهو .

(٢) في ( السخط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين لمحِب الدين الطبري ) : عقد النبي صلى الله عليه وسلم على عائشة قبل سودة ، ودخل على سودة قبل عائشة رضي الله عنهما .

( أشبهت خلقي وخلقى ) : قتل جعفر بمؤنة كما ذكرنا ، وأمهل رسول الله ﷺ أهله ثلاثا وقال : ( لا تبكوا على أخى بعد اليوم ) وقال : إن له جناحين يطير بهما حيث شاء من الجنة ) .

وفيهما توفي ( زيد بن حارثة ) بن شراحيل بن كعب بن (١) عبد العزى ابن امرى القيس ، ويقال له ( زيد الحب ) وأمه سعدى بنت ثعلبة ابن عبد عامر ، زارت قومها وزيد معها ، فأغارت خيل لبنى القين فى الجاهلية فمروا على أبيات بنى معن ، فاحتملوا زيدا وهو يومئذ غلام يفعة (٢) ، فوافوا به بسوق عكاظ (٣) فعرضوه للبيع ، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد بأربعمائة درهم ، فلما تزوجها رسول الله ﷺ وهبته له . وكان أبوه حارثة حين فقده قال :

بكيت على زيد ولم أدرك ما فعل . أحى يرحى أم أتى دونه الأجل  
فوالله ما أدري وإن كنت سائلا أغالك سهل الأرض أم غالك الجبل  
فيا ليت شعري هل لك الدهر رجعة لحسبي من الدنيا رجوعك لى بجل (٤)  
تذكرنيه الشمس عند طلوعها وتعرض ذكره إذا قارب الطفل (٥)  
وإن هبت الأرواح هيحن ذكره فيأطول ما حزنى عليه ويا وجل

(١) ( كعب بن ) استدراك من الاستيعاب للحافظ ابن عبد البر .

(٢) ( إذا كاد الغلام يبلغ الحلم أو بلغه فهو يافع ، على ما فى ( فقه اللغة للشعالى ) . وفى الظاهرية ( نفقة ) وهو تصحيف .

(٣) فى الاستيعاب ( سوق حياثة ) عوض ( سوق عكاظ ) وهى سوق للعرب معروفة بناحية مكة ، وهى أكبر أسواق تهامة ، على ما فى معجم ما استعجم للبيكرى . ثم أورد ابن عبد البر فى سياق ترجمته لسيدنا زيد ما فى نصنا .

(٤) بجل بمعنى حسب ، على ما فى ( لسان العرب لابن منظور ) .

(٥) أى مساء عند غروب الشمس ، كما فى ( لسان العرب ) .

( ٤٣ — أول عيون الفوارىخ )

سأعمل نص العيس<sup>(١)</sup> في الأرض جاهدا ولا أسام التطواف أو تسام الإبل  
حياتي أو تأتي على منيتي فكل امرئ فان وإن غره الأمل  
وأوصى به قيساً وعمراً كلاهما وأوصى يزيداً ثم من بعده جبل

يعنى جبلة بن حارثة أخا زيد، ويزيد أخو زيد لأمه .

فخرج ناس من كعب فرأوا زيدا فمرفوه وعرفهم، فقال : أبلغوا أهلي هذه  
الآيات فإنني أعلم<sup>(٢)</sup> أنهم قد جزعوا علي :

أحن<sup>(٣)</sup> إلى قومي وإن كنت نائما فإنني قطين البيت عند المشاعر  
وكفوا عن الوجد الذي قد شجاكم ولا تعملوا في الأرض نص الأباعر  
فإنني بحمد الله في خير أسرة كرام معد كبرا بعد كابر

فانطلقوا فأعلموا أباه ، فخرج حارثة وكعب ابنا شراحيل بفدائه ، فقدموا  
مكة فسألا عن النبي ﷺ فقيل : هو في المسجد ، فدخلوا عليه فقالا : يا بن هاشم  
يا بن سيد قومه ، أنتم أهل حرم الله وجيرانه تفككون العاني وتطلقون الأسير  
جثناك في ابنتنا عندك ، فامن علينا وأحسن إلينا في فدائه ، فإننا سندفع لك  
الفداء ، قال ( ما هو ) ؟ قالوا زيد .

قال رسول الله ﷺ : ( فهلا غير ذلك ) قالوا : ما هو ؟ قال : ( ادعوه  
تغيروه فإن اختاركم فهو لكم بغير فداء ، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار

(١) أي الإبل البيض ، يخالط بياضها شقرة ، على ما في ( القاموس المحيط ) .  
(٢) سقط من الظاهرية ( فإنني أعلم ) فاستدركتها من الاحمدية  
والاستيعاب .

(٣) في النسختين ( الكفى ) عوض ( أحن ) والتصحيح من الاستيعاب  
والإصابة للحافظ ابن حجر .



على من اختارني أحدا) قالوا : قد أحسنت ، فدعاه فقال : ( هل تعرف هؤلاء ؟ ) قال : نعم هذا أبي وهذا عمي ، قال : ( وأنا من قد علمت ورأيت صحبتي لك ، فاخترني أو اخترهما ) فقال زيد : ما أنا بالذي أختار عليك أحدا ، أنت منى بمكان الأب والعم .

قالا : ويحك يا زيد أنتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك ؟ قال : نعم إني قد رأيت من هذا الرجل شيئا ما أنا بالذي أختار عليه أحدا أبدا ، فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك أخرجه إلى الحجر فقال : ( يا من حضر اشهدوا أن زيدا ابني يرثني وأرثه ) فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت أنفسهم وانصرفا ، فدعى ( زيد بن محمد ) حتى جاء الله تعالى بالإسلام وزوجه النبي ﷺ زينب بنت جحش ، فلما طلقها تزوجها النبي ﷺ ، فتكلم الناس في ذلك وقالوا : تزوج امرأة ابنه ، فنزل قوله تعالى ( ما كان محمد أبا أحد من رجالكم )<sup>(١)</sup> الآية فقال ( ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله )<sup>(٢)</sup> الآية فدعى يومئذ ( زيد بن حارثة ) .

وكان زيد رجلا قصيرا آدم شديد الأدمة ، في أنفه فطس .

قال الزهري : أول من أسلم زيد ، وشهد بدرأ وأحدا والخندق والحديبية وخيبر ، وخرج أميراً في سبع سرايا .

ولم يسم أحد من أصحاب النبي ﷺ في القرآن باسمه غيره . وكان له من الولد : زيد - هلك صغيرا - ورقية ، أمهما أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، وأسامة أمه أم أيمن حاضنة رسول الله ﷺ .

(١) سورة الاحزاب ، الآية ٤٠ .

(٢) سورة الاحزاب ، الآية ٥٠ .

وقيل زيد وهو ابن خمسين وخمسين سنة رحمه الله تعالى ورضي عنه .

وفيهما توفيت ( زينب بنت رسول الله ﷺ ) كانت أكبر بناته وأول من تزوج منهن ، تزوجها ابن خالتها أبو العاص بن الربيع قبل النبوة ، فولدت له علياً وأمامة ، وأسليت زينب وهاجرت ، ثم أسلم أبو العاص ، فردها إليه رسول الله ﷺ بنسكاح جديد ، وفي رواية بالنسكاح الأول . توفيت زينب في هذه السنة ، وغسلتها أم أيمن وسودة وأم سلمة رضي الله عنهن .

وفيهما توفي ( عبد الله بن رواحة ) بن ثعلبة ، شهد العقبة مع السبعين ، وهو أحد النقباء الإثني عشر ، وشهد بدرأً وأحداً والخندق والحديبية وخيبر وعمره القضاء ، قال عروة بن الزبير : ما رأيت ولا سمعت أسرع شعراً من عبد الله بن رواحة (١) ، كان رسول الله ﷺ يقول له : ( قل شعراً يقتضيه كذا وكذا ) فيلبث من ساعته ، أنشده يوماً من أبيات :

إني تفرست فيك الخير أعرفه والله يعلم أن ما خانني البصر  
أنت النبي ومن يحرم شفاعته يوم الحساب فقد أزرى به القدر  
فثبت الله ما آتاك من حسن تثبت موسى ونصرأ كالذي نصرأ

فقال رسول الله ﷺ : ( وأنت فثبتك الله يا بن رواحة ) . قال عروة (٢) : فثبتته الله تعالى أحسن الثبات ، فقتل شهيداً وفتحت له الجنة ودخلها رضي الله عنه (٣) .

(١) وفيه وفي صاحبيه حسان وكعب بن مالك نزلت (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً) .

(٢) في الاستيعاب للحافظ ابن عبد البر : (قال هشام بن عروة) .

(٣) هنا في حاشية الاحمدية (بلغ قراءة) .

## ﴿ السنة التاسعة من الهجرة ﴾

( ذكر إسلام كعب بن زهير )

خرج كعب بن زهير بن أبي سلمى - واسم أبي سلمى ربيعة المزني -  
ومعه أخوه بجير حتى أتيا أبرق العزاف (١) فقال له أخوه بجير : أنبت في  
غنمنا حتى أتى هذا الرجل ، يعني رسول الله ﷺ فأسمع منه ، فأقام كعب  
وسار بجير إلى رسول الله ﷺ فأسلم ، فلما بلغ كعباً إسلامه قال :

ألا أبلغا عنى بجيراً رسالة فهل لك فيما قلت ويحك هل لك  
فبين لنا إن كنت لست بفاعل (٢) على أى شيء غير ذلك دلنا  
على خلق لم تلف أما ولا أباً عليه ولم تدرك عليه أخاً لك  
فإن أنت لم تفعل فلست بأسف ولا قائل إما عثرت لماً لك (٣)  
سقاك بها المأمون كأساً روية فأنهلك المأمون منها وعاسك

فلما بلغ رسول الله ﷺ قوله قال ( صدق وإنه لكذوب أنا المأمون )  
وأهدر دمه ، فسكتب بجير إليه :

(١) في النسختين ( لإبراق العراق ) والتصحيح من ( تاريخ الإسلام - الجزء  
الأول ) ومن الكامل لابن الأثير .

(٢) هذه الشطرة ساقطة من النسخ فاستدركتها من ( طبقات الشافعية  
الكبرى ) .

(٣) كلمة يدعى بها للعائر ، معناها : الارتفاع والارتفاع ، وهي بمعنى  
( اسام ) ، على ما في لسان العرب والمواهب الفتحية للشيخ حمزة فتح الله ، وفي  
الظاهرية ( لعلك ) وهو وهم .

فمن مبلغ كعباً فهل لك في التي تلوم عليها باطلاً وهي أحزم  
إلى الله لا العزى ولا اللات وحده فتنجو إذا كان النجاء وقسم  
لدى يوم لا ينجو وليس بمقات من الناس إلا طاهر القلب مسلم  
فدين زهير وهو لا شيء دينه ودين أبي سلمي على محرم

وكتب إليه : النجاء النجاء ، وما أراك تفعل ، ثم كتب إليه : إذا أتاك  
كتابي هذا فأسلم ، وأقبل إليه فإنه لا يأخذ مع الإسلام بما سلف ، فأسلم  
كعب ، وجاء حتى أفاخ راحلته بباب المسجد ، ورسول الله ﷺ مع أصحابه  
قال كعب : فعرفته بالصفة ، فتخطيت الناس إليه فأسلمت ، وقلت : الأمان  
يا رسول الله ، هذا مقام العائذ بك ، قال : ( من أنت ؟ ) قلت : كعب  
ابن زهير ، قال : ( الذي يقول ) ثم التفت إلى أبي بكر فقال : كيف ؟ قال  
فأنشده أبو بكر الأبيات التي أولها :

ألا أبلغا عنى بجيراً رسالة

فقال كعب : ما هكذا قلت يا رسول الله ، إنما قلت :

سفاك أبو بكر بكأس روية وأنهلك المأمون منها وعلسكا

فقال رسول الله ﷺ : ( مأمون والله ) فتجهمت له (١) الأنصار وأغلظت  
له ، ولانت له قریش وأحبت إسلامه ، فأنشد قصيدته التي أولها :

بانت سعاد فقلبي اليوم مقبول متيم إثرها (٢) لم يفد مكبول (٣)

(١) في الأحمدية ( فتجهمت ) وكلاهما صحيح .

(٢) في الأحمدية ( عندها ) عوض ( إثرها ) .

(٣) في الأحمدية ( مقبول ) .

فلما انتهى فيها إلى قوله :

وقال كل خليل كنت آمله لا ألينك<sup>(١)</sup> إني عنك مشغول  
نبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول  
في فتية<sup>(٢)</sup> من قريش قال قائلهم بيطن مكة لما أسلبوا زولوا  
زالوا فما زال أنكاس ولا كُشِفَ عند اللقاء ولا ميل معازيل  
لا يقع<sup>(٣)</sup> الطعن إلا في نحورهم وما لهم عن حياض الموت تهليل  
يمشون مثل<sup>(٤)</sup> الجبال الزهر يعصمهم ضرب إذا عرد السود التنايل

يعرض بالأنصار لغلظتهم عليه ، فأنكرت قريش عليه وقالوا : لم تمدحنا  
إذ هجوتهم ، ولم يقبلوا ذلك منه ، وعظم على الأنصار هجوه وشكوه ،  
فقال يمدحهم :

من سره كرم الحياة فلم يزل في مقنب من صالحى الأنصار  
الباذلين نفوسهم ودماءهم يوم الهياج وسطوة الجبار  
يتطهرون كأنه نسك لهم بدماء من قتلوا من الكفار

في أبيات ، فكساه النبي ﷺ بردة كانت عليه ، فلما كان زمن معاوية  
أرسل إلى كعب أن بعنا بردة رسول الله ﷺ ، فقال : ما كنت لأوثر بثوب  
رسول الله ﷺ أحدا . فلما مات كعب اشتراها معاوية من أولاده

(١) في الأحمدية ( ألينك ) .

(٢) في طبعات الشافعية الكبرى ( في عصبية ) .

(٣) في الطبقات ( لا يقطع ) .

(٤) كذا في النسختين ، والرواية المشهورة ( يمشون مثى ) .

بعشرة آلاف درهم ، وهى البردة التى عند الخلفاء يتوارثونها (١) .

وقيل : إنما أمر رسول الله ﷺ بقتله وقطع لسانه لأنه كان يشجب بأمر هانىء بديت أنى طالب .

وقوله «سقاك بها المأمور» (٢) ، بالراء ، لأن العرب كانت تقول لكل من يتكلم بالشئ من تلقاء نفسه «مأمور» يريدون أن الذى يقوله يأمره به الجن ، وإن كان رسول الله ﷺ مأموراً من الله ولكنه كرهه لعادتهم ، فلما قال : ( المأمون ) بالنون رضى به لأنه مأمون على الوحي ﷺ .

### ( ذكر غزوة تبوك (٣) )

ولما عاد رسول الله ﷺ من الطائف أقام بالمدينة ما بين ذى الحجة إلى رجب ، ثم أمر الناس بالتجهز لغزو الروم ، وأعلم للناس بقصدهم لبعد الطريق وشدة الحر وقوة العدو ، وكان قبل ذلك إذا أراد غزوة ورئى بغيرها .

وكان سببها أن النبی ﷺ بلغه أن هرقل ملك الروم ومن عنده من متنصرة العرب قد عزموا على قصده ، فتجهز هو والمسلمون وساروا إلى الروم ، وكان

(١) يعنى العباسيين ، ومنهم انتقلت إلى مصر ، وحين فتح السلطان سام مصر نقلها إلى قصر طويقبو باصطنبول ، على ما فى ( كشف المذعرات بوصف الشعرات للأستاذ محمد الفاضل بن عاشور رحمه الله — ١١٢ من طبعة تونس ) وانظر ( كتاب الآثار النبوية للأستاذ أحمد باشا تيمور رحمه الله ) .

(٢) فى الظاهرية ( المأمون ) وهو خطأ ظاهر .

(٣) بينها وبين المدينة ٧١٨ كيلو ، على ما قاله الأستاذ الشيخ على الطنطاوى فى كتابه ( من نفحات الحرم ٢٠٣ ) .

وتعرف هذه الغزوة بغزوة العسرة وبالفاضحة ، كما فى ملخص ( الزهر الباسم فى سيرة أبى القاسم للعلامة مغلطای ) .

الحر شديداً والبلاد مجدبة، والناس في عسرة، وكانت الثمار قد طابت، وأحب الناس مقامهم في ثمارهم، فتجهزوا على كره.

وكان ذلك الجيش يسمى (جيش العسرة (١)).

وخلف على بن أبي طالب على أهله، وخلف على المدينة محمد بن مسلمة — وقيل سباع بن عرفة — وأمر بالنفقة في سبيل الله، فأنفق أهل الغنى: فأنفق أبو بكر رضى الله عنه جميع ما كان بقى عنده من ماله، وأنفق عثمان رضى الله عنه نفقة لم ينفق أحد أعظم منها، قيل: كانت ثلاثمائة بعير بأحاطها وألف دينار.

ثم إن رجالاً من المسلمين أنوا النبي ﷺ وهم (البكاؤون) وكانوا سبعة نفر من الأنصار وغيرهم، وكانوا أهل حاجة فاستحملوه، فقال: (لا أجد ما أحملكم عليه) فولوا يبكون، فلقى بهم يامين بن عمير بن كعب النضري (٢) فسألهم عما يبكيهم، فأعطى أبا ليلى عبد الرحمن بن كعب وعبد الله بن مغفل (٣) بعيراً، فكانا يعتقبانه مع رسول الله ﷺ، وجاء المذرون من الأعراب فاعتذروا إلى رسول الله ﷺ، فلم يعذرهم الله تعالى، وكان عدده نفر من المسلمين تخلفوا: منهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية

(١) لأن الجيش عانى مصاعب ثقيلة، وكانت الظروف التي اكتشفت لإعداده شديدة. والآيات التي نزلت متعلقة بغزوة العسرة هي أطول ما نزل في قتال بين المسلمين وخصومهم - على ما في (فقه السيرة للأستاذ الشيخ محمد الغزالي).

(٢) في الظاهرية (النظري) وفي الاحمدية (النظيري) عوض (النضري).

(٣) في المنسختين (معقل) وهو تصحيف.

(٤٤ — أول عيون التواريخ)

وأبو خيشمة (١) . فلما سار رسول الله ﷺ تخلف عنه عبد الله بن أبي ابن سلول (٢) المنافق فيمن تبعه من أهل النفاق .

ثم إن أبا خيشمة أقام أياماً ، فجاء يوماً إلى أهله ، وكان له امرأتان قد رشت كل واحدة منهما عريشها وبردت له ماءً وصنعت له طعاماً ، فلما رأى ذلك قال : يكون رسول الله ﷺ في الحر وأبو خيشمة في الظلال والماء البارد مقم ، ما هذا نصفة ، والله لا أدخل عريشاً منهما حتى ألحق برسول الله ﷺ فهبأ زاده وخرج إلى ناضحه (٣) فركبه . وطلب رسول الله ﷺ فأدركه بتبوك فقال الناس : يا رسول الله هذا راكب مقبل فقال رسول الله ﷺ : ( كن أبا خيشمة ) قالوا : هو والله أبو خيشمة ، وأتى رسول الله ﷺ فأخبره خبره ، فدعا له .

وكان رسول الله ﷺ حين مر بالحجر وهو بطريقه — وهو منزل ثمود — قال لأصحابه : ( لا تشربوا من هذا الماء شيئاً ولا تتوضؤوا منه ، وما كان من عجين فألقوه أو اعلفوه الإبل ولا تأكلوا منه شيئاً ، ولا يخرج أحد الليلة إلا مع صاحب له ) ففعل الناس ذلك ، ولم يخرج أحد غير رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لحاجته وخرج الآخر في طلب بغير له ، فأما الذي

(١) في الظاهرية هنا وفيما يستقبلنا ( أبو خيشمة ) وهو تصحيف .  
وأبو خيشمة هو مالك بن قيس السلمي ، على ما في ( نهاية الأرب للذويري رحمه الله ١٧ / ٢٥٤ ) .

(٢) يجب أن تكون ( ابن ) هكذا بالالف ، لأنه اشتهر بالنسبة إلى أمه مع أبيه للفرقة بينه وبين ابنه عبد الله بن عبد الله الذي كان من خيرة المسلمين وأحبههم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) الجمل الذي يستقي عليه .



خرج لحاجته فإنه أصابه جنون<sup>(١)</sup>، وأما الذي طلب بعيره فاحتملته الريح إلى جبل طاميء، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال: (ألم أنكم أن لا يخرج أحد إلا مع صاحب له) فأما الذي خنق فدعاه رسول الله ﷺ فشنى، وأما الذي حملته الريح فأهدته طيء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد عودته إلى المدينة<sup>(٢)</sup>.

وأصبح الناس بالحجر ولا ماء معهم، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ وقال أبو بكر: يا رسول الله إن الله تعالى قد عودك في الدعاء خيراً فادع الله لنا، فرفع يديه فلم يرجعهما حتى أرسل الله تعالى سحابة فأمطرت حتى روى الناس وملشوا ما معهم، وذهبوا ينظرون فلم يجدوها جاوزت العسكر.

وفي هذه السفرة اشتد بهم العطش، ومعهم إداوة فيها ماء، فصب رسول الله ﷺ منها في إفاء، ففاضت حتى روى العسكر وهم ثلاثون ألفاً، والإبل اثنا عشر ألفاً، والخيل عشرة آلاف فرس.

ووقف بأبي ذر جملة فتخلف عليه، فقيل: يا رسول الله تخلف أبو ذر، فقال: (دعوه فإن يكن فيه خير فسيلاحقه الله بكم) وكان يقولها لكل من تخلف، فوقف أبو ذر على جملة، فلما أبطأ عليه أخذ رحله عنه وحمله على ظهره وتبع رسول الله ﷺ ماشياً، فنظر الناس فقالوا: يا رسول الله هذا رجل على الطريق وحده، فقال رسول الله ﷺ: (كن أبا ذر) فلما تأمله

(١) كذا في النسختين. والذي في (نهاية الأرب ١٧ / ٣٥٨): فإنه خنق على مذهبه. وفي هامش نهاية الأرب: خنق: صرع والمذهب هنا هو الموضع الذي يقضى فيه المرة حاجته.

(٢) أورد الحافظ الذهبي في (الجزء الأول من تاريخ الإسلام) هذا الخبر مروياً عن ابن إسحاق ثم قال: هذا مرسل منكر.

الناس قالوا : هو أبو ذر ، فقال رسول الله ﷺ : (يرحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده وتشهده عصاة من المؤمنين) فلما نفي عثمان أبا ذر إلى الربرة<sup>(١)</sup> وأصابه فيها أجله ولم يكن معه إلا امرأته وغلّامه ،

(١) روى البخاري في صحيحه عن زيد بن وهب قال : « مررت بالربرة فإذا أنا بأبي ذر، قلت : ما أنزلك منزلك هذا ؟ قال : كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية في ﴿والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله﴾ فقال معاوية : نزلت في أهل الكتاب ، فقلت : نزلت فينا وفيهم ، وكان يفتي ويدينه في ذلك ... فكتب إلى عثمان يشكوني ، فكتب إلى عثمان : أن أقدم المدينة ، فقدمتها ، فكثرت على الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك ، فذكرت ذلك لعثمان ، فقال : إن شئت تنحيت فكنيت قريباً . فذاك الذي أنزلني هذا المنزل ، ولو أمروا على حبشياً سمعت وأطعت . والحديث يفيد أن عثمان رضى الله عنه كان أرفعى الحرمه أبي ذر وأعرف لمساكنه ، فهو لم يكتب إلى معاوية في شأن أبي ذر يأمره فيه بأمره ، ولم يكتب إليه بإشخاص أبي ذر على مركب وعر وسائل عنيف - كما زعم المنحرفون - بل الحديث صريح في أن عثمان باغ الغاية في توقير أبي ذر رضى الله عنه ، فهو قد كتب إلى أبي ذر مباشرة : أن أقدم إلى المدينة ، وشرح هذا ما روى عن قتادة : أن عثمان كتب إلى أبي ذر بعد شكايته معاوية (أقبل إلينا فنحن أرفعى لحقك ، وأحسن جواراً لك من معاوية) فقال أبو ذر : سمعاً وطاعة ، فقدم على عثمان .

والحديث يفيد كذلك أن عثمان لم يخرج أبا ذر إلى الربرة عقوبة ونقياً ، وإنما استأذن أبو ذر الإمام الأعظم إذ كثر عليه الناس يسألونه في قدومه من الشام بنقش الفتنة ، فأذن له الإمام أن يكون قريباً ، فاختار هذا المكان بنفسه ، وقد قال له عثمان - كما رواه محمد بن سيرين - أقم عندي تغدو<sup>(١)</sup> عليك اللقاح وتروح فقال : لا حاجة لي في الدنيا ، فأذن له في الخروج .

(١) مكذا بالواو فهو مرفوع ، والجزم في جواب الأمر ليس واجباً .

فأوصاهما أن يغسلاه ويكفناه ثم يضعاه على الطريق فأول ركب يمر بهما يستعينا به على دفنه ، ففعلا ذلك فاجتاز بهم عبد الله بن مسعود في رهط من أهل العراق ، فأعلمته امرأة أبي ذر بموته ، فبكى ابن مسعود وقال : صدق رسول الله ﷺ ، ثم واروه (١).

== والمتأمل في الحديث يشعر بالإخلاص الصادق يملأ نفس أبي ذر ، إذ يرى الناس يتكاثرون عليه ، يسألونه عن سبب قدومه من الشام ، وهو يعلم استعداد الغزاة وسرعة انقيادهم لشیطان الفتنة ، فأبى أن يقيم بينهم .

وروى أن أبا ذر لما دخل على عثمان قال له : ما لأهل الشام يشكون ذرب لسانك ؟ فقال : لأنه لا ينبغي أن يقال : مال الله ، ولا ينبغي للأغنياء أن يقتنوا مالا ، فقال يا أبا ذر على أن أقضى ما على وأخذ ما على الرعية . ولا أجبرهم على الزهد وأن أدعوهم إلى الاجتهاد والاقتصاد ، فقال أبو ذر : لا ترضوا من الأغنياء حتى يهذلوا المعروف ويمسحوا إلى الجيران والإخوان ويصلوا القرايات ، ثم طلب من عثمان أن يأذن له في الخروج من المدينة ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره بذلك إذا بلغ البناء سلعا ، فسيره إلى الريزة ، فبنى بها مسجداً . وأقطعته عثمان قطعة من الإبل ، وأجرى عليه العطاء . فأقام أبو ذر منفرداً حتى قضى .

وكان أبو ذر يختلف من الريزة إلى المدينة أخذاً بوصية عثمان أن يتعاهد المدينة حتى لا يرتد أعرابيا . ولو أنصف التاريخ لسكان هذا من مفاخر الخلافة العثمانية وآية على السياسة الحازمة الحكيمة في هذه الخلافة الراشدة .

من كتاب الخليفة المفترى عليه عثمان بن عفان  
بقلم الأستاذ : محمد الصادق عرجون  
( عميد كلية أصول الدين )

(١) قال الحافظ ابن كثير في ( البداية والنهاية ٥ / ٩ ) : لإسناده حسن ولم يخبر جوه .

وانتهى رسول الله ﷺ إلى تبوك فأتاه يُحَنِّتَةُ (١) بن رُبُة صاحب أيلة ، فصالحه على الجزية وكتب له كتابا ، فبلغت جزيتهم ثلاثمائة دينار ، ثم زاد فيها خلفاء بني أمية ، فلما كان عمر بن عبد العزيز لم يأخذ منهم غير ثلاثمائة دينار .

وصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل أذُرُح (٢) على مائة دينار في كل رجب . وصالح أهل جرباء (٣) على الجزية . وصالح أهل تيماء (٤) على ربع ثمارهم .

وأرسل خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل (٥) وكان نصرانياً من كندة ، فقال رسول الله ﷺ : ( إنك ستجده يصيد البقر ) فخرج خالد بن الوليد ، حتى إذا كان من حصنه على منظر العين وأكيدر على سطح داره فباتت البقر تحك بقرونها باب الحصن ، فقالت امرأته : هل رأيت مثل هذا قط ؟ قال لا والله ؟ ثم نزل وركب فرسه ومعه نفر من أهل بيته ، وخرج يطلب البقر ، فتلقتهم خييل رسول الله ﷺ فأخذوه وقتلوا أخاه حسان (٦) وأخذ خالد من أكيدر قباء ديباج (٧) مخوصاً بالذهب ، فأرسله

(١) في النسختين ( يوحنا ) والمثبت هو ما في المصادر المشهورة .

(٢) في الظاهرية ( أذروح ) وهو وهم . وأذرح : بلد من نواحي البلقاء .

(٣) موضع من أعمال عمان بالبلقاء ( شرقي الأردن ) .

(٤) في النسختين ( مقنا ) عوض ( تيماء ) والتصحيح من الدرر لابن عبد البر وتاريخ الإسلام — الجزء الأول .

(٥) اسمها الآن ( الجوف ) .

(٦) كذا بمنع الصرف ، على أنه من الحس ، ويجوز الصرف بناءً على أنه من الحسن .

(٧) يعني ثوباً من الحرير ، فيه خوص منسوجة بالذهب مثل خوص النخل ، على ما في ( لإنسان العيون في سيرة الأمين المأمون لنور الدين الحلبي ) .

إلى رسول الله ﷺ ، فجعل المسلمون يلمسونه ويتعجبون منه ، فقال رسول الله ﷺ : ( أتعجبون من هذا ؟ المناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا (١) ) .

وقدم خالد بكيدر على رسول الله ﷺ فخن دمه وصالحه على الجزية وخلي سبيله .

وذكر ابن عائد أن النبي ﷺ نزل تبوك في زمان قل مأوها فيه ، فاغترف غرفة بيده من ماء فضمض به فاه ثم بصقه فيها ، فقارت عينها حتى امتلأت ، فهي كذلك حتى الساعة .

وأقام رسول الله ﷺ بتبوك بضع عشرة ليلة لم يجاوزها ، ولم تقدم عليه الروم والعرب المنتصرة ، فعاد إلى المدينة .

وكان في الطريق ماء يخرج من وشل (٢) ، لا يروى إلا الراكب أو الراكبين ، بواد يقال له « وادى المشقق » (٣) ، فقال رسول الله ﷺ : ( من سبقنا فلا يستقين منه شيئاً حتى نأتيه ) فسبقه نفر من المنافقين فاستقوا ما فيه فلما جاء رسول الله ﷺ أعلم بفعلهم فلحنهم ودعا عليهم ، ثم نزل رسول الله ﷺ فوضع يده تحته ، فانصب إليها يسير من الماء ، فدعا فيه ، ونضحه في الوشل ، فانخرق بالماء جرياً شديداً ، فشرب الناس واستقوا .

(١) رواه البخاري في باب قبول الهدية من المشركين . ومسلم في فضائل الصحابة . والترمذي . والنسائي في باب لبس الديباج المنسوج بالذهب .

(٢) الوشل : الماء القليل ، وقيل : الوشل : حجر أو جبل يقطر منه الماء ، على ما في هامش ( عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير للحافظ ابن سيده الناس ٢ / ٢٢١ ) .

(٣) في النسختين ( النشفق ) عوض ( المشقق ) والتصحيح من عيون الأثر وتاريخ الكامل لابن الأثير والبداية والنهاية لابن كثير .

وسار رسول الله حتى قارب المدينة فأتاه خبر مسجد الضرار ، فأرسل إليه فهدمه ، وأنزل الله تعالى ﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين﴾ (١) الآيات ، وكان الذين بنوه اثني عشر رجلاً .

وقدم رسول الله ﷺ المدينة وكان قد تخلف عنه رهط من المنافقين ، فأتوه يحلفون له ويعتذرون ، فصفح عنهم رسول الله ﷺ ، وأرجأ أمر كعب بن مالك وصاحبيه .

( قصة الثلاثة الذين خلفوا )

قال الإمام أحمد رضى الله عنه في مسنده :

حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال أنبأنا ابن أخى الزهرى محمد بن عبد الله عن عمه محمد بن مسلم الزهرى قال أخبرنى عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب ابن مالك عن أبيه - وكان قائد كعب من بليه حين عمى - قال : سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله ﷺ في غزاة تبوك ، فقال كعب : لم أنخلف عن النبي ﷺ في غزاة غيرها إلا غزاة بدر (٢) ولم يعاتب أحداً تخلف عنها .

إنما خرج رسول الله ﷺ يريد غير قريش ، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ العقبة حيث (٣) توافقنا (٤) على الإسلام ، وما أحب أن لى بها مشهد بدر ، وإن كانت بدر أذكر فى الناس منها وأشهر .

(١) سورة التوبة ، الآية ١٠٧ .

(٢) فى (المسند ٦ / ٣٨٧) : فى غزاة غزاهما حتى كانت غزوة تبوك إلا بدرأ ولم يعاتب أحداً تخلف عن بدر .

(٣) فى النسخ (حين) والتصويب من (المسند) .

(٤) كذا فى المسند والاصول ، ووردت (توافقنا) فى (عيون الاثر فى فنون المغازى والسير للحافظ ابن سيد الناس ٢ / ٢٢٣) وتفسير ابن كثير .

وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عن رسول الله ﷺ في تلك الغزاة والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزاة .

وكان رسول الله ﷺ قلما يريد غزوة يغزوها إلا ورى بغيرها ، حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله ﷺ في حر شديد واستقبل سفراً بعيداً ومفاوز (١) ، واستقبل عدواً كثيراً ، فجلى للمسلمين أمره لينأهبوا أهبة عدوهم (٢) وأخبرهم بوجهه الذي يريد ، والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير لا يحجمهم كتاب حافظ ، يريد الديوان .

قال كعب : فقل رجل يريد يتغيب إلا ظن أن ذلك سيخفى عليه ما لم ينزل فيه وحى من الله عز وجل .

وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزاة حين طابت الثمار والظلال ، وتجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه ، فطفقت أغدوا لكي أتجهز معهم ، فأرجع ولم أقض شيئاً . فأقول في نفسي : أنا قادر عليه ، ولم يزل يتأدى بي ، حتى اشتد بالناس الجد ، فأصبح رسول الله ﷺ غادياً والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئاً ، فقلت : أتجهز بعده بيوم أو يومين ثم ألحقهم ، فعدوت بعد أن فصلوا لا تجهز فرجعت ولم أقض شيئاً ، ثم عدوت ثم رجعت ولم أقض شيئاً ، فلم يزل ذلك بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو ، وهممت أن أرتحل فأدركهم ، وليتني فعلت فلم يقدر لي ذلك ، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فطفت فيهم أحزني

(١) في اللسختين ( مفاوز ) عوض ( مفاوز ) المثبتة في تفسير ابن كثير .

(٢) في عيون الأثر للحافظ ابن سيد الناس ( غزوهم ) عوض ( عدوهم ) .

(٣) في المسند : ( لا أرى أحداً تخلف إلا رجلاً مغموراً ) .

أنى لا أرى إلا رجلاً مغموصاً (١) عليه النفاق أو رجلاً بمن عذر الله تعالى من الضعفاء .

ولم يذكرنى النبي ﷺ حتى بلغ تبوكاً فقال وهو جالس فى القوم بتبوك : ( ما فعل كعب ) ؟ فقال رجل من بنى سلمة يا رسول الله حبسه برده ونظره فى عطفه (٢) فقال معاذ بن جبل رضى الله عنه : بئسما قلت ، والله يا نبي الله ما علمنا عليه إلا خيراً . فسكت رسول الله ﷺ .

قال كعب فلما بلغنى أنه توجه قافلاً حضرنى همى وطفقت أتذكر الكذب فأقول : بماذا أخرج من سخطه غدا ، واستعنت على ذلك بكل ذى رأى من أهلى ، فلما قيل إن رسول الله ﷺ قد أظلم قافلاً زاح عنى الباطل وعرفت أنى لن أخرج منه أبداً بشىء فيه كذب ، فأجمعت صدقه .

وأصبح رسول الله ﷺ قادماً ، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك جاء المتخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويخفون له ، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً ، فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكّل سرائرهم إلى الله تعالى .

فجئته فلما رأى تبسم تبسم المغضب وقال : ( تعال ) فجئت أمشى حتى جلست بين يديه ، فقال : ( ما خلفك ؟ ألم تسكن قد ابتعت ظهرك ؟ ) فقلت : بلى إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أنى سأخرج من سخطه بعذر ، ولقد أعطيت جدلاً ، ولكنى والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم

(١) أى ظليلاً فى دينه ، متهماً بالنفاق ، على ما فى هاوش ( عيون الآثار فى فنون المغازى والسير ٢ / ٢٢٤ ) .

(٢) يعنى إعجابه بنفسه وزهوه وتكبره .



حديث كذب ترضى به عنى ليوشكن أن يسخطك الله هلى ، ولئن حدثتكم بحديث صدق تد على فيه إنى لأرجو فيه عفو الله ، لا والله ما كان لى من عذر ، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك .

فقال رسول الله ﷺ : ( أما هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضى الله فىك ) فقممت ، وثار رجال من بنى سلمة فاتبعونى فقالوا : والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا ، ولقد عجزت أن لا تسكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المتخلفون ، قد كان كافيك من ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك ، فوالله ما زالوا يؤنبونى حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسى ، ثم قلت لهم : هل لقى هذا أحد ؟ قالوا : نعم رجلان قالوا مثل ما قلت فقبل لهما مثل ما قيل لك ، فقلت : من هما ؟ قالوا : مرارة بن الربيع العمرى (١) وهلال ابن أمية الواقفى (٢) ، فذكروا لى رجلين صالحين شهد بداراً ، فهما أسوة ، فمضيت حين ذكروهما لى .

ونهى النبى ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه فاجتلبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنسكرت فى نفسى الأرض فما هى التى أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحبائى فاستكانا وقعدا فى بيوتهم ما يكبان

(١) نسبة إلى عمرو بن عوف بن مالك بن أوس ، بطن من الانصار ، على ما فى (اللباب لابن الاثير) و (عجالة المبتدى للحازمى) وفى المسند طبعة الميمنية ٦ / ٣٨٨ (مرارة بن ربيعة) والمثبت من نسخ النص و (تاريخ الطبرى ٣ / ١٠٣) وملخص (الزهر الباسم فى سيرة أبى القاسم للعلامة مغلطى) .

(٢) نسبة إلى بطن فى الأوس من الانصار يقال لهم بنو واقف . . . على ما فى (اللباب لابن الاثير المورخ) و (عجالة المبتدى للحازمى) و (طبقات الرواة لخليفة بن خياط) .

وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم، وكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد، وآتى رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي: هل حرك شفيعه برد السلام على أم لا، ثم أصلي قريباً منه فأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلى وإذا التفت نحوه أعرض عني .

حتى إذا طال على ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط (١) أبي قتادة - وهو ابن عمي وأحب الناس إلى - فسلمت عليه فوالله ما رد على السلام، فقلت يا أبا قتادة أنشدك الله هل تعلمني أحب الله ورسوله؟ فسكت، فعدت له فلشده (٢) فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيني، وتوليت حتى تسورت الجدار .

قال فبينما أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أقباط أهل الشام بمن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدلي على كعب بن مالك، وطفق الناس يشيرون له إلى، حتى إذا جاءني دفع إلى كتاباً من ملك غسان وإذا فيه: أما بعد فإنه بلغني أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضجعة، فالحق بنا نواسك فقلت لما قرأتها: وهذا أيضاً من البلاء، فتيهمت (٣) بها التنوير فسجرت (٤) بها .

حتى إذا مضت أربعون ليلة من الحسنيين إذا رسول النبي ﷺ يأتيني

(١) الحائط هنا هو البستان .

(٢) هكذا في النسختين، وفي صحيح مسلم والجزء الأول من تاريخ الإسلام (فناشدته) ومثله في عيون الآثار للحافظ ابن سيد الناس .

(٣) أي قصدت .

(٤) سجر التنوير: أحماه . على ما في (القاموس المحيط) يعني أوقد التنوير بتلك الرسالة .

فقال إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعزل امرأتك، فقلت أطلعها أم ماذا؟ قال: لا بل اعتزلها ولا تقربها، وأرسل إلى صاحبي بمثل ذلك، فقلت لامرأتي: الحق بأهلك فكوني عندهم حتى يقضى الله في هذا الأمر.

قال كعب: فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تذكره أن أخدمه؟ قال: (لا وإن لا يقربك) قالت إنه والله ما به حركة إلى شيء، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا. فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك كما أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه، فقلت: والله لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ، وما يدريني ما يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب.

فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى النبي ﷺ عن كلامنا، فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله تعالى قد ضاقت نفسي وضائق على الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع (١) بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر، فخررت ساجداً وعرفت أن قد جاء فرج، وأذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب قبل صاحبي مبشرون، وركض إلى رجل على فرس (٢) وسعى ساع من أسلم فأوفى على ذروة الجبل، وكان الصوت أسرع من الفرش فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوته إياهما يبشراه، والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت إلى

(١) جبل معروف بالمدينة، كما في (وفاء الوفا).

(٢) في النسخ (فرساً) عوض (على فرس) التي في المسند ٦ / ٢٨٩ ونصنا مروري بالمعنى، ويختلف بعضه عما في (المسند).

رسول الله ﷺ ، فيلقاني الناس فرجاً فرجاً يهتفونني بالتوبة يقولون : ليمنك توبة الله عليك .

قال كعب : حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس فقام إلى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صاحني وهنأني ، والله ما قام إلى رجل من المهاجرين غيره ، ولا أنساها لطلحة .

قال كعب : فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور : ( أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك ) قال قلت : أمن عندك أم من عند الله يا رسول الله ؟ قال : ( بل من عند الله ) وكان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر ، وكنا نعرف ذلك منه .

فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله ، قال رسول الله ﷺ : ( أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك ) قلت : فإني أمسك سهمي الذي بخير ، ثم قلت : يا رسول الله إن الله إنما أنجاني بالصدق ، وإن من توبتي ألا أحدث إلا صدقاً ما بقيت ، فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله تعالى في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاني ، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومى هذا كذبا ، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت (١) .

وأنزل الله تعالى على رسوله ﷺ ﴿ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ﴾

(١) في المسند ( فيما بقي ) .

ثم تاب عليهم لأنه بهم رهوف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين<sup>(١)</sup> ﴿ فوالله ما أنتم الله على نعمة قط بعد أن هدانا للإسلام أعظم في نفسى من صدق لرسول الله ﷺ أن لا أكون كذبتة فأهلك كما هلك الذين كذبوا، فإن الله تعالى قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي: ﴿ سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين<sup>(٢)</sup> ﴾ .

قال كعب : وكنا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه، فبذلك قال الله تعالى ﴿ وعلى الثلاثة الذين خلفوا ﴾ وليس الذى ذكر الله تعالى بما خلفنا عن الغزو وإنما هو تخلفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عن حلف له واعتذر إليه فقبل منه<sup>(٣)</sup> .

( سرية قطبة بن عامر بن حديدة<sup>(٤)</sup> )

إلى خشم

قال ابن سعد : وفي هذه السنة — أعنى سنة تسع — بعث رسول الله ﷺ

(١) سورة التوبة ، الآية ١١٧ .

(٢) سورة التوبة ، الآية ٩٥ .

(٣) هذا حديث صحيح ثابت متفق على صحته ، رواه صاحبها الصحيح : البخارى ومسلم من حديث الزهري بنحوه ، كما فى ( البداية والنهاية للجانظ ابن كثير ) .

(٤) فى الظاهرية ( حديثه ) وهو وهم .

قطبة في عشرين رجلاً إلى حى من خشم بناحية تبالة<sup>(١)</sup> ، فثمنوا عليهم الغارة وكثر الجرحى في الفريقين ، وساقوا النعم والشاة إلى المدينة .  
ومن الحوادث في هذه السنة :

( سرية الضحاك بن سفيان السكلاي )

إلى بنى كلاب

وبعث رسول الله ﷺ جيشاً إلى القرطاء<sup>(٢)</sup> ، عليهم الضحاك بن سفيان السكلاي ومعه الأصيلد<sup>(٣)</sup> بن سلمة فلقوهم بالزج<sup>(٤)</sup> زج لاوة<sup>(٥)</sup> فدعوهم إلى الإسلام ، فأبوا فقاتلوهم فهزموهم ، فلحق الأصيلد أباه سلمة ، وسلمة على فرس له في غدير بالزج ، فدعا أباه إلى الإسلام وأعطاه الأمان ، فسببه وسب دينه ، فضرب الأصيلد عرقوبي فرس أبيه ، فلما وقع الفرس على عرقوبيه ارتكز سلمة على رمح في الماء ثم استمسك ، حتى جاءه أحدهم فقتله ، ولم يقتله ابنه .

( سرية علقمة بن مجزر<sup>(٦)</sup> المدلجي )

إلى الحبشة

وبلغ رسول الله ﷺ أن ناساً من الحبشة ترا آهم أهل جدة فبعث إليهم علقمة بن مجزر في ثلاثمائة ، فأنتهى إلى جزيرة في البحر ، وخاض إليهم فهزموا

(١) من أعمال مكة ، على ما في ( معجم ما استعجم للسكري ) .

(٢) من هوازن ، على ما في ( تاريخ الطبري ٣ / ١٥٥ ) .

(٣) في الظاهرية (الأسيد) والتصحيح من معجم البلدان والطبقات السكبري لابن سعد .

(٤) في النسختين ( بالزخ ) وهو تصحيف ، والتصحيح من معجم البلدان لياقوت الحموي والطبقات السكبري لابن سعد .

(٥) زج لاوة : موضع نجدى ، كما في ( معجم البلدان ) وتاج العروس .

(٦) في النسختين ( مجرز ) وهو تصحيف .

منه وعادوا إلى المدينة ، فلما كان ببعض الطريق أوقدوا ناراً يصطلون عليها ويصطنعون ، فقال عبد الله بن حذافة السهمي — وكان فيه دعاية — عزمت عليكم إلا توابتم في هذه النار ، فقام بعض القوم فتحجزوا حتى ظن أنهم واثبون فيها ، فقال : اجلسوا إنما كنت أضحك معكم ، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال : ( من أمركم بمعصية فلا تطيعوه ) .

( سرية علي بن أبي طالب إلى الفلاس <sup>(١)</sup> )

صنم طيء ، ليهدمه

وبعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه في خمسين ومائة رجل من الأنصار على مائة بعير وخمسين فرساً ، ومعه راية سوداء ولواء أبيض إلى الفلاس ليهدمه ، فشنوا الغارة على محلة آل حاتم مع الفجر فهدموا الفلاس وحرقوه ، وملئوا أيديهم من السبي والنعم والشاة ، وفي السبي أخت عدي ابن حاتم ، وهرب عدي إلى الشام .

ووجد في خزانة الفلاس ثلاثة أسياف : رسوب والخنم وسيف يقال له اليماني وثلاثة أدرع ، فعزل النبي ﷺ رسوب والخنم ثم صار له بعد السيف الآخر ، وقدم المدينة فعزل النبي ﷺ آل حاتم فلم يقتلهم .

ثم كانت ( سرية عكاشة بن محصن إلى بني عذرة وبلى <sup>(٢)</sup> ) .

( ومن الحوادث في هذه السنة ) : هجر رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه

(١) كان بمنجد قريباً من فيد ، سدانته بنو بولان ، كما في ( جبهة أنساب العرب لابن حزم ٤٩٣ ) .

(٢) في ربيع الآخر ، كما في سيرة مغلطاي ، وهي مخصصة من مؤلفه ( الزهر الباسم في سيرة أبي القاسم ) .

وقال : ( ما أنا بداخل عليكن شهرا ) وفي سبب ذلك قولان : أحدهما أنه حين حرم أم إبراهيم أخبر بذلك حفصة واستسكتها فأخبرت بذلك . والثاني أنه ذبح ذبائح فقسمة عائشة بين أزواجه ، فأرسلت إلى زينب بنت جحش بنصيبها ، فردته ، فقال : ( زيدا ) فزادتها ثلاثا ، كل ذلك ترده ، فقال : ( لا أدخل عليكن شهرا ) فاعتزل في مشربة له ، ثم نزل لتسع وعشرين فبدأ بعائشة فقالت يا رسول الله كنت أقسمت أن لا تدخل علينا شهراً وإنما أحببت من تسع وعشرين أعدها عدا ، فقال : ( الشهر تسع وعشرون ) وكان ذلك الشهر تسعاً وعشرين .

( ومن الحوادث في هذه السنة ) امتداح العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه رسول الله ﷺ بأبياته المشهورة . وذلك أن العباس أتى رسول الله ﷺ منصرفه من تبوك فقال : يا رسول الله إني أريد أمتدحك ، فقال رسول الله ﷺ : ( قل لا يفضض الله فاك ) فأنشأ العباس يقول :

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق  
ثم هبطت البلاد لا بشر أنت ولا مضغة ولا علق  
بل نطفة تركب السفين وقد ألجم نسرأ وأهله الغرق  
تنقل من صالب إلى رحم إذا مضى عالم بدا طبق  
حتى انتهى بيتك المهيم من خندف علياء تحتها النطق  
وأنت لما ولدت أشرقت الآر ض وضأت بنورك الأفق  
فجنح في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد تخترق (١)

(١) الظلال : ظلال الجنة . والمستودع : هو الموضع الذي كان فيه آدم وحواء يخصفان عليهما من الورق . ثم هبطت إلى الدنيا في صلب آدم ، وأنت لا بشر ولا مضغة ، تركب السفين : في صلب نوح ، صالب : لغة في صلب ، الطبق : القرن ، النطق : جميع نطق وهو ما يشهد به الوسط ، أي أنت أوسط



## ( ذكر قدوم وفد ثقيف )

وفي هذه السنة في رمضان قدم وفد ثقيف على رسول الله ﷺ ، وسبب ذلك أنهم رأوا من يحيط بهم من العرب قد نصبوا لهم القتال وشنوا الغارات عليهم ، فأرسلوا عبد ياليل بن عمرو وعثمان بن أبي العاص وأوس بن عوف ونمير بن خرشة والحكم بن عمرو وشرحبيل بن غيلان ، فخرجوا حتى قدموا على رسول الله ﷺ ، فأنزلهم في قبة في المسجد ، وكان رسول الله ﷺ يرسل إليهم ما يأكلونه مع خالد<sup>(١)</sup> فكانوا لا يأكلون طعاماً حتى يأكل خالد منه حتى أسلموا .

وكان فيما سألوا رسول الله ﷺ أن يدع الطاغية - وهى اللات<sup>(٢)</sup> - لا يهدمها ثلاث سنين ، فأبى عليهم ، وكان قصدهم بذلك أن يسلموا من سفهائهم ونسائهم ، فنزلوا إلى شهر<sup>(٣)</sup> فلم يجبههم ، وسألوهم أن يعفيهم من الصلاة فقال : ( لا خير في دين لا صلاة فيه ) فأجابوا وأسلموا ، وأمر عليهم

== قومك نسباً ، وجعله فى علياء وجعلهم تحته نطقاً ، على ما فى ( تاريخ الإسلام للحافظ الذهبي رحمه الله ١٨ / ٢ ) .

(١) هو خالد بن سعيد بن العاص ، على ما فى ( نهاية الأرب للنويري ١٨ / ٦٢ ) وغيره .

(٢) اللات : بيت بين ظهري الطائف ، يستر ويهدى له الهدى كما يهدى للكهبة ، على ما فى ( تاريخ الإسلام - الجزء الأول - المغازي ) وفى ( كتاب الاضنام لابن السكبي ) : كانت اللات صخرة مربعة ، وكان سدنها من ثقيف قد بنوا عليها بناءً ، وكانت قریش وجميع العرب تعظمها ، وكانت فى موضع منارة مسجد الطائف اليسرى اليوم .

(٣) أى مدة شهر واحد .

رسول الله ﷺ عثمان بن أبي العاص - وكان أصغرهم - لما رأى من حرصه على الإسلام والتفقه في الدين .

ورجعوا إلى بلادهم ، وأرسل رسول الله ﷺ معهم المغيرة بن شعبه وأبا سفيان بن حرب ليهديا الطاغية ، فتقدم المغيرة بن شعبه فهدمها ، وقام قومه من بني معتب دونه خوفاً أن يرمى بسهم ، وخرج نساء ثقيف حسراً يمين عليهما . وأخذ حليها ومالها ، وكان رسول الله ﷺ قد أمرهما أن يقضيا منه دين عروة والأسود ابني مسعود ، ففعلوا ، وكان الأسود مات كافراً فسأل ابنه قارب بن الأسود رسول الله ﷺ أن يقضى دين أبيه فقال : ( إنه كافر ) فقال : يصل مسلم ذا قرابته . يعني أنه أسلم فيصل أباه وإن كان مشركاً .

( ذكر قدوم الوفود على رسول الله )

صلى الله عليه وسلم

لما افتتح رسول الله ﷺ مكة وأسلمت ثقيف وفرغت تبوك ضربت إليه الوفود<sup>(١)</sup> من كل وجه ، وإنما كانت العرب تنتظر بإسلامها قريشاً إذ كانوا إمام الناس وأهل الحرم وصریح ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام لا تنكر العرب ذلك .

وكانت قريش هي التي انتصبت لحرب رسول الله ﷺ وخلافه ، فلما فتحت مكة وأسلمت قريش عرفت العرب أنها لا طاقة لها بحرب رسول الله ﷺ ولا عداوته ، فدخلوا في الدين أفواجاً كما قال الله تعالى ﴿ إذا جاء

(١) في الظاهرية ( اليهود ) عوض ( الوفود ) وهو تحريف .

نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسيح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا (١) .

وقدمت وفودهم : ففي هذه السنة قدم ( وفد بني (٢) أسد ) على رسول الله ﷺ وقالوا : أتيناك قبل أن ترسل إلينا ، فأنزل الله تعالى ﴿ يٰٓمُنُونَ عَلَيْكُمُ الْآيَةُ ﴾ (٣) .

وفيهما قدم ( وفد الدارين ) وهم عشرة نفر .

وفيهما قدم ( وفد بني (٤) تميم ) مع عطار بن (٥) حاجب بن زرارة بن عدس ، وفيها الأقرع بن حابس والزبرقان بن بدر وعمر بن الأهتم وقيس بن عاصم ونعيم (٥) بن زيد ، في وفد عظيم ، وقدم معهم عيينة بن حصن الفزاري وكان قد أسلم هو والأقرع قبل ذلك ، فلما دخلوا المسجد نادوا رسول الله ﷺ أن أخرج إلينا ، فأذى ذلك رسول الله ﷺ (٦) وخرج إليهم فقالوا : جئنا فمأخرك فأذن لشاعرنا وخطيبنا ، فأذن لهم ، فقام عطار بن حاجب ابن زرارة فقال : الحمد لله الذي له علينا الفضل ، الذي جعلنا ملوكا ، ووهب لنا أموالا عظيمة نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عددا فمن يفاخرنا فليعدد مثل عددنا .

(١) سورة النصر .

(٢) سقط من النسختين ( بني )

(٣) سورة الحجرات ، الآية ١٧ .

(٤) سقط ( عطار بن ) من النسختين ، فاستدركته من تاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر والروض الأنف والسيرة الحلبية . ويؤيد ذلك ما يستقبلنا في سياق النص .

(٥) في النسختين ( معتمر ) عوض ( نعيم ) وهو تحريف ، على ما في الإصابة والاستيعاب والروض الأنف للحافظ السهيلي .

(٦) يعني من صياحهم .

فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن شماس : ( أجب الرجل ) فقام ثابت فقال : الحمد لله الذي السموات والأرض خلقه ، قضى فيهن أمره ووسع كرسيه عليه ، ولم يكن شيء قط إلا من فضله ، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكا واصطفي من خير خلقه رسولا أكرمهم نسباً وأصدقهم حديثاً وأفضلهم حسباً ، فأنزل عليه كتابه وأتمنه على خلقه فكان خيرة الله تعالى من العالمين .

ثم دعا الناس إلى الإيمان به <sup>(١)</sup> فآمن به المهاجرون من قومه وذوى رحمه ، أكرم الناس أنساباً وأحسن الناس وجوهاً وخير الناس فعلاً ، ثم كان أول الخلق استجابة لله حين دعاه نحن ، فنحن أنصار الله ووزراء رسول الله نقاتل الناس حتى يؤمنوا ، فن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ، ومن كفر جاهدناه في الله وكان قتله علينا يسيراً والسلام عليكم .

فقالوا ائذن لشاعرنا ، فأذن له ، فقام الزبرقان بن بدر فقال :

نحن الكرام فلا حتى يعادلنا      منا الملوك وفيينا تنصب البيع  
وكم قسرنا من الأحياء كلهم      عند التهاب وفضل العز يتبع  
ونحن يطعم عند القحط مطعمنا      من الشواء إذا لم يؤنس القزع <sup>(٢)</sup>  
ترى القبائل تأتينا سراهم <sup>(٣)</sup>      من كل أرض هوياً ثم نصطنع

(١) ( به ) مستدركة من روى السهيلي .

(٢) القزع : السحاب ، يعني إذا لم تمطرهم السماء فأجدبت أرضهم أطعمهم مطعمهم . وفي عيون الأثر ( القزع ) بالفاء وهو تصحيف أرجو تصحيحه وتصحيح ما يتعلق به ( ٢ / ٢٠٤ ) .

(٣) سراة كل شيء : أعلاه فهم الذروة والسنام

فتمنح السكوم عبطاً<sup>(١)</sup> في أرومتنا للنازلين إذا ما أنزلوا شعبوا  
ولا ترانا إلى حى نفاخرهم إلا استقادوا وكانوا<sup>(٢)</sup> الرأس يقطع  
إنا أيدنا ولم ياب لنا أحد إنا كذلك عند الفخر نرتفع  
فن يقادرننا<sup>(٣)</sup> في ذاك يعرفنا فيرجع القوم<sup>(٤)</sup> والأخبار تستمع

وكان حسان بن ثابت غائباً فدعاه رسول الله ﷺ ليجيب شاعر تميم ،  
قال حسان فلما سمعت قوله قلت على نحوه :

إن الذوائب من فخر وإخوتهم قد يبنوا سنة للناس تتبع  
يرضى بها كل من كانت سريره تقوى الإله وكل البر يصطنع  
قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم أو حاولوا النفع في أشياءهم نفخوا  
بجيلة تلك منهم غير محدثة إن الخلائق فاعلم شرها البدع  
إن كان في الناس سباقون بعدهم<sup>(٥)</sup> فكل سبق لأدنى سبقهم تبع  
لا يرقع الناس ما أوهت أكتفهم عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا

(١) السكوم : جمع كوما وهو الناقة العظيمة السنام . وعبطا : تمنح  
لغير علة .

(٢) في تاريخ الطبرى ( وكادى ) عوض ( وكانوا ) .

(٣) في الروض الأنف ( يفاخرنا ) عوض ( يقادرننا ) المثبتة في النسختين ،  
وما في النص هنا يوافق ما في تاريخ الطبرى .

(٤) هكذا في النسختين وعيون الأثر . وفي تاريخ الطبرى ( القول ) عوض  
( القوم ) .

(٥) في ديوان حسان ( قبلهم ) عوض ( بعدهم ) .

أعفة ذكرت في الوحى (١) عفتهم لا يطبعون (٢) ولا يبرى بهم (٣) طمع  
لا يبتلون على جار بفضلهم ولا يمسهم (٤) من مطمع طبع  
إذا نصبتا لى لم ندب لهم كما يدب إلى الوحشية الذرع (٥)  
نسمو إذا الحرب نالتنا مخالها إذا الزعائف من أظفارها خشعوا  
لا نخر إنهم أصابوا من عدوهم وإن أصيبوا فلا خور ولا هلع  
كانهم في الوحى والموت مستنقع أسد بحلية (٦) في أرساغها فذع (٧)  
أكرم بقوم رسول الله شيعتهم (٨) إذا تفرقت الأهواء والشيع  
فإنهم أفضل الأحياء كلهم إن جدها الناس جده القول أو شمعوا (٩)

(١) في النسخين (الحى) عوض (الوحى) ولعله من تصحيف السمع .  
(٢) أى لا يدنسونه . وفي النسختين (لا يطعمون) والتصحيف من تاريخ  
الطبرى وديوان حسان .

(٣) في الروض وديوان حسان (لا يردى بهم) عوض (لا يبرى بهم) .  
(٤) في الروض والديوان (لا يدنسهم) عوض (لا يمسهم) وما ورد في  
النص يوافق ما أورده الطبرى .  
(٥) ولد البقرة الوحشية .

(٦) في النسختين (بحيلة) وفي الروض (بحلية) وهى مأسدة في اليمن ، وفي  
ديوان حسان (ببیشه) وهو موضع تنسب إليه الاسود .

(٧) في النسختين (قذع) والتصحيف من الروض والديوان ، وتاريخ  
الطبرى . والقذع : زوال الرسم في اليد إلى وحشيتها ، كما في حاشية ديوان  
حسان الذى حققه الدكتور سيد حنفى حسنين .

(٨) في النسختين (شيعتهم) عوض (قائدهم) المثبتة في ديوان حسان .  
(٩) في النسختين وفي ديوان حسان (سمعوا) وهو تصحيف ، وشمعوا أى  
ضحكوا ومزحوا ، على ما في الروض الأتف .

خذ منهم ما أتوا عفواً إذا غضبوا<sup>(١)</sup> ولا يكن همك الأمر الذي منعوا  
فإن في حربهم فترك عداوتهم شراً يخاض عليه السم والسلع<sup>(٢)</sup>  
إن سابقوا الناس يوماً فاز سبقهم أو وازنوا أهل مجد بالندى متعوا<sup>(٣)</sup>

فلما فرغ حسان قال قيس بن عاصم : والله خطيبه أفصح من خطيبنا ،  
وشاعره أفصح من شاعرنا ، ثم أسلموا وأجازهم رسول الله ﷺ .

وفيها قدم على رسول الله ﷺ ( كتب ملوك حمير ) مقرين بالإسلام ،  
مع رسولهم الحارث بن عبد كلال والنعمان ذى رعين ، وأرسل إليه زرعة  
ابن ذى يزن مالك بن مرة الرهاوى بإسلامهم ، وكتب إليهم رسول الله ﷺ  
يأمرهم بما عليهم في الإسلام وينهاهم عما<sup>(٤)</sup> حرم عليهم .

وفيها قدم ( وفد بهراء ) فنزلوا على المقداد بن عمرو .

وفيها قدم ( وفد بنى البسكاه ) .

وفيها قدم ( وفد بنى فزارة ) وفيهم خارجة بن حصن بن حذيفة .

وفيها قدم ( وفد ثعلبة بن منقذ ) .

(١) في الديوان ( عطفوا ) عوض ( غضبوا ) .

(٢) السلع : شجر مر ، وفي النسختين ( التلح ) عوض ( السلع ) المثبتة  
في الروض .

(٣) متعوا : ارتفوا . والابيات الثلاثة الاخيرة ساقطة من الاحدية ،  
فاستدر كناها من الظاهرية ومن الروض للحافظ السبلى .

(٤) في النسختين ( يأمرهم بما ) عوض ( ينهاهم عما ) المثبتة في المصادر  
المشهوره .

(٧) — أول عيون التواريخ

وفيها قدم ( وفد سعد بن بكر<sup>(١)</sup> ) ، وكان وافدهم ( ضمام بن ثعلبة ) فسأل رسول الله ﷺ عن شرائع الإسلام ، وأسلم ، فلما رجع إلى قومه قال رسول الله ﷺ : ( إن صدق ليدخلن الجنة ) فلما قدم على قومه اجتمعوا إليه فكان أول ما تكلم به أن قال : بثست اللات والعزى ، فقالوا : اتق البرص والجذام والجنون ، فقال : ويحكم لهما لا ينفعان ولا يضران وإن الله تعالى قد بعث رسولا وأنزل عليه كتاباً وقد استنقذكم به مما كنتم فيه .

وأظهر إسلامه ، فما أمسى ذلك اليوم في حاضره رجل مشرك ولا امرأة مشركة ، فما سمع بوافد قوم<sup>(٢)</sup> كان أفضل من ضمام بن ثعلبة .

( ذكر حج أبي بكر رضى الله عنه )

وفيها حج أبو بكر رضى الله عنه بالناس ، ومعه عشرون بدنة لرسول الله ﷺ ، ولنفسه خمس بدنات ، وكان في ثلاثمائة رجل ، فلما نزل بذى الحليفة أرسل رسول الله ﷺ في أثره علياً رضى الله عنه<sup>(٣)</sup> وأمره بقراءة سورة ( براءة ) على المشركين ، فضى أبو بكر فحج بالناس ، وقرأ على بن أبي طالب ( براءة ) يوم النحر عند الجرة ، ونبذ إلى كل ذى<sup>(٤)</sup> عهد عهده ، وقال : لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ، ثم رجعا قافلين إلى المدينة .

(١) في النسختين ( تيم ) عوض ( بكر ) والتصحيح من الإصابة وتاريخ الكامل لابن الأثير .

(٢) ( قوم ) مستدركة من الاحمدية وتاريخ ابن الأثير .

(٣) قالوا : ( لا يؤدى عنى إلا رجل من أهل بيتى ) وهو حديث حسن رواه ابن هشام ، ولقد شواهد ييقوى بها ذكرها ابن كثير في ( البداية والنهاية ٥ / ٣٥ ) .

(٤) ( ذى ) مستدركة من الاحمدية .



وكان المشركون يحجون مع المسلمين ، ويعارضهم المشركون بأعلى أصواتهم ليغلطوهم بذلك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك .  
ويطوف رجال منهم عراة — ليس على رجل منهم ثوب — بالليل ، يعظمون بذلك الحرمه ، ويقول أحدهم : أطوف بالبيت كما ولدتني أمي ليس على شيء من الدنيا خالطه الظلم .

فكره رسول الله ﷺ أن يحج ذلك العام ، وأمر الله تعالى ببراءة . فلما كان يوم النحر يوم الحج الأكبر أذن ببراءة (١) من عهد كل مشرك لم يسلم أن لا يدخل المسجد الحرام بعد ذلك العام ، وبين لهم مدة الله تعالى التي ضربت على لسان نبيه أربعة أشهر يسيحون فيها حيث شاءوا ، فحج الناس عامهم ذلك فلما رجعوا أرغب الله تعالى المشركين فدخلوا في الإسلام طوعاً وكرهاً .

وفي هذه السنة ( فرضت الصدقات ) وفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها عماله .

\* \* \*

(١) لما ألحق النبي ﷺ على بن أبي طالب بأبي بكر لأنه قيل للنبي : إن العرب لا يرون أن ينقض أحد عهده مع من عاهد إلا بنفسه أو برسول من ذي قرابة نسبه . فأزاد النبي أن لا يترك للمشركين عذراً في عليهم بنقض العهد . فأذن بها على يوم النحر ، من أولها إلى ثلاثين أو أربعين آية منها . لأن ( سورة براءة ) لم يتم نزلها يومئذ : فقد ثبت أن آخر آية نزلت على النبي ﷺ هي آخر آية من سورة براءة . كما في ( تفسير التحرير والتنوير للأستاذ محمد الطاهر ابن عاشور ١٠ / ١١٠ ) رحمه الله .

( ذكر من توفى في هذه السنة )

من الأعيان

فيها توفى ( ذو البجادين (١) ) عبد الله المزني ، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : كنت مع رسول الله ﷺ في غزاة تبوك ، فقامت في جوف الليل فرأيت شعلة من النار في ناحية ، فاتبعتها أنظر إليها فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وإذا عبد الله ذو البجادين المزني قد مات ، وإذا هم قد حفروا له ورسول الله ﷺ في حفرته ، وأبو بكر وعمر يدلانيه إليه وهو يقول : ( أدنيا لي أخاكا ) فدلياه إليه ، فلما هياه لشقه قال : ( اللهم اني قد أمسيت راضياً عنه فارض عنه ) قال يقول عبد الله بن مسعود : ياليتني كنت صاحب الحفرة ، رحمه الله تعالى .

وفيها توفى ( سميل بن بيضاء ) القرشي الفهري أبو أمية ، خرج مهاجراً إلى الحبشة حتى فشا الإسلام وظهر ، ثم قدم على رسول الله ﷺ مكة فأقام معه حتى هاجر ، وهاجر معه فجمع الهجرتين جميعاً ، ثم شهد بدرأ ، ومات بالمدينة في هذه السنة ، وصلى عليه رسول الله ﷺ في المسجد ، وكان أسن الصحابة رضي الله عنه .

وفيها توفيت ( أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ ) وهي زوج عثمان

(١) البجاد : كساء مرصع مخطط ، وفي النسختين ( النجادين ) وهو تصحيف صحاحته من ( جنى الجننتين في تمييز نوعي المشنيين للدهبي ١٥٦ ) وفي روض السهيل : سمي ذو البجادين لأنه كان ينازع إلى الإسلام ، فممنعه قومه ويضيقون عليه حتى تركوه في بجماد ليس عليه غيره . والبجاد : الكساء الغليظ الجاني . فهرب منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما كان قريباً منه شق بجاده باثنين فانزروا واحداً واشتمل بالآخر ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقبل له ( ذو البجادين ) .

ابن عفان رضى الله عنه ، وغسلتها أسماء بذت عميس وصفية بذت عبد المطلب وصلى عليها رسول الله ﷺ ، ونزل في حفرتها أبو طلحة .

وفيما نعى رسول الله ﷺ ( النجاشي<sup>(١)</sup> ) للمسلمين ، وكان موته في رجب من هذه السنة ، وصلى عليه رسول الله ﷺ والمسلمون .

وفيما هلك رأس المنافقين ( عبد الله بن أبي بن سلول ) ولما هلك جاء ابنه عبد الله إلى رسول الله ﷺ فسأله قميصه ، فأعطاه ، فكفنه فيه ، وجاء رسول الله ﷺ ليصلى عليه فقام عمر بن الخطاب رضى الله عنه في صدره وقال : يا رسول الله أتصلى عليه وقد قال يوم كذا كذا وكذا - يعدد أيامه - ورسول الله ﷺ يتيسم ، ثم قال : ( آخر عني يا عمر قد خيرت فاخترت ) قد قيل لي ﴿ استغفر لهم أولا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ﴾<sup>(٢)</sup> ولو أعلم أنى لو زدت على السبعين غفر لهم لزدت . ثم صلى عليه وقام على قبره حتى فرغ منه ، فأنزل الله تعالى ﴿ ولا تصلّ على أحد منهم مات أبدا ولا تقسم على قبره ﴾<sup>(٣)</sup> الآية . وكان ابنه عبد الله بن خيار الصحابة رضى الله عنه .

\* \* \*

(١) هو السيد أحمدة ، صلوا عليه في العيد الواقع فيما بين سورى المدينة المنورة ، المعروف الآن بالمناخة ، على ما في ( الجواهر الحسان في تاريخ الحبشيان للشيخ أحمد الحفنى القناتى رحمه الله ) .

(٢) سورة التوبة ، الآية ٨٠ .

(٣) سورة التوبة ، الآية ٨٤ .

## ( السنة العاشرة من الهجرة )

وهي سنة الوفود (١)

( ذكر وفد نجران مع العاقب والسيد )

وفيهما أرسل رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى بني الحارث بن كعب بنجران، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام ثلاثاً، فإن أجابوا أقام فيهم وعلمهم شرائع الإسلام، وإن لم يفعلوا قاتلهم، فخرج إليهم ودعاهم إلى الإسلام فأجابوا وأسلموا، فأقام فيهم، وكتب إلى رسول الله ﷺ يعلمه بإسلامهم، وعاد خالد ومعه وفد منهم، فيهم قيس بن الحصين ذو الغصّة وي زيد بن عبد المدان وغيرهما، فقدموا على رسول الله ﷺ ثم عادوا عنه، وأرسل معهم عمرو بن حزم يعلمهم شرائع الإسلام ويأخذ صدقاتهم، وكتب معه كتاباً، وتوفي رسول الله ﷺ وعمرو بن حزم على نجران .

وأما ( نصارى نجران ) فإنهم أرسلوا العاقب والسيد في نفر منهم إلى رسول الله ﷺ، وأرادوا مباہلته، فخرج رسول الله ﷺ ومعه علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم، فلما رأوهم قالوا : هذه وجوه لو أقسمت على الله أن يزيل الجبال لأزالها ، ولم يباهلوه (٢) وصالحوه على ألني

(١) وفدت الوفود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من جميع من أسلم من قبائل العرب وأحيائها ، فتلقى ما هو للقلوب لكسير لإحيائها ، وتبلغ لإسلام من وراءها وتقفل إليهم بالطف الشريعة السمحة ورواق روائها ، فكان رسول الله يرشدهم ويضيفهم وينزلهم بديار أصحابه ويحيزهم عند رجوعهم . وجعل الموكل بأفتقادهم بلال بن رباح رضي الله عنه . كما في ( قصة المولد للأستاذ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ٣٤ ) .

(٢) المباہلة : الملاعة ، وهي أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا لعنة الله على الظالم منا ، على ما في ( الهاية لابن الأثير ) .

حجة (١) ، ثمن كل حلة أربعون درهما وعلى أن يضيفوا رسل رسول الله ﷺ ، وجعل لهم ذمة الله وعهده ، وشرط عليهم أن لا يأكلوا الربا ولا يتعاملوا به .

فلما استخلف أبو بكر رضى الله عنه عاملهم بذلك ، فلما استخلف عمر أجلى أهل الكتاب عن الحجاز وأجلى أهل نجران ، فخرج بعضهم [ إلى الشام وبعضهم (٢) ] إلى النجرانية بالكوفة ، واشترى منهم عقارهم وأموالهم ، وقيل إنهم كانوا قد كثروا فبلغوا أربعين ألفا ، فتحاسدوا بينهم ، فأتوا عمر ابن الخطاب رضى الله عنه فقالوا : أجلنا ، وكان عمر قد خافهم على المسلمين فأغتنمها فأجلاهم ، فقدموا بعد ذلك واستقالوه ، فأبى .

وفيها قدم (وفد بنى عامر) وفيهم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس وجبار ابن سلمى بن مالك بن جعفر ، وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم ، فقدم عامر بن الطفيل عدو الله على رسول الله ﷺ وهو يريد الذر به ، وقد قال له قومه : يا عامر إن الناس قد أسلموا فأسلم ، فقال : والله لقد كنت آليت أن تتبع العرب عقبى (٣) ، فأنا أتبع عقب هذا الفتي من قریش !

ثم قال لأربد : إذا قدمنا على الرجل فأبى شأغل عنك وجهه ، فإذا فعلت ذلك فاعله بالسيف ، فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال عامر بن الطفيل : يا محمد خالنى (٤) ، قال : ( لا والله حتى تؤمن بالله وحده ) قال : يا محمد خالنى ، وجعل يكلمه ويبتظر من أربد ما كان أمره به ، فجعل أربد لا يحير

(١) واحدة الحلل ، وهى برود اليمن . ولا تسمى حلة إلا أن تكون ثوبين من جنس واحد ، على ما فى ( النهاية لابن الأثير ) .  
(٢) ما بين المعقفين ساقط من الظاهرية ، فاستدركته من الاحدية والكمال لابن الأثير .

(٣) فى ( عيون الأثر للحافظ ابن سيد الناس ) : آليت لا أنتهى حتى يتبع العرب عقبى .

(٤) أى اجعل لى منك خلوة ، كما فى ( السيرة الحلبية ) .

شيئاً ، فلما رأى عامر ما يصنع أربد قال : يا محمد خالني ، قال : ( لا والله حتى تؤمن بالله ورسوله ) فلما أبى عليه رسول الله ﷺ قال عامر أما والله لأملأنها عليك خيلاً ورجالا .

فلما ولي قال رسول الله ﷺ : ( اللهم اكفني عامر بن الطفيل ) فلما خرجوا من عند رسول الله ﷺ قال عامر لأربد : ويلك يا أربد أين ما كنت أمرتك به ؟ وإيم الله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف عندي على نفسي منك والله لا أخافك بعد اليوم أبداً ، قال : لا أبالك ، لا تعجل على ، والله ما هممت بالذي أمرتني به إلا دخلت بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك ، أنأضربك (١) بالسيف ! وخرجوا راجعين إلى بلادهم ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله تعالى على عامر بن الطفيل الطاعون (٢) في عنقه فقتله الله تعالى في بيت امرأة سلوية ، فجعل يقول : يا بني عامر أغدة كغدة البعير في بيت امرأة من بني سلول .

ثم خرج أصحابه حين واروه بالتراب حتى قدموا أرض بني عامر ، فلما قدموا أتاهم قومهم فقالوا : ما وراك يا أبا أربد ؟ قال : لا شيء ، والله لقد دعاني لشيء لوددت أنه عندي الآن فأرميه بالنبل حتى أقتله ، فخرج بعد مقاتله بيوم أو يومين معه جملة له يبيعه ، فأرسل الله تعالى عليه وعلى جملة صاعقة فأحرقتهم .

(١) معرفة في النسختين ، فصحتها من ( تاريخ السكامل لابن الأثير ) .  
(٢) الطاعون يتسبب عن بكتريا قصيرة بيضوية ، تنتقل إلى الإنسان والقوارض بواسطة البرغوث ، حيث يمتص من دم فأر مصاب فتتكاثر البكتريا في معدة البرغوث ، فيلدغ الإنسان فتنتشر البكتريا في دمه . والطاعون أنواع ، وأعراضه مختلفة ، فبعضه يتسبب منه العقدة الليمفية ، خاصة في الأرب وتحت الإبطين ، ويتسبب الطحال ، وبعضه يحدث طفحاً وتورماً في الأعصاب ، وإعياء في جميع الجسم ... كما في هوامش ( الطب النبوي لابن القيم — تحقيق الدكتور قلعجي ) .

(قدوم الجارود بن بشر بن المعلی)

فی وفد عبد القیس، وكان نصرانيا

قال ابن إسحاق : حدثني من لا أتهم عن الحسن ، قال : لما انتهى إلى رسول الله ﷺ كلمه وعرض عليه الإسلام ودعاه إليه (١) ورغبه فيه ، فقال : يا محمد إني كنت على دين وإني تارك ديني لدينك ، أفتضمن لي ديني ؟ قال فقال رسول الله ﷺ ( نعم أنا ضامن أن قد هدك الله تعالى إلى ما هو خير منه ) قال فأسلم وأسلم أصحابه ، ثم سأل رسول الله ﷺ الخلان ، فقال : ( والله ما عندي ما أحكمكم عليه ) فقال : يا رسول الله إن بيننا وبين بلادنا ضوال (٢) من ضوال الناس أفتبلغ (٣) عليها إلى بلادنا ؟ قال : ( لا ، إياك وإياها فإتصبا تلك حرق النار ) وروى أنه لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشده :

يا نبي الهدى أتتكَ رجال قطع فدفدأ وآلاء فألا  
وطوت نحوك الصحاح طراً لا تخال السلال فيك كلالا  
كل دهناء يقصر الطرف عنها أرقلتها قلاصنا إرقالا  
وطوتها الجياد تجمع فيها بكماة كأنجم تتلالا  
تبتغي دفع بؤس يوم عبوس أو جل القلب ذكره ثم هالا

(١) سقط من الظاهرية ( ودعاه إليه ) والاستدراك من الاحمدية .  
(٢) في الظاهرية ( ضوال ) وهو تصحيف ، والمراد الضالة من الإبل مما يحصى نفسه ويقدر على الإبهاد في طلب المرعى والماء . على ما في ( النهاية لابن الأثير ) .

(٣) في الظاهرية ( أفتبلغ ) وهو تصحيف .

( ٤٨ - أول عيون التواريخ )

وقدم ( وفد بنى حنيفة ) ومعهم مسيلة الكذاب .

قال ابن إسحاق : حدثني شيخ من أهل اليمامة أن وفد بنى حنيفة أتوا رسول الله ﷺ ، وخلفوا مسيلة في رحالهم ، فلما أسلموا ذكروا مكانه فقالوا : يا رسول الله إنا خلفنا صاحبنا في رحالنا وركابنا يحفظها لنا ، قال فأمر له رسول الله ﷺ بمثل ما أمر للقوم فجاءوه بعطائه وانصرفوا ، فلما انتهوا إلى اليمامة ارتد عدو الله وتنبأ وكذب لهم ، وقال إني قد أشركت في الأمر معه ، ثم جعل يسجع لهم ويقول فيما يقول لهم مضاهاة للقرآن : لقد أنعم الله على الحبلي أخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشى . وأحل لهم الخمر والزنى ووضع عنهم الصلاة ، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان صاحب نيروجات<sup>(١)</sup> ويقال إنه أول من أدخل البيضة في القارورة ، وأول من وصل جناح الطائر المقصوص .

( قدوم زيد الخيل بن مهمل الطائي )

في وفد طيء

قال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله ﷺ وفد طيء ، فيهم زيد الخيل<sup>(٢)</sup> وهو سيدهم ، فلما انتهوا إليه كلمهم وعرض عليهم الإسلام ، فأسلموا وحسن إسلامهم ، وقال ﷺ ( ما ذكر لي رجل بفضل ثم جاءني إلا رأيته دون ما يقال فيه إلا زيد الخيل فإنه لم يبلغ كل ما فيه ) ثم سماه ( زيد الخير ) وقطع

(١) النيرج : أخذ كالسحر ، وليس به ، إنما هو تشبيه وتلميح ، وهي النيرنجيات ، على ما في ( تاج العروس للزبيدي ) .  
(٢) قيل له ( زيد الخيل ) لخس أفراس كانت له .



له فيد<sup>(١)</sup> وأرضين معه ، وكتب له بذلك ، فخرج من عند رسول الله ﷺ راجعاً إلى قومه ، فقال رسول الله ﷺ : ( إن ينج زيد من حُمل المدينة ) فلما انتهى من بلد نجد إلى ماء من مياهه يقال له فردة أصابته الحمى بها فمات ، فلما أحس بالموت قال :

أمرت حل قومي المشارق غدوة وأترك في بيت بفردة منجد  
ألا ربَّ يوم لو مرضت لعادني عوائد من لم ير منهن يحمده<sup>(٢)</sup>

فلما مات عمدت امرأة إلى ما كان من كتبه التي قطع له رسول الله ﷺ فخرقتها بالنار ، وقال أبو عمر بن عبد البر : بل مات في آخر خلافة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ، وكان له ابنان مكثف - وبه كان يكنى - وحريث ، أسلم وصحبها النبي صلى الله عليه وسلم ، وشهدا قتال الردة مع خالد رضي الله عنه .

( قدوم عدى بن حاتم رضي الله عنه )

قال ابن إسحاق : كان عدى بن حاتم<sup>(٣)</sup> يقول فيما بلغني : ما رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله ﷺ حين سمع به مني ، أما أنا فكنت امرأة شريفاً ، وكنت نصرانياً ، وكنت ملكاً في قومي لما كان يصنع بي ، فلما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم كرهته ، فقلت انغلام كان لعربي وكان راعياً لإبلي لأبائك أعدد لي من إبلي أجلاً ذللاً سماناً ،

(١) فيد : نصف طريق الحاج من الكوفة إلى مكة .

(٢) في عيون الأثر في فنون المغازي والشبائل والسير لابن سيده الناس ٣٧/٢

( يزهد ) عرض ( يجهد ) المثبتة في النسختين والروض الأنف وتاريخ الطبري .  
فلعل ما في عيون الأثر من تصحيف السمع .

(٣) حديث إسلامه أخرجه الإمام الترمذي .

فاحبسها قريباً مني ، فإذا سمعت بجيش محمد قد وطىء هذه البلاد  
فأذني ، ففعل .

ثم إنه أتاني ذات غداة فقال : يا عدى ما كنت صانعاً إذا غشيك محمد  
فأصنعه الآن فإني والله قد رأيت رايات فسألت عنها فقالوا هذه جيوش محمد  
قال فقلت (١) : فقرب لي أجمالي ، فقربها ، فاحتملت بأهلي وولدي ثم قلت :  
الحق بأهل ديني من النصارى بالشام ، وخلقت بذتاً لحاتم بالحاضر ، فلما قدمت  
الشام أقرت بها وتحالفني (٢) خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم [ فأصاب  
ابنة حاتم فيمن أصابت ، فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم في  
سبأيا من طيء (٣) ] .

وقد بلغ رسول الله ﷺ هربى إلى الشام ، قال فجعلت بذت حاتم في  
حظيرة بباب المسجد كانت السبأيا تحبس فيها ، فربها رسول الله ﷺ فقامت  
إليه وكانت امرأة جردلة (٤) فقالت : يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد  
فامنن عليّ من الله عليك ، قال : ( من وافدك ) قالت : عدى بن حاتم ، قال :  
( الفار من الله ورسوله ) ثم مضى وتركها حتى كان من الغد مر بها [ فقالت له  
مثل ذلك (٥) ] وقال مثل ما قال لها بالأمس .

حتى إذا كان بعد الغد مر بها فأشار إليها رجل من خلفه أن قومي فكلميه

(١) أتحجم في النص هنا ( قرب لي ) وهي دخيلة ، على ما في عيون الأثر في  
فنون المغازي والشمائل والسير للمحافظ ابن سيد الناس ٢ / ٢٣٨ .

(٢) أى جاءت من خلفي .

(٣) ما بين المعقفين ساقط من الظاهرية ، فاستدركته من الاحمدية  
وعيون الأثر .

(٤) أى عاقلة .

(٥) ما بين المعقفين مستدرك من ( عيون الأثر ٢ / ٢٣٨ ) .

قالت فقامت إليه فقلت : يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد<sup>(١)</sup> فأمّن على من الله عليك .

فقال رسول الله ﷺ : ( قد فعلت فلا تعجلى بخروج حتى تجدى من قومك من يكون ثقة حتى يبلغك إلى بلادك ) فسألت عن الرجل الذى أشار إليها أن كلبه فقيل هو على بن أبى طالب ، فأقمت حتى قدم ركب من بلوى أو قضاة<sup>(٢)</sup> ، قالت : وإنما أريد أن أجيء<sup>(٣)</sup> أخى بالشام ، فجئت إلى رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله قد قدم رهط من قومي لى فيهم ثقة وبلاغ ، قالت : فكساني رسول الله ﷺ وحملنى وأعطانى نفقة ، فخرجت معهم حتى قدمت الشام .

قال عدى : فرأته إنى لقاعد فى أهلى إذ نظرت إلى ظعينة تصوب إلى تؤمنا ، قال فقلت : ابنة حاتم ، قال فإذا هى هى ، فلما وقفت على أنسجلت<sup>(٤)</sup> تقول : القاطع الظالم ، احتملت بأهلك وولدك وتركت بقية والدك عورتك ! قلت أى أخية لا تقولى إلا خيراً ، فرأته ما لى من عذر ، لقد صنعت ما ذكرت . قال ثم نزلت فأقامت عندى ، فقلت لها — وكانت امرأة حازمة — ماذا ترين فى أمر هذا الرجل ؟ قالت : أرى والله أن تلحق به سريعاً ، فإن يكن الرجل نبياً فليسابق إليه فضله وإن يكن ملكاً فلن تذلل فى عز اليمن وأنت أنت ، قال قلت والله إن هذا هو الرأى .

فخرجت حتى أقدم على رسول الله ﷺ المدينة ، فدخلت عليه فقال :

(١) وفى رواية ( الرافد ) على ما فى عيون الاثر ٢ / ٢٢٩ .

(٢) فى ( الإيناس بعلم الانساب للوزير بن المغيرة ٢٤ ) : فى قضاة : بلى ابن عمرو بن الحارث بن قضاة .

(٣) فى الإحمديّة ( آتى ) عوض ( أجيء ) .

(٤) يعنى انطلقت .

(من الرجل ؟) قلت عدى بن حاتم ، فقام رسول الله ﷺ وانطلق بي إلى بيته ، فلقيته امرأة كبيرة ضعيفة فاستوقفته فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها قال قلت في نفسي : والله ما هذا بملك ، قال ثم مضى رسول الله ﷺ حتى إذا دخل بيته تناول وسادة من آدم محشوة ليفاً فقفزها إلى فقال ( اجلس على هذه ) قال قلت : بل أنت فاجلس عليها ، قال : ( بل أنت ) فجلست عليها وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأرض ، قال قلت في نفسي : والله ما هذا بأمر ملك .

قال ثم قال : ( ليه يا عدى بن حاتم لعلك إنما يمنعك من الدخول [ في هذا الدين (١) ] ما ترى من حاجتهم ، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ، ولعلك إنما يمنعك من الدخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم ، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية (٢) على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف ، ولعلك إنما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم ، وإيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم ) .

قال فأسلمت ، قال فكان عدى يقول : مضت اثنتان وبقيت الثالثة ، والله لتسكنن ، قد رأيت القصور البيض من أرض بابل (٣) قد فتحت عليهم وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تهج هذا البيت ، والله لتسكنن الثالثة ليفيطن المال حتى لا يوجد من يأخذه .

(١) ما بين المعقنين ساقط من الظاهرية .

(٢) بينهما وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً ، على ما في ( مجمع البلدان ثياقوت الحموي ) .

(٣) بالعراق .

( قدوم فروة بن مسيك المرادى )

قال ابن إسحاق : وقدم فروة بن مسيك على رسول الله ﷺ مفارقاً لمالك كندة ، ولما توجه إلى رسول الله ﷺ قال :

لما رأيت ملوك كندة أعرضت كالرجل خان الرجل عرق نسائها  
قربت راحلتى أروم (١) محمداً أرجو فواضلها وحسن ثرائها

فأسلم هو وقومه ، فاستعمله رسول الله ﷺ على مراد وزيد ومذحج (٢) كلها ، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة ، فكان معه في بلاده حتى توفي رسول الله ﷺ .

( قدوم عمرو بن معد يكرب )

في أناس من زيد

وقدم عمرو فأسلم ، وكان قد قال لقيس بن مكشوح (٣) المرادى وقيس ابن أخته : يا قيس إنك سيد قومك ، وقد ذكروا لنا أن رجلاً من قريش يقال له د محمد ، قد خرج بالحجاز يقال إنه نبي ، فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه فإن كان نبياً كما يقول فإنه إن يخفى علينا إذا لقيناه ، وإن كان غير ذلك علمنا علمه ، فأبى عليه قيس ذلك وسفه رأيه ، فركب عمرو حتى قدم على رسول الله ﷺ فأسلم وصدقته وآمن به ، فلما بلغ ذلك قيساً أوعدهمرا ، فقال عمرو في ذلك شعراً ، منه :

- 
- (١) هذا ما في النسختين ، وفي عيون الأثر للحافظ ابن سيد الناس : ( أروم ) .  
(٢) في النسختين ( مذحج ) وهو تصحيف .  
(٣) في النسختين ( مكشوح ) وهو تصحيف .

أعاذل مُعدتي يزني<sup>(١)</sup> وسيفي وكل مُقلّص<sup>(٢)</sup> سلس القياد  
 أعاذل إنما أقي شبابي إجابتي الصريح إلى المنادي<sup>(٣)</sup>  
 مع الأبطال حتى سُل جسمي وأفرح عاتق حمل النجاد  
 ويبقى بعد حلم القوم حلمي ويفنى قبل زاد القوم زادي  
 تمنى أن يلاقيني قيس<sup>(٤)</sup> ووددت وأينما منى وودادي  
 فن ذا عاذري من ذي سفاه يرود بنفسه شر المراد  
 أريد حياته<sup>(٤)</sup> ويريد قتلي عذرك من خليلك من مراد  
 فأجابه قيس يقول :

فلو لاقيتني لاقيت قرناً وودعت الحباب بالسلام  
 لملك موعدي بدي زبيد وما قامعت من تلك اللثام  
 ومثلك قد قرنت له يديه إلى اللحين يمشی في الخطام  
 وأسلم قيس بعد ذلك ، وله ذكر في الصحابة ، وقيل كان إسلامه بعد  
 وفاة رسول الله ﷺ ، وكان شجاعاً فارساً شاعراً .

(قدوم الأشعث بن قيس السكندی)

وقدم الأشعث بن قيس السكندی في ثمانين ركباً من كندة ،

(١) اليزني : الرمح المنسوب إلى ذي يزن . على ما في (الإفصاح للأستاذين  
 عبد الفتاح الصعیدی وحسين يوسف موسى) . وفي معجم الشعراء للربزباني  
 (بدي ورجمي) والبدن : الدرع .

(٢) يعني الجواد .

(٣) في معجم الشعراء (ركوبي في الصريح إلى المنادي) .

(٤) في معجم الشعراء وغيره (حبياءه) .

فدخلوا على رسول الله ﷺ مسجده وقد رجلوا جميعهم وتسكعوا، عليهم  
جيب الخبرة قد كففوها (١) بالحرير، فلما دخلوا على رسول الله ﷺ قال :  
( ألم تسلموا ؟ ) قالوا بلى ، قال : ( فما بال هذا الحرير في أعناقكم ) قال فشقوقه  
منها، فألقوه وقالوا : يا رسول الله نحن بنو آكل المرار وأنت ابن آكل المرار ،  
فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : ( نحن بنو النضر بن كنانة  
لأنفقوا (٢) أمنا ولا ننتقي من أبنائنا ) .

آكل المرار : الحارث بن عمرو بن حجر بن عمرو بن معاوية (٣) بن كندة  
أكل هو وأصحابه في غزاة غزاها شجراً يقال له المرار ، وللهي ﷺ جدة من  
كندة مذكورة وهي أم كلاب بن مرة ، فذلك أراد الأشعث .  
وكان الأشعث رئيساً مطاعاً في الجاهلية وجيهاً في قومه في الإسلام .

وقدم ( صرد بن عبد الله الأزدي ) على رسول الله ﷺ في وفد من  
الأزد ، فأمره على من أسلم من قومه ، وأمره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه  
من أهل الشرك من قبائل اليمن ، [ فخرج حتى نزل بجرش ، وهي يومئذ مدينة  
معلقة ، وبها قبائل من قبائل اليمن (٤) ] ، وقد ضوت إليهم خثعم فدخلوها  
معهم حين سمعوا بمسير المسلمين إليهم ، فحاصروهم قريباً من شهر وامتنعوا  
فيها ، فرجع عنهم صرد ، حتى إذا قفل ظن أهل جرش أنه (٥) إنما ولي عنهم

(١) المكفف بالحرير هو الذي عمل على ذيله وأكمامه وجيبه كفاف من حرير ،  
وفي النسختين ( كففوها ) .

(٢) أي لا تترك النسب إلى الآباء وننتخب إلى الأمهات ، أو ( لا تهنمها ) .  
(٣) في النسختين ( معاذ ) عوض ( معاوية ) والتصحيح من جمهرة أنساب  
العرب للحافظ ابن حزم الظاهري .

(٤) ما بين المعتقين ساقط من الظاهرية ، فاستدركته من الاحدية .

(٥) ( أنه ) مستدركة من ( نهاية الأرب ١٨ / ٩٧ ) .

( ٤٩ — أول عيون التواريخ )

منهم ما ، نخرجوا في طلبه حتى إذا أدركوه عطف عليهم فقتلهم قتلا شديدا ،  
وأسلم باقيهم .

وقدم على رسول الله ﷺ (كتاب ملوك حمير بإسلامهم) .

وقدم (وفد همدان) : منهم مالك بن نمط ، ومالك بن أيفع ، وضيام  
ابن مالك ، وعميرة بن مالك ، فلقوا رسول الله ﷺ مرجعه من تبوك ،  
وعليهم الخبرات اليمانية والعائيم العدنية على الرواحل المهيرية (١) ، ومالك  
ابن نمط يرتجز ويقول :

إليك جاوزن سواد الريف في هبوات الصيف والحريف  
مخطمات بحبال الليف

وذكروا له كلاماً كثيراً حسناً فصيحاً ، فكتب لهم رسول الله ﷺ  
كتاباً أفطعهم فيه ما سألوه ، وأمر عليهم مالك بن نمط ، وأمره بقتال من يليه  
من المشركين ، فكان لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه ، وكان مالك بن نمط  
شاعراً محسناً فقال :

ذكرت رسول الله في فحة الدجى ونحن بأعلى رحران وصلد  
وهن بنا خوص قلائص تعلى بركبانها في لاحب متمدد  
على كل فتلاء الذراعين جسرة تمر بنا من الهجف الخفيدد (٢)

(١) منسوبة إلى مهرة بن حيدان بن الحاف بن قضاة .

(٢) هنا في حاشية الظاهرية : الهجف : الظلم وهو ذكر النعام . والخفيدد :  
الطويل الساقين من الظلمات وفي حاشية الأحمدية موجز هذا الشرح ، وفي  
النسختين (الخفيدد) وفي الشرح المثبت في الحاشيتين (الخفيدد) ومعناه لا يتسق  
مع النص ، فهو إذاً تصحيف .



حلفت برب الراقصات إلى منى صوادر بالركبان من هضب قرد  
بأن رسول الله فينا مصدق رسول أتى من عند ذى العرش مهتد  
فما حملت من ناقة فوق رحلها أبر وأوفى ذمة من محمد (١)  
وأعطى إذ ما طالب الرفد (٢) جاءه وأمضى بحد المشرقى المهتد

وقدم على رسول الله ﷺ ( وفد تجيب ) وهم من السكون ، قد ساقوا  
معهم صدقات أموالهم التي فرض الله عليهم ، فسر رسول الله ﷺ بهم  
وأكرمهم ، فقالوا : يا رسول الله سقنا إليك حق الله تعالى في أمواتنا ، فقال  
لهم : ( ردوها فاقسموها في فقرائكم ) قالوا : يا رسول الله ما قدمنا عليك إلا  
بما فضل عن فقرائنا ، فقال أبو بكر : يا رسول الله ما وفد علينا من العرب مثلاً  
وفد به هذا الحى من تجيب ، فقال رسول الله ﷺ : ( إن الهدى بيد الله  
عز وجل فمن أراد به خيراً شرح صدره للإيمان ) .

وسألوا رسول الله ﷺ أشياء ، فكتب لهم بها ، وجعلوا يسألونه عن  
القرآن والسنن ، فزاد رسول الله ﷺ فيهم رغبة وأمر بلالا أن يحسن  
ضياقتهم ، فأقاموا أياماً ولم يطلبوا اللبث ، فقيل لهم : ما يعجلكم ؟ قالوا  
ترجع إلى من ورامنا فنخبرهم برؤيتنا رسول الله ﷺ وكلامنا إياه (٣)  
وما رد علينا .

ثم جاءوا إلى رسول الله ﷺ يودعون ، فأرسل إليهم بلالا فأجازهم

(١) في عيون الاثر ( أشد على أعدائه من محمد ) ومثله في روض الحافظ

السهرى .

(٢) في الروض الانف وعيون الاثر ( العرف ) بدل ( الرفد ) .

(٣) في النسختين ( وكلامه إيانا ) والتصحيح من عيون الاثر .

بأرفع ما كان يجيز به الوفود ، قال : ( هل بقي منكم أحد ؟ ) قالوا : غلام خائفناه على رحالنا هو أحدنا سنا ، قال : ( أرسلوه إلينا ) .

فلما رجعوا إلى رحالهم قالوا للغلام : انطلق إلى رسول الله ﷺ فاقض حاجتك منه فإننا قد قضينا حوائجنا منه وودعناه ، فأقبل الغلام حتى أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إني من الرهط الذين أنوك آفئاً فقضيت حوائجهم فاقض حاجتي ، قال : ( وما حاجتك ؟ ) قال : إني حاجتي ليست بكوائج أصحابي وإنهم كانوا قدموا راغبين في الإسلام وساقوا ما ساقوا من صدقاتهم ، وإني والله ما أعملني من بلادي إلا أن تسأل الله تعالى عز وجل أن يغفر لي وأن يرحمني وأن يجعل غناي في قلبي .

فقال رسول الله ﷺ وأقبل إلى الغلام : ( اللهم اغفر له وارحمه واجعل غناه في قلبه ) ثم أمر له بمثل ما أمر به لرجل من أصحابه ، فانطلقوا راجعين إلى أهلهم .

ثم وافوا رسول الله ﷺ في الموسم بمعي ، فقال رسول الله ﷺ : ( ما فعل الغلام الذي أتاني معكم ) ؟ قالوا : يا رسول الله والله ما رأينا مثله قط ولا حدثنا بأقنع منه بما رزقه الله تعالى ، لو أن الناس اقتسموا الدنيا ما نظر نحوها ولا التفت إليها ، فقال رسول الله ﷺ : ( الحمد لله ) وعاش الغلام على أفضل حال وأزهد في الدنيا وأقنع بما رزق .

فلما توفي رسول الله ﷺ ورجع من رجع من أهل اليمن عن الإسلام قام في قومه فذكرهم الله تعالى والإسلام ، فلم يرجع منهم أحد ، وجعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه يذكره ويسأل عنه حتى بلغه حاله وما قام به ، فكتب إلى زياد بن لبيد (١) يوصيه به خيراً

(١) في الظاهرية ( بن أبيه ) عوض ( بن لبيد ) والنصح جميع من الاحدية و ( عيون الاثر ٢ / ٢٤٨ ) .

وقدم ( وفد بني ثعلبة ) .

وقدم ( وفد بني سعد هذيم ) من قضاة وأسلوا جميعهم ، فأجازهم وأجزل لهم .

وقدم ( وفد بني فزارة ) بضعة عشر رجلاً ، فيهم خارجة بن حصن والحر ابن قيس بن حصن مقرين بالإسلام وهم مستنون<sup>(١)</sup> على ركاب عجاف<sup>(٢)</sup> ، فسألهم رسول الله ﷺ عن بلادهم ، فقال أحدهم : يا رسول الله أسدت بلادنا وهدمت مواشينا وأجذب جنابنا وغرت<sup>(٣)</sup> عيالنا فادع لنا ربك يغشنا واشفع لنا .

فقال رسول الله ﷺ : ( سبحان الله ) وصعد المنبر وتكلم بكلمات ، وكان لا يرفع يديه في شيء من الدعاء إلا رفع الاستسقاء<sup>(٤)</sup> ، فرفع يديه حتى روى بياض إبطيه ، وكان مما حفظ من دعائه : ( اللهم اسق بلادك وبهائلك وانشر رحمتك وأحى بلدك الميت ، اللهم اسقنا غيثاً مريحاً مريعاً<sup>(٥)</sup> ) طبقاً<sup>(٦)</sup>

(١) أي يجدد بين أصابتهم السنة ، وهي القحط .

(٢) أي مهزولة .

(٣) أي جاع . في النسختين ( عزت ) وهو تصحيف .

(٤) نفي لرفع خاص ، وهو الرفع بظن الكفاين ، كما في صحيح مسلم وسنن

أبي داود ، وأما في سائر الدعاء فقد كان يرفع بطونهم ، على ما في هامش ( عيون الأثر في المغازي والسير ٢ / ٢٤٩ ) .

(٥) أي عاماً يغني عن الارتياح والنجدة ، فالناس يربعون حيث شاءوا أي

يقيمون ولا يحتاجون إلى الانتقال في طلب السكنا . أو يكون من : أربع الغيث إذا أنبت الربيع ، على ما في ( النهاية لمجد الدين بن الأثير ) .

(٦) أي مالئاً للأرض مغطياً لها ، يقال غيث طبق أي عام واسع ، كما في

( النهاية ) . وفي النسختين ( مطبقاً ) وهو تحريف صححه من عيون الأثر وتاريخ الإسلام للذهبي .

واسعاً عجلاً غير آجل نافعاً غير ضار ، اللهم اسقنا رحمة ولا تسقنا عذاباً ولا هدماً ولا غرقاً ولا محقاً ، اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الأعداء ) .

فقام أبو لبابة بن عبد المنذر الأنصاري [ فقال : يا رسول الله التمر في المرابد ، فقال رسول الله ﷺ : اللهم اسقنا حتى يقوم أبو لبابة (١) ] عرياناً يسد ثعلب مريده (٢) بازاره ، قالوا : لا والله ما في السماء سحاب ولا قزعة غيم ، وما بين المسجد وبين سلع من شجر ولا دار ، فطلعت من وراء سلع سحابة مثل الترس ، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت ، فوالله ما رأوا الشمس سبتاً ، وقام أبو لبابة عرياناً يسد ثعلب مريده بازاره لثلاً يخرج التمر منه ، قال فجاء ذلك الرجل أو غيره فقال يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل ، فصعد رسول الله ﷺ المنبر ودعا ورفع يديه حتى روى بياض إبطيه وقال : ( اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر ) قال : فانجابت السحاب عن المدينة انجياب الثوب .

وقدم على رسول الله ﷺ (وقد بنى أسد) عشرة رهط ، فيهم وابضة (٣) ابن معبد وطليحة بن خويلد ، ورسول الله ﷺ جالس في المسجد مع أصحابه فسلموا وتكلموا ، فقال متكلمهم : يا رسول الله إنا نشهد أن الله وحده لا شريك له وأنت عبده ورسوله ، وجنتناك يا رسول الله ولم تبعث إلينا بعثاً ، ونحن لمن وراءنا .

(١) ما بين المعقفين استدر كته من ( عيون الآثار ٢/ ٢٥٠ ) فلعله ساقط من النسختين أو هو سهو من المؤلف .

(٢) المرابد : موضع يخفف فيه التمر . وثعلبه : ثقبه الذي يسيل منه ماء المطر على ما في ( النهاية ) .

(٣) في الظاهرية (وابضة) وهو تصحيف .

قال محمد بن كعب القرظي : فأنزل الله تعالى على النبي ﷺ : ﴿ يَمْنُونِ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِلَّا سَلَامُكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١) وكان مما سألوا رسول الله ﷺ عنه يومئذ العيافة والزجر والسكانة وضرب الحصى (٢) ، فنهاهم عن ذلك كله ، فقالوا : يا رسول الله إن هذه أمور كنا نفعلها في الجاهلية أرأيت خصلة بقيت ؟ قال : ( ما هي ) قالوا : الخط ، قال : ( علمه نبي من الأنبياء فمن صادف مثل علمه علم ) .

وقدم على رسول الله ﷺ ( وفد بني عذرة ) فقال رسول الله ﷺ : ( من القوم ؟ ) فقال متكلمهم : من لا تنكر ، نحن بنو عذرة ، قال رسول الله ﷺ : ( مرحباً بكم ما أعرقتكم بكم ) فأسلموا ، وبشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بفتح الشام ، ونهاهم عن سؤال السكانة وعن الذبأ التي كانوا يذبحونها ، وأخبرهم أن ليس عليهم إلا الأضحية ، وأقاموا أياماً ثم رحلوا ، وقد أجزوا .

وفيهما أرسل ( فروة بن عمرو الجذامي ) ثم الشفائي (٣) رسولاً إلى النبي ﷺ بإسلامه ، وأهدى له بغلة بيضاء ، وكان فروة عاملاً للروم على من يليهم من

(١) سورة الحجرات ، الآية ١٧ .

(٢) العيافة : تتبع آثار الأقدام والاختفاف والحوافر لمعرفة الفار من الناس والفضال من الحيوان . والزجر للطير وغيرها التيمن بسنوحها والتشاؤم ببروسها ، فما يامن منها سموه سائحاً ، وما تياسر سموه بارحاً . والسكانة هي ادعاء علم الغيب . والسكاهن يطلق على العراف والذى يضرب بالحصى . والسكانة مختصة بالأمور المستقبلية ، والعرافة بالأمور الماضية ، على ما في ( بلوغ الأرب للآلوسي ) وغيره .

(٣) لـبابة إلى بطن من كسبانة ، وهم بنو نفاثة بن عدي بن الدئل ، كما في اللباب وتاج العروس والاشتقاق .

العرب، وكان منزله معان من أرض الشام، فلما بلغ الروم إسلامه طلبوه حتى أسروه وحبسوه فقال في محبسه ذلك :

طرفت سليمى موهناً<sup>(١)</sup> فشجاني<sup>(٢)</sup> والروم بين الباب والقروان<sup>(٣)</sup>  
صد الخيال وساء ما قد رأى وهممت أن أغنى وقد أبكاني  
لا تسجلين العين بعدى إثمداً سلمى ولا تدنن للإثيان  
فلما اجتمعت الروم لصلبه على ماء لهم يقال له عفراء بفلسطين قال :

ألا هل أتى سلمى بأن خليلها<sup>(٤)</sup> على ماء عفري فوق إحدى الرواحل<sup>(٥)</sup>  
على ناقة لم يضرب الفحل أمها مشدبة<sup>(٦)</sup> أطرافها بالمناجل  
فلما قدموه ليصلبوه قال :

بلغ سراق المسلمين بأننى سلم لربى أعظمى ومقامى  
فضربوا عنقه وصلبوه .

وتابعت وفود العرب على النبي صلى الله عليه وسلم ، وفشوا الإسلام  
في القبائل .

(١) نحو نصف الليل .

(٢) في المراجع المشهورة (أصحابي) عروض (فشجاني) .

(٣) في النسختين (والقربان) والتصحيح من نهاية الارب والروض الأنف  
وغيرهما ، والقروان : حويض تسقى منه الدواب ، على ما في الروض الأنف .

(٤) في الأحمدية (خليلها) وهو تصحيف .

(٥) يريد بإحدى الرواحل الخشبة التي صلب عليها .

(٦) في النسختين (مشدبة) وهو تصحيف .

( ذكر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم )

أمرأه على الصدقات

فبعث المهاجر بن أبي أمية إلى صنعاء ، فخرج عليه العنسي ، وبعث زياد بن  
ليبيد الأنصاري إلى حضرموت ، على صدقاتها ، وبعث عدى بن حاتم  
الطائي على صدقات طيء وأسد<sup>(١)</sup> ، وبعث مالك بن نويرة اليربوعي على  
صدقات بني<sup>(٢)</sup> حنظلة ، وجعل الزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم على صدقات  
بني<sup>(٣)</sup> سعد بن زيد مناة ابن تميم ، وبعث العلاء بن الحضرمي إلى البحرين ،  
وبعث على بن أبي طالب إلى نجران ليجمع صدقاتهم وجزيتهم ويعود .

\* \* \*

(١) في (جوامع السيرة لابن حزم ٢٥) . ولى عدى بن حاتم على صدقات  
بني أسد .

(٢) سقط من النسخ (بني) في الموضعين ، فاستدركتها من جوامع السيرة ٢٥ .  
(٥٠ — أول عيون التواريخ) .

## ( ذكر حجة الوداع )

وخرج رسول الله ﷺ إلى الحج لخمس بقين من ذى القعدة لا يذكر الناس إلا الحج ، فلما كان بسرف<sup>(١)</sup> أمر الناس أن يحلوا بعمره إلا من ساق الهدى ، وكان رسول الله ﷺ قد ساق الهدى وناس معه ، وكان على بن أبي طالب رضى الله عنه قد لقيه محرماً فقال له رسول الله ﷺ : ( حل كما حل أصحابك ) فقال له : لى قد أهلت بما أهل به رسول الله ﷺ ، فبقى على إحرامه ونحر رسول الله ﷺ الهدى عنه وعن على رضى الله عنه .

وحج رسول الله ﷺ بالناس وأراهم مناسكهم وعليهم سنن حجهم ، وحج معه من الصحابة مائة ألف أو يزيدون ، حتى حج من لم يره قبلها ولا بعدها ، وقالوا بذلك نصيباً من الصحبة .

وخطب خطبته التى بين للناس فيها ما بئس ، وكان الذى يبلغ عنه بعرفة ربيعة بن أمية بن خلف لكثرة الناس .

وقال بعد حمد الله : ( أيها الناس اسمعوا قولى فاعلى لألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموسم<sup>(٢)</sup> أبدا . أيها الناس إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا ) . وهى خطبة طويلة .

وقال حين وقف بعرفة : ( هذا الموقف - للجبل الذى هو عليه - وكل عرفة موقف<sup>(٣)</sup> ) وقال بالمزدلفة : ( هذا الموقف وكل مزدلفة موقف<sup>(٤)</sup> ) ولما نحر بمنى قال : ( هذا المنحر وكل منى منحر ) .

(١) بفتح السين وكسرهما الراء ، موضع على ستة أميال من مكة ، وقيل سبعة وتسعة . . .

(٢) هنا فى النسختين فوق ( الموسم ) ( الموقف ) .

(٣) إلا بطن عرنة . (٤) إلا بطن محسر .



وقضى رسول الله ﷺ الحج ، وكانت حجة الوداع وحجة البلاغ (١) وذلك أن رسول الله ﷺ لم يحج بعدها ، وأرى الناس مناسكهم وعلمهم حجهم ، ورجع إلى المدينة ، فلما رآها كبر ثلاث مرات وقال : ( لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيئون تأمبون عابدون ساجدون لربنا حامدون . صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده (٢) ) .

( ذكر عدد غزواته صلى الله عليه وسلم وسراياه )

قال الواقدي : جميع غزواته بنفسه تسع عشرة غزوة (٣) وقيل ست وعشرون وقيل سبع وعشرون .

فمن قال ستاً وعشرين جعل غزاة خيبر ووادي القرى واحدة ، لأنه لم يرجع من خيبر إلى منزله .

ومن فرق بينهما وجعل غزواته سبعاً وعشرين جعل خيبر غزوة ووادي القرى غزوة .

وأول غزوة غزاها ( ودان ) ، وهي الأبواء . ثم بواط بناحية رضوى (٤) .

(١) ( وحجة البلاغ ) ساقطة من الظاهرية ، فاستدركتها من الاحمدية وناريخ الطبري ١٥٢ / ٣ .

(٢) هنا في حاشية الاحمدية : ( بالغ قراءة ) .

(٣) في ( اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ) أنها تسع عشرة كما ورد في النص . وفي ( جوامع السيرة لابن حزم ١٦ ) : غزا صلوات الله وسلامه عليه خمساً وعشرين غزوة .

(٤) من جبال تهامة ، وهو من ينبع على يوم ، ومن المدينة على سبع مراحل ميامنة طريق المدينة ، على ما في ( كتاب أسماء جبال تهامة لمرام بن الاصبغ السلمي ) .

ثم العشيرة . ثم بدر الأولى لطلب كرز بن جابر . ثم بدر الكبرى التي قتل فيها قريشا . ثم غزوة بني سليم . ثم غزوة السويق . ثم غزوة غطفان (١) . ثم غزوة بخران (٢) من الحجاز . ثم غزوة أحد . ثم غزوة حراء الأسد . ثم غزوة بني النضير . ثم غزوة ذات الرقاع . ثم غزوة بدر الآخرة . ثم غزوة دومة الجندل . ثم غزوة الخندق ، ثم غزوة بني قريظة ، ثم غزوة بني لحيان من هذيل . ثم غزوة ذي قرد . ثم غزوة بني المصطلق . ثم عمرة الحديبية . ثم غزوة خيبر . ثم عمرة القضاء . ثم غزوة فتح مكة . ثم غزوة حنين . ثم غزوة الطائف . ثم غزوة تبوك .

قاتل منها في تسع غزوات : بدر وأحد والخندق وقريظة والمصطلق وخيبر والفتح وحنين والطائف (٣) .

واختلف في عدد سراياه ، فقليل : كانت خمساً وثلاثين ما بين سرية وبعث ، وقيل ثمانياً وأربعين .

(١) هي غزوة ذي أمر .

(٢) في النسختين ( بنجران ) وهو وهم .

(٣) غزا رسول الله غزواته للذب عن حوزة المسلمين وخضد الشوكة أذى المشركين . فقد كان دأبهم بعد الهجرة تأليب العرب وإغراءهم بمناوأة المسلمين وكانوا يحدون من خداع المنافقين وكيد اليهود ما وسع أطباع أعداء الدين بالتحلال عراه وانقضاء من حوله قبل أن يبلغ منتهاه ، فأطلع الله رسوله على ذلك ، وأمره بالانتصار للدين . وقد أظهر الله من نصر المسلمين مع قلتهم ما كان من معجزات هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم . فلما فتحت مكة تسارع العرب إلى الدخول في دين الإسلام أفواجا ، وبدل الله بالعذب ما كان من دينهم أجاجا . وكانوا على شفا حفرة من النار فأنقذهم منها ، وجعل بينهم أخوة ما كانوا من قبل يدرون لها كتبها . على ما في ( قصة المولد للأستاذ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ٣٣ ) .

وفي هذه السنة (قدم جرير بن عبد الله البجلي) في رمضان مسلماً، فبعثه رسول الله ﷺ إلى ذي الخَلَصَةِ (١) فهدمها، وكانت من حجر أبيض بقبالة، وهو صنم بجيلة وخثعم وأزد السراة (٢).

وفيهما أسلم ذاذاً بالين، وبعث بإسلامه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

( ذكر عدد حجج النبي صلى الله عليه وسلم )

قال جابر: حج النبي ﷺ حجتين: حجة قبل أن يهاجر وحجة بعد ما هاجر، معها عمرة. وقال ابن عمر: اعتمر رسول الله ﷺ ثلاث عمر، وقالت عائشة رضي الله عنها: أربع عمر (٣).

(١) محرقة وبضمة: صنم كان لبجيلة وخثعم والحارث بن كعب وجرم وزبيد والغوث بن مر بن أد وبني هلال بن عامر، وكان بين مكة والين. قال ابن السكبي في (كتاب الأصنام ٣٤) كان ذو الخَلَصَةِ مروءة بيضاء منتوشة عليها كهنة التاج، وكان سدنتها بنى أمامة من باهلة بن أعصر...

(٢) في المستخين (السراة) وهو وهم عن حجة من تاج العروس للسيد الزبيدي. والسراة أعظم جبال العرب، تمتد من اليمن حتى أطراف بواذي الشام. كما في تاج العروس وكتاب أسماء جبال تهامة لغرام السلمي تحقيق الاستاذ عبد السلام هارون.

(٣) في (جوامع السيرة لابن حزم ١٥): اعتمر بعد الهجرة عمرتين مفردتين، قصد لهما وأتمهما: لإحداهما عمرة القضية قصد لها من المدينة سنة سبع، فأتمها في ذي القعدة. والآخرى عمرته من الجعرانة عام ثمان لثروقة حنين في ذي القعدة أيضاً. واعتمر حمرة ثالثة قرنها مع حجته، قصد لهما من المدينة، أهل بهما في ذي القعدة، وأتمهما في ذي الحجة.

## ( ذكر صفة النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> ) وأسمائه وخاتم النبوة

قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل ولا بالقصير ، ضخم الرأس واللحية ، شثن الكفين والقدمين ، ضخم الكراديس ، مشرباً وجهه حمرة ، طويل المسربة ، إذا مشى تكفأ تكفياً كأنما ينحط من صلب - وهو الحدور <sup>(٢)</sup> - لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ ، وكان أدعج العين ، سبط الشعر ، سهل الخدين ، ذا وفرة ، كأن عنقه إبريق فضة ، إذا التفت التفت جميعاً .

وفى رواية أنه كان نفماً مفتحماً ، يتألاً وجهه كالقمر ليلة البدر ، أقصر من المشذب وأطول من المربع ، عظيم الهامة ، رجل الشعر ، لا يجاوز شعره شحمة أذنيه ، أزهر اللون <sup>(٣)</sup> ، واسع الجبين ، أزج الحاجبين ، أقى العينين ، له نور يعلوه ، سهل الخدين ، أشنب ، مفلج الأسنان ، دقيق المسربة ، كأن عنقه جيد دمية فى صفاء الفضة ، معتدل الخلق ، بادناً متناسكاً ، سواء البطن والصدر ، عريض الصدر ، بعيداً ما بين المنكبين ، ضخم الكراديس ، أنور المتجرد ، موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجرى كالخط على الشدين والبطن

(١) قال سيدى جسوس فى شرح الشمايل : معرفة صفاته ونعوته وسيلة إلى امتلاء القلب بتعظيمه ، وتعظيمه وسيلة إلى تعظيم الشريعة ، وتعظيم الشريعة وسيلة إلى العمل بها . ومعرفة تنضم من معرفة حسنه وإحسانه ، وذلك وسيلة إلى محبته . ومحبته هى روح الإيمان الذى هو أصل كل سعادة وسيادة .

(٢) أو ( الانحدار ) كما فى ( تاريخ الإسلام للحافظ الذهبى ٢ / ٣٠٥ ) .

(٣) أى أبيض يعلوه إشراق . . . على ما قاله جسوس .

وما سوى ذلك ، أشعر الذراعين والمناكب وأعلى الصدر ، طويل الزندين ، سائر الأصابع ، شثن الكفين والقدمين ، سبط العظام ، خصان الأنخين ، مسميح القدمين ، يلبو عنهما الماء صلواته .

وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما في صفته : حدثنا ابن خالي هند بن أبي هالة عن صفة النبي صلواته ، وفيها : أزج الحاجبين سوابع من غير قرن بينهما ، كث اللحية ، أدعج ، سهل الخدين ، ضليع الفم ، إذا زال زال تقلعا ، ويخطو تكفوؤا ، ويمشي هونا ، ذريع المشية (١) ، إذا مشى كأنما ينحط من صلب وإذا التفت التفت جميعا ، خافض الطرف ، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء ، جل نظره الملاحظة ، يبدأ من لقيه بالسلام .

قلت : صف لي منطقه ، قال : كان رسول الله صلواته متواصلا بالأحزان ، دائم الفكرة ، ليست له راحة ، ولا يتكلم في غير حاجة ، طويل السكوت ، يفتح الكلام ويختمه بأشداقه ، ويتكلم بجوامع الحكم ، فصلا لا فضول (٢) فيه ولا نقصير ، دمثا ليس بالجافي ولا الممين ، يعظم النعمة وإن دقت ، لا يذم شيئا ولا يمدحه ، ولا يقام لغضبه إذا تعرض للحق بشيء حتى يلتصر له ، لا يغضب لنفسه ولا يقتصر لها ، إذا أشار أشار بكفه كلها وإذا تعجب قلبها وإذا غضب أعرض وأشاح ، وإذا فرح غص طرفه ، جل ضحكك التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام .

فسأله عن مجلسه وما كان يصنع فيه ، قال : كان رسول الله صلواته

(١) أي واسع الخطوات . عن سيدنا أبي هريرة ، قال : ما رأيت أحدا أبهرع في مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كأنما الأرض تطوى له ، إنا لنجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث ، أي إن سرعته لم تسكن بتسكف . على ما قاله سيدى جسوس وثبت اليوم أن النشاط في السير يمنع فصلب الشرايين . (٢) في الظاهرية (فصول) وهو تصحيف .

لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر ، ولا يوطن الأماكن ، وينهى عن إيظانها ، وإذا انتهى إلى القوم جلس حيث انتهى به المجلس ، ويأمر بذلك ، ويعطى كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جلسائه أن أحداً أكرم غاية منه ، من جلسائه أو قامه الحاجة صابره <sup>(١)</sup> حتى يكون هو المنصرف عنه ، من سألته حاجة لم يردده إلا بها أو بميسور من القول ، قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا عنده في الحق متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى ، مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة ، لا ترفع فيه الأصوات ولا متوأن فيه الحُرَم (٢) ، يتعاطفون بالتقوى ، متواضعين ، يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير ، ويرفدون ذا الحاجة ، ويرحمون الغريب .

فسأله عن سيرته ﷺ في جلسائه ، فقال : كان رسول الله ﷺ دائم البشر ، سهل الخلق ، لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا سخاب

(١) أخلاق محمد صلى الله عليه وسلم كانت كلها تنبع من فطرته بنسب متفقة متسارية : فصبره مثل شجاعته ، وشجاعته مثل كرمه ، وكرمه مثل حلمه ، وحلمه مثل رحمته ، ورحمته مثل مروءته ، وهكذا لا تجد له خلقاً في موضعه من الحياة يزيد أو ينقص على خلق آخر في موضعه منها . ومن هنا كان جماع أمره عند قومه (الأمين) وهذا اسم يمثل التكافؤ الخلقى أصدق تمثيل . هذا التكافؤ الخلقى في وجوده الواقعي في شخصية محمد ﷺ يوشك أن يكون معجزة الحياة في الإنسان ، لأن التاريخ لم يذكر من النماذج العليا للبشرية من كان هذا التكافؤ الخلقى خليفته العامة سوى محمد ﷺ وإذا ذكر التاريخ غيره من النماذج العليا ذكره عنواناً لتبريز جزئي في بعض الأخلاق والفضائل : فهذا مثل مضروب في الصبر ، وذلك في الحلم ، وثالث في السكرم ، ورابع في الشجاعة . وهكذا تتفرق النهايات في الأخلاق والفضائل في نماذج متعددة ، ولكنها تجمع متكافئة في شخصية محمد صلى الله عليه وسلم . وهذا سر الإعجاز الإنساني في حياته صلى الله عليه وسلم . من كتاب محمد : من نبعته إلى بعثته للأستاذ الشيخ محمد الصادق عرجون .

(٢) أى لا يذكرون بقبيل .

ولا خاش ولا عياب ولا مداح ، يتغافل عما لا يشتهى ، قد ترك نفسه من ثلاث : الريا والإكثار وما لا يعنيه ، وترك الناس من ثلاث : كان لا يذم أحداً ولا يعيره ولا يطلب عورته ، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه ، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رءوسهم الطير ، وإذا سكت تكلموا ، لا يتنازعون عنده الحديث ، من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ ، حديثهم حديث أولهم ، ويضحك بما يضحكون منه ، ويعجب مما يعجبون ، ويصبر للغير على الجفوة في المنطق ، ويقول : ( إذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فازهدوه ولا تطلبوا الثناء إلا من مكافئ ) ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوزه فيقطعه بانتهاء أو قيام .

### فصل

( في تفسير غريب هذا الحديث ومشكله )

شثن الكفين والقدمين : يعني أنهما إلى الغلظ (١) ، وقوله ضخم السكراديس : يعني ألواح الأكتاف ، والمسربة : الشعر ما بين اللبة والسرة . والصيب : الانحدار . والدعج في العين ، السواد . والمشدب : أى البائن الطول في نحافة . والحاجب الأزج : المقوس الطويل الوافر الشعر . والأقنى : السائل الأنف المرتفع وسطه . والأشم : الطويل قصبة الأنف . والشذب : رونق الأسنان وماؤها وقيل رقتها . والفليج : فرق ما بين الشنايا ومتماسك :

(١) يعنى أنه ضخم الكفين والقدمين ، صلى الله عليه وسلم . وعبر عن ذلك الحافظ الأديب ابن سيد الناس فقال : ( شثن الكفين والقدمين : لحيمهما ) على ما في ( عيون الأثر في فنون المغازى والسير ٢ / ٣٢٧ ) وعبر عن ذلك الشيخ محمد الطاهر بن عاشور بقوله : غير قصير اليدين ولا الأصابع ، على ما في ( قصة المولد ٣٩ من طبعة تونس ) .

يعنى معتدل الخلق يمسك بعضه بعضا . وسواء البطن والصدر : يعنى مستويهما . ومسيح القدمين : أى أملسهما . والتقلع : رفع الرجل بقوة . والتسكفؤ : الميل إلى سنن المشى وقصده . والهون : الرفق والوقار . وقوله يفتح الكلام ويختمه بأشداقه : أى لسعة فيه ، والعرب تمتدح بهذا وتذم صغر الفم . وأشاح : مال وانقبض . وحب الغمام : البرد . وقوله لا يوطن المواطن : أى لا يتخذ لمصلاة موضعاً معلوماً ، وقد ورد نهيه عن هذا .

( ذكر نبذة من معجزاته <sup>(١)</sup> )

صلى الله عليه وسلم

وإن كان أكثر ما نوره ها هنا قد سبق لإرادته لكن مفرقا ، والغرض الآن ذكره مجموعا :

فإن ذلك القرآن وهو أعظمها <sup>(٢)</sup> .

(١) قال الإمام الماوردى : المعجز ما خرق عادة البشر من خصال لا تستطاع إلا بقدره الإلهية تدل على أن الله تعالى خصه بها تصديقا على اختصاصه برسالاته فيصير دليلا على صدقه في ادعاء نبوته .

(٢) كان العربى يسمع الآيات من القرآن فتعلك قلبه وتمسك لبه حتى تقوده إلى الإسلام كما فعلت بسيدنا عمر ، أو تحمله على الإقرار بعظمته وغريب تأثيره ولو بقى على كفره كما صنع الوليد .

القرآن أحاط بالمثل العليا ، فكان كتاب علم . . . وهو كتاب عقائد . . . وهو كتاب تشريع . . . وهو كتاب تاريخ . . . القرآن هو الذى يحوى الدستور الكامل للحياة الفردية والجماعية ، الجسدية والروحية ، ولحياة المجتمع المالية والاجتماعية والأخلاقية والحكومية . . . القرآن يدور على وصل الإنسان الغافى بالله الباقي بتوحيده وتذكره ، وتجنب إشراك غيره فى الألوهية أو توجيه العبادة



وشق الصدر<sup>(١)</sup>، وإخباره عن بيت المقدس . وانشقاق القمر، وأن الملا من قريش تعاقبوا على قتله، فخرج عليهم، خففصوا أبصارهم، فأقبل حتى قام

إلى سواء، وعلى وصل هذه الحياة الغاية بالحياة الآخرة الباقية، بالإيمان بها والاستعداد لها، والعمل على ما ينفع فيها.

القرآن يلم بكل ما يحتاج إليه الإنسان من أدوات توصله إلى الكمال الممكن في الفكر والجسد والعاطفة والخلق الكريم، يمزجها بأسلوب هو الغاية في التأثير فتصل به إلى منطقة اللاشعور - أي العقل الباطن - حتى إذا استقرت فيها ظهر أثرها في فكر الإنسان وعاطفته وسلوكه وبمجموع أعماله . لذلك بدل الإسلام العرب، حتى ولدوا به في التاريخ ولادة أخرى . وخذوا مثالا على ذلك سيدنا عمر وتصوروا ماذا بلغ لما أسلم، وماذا كان لو لم يسلم .

ما فرط القرآن في شيء، ولكن ليس معنى هذا أن فيه حل تمرينات الحساب في دفتر التلميذ وإعراب أبيات الاختبار في كتاب القواعد وبيان عدد جبال البرازيل وطول أنهار فرنسا، القرآن لا يقدم إليك صندوق التفاح بل يعطيك الأرض والخبرة التي تملك بها شجرة التفاح، ولا يذكر لك قوانين الفيزياء بل يهيكلك العقل ويرشدك إلى استعماله في معرفة قوانين الفيزياء . القرآن يدعو للتدبر والتفكير وإعمال العقل في فهم آيات القرآن وفي معرفة أسرار الأكوان . . . ( من مقال تمتع للاستاذ على الطنطاوى في مجلة الوعى الإسلامى - العدد ١١٢ ) .

(١) قال الاستاذ الشيخ محمد الصادق عرجون في مؤلفه ( محمد من نبوته إلى بعثته صلى الله عليه وسلم ) : شق الصدر حادث كوني ومعجزة عجيبة وقعت لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وجاءتنا بها الروايات الصحيحة الثابتة، ولم يتخذ منها النبي صلى الله عليه وسلم آية للتحدى والبرهنة على صدق رسالته كغيرها من المعجزات السكونية والخوارق العجيبة قبل البعثة أو بعدها . . . وعلى الذين يؤرخون لمحمد صلى الله عليه وسلم ويسكتون في سيرته أن يجعلوا نصب أعينهم أنه نبي من أنبياء الله ورسول من رسل الله، وأن عظمته في نبوته ورسالته لا في هبته وبعثته، فهو بالنبوة والرسالة قد سما على العبقرية والبطولة .

على رؤوسهم فقبض قبضة من تراب وقال : ( شأنت الوجوه ) وحصبهم فما أصاب رجلا منهم شيء من ذلك الحصى إلا قتل يوم بدر .

ورمى يوم حنين بقبضة من تراب في وجوه القوم فهزمهم الله تعالى . ونسج العنكبوت عليه في الغار . وما كان من أسر سراقة بن مالك إذ تبعه فساخت قوائم فرسه في الأرض الجلدة<sup>(١)</sup> .

ومسح على ظهر عناق<sup>(٢)</sup> ولم ينز عليها الفحل فدرت . وقصة شاة أم معبد ، ودعوته لعمر أن يعز الله به الإسلام . ودعوته لعل أن يذهب الله عنه الحر والبرد ، وتقل في عيبيه وهو أرمد فعوفى من ساعته ولم يرمد بعد ذلك . ورد عين قتادة بن النعمان بعد أن سألت على خده ، فكانت أحسن عيبيه .

ودعا لعبد الله بن عباس بالتأويل والفقه في الدين ، ودعا لجمل جابر بن عبد الله ، فصار سابقاً بعد أن كان مسبوقاً . ودعا لأنس بن مالك بطول العمر وكثرة المال والولد ، ودعا في تمر جابر بالبركة فأوفى غرماءه وفضل ثلاثة عشر سقاً<sup>(٣)</sup> .

واستسقى عليه الصلاة والسلام فطروا أسبوعاً ، ثم استصحى لهم فانجابت السحاب .

ودعا على عتبة بن أبي لهب فأكله الأسد بالزرقاء من الشام . وشهدت

(١) أى الصلبة .

(٢) هى الاثنى من أولاد المعز ما لم تتم سنة ، كما في ( النهاية لابن الأثير الجزري ) .

(٣) الوسق ستون صاعاً ، والصاع : أربعة أمداد . والمد : مختلف فيه .

الشجرة له بالرسالة في خبر الأعزاني الذي دعاه إلى الإسلام ، فقال : هل من شاهد على ما تقول ؟ قال : ( نعم هذه الشجرة ) ثم دعاها فأقبلت فاستشهدها ، فشهدت أنه كما قال ، ثلاثاً ، ثم رجعت إلى منبتها .

وأمر شجرتين فاجتمعتا ثم افترقتا . وأمر أنساً أن ينطلق إلى نخلات فيقول لمن : أمركن رسول الله ﷺ أن يجتمعن ، فاجتمعن ، فلما قضى حاجته أمره أن يأمرهن بالعود إلى أماكنهن فعدن . ونام فجاءت شجرة تشق الأرض حتى قامت عليه ، فلما استيقظ ذكرت له فقال : ( هي شجرة استأذنت ربها في أن تسلم عليّ فأذن لها ) .

وسلم عليه الحجر والشجر ليالي بعث : السلام عليك يا رسول الله . وقال : ( إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث (١) ) .

وحن إليه الجذع (٢) . وسبح الحصى في كفه ، وسبح الطعام بين

(١) قال الحافظ ابن حجر عليه رحمة الله : مجموع ذلك يفيد القطع بأنه ظاهر على يده صلى الله عليه وسلم من الخوارق شيء كثير كما يقطع بوجود جودحاتهم وشجاعة علي . وإن كانت أفراد ذلك ظنية ووردت مورد الأحاد ، مع أن كثيراً منها قد اشتهر وانتشر ورواه العدد الكثير والجم الغفير ، وأفاد الكثير منه القطع عند أهل العلم وإن لم يصل عند غيرهم إلى هذه الرتبة لعدم عنايتهم بذلك (فتح الباري ٦ / ٥٨٢ طبع المطبعة السلفية) .

(٢) روى البيهقي بسنده إلى عمرو بن سواد السرحي قال : سمعت محمد بن إدريس الشافعي يقول : ما أعطى الله تعالى نبياً قط شيئاً إلا وقد أعطى محمداً صلى الله عليه وسلم أكثر . قال عمرو : فقلت له : قد أعطى الله عيسى عليه السلام أكثر منه : أن يحيي الموتى . قال الشافعي : فالجذع الذي كان يخطب إلى جنبه قبل أن يجهل له المنبر حين حن إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، يعني فهو أكثر من ذلك على ما في (مناقب الشافعي ١ / ٤٢٦) .

قال الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية) : ورد حديث حنين الجذع هن =

أصابه . وأعلمته الشاة بسمها . وشكا إليه البعير قلة العلف وكثرة العمل .  
وسأله الظبية أن يخلصها من الحبل ، لترضع وليدها ، فخلصها ، وعادت  
ونظمت بالشهادتين .

وأخبر عن مصارع المشركين يوم بدر ، فلم يعد أحد منهم مصرعه (١) .  
وأخبر أن طائفة من أمته يغزون في البحر وأن أم حرام بدت ملحان منهم ،  
فكان كذلك .

وقال لعثمان بن عفان ( تصيبه بلوى شديدة ) فأصابته وقتل . وقال  
للأنصار : ( إنكم ستلقون أثره ) فكان زمن معاوية . وقال في الحسن : ( إن  
ابني هذا سيد ولعل الله تعالى أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين )  
فصالح معاوية وحقن دماء الفئتين من المسلمين . وأخبر بقتل الأسود العنسي  
الكذاب وهو بصنعاء ليلة قتله وبمن قتله . وقال لثابت بن قيس : ( تعيش  
حميداً وتقتل شهيداً ) فقتل يوم اليمامة .

وارتد رجل ولحق بالمشركين فبلغه أنه مات فقال : ( إن الأرض لا تقبله )  
فكان كذلك . وقال لرجل يا كل بشماله : ( كل يمينك ) فقال : لا أستطيع  
فقال : ( لا استطعت ) فلم يطق أن يرفعها إلى فيه بعد . ودخل مكة عام الفتح  
والأصنام حول الكعبة معلقة ، ويده قضيب ، فجعل يشير إليها ويقول :

== جماعة من الصحابة بطرق متعددة تفيد القطع عند أئمة هذا الشأن وفرسان  
هذا الميدان .

وقال الحافظ ابن كثير في ( البداية والنهاية ) أيضاً : قد روى هذا الحديث  
جماعة من الصحابة ، وعنهم أعداد من التابعين ، ثم من بعدهم آخرون عنهم  
لا يمكن تواطؤهم على الكذب فهو مقطوع به في الجملة .

(١) وفي غزوة مؤتة رفع الله له الأرض فرأى معتركم وما وقع لسيدنا زيد  
ابن حارثة وسيدنا جعفر بن أبي طالب وسيدنا هبذ الله بن رواحة .

( جاء الحق وزهق الباطل ) وهى تتساقط (١) . وخبر سواد بن قارب ومازن ابن الغضوبية ، وأمثالها كثير . وشهد الضب بنبوته . وأطعم ألفاً من صاع شعير بالحنديق فشبعوا ، والطعام أكثر مما كان ، وأطعمهم من تمر يسير لم يملأ كفيه . وجمع فضل الأزواد على النطع (٢) فدعا لها بالبركة ثم قسمها في العسكر ، فقامت بهم .

(١) غضبت قریش أن جفا أصنامها ووفى بعهد لالهيه وذمامه صدق الأستاذ أحمد محرم ، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان على الفطرة ، يكره الأصنام منذ طفولته ، وينهى غيره عن مسها ، ففي ( تاريخ الإسلام للحافظ الذهبي ٢ / ٤٣ ) : بالسند إلى أسامة بن زيد عن أبيه قال : كان صنم من نحاس يقال له إساف أو نائلة ، يتمسح المشركون به إذا طافوا . فطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وطفت معه ، فلما مررت مسحت به ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( لا تمسه ) قال زيد : فطفنا فقلبت في نفسي : لأمسه حتى أنظر ما يكون فمسحته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( ألم تمه ) . قال الحافظ الناقد الذهبي : هذا حديث حسن ، وقد زاد فيه بعضهم عن محمد بن عمرو بإسناده : قال زيد : فوالله ما استلم صنماً حتى أكرمه الله بالذي أنزل عليه .

فما ورد في أخبار مكة للأزرقي من أمر النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة بهحو جميع الصور التي كانت في الكعبة إلا صورة عيسى وأمه هو باطل قطعاً لأن بقاء الصورة في المسجد منكر ، والنبي صلى الله عليه وسلم لا يقر منكراً . وفي صحيح البخارى أن النبي صلى الله عليه وسلم أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة ، وأمر بها فأخرجت ، فأخرج صورة إبراهيم وإسماعيل في أيديهما من الأزام فقال : ( قاتلهم الله لقد علموا ما استقاما بها قط ) . أنظر مقال الأستاذ الأكبر السيد محمد الحضر حسين رضى الله عنه في مجلة الهداية الإسلامية ( الجزء الثانى من المجلد الثانى عشر ) .

(٢) النطع بالكسر وبالفتح وبالتحريك وكعنب : بساط من الأديم ، كما في ( القاموس المحيط للفيروز ابادى رحمه الله ) .

وأناه أبو هريرة بتمرات قد صفهن في يده وقال : ادع لي فيهن بالبركة ، ففعل ، قال أبو هريرة : فأخرجت من ذلك التمر كذا وكذا وسقاً في سبيل الله ، وكنا نأكل منه ونطعم حتى انقطع في زمن عثمان . ودعا أهل الصفة لقصعة ثريد ، قال أبو هريرة : فجعلت أنطاول ليدعوني ، حتى قام القوم وليس في القصعة إلا اليسير في نواحيها فجمعه رسول الله ﷺ فصار لقمة فوضعها على أصابعه وقال : ( كل بسم الله ) فوالذي نفسى بيده ما زلت آكل منها حتى شبع .

ونبع الماء من بين أصابعه حتى شرب القوم وتوضئوا (١) ، وهم ألف وأربعمائة . وأتى بقدر فيه ماء فوضع أصابعه في القدح فلم يسع ، فوضع أربعة منها وقال : ( هلموا ) فتوضئوا أجمعين ، وهم من السبعين إلى الثمانين . وورد في غزوة تبوك على ماء لا يروى واحداً والقوم عطاش فشكوا إليه ، فأخذ سهماً من كنانته وأمر بغرسه فيه ، ففار الماء وارتوى القوم ، وكانوا ثلاثين ألفاً . وشكا إليه قوم ملوحة مائهم ، فجاء في نفر من أصحابه حتى وقف على برهم فتقل فيها (٢) ، فتفجر بالماء العذب المعين (٣) وأتته امرأة بصبي لها أقرع فمسح على رأسه فاستوى شعره وذهب داؤه .

وانكسر سيف عكاشة بن محصن يوم بدر ، فأعطاه جذلاً من حطب فصار في يده سيفاً ، ولم يزل بعد ذلك عنده . وكذلك وقع لعبد الله بن جحش

(١) قال القرطبي : قصة نبع الماء من بين أصابعه قد تكررت في عدة مواطن في مشاهد عظيمة ، ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العام القطعي المستفاد من التواتر المعنوي .

(٢) في النسخ ( فيه ) وهو وهم ، لأنها مؤنثة .

(٣) هو من قولهم : معن الماء : جرى فهو معين . وقيل الماء العذب الغزير . كما في ( مفردات القرآن للراغب الأصفهاني ) و ( لسان العرب لابن منظور ) .

يوم أحد . وعزت كدية (١) بالخذق عن أن يأخذها المول ، فضربها  
فصارت كشيئاً أهيل .

ومسح على رجل أبي رافع - وقد انكسرت - فمكانه لم يشكها قط .

ومعجزاته صلى الله عليه وسلم أكثر من أن يجمعها كتاب أو يحصرها  
ديوان (٢) .

(١) في النسختين ( كدنة ) وهو تصحيف صحبته من ( لسان العرب ) .

(٢) قال الشيخ محمد زاهد الكوثري رحمه الله في كتابه (نظرة هابرة - ٤٨)  
يا نفاة المعجزات الحسية لا تضنوا على نثر الرسل - صلوات الله وسلامه عليه  
وعليهم - بمعجزات أثبتها القرآن لسائر الأنبياء ، وقد أجاد ابن كثير في تاريخه  
سرد المعجزات الثابتة لفخر المرسلين مما ثبت مثله للأنبياء قبله ، وتبين أنه  
ما أوتي نبي قبله معجزة إلا وأعطى مثلها المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ،  
وقد نص أهل العلم على ما تواتر منها مباشرة وما تواتر القدر المشترك فيه فقط .  
وقال الأستاذ الشيخ محمد الصادق عرجون في مؤلفه ( محمد من نبوته إلى  
بعثته صلى الله عليه وسلم ) :

وليس بلام أن تكون المعجزات مقرونة بالتحدي ، بل من المعجزات  
ما يجب أن يكون مقروناً ، وذلك ما جعله الله برهاناً على صدق مدعى الرسالة  
كالقرآن الكريم بالنسبة لمحمد صلى الله عليه وسلم ، والعصا بالنسبة لموسى ،  
ولإحياء الموتى بالنسبة لعيسى عليهما السلام ، ومنها ما يكون لمحض التكريم  
والشريف سابقاً للنبوة في زمانها ، والعمدة فيه اتفاقه مع القسم الأول في خرق  
العادة ومخالفة مجرى سنن الحياة المتكررة المعهودة كتظليل الغمامة وشق الصدر  
وتسبيح الحصى وتكثير القليل مما وقع لدينا لمحمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته  
أو بعدها . ولم يتحد به ولم يتخذ برهاناً على صدقه ، وإنما جعله الله له تكريماً  
لمقامه وتشريعاً لقدره .

## ( ذكر أولاده )

صلى الله عليه وسلم

قال ابن عباس رضى الله عنهما : أول من ولد لرسول الله ﷺ بمكة قبل النبوة : القاسم ، وبه كان يكنى ، ثم ولدت زينب ثم رقية ثم فاطمة (١) ثم أم كلثوم ، ثم ولد له في الإسلام عبد الله فسمى الطيب الطاهر . وأمههم جميعاً خديجة بنت خويلد ، فكان أول من مات من ولده القاسم ، ثم مات عبد الله بمكة ، وقيل الطيب والطاهر ابنان سواء (٢) ، وقيل كان له الطاهر والمطهر ، ولدا في بطن ، وقيل كان له الطيب والمطيب ولدا أيضاً في بطن ، وقيل لإنهم كلهم ماتوا قبل النبوة .

وأما بناته فكانن أدركن الإسلام وأسلمن وهاجرن معه .

ثم ولدت له ﷺ مارية بنت شمعون القبطية لإبراهيم .

## ( ذكر أعمامه وعماته )

صلى الله عليه وسلم

أبو طالب وهو عبد مناف ، والزبير ، وعبد السكبة ، وأم حكيم ، وعاتكة ، وبرة ، وأروى ، وأميمة ، وأمهم فاطمة (٣) بنت عمرو بن عائذ ابن عمران بن مخزوم . وحمة ، والمقوم ، وحجل - واسمه المغيرة - وصفية ، والعوام - وأمهم هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة بنت عم آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ - والعباس ، وضرار - وأمهما نائلة بنت جناب ابن كلب من النمر بن قاسط - والحارث - وهو أكبر ولد عبدالمطلب - وشقيقة قثم - وأمهما صفية بنت جندب - وأبو لهب عبد العزى - وأمه

(١) كانت خديجة إذا ولدت ولداً دفعته إلى من يرضعه ، فلما ولدت فاطمة

لم يرضعها غيرها ، على ما في ( البداية والنهاية للمحافظ ابن كثير ٥ / ٣٠٧ ) .

(٢) يقال : إن الطاهر هو الطيب وهو عبد الله . على ما في ( البداية والنهاية للمحافظ ابن كثير ٥ / ٣٠٨ ) .

(٣) هنا في الظاهرية زيادة ( بنت فاطمة ) وهي مقحمة دخيلة .



لبنى بنت هاجر (١) من خزاعة - والغيداق (٢) - واسمه مصعب وقيل  
نوفل - ولقب الغيداق (٢) لجوده - وأمه منعة بنت عمرو بن مالك  
من خزاعة .

فأعمامه اثنا عشر ، وعماته ست .

ولم يسلم من أعمامه إلا حمزة والعباس .

وأما العتات فإسلام صفية معروف ، وفي أروى خلاف ، وكذلك  
اختلاف في إسلام عاتكة (٣) .

( ذكر أزواجه وسرايته )

صلى الله عليه وسلم

روى عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :  
( ما تزوجت شيئاً من نسائي ولا زوجت شيئاً من بناتي إلا بوحي جاني به  
جبريل عن ربي تعالى ) .

فأول من تزوج ﷺ خديجة - وقد تقدم ذكرها - ثم سودة بنت  
زمنة بن قيس بن عبد شمس ، وأصدقها أربعمائة درهم - وأما الشموس

(١) بكسر الجيم ، وفي النسخة ( مهاجر ) والمثبت من ( ذخائر المعقبين في  
مناقب ذوي القربى لمح الدين الطبري ١٧٢ ) و ( الروض الأنف للسبيلي ) .

(٢) في الظاهرية ( الغيداف ) وفي الإحمدية ( الغيداق ) وكلاهما تصحيف  
والتصحیح من ( صفة الصفوة للحافظ ابن الجوزي رحمه الله ) .

(٣) والمشهور عندهم أن عاتكة لم تسلم ، وهي صاحبة الرؤيا يوم بدر ،  
على ما في ( عيون الآثار في فنون المغازي والشمال والسير للحافظ ابن  
سعيد الناس ٢ / ٢٩٢ ) . وفي ( الطبقات الكبرى لابن سعد ) : أسلمت عاتكة بمكة  
وهاجرت إلى المدينة .

بنت قيس - وكانت قبله عند السكران بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود (١)  
أخى سهل وسهيل وحاطب ، ولكلهم صحبة ، وهاجر بها السكران إلى  
أرض الحبشة الهجرة الثانية ، ثم رجع بها إلى مكة فمات عنها . فلما حلت  
تزوجها عليه السلام .

ثم ( عائشة (٢) بنت أبي بكر الصديق رضى الله عنهما ) وأمها أم رومان  
بنت عامر بن عويمر ، تزوج بها وهى بنت ست ، ودخل بها وهى بنت تسع  
وقبض عنها وهى بنت ثمانى عشرة سنة ، ولم يتزوج بكراً غيرها ، وفضائلها  
جمة ومناقبها كثيرة . قال عطاء بن أبي رباح : كانت عائشة أفقه الناس وأعلم  
الناس وأحسن الناس رأياً . وقال هشام بن عروة عن أبيه قال : ما رأيت  
أحداً أعلم بفقهه ولا بطب ولا بشعر من عائشة وفيها يقول حسان بن ثابت  
يمتدحها ويعتذر لآلها :

حسان رزان ما تزن بريسة وتصيح غرثى من لحوم الغوافل (٣)  
عقيلة أصل (٤) من لوى بن غالب كرام (٥) المساعى مجدم غير زائل  
مهدبة قد طيب الله خيمها (٦) وطهرها من كل بغى وباطل  
فان كان ما قد قيل عنى قلته فلا رفعت سوطى إلى أناملى

(١) هو ابن عمها ، على ما فى ( جوامع السيرة لابن حزم ٢٢ ) .  
(٢) فى تاريخ الطبرى ٣ / ١٦١ : قال أبو جعفر : لا خلاف بين جميع  
أهل العالم بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه صلى الله عليه وسلم بنى بسودة  
قبل عائشة .

(٣) يعنى أنها لا ترتفع فى أعراض الناس .

(٤) أى كريمة أصل .

(٥) فى الفسختين ( كريم ) والمثبت هو من المصادر الكثيرة المشهورة  
كعيون الأثر وغيرها وديوان سيدنا حسان .

(٦) بكسر الخاء : أى طبيعتها وسجيتها .

وكيف وودى ما حيت ونهرق لآل رسول الله زين المحافل  
ثم (حفصة بنت عمر بن الخطاب) وأهـا قدامة (١) بـت مـطعون ،  
وهى شقيقة عبد الله بن عمر وأسـ منه ، وكانت تحت خنيس بن حذافة  
السهمى ، توفى عنها من جراحة أصابته ببدر ، فتزوجها رسول الله ﷺ فى  
شعبان على رأس ثلاثين شهراً من الهجرة ، وكان عمر قد عرضها على أبى بكر  
قبل أن يتزوجها النبى ﷺ ، فلم يرجع إليه أبو بكر كلمة ، فغضب من  
ذلك ، ثم عرضها على عثمان بن عفان حين ماتت رقية فقال : ما أريد أن  
أتزوج اليوم .

فانطلق عمر إلى رسول الله ﷺ فشكا إليه عثمان وأخبره بعرضه لحفصة  
عليه ، فقال رسول الله ﷺ : ( يتزوج حفصة خير من عثمان ويتزوج عثمان  
خيراً من حفصة ) ثم تزوج عليه السلام حفصة وزوج ابنته أم كلثوم عثمان  
وطلق عليه السلام حفصة تطليقة ثم راجعها ، وذلك أن جبريل عليه السلام  
نزل عليه وقال له : راجع حفصة فإنها صوامة قوامة وإنها زوجتك فى  
الجنة (٢) .

ثم (زينب بنت خزيمة) بن الحارث بن عبد الله ، كانت تدعى أم  
المساكين لرأفتها بهم ، وكانت عند الطفيل بن الحارث بن عبد المطلب ،

(١) هكذا فى النسختين وعيون الأثر ، وورد (زينب) عوض (قدامة)  
فى بعض المراجع كنهاية الأرب للنويرى والطبقات الكبرى لابن سعد .  
(٢) وكانت حفصة إلى جانب تدينها الوحيدة بين نساء النبى التى تعرف  
القراءة والكتابة ، واختيرت حفصة لتحفظ المصحف الشريف بعد نسخه بعد  
وفاة والدها سيدنا عمر ، وبقى عندها إلى أن أخذه سيدنا عثمان لما أمر بكتابة  
نسخ المصحف ، ثم رده إليها فظل عندها حتى ماتت . ( أنظر مجموعة أمهات  
المؤمنين بإشراف الأستاذ محمد برانق ) .

فطلقها فتزوجها أخوه عبدة بن الحارث، فقتل عنها يوم بدر شهيداً كما ذكرنا، فتزوجها رسول الله ﷺ على رأس أحد وثلاثين شهراً من الهجرة، ومكثت عنده ثمانية أشهر، وتوفيت وقد بلغت ثلاثين سنة، ودفنت بالبقيع.

ولم يمت من أزواجه في حياته إلا هي وخديجة رضي الله عنهما، وفي ربحانة خلاف، وقيل إن زيلب كانت (١) قبل النبي ﷺ عند عبد الله ابن جحش.

ثم (أم سلمة) واسمها هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم، وكانت قبله عند أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد، وهما أول من هاجر إلى الحبشة، شهد أبو سلمة بدرًا وأحداً، ورعى بها يسهم في عضده فسكت شهراً يداويه، ثم برأ الجرح فبعثه رسول الله ﷺ وبعث معه مائة وخمسين رجلاً من المهاجرين والأنصار إلى قطن وهو جبل بناحية فيس، فخاب تسعاً وعشرين ليلة، ثم رجع إلى المدينة فاتنقض جرحه فمات منه، وذلك سنة أربع، فاعتدت أم سلمة وتزوجها رسول الله ﷺ (٢). وأمها عاتكة ابنة عامر بن ربيعة بن مالك.

[ (٣) ثم زيلب بنت جحش بن رئاب بن يعمر (٤) بن صبرة بن مرة

(١) في الظاهرية (توفيت) عوض (كانت) وهو وهم.

(٢) تزوج صلى الله عليه وسلم أرملة قائده الذي استشهد في سبيل الله، وعانت معه ما عانت في الهجرة إلى الحبشة وفي الهجرة إلى المدينة.

(٣) ما بين المعتقين ساقط من الظاهرية، فاستدركته من الاحدية، وهو موافق لما في المصادر المشهورة.

(٤) سقط (بن يعمر) فاستدركتها من الطبقات الكبرى لابن سعد وتاريخ الطبري. وفي النسخ والمراجع (رياب) والتصويب من تاج العروس.

ابن كبير<sup>(١)</sup> بن غنم بن دودان<sup>(٢)</sup> بن أسد بن خزيمية ، وكان اسمها برة فسمّاها زينب . وأمها أميمة ابنة عبد المطلب عمّة رسول الله ﷺ ، كانت قبله عند زيد بن حارثة مولاه ، وطلقها ، فلما حلت زوجها الله تعالى إياه من السماء ، وأولم عليها وأطعم المساكين خبزاً ولحماً . وفيها نزلت آية الحجاب ، وكانت كثيرة الصدقة والإيثار ، وهى أول نسائه لحوقاً به رضى الله عنها .

ثم ( جويرية بذت الحارث ) بن أبى ضرار بن حبيب<sup>(٣)</sup> بن عائذ<sup>(٤)</sup>

(١) فى نسخة ( كثير ) وهو تصحيف ، صححته من جمهرة أنساب العرب لابن حزم ، والطبقات السكبرى لابن سعد ، ونهاية الأرب للنويرى حيث قال : ( كبير يالباء الموحدة ) .

(٢) فى الاحمدية ( ذودان ) وهو تصحيف ، صححته من جمهرة الأنساب . والغريب فى زواج النبي زينب بنت جحش ما أدخله المغفلون من دسائس الشهوة والحب الرخيص ، فتزوجها بعد ما طلقته ، وهذا خبط هائل ! فن كان يمنع النبي من الزواج بها وهى من قريباته ، وهو الذى ساقها إلى رجل وطيب خاطرها ليرضى به ، أفبعد أن زوجها لغيره يطمع فيها ! وكان زواجهما امتحاناً قاسياً ، أمره الله به لإبطال تقليد شائع عند العرب . كفاي ( فقه السيرة للأستاذ الغزالي ) .

وقال الأستاذ الدكتور عبد المنعم النمر فى كتابه ( إلى الشباب — فى الدين والحياة ) المرأة فى نظر الإسلام لها مجالها الذى تعمل فيه ونحسن العمل : فعملها فى بيتها لتربية أولادها ، وتهئية البيت للإقامة وإعداد الطعام ، مثل عمل الرجل فى ميدانه خارج البيت ، كل له ميدان عمل . . بل إن الإسلام يحب المرأة التى تعمل كل ما تستطيع لمعاونة زوجها فى تأمين المديشة لهم ولأولادهم بصناعة تنقنها وبيع ما تصنعه . فأما المؤمن زينب بنت جحش كانت تعمل فى دبح الجلود وتنفق ما تأخذه فى سبيل الله .

(٣) هكذا فى النسختين ، ومثله فى عيون الأثر وغيرها . ولكن فى جمهرة أنساب العرب لابن حزم ( بن أبى ضرار — واسمه حبيب — ) .

(٤) فى الاحمدية ( عائذ ) .

ابن مالك بن جذيمة (١) وهو المصطلق ، سبها يوم المريسيع في غزوة بني المصطلق . وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس ، كانتها على تسع أواق فأدى عليه السلام عنها كتابتها وتزوجها ، وقيل من عليها وتزوجها . وكان اسمها برة فسماها جويرية (٢) . وكانت قبله عند مسافع بن صفوان المصطلق ، وكانت جميلة ، قالت عائشة : كانت جويرية عليها ملاحه وحلاوة لا يراها أحد إلا وقعت بنفسه ، وعندما تزوجها عليه السلام قال الناس : صهر رسول الله ﷺ ، فأرسلوا ما في أيديهم من سبايا بني المصطلق ، قالت عائشة : فلا نعلم امرأة كانت أكثر بركة على قومها منها .

ولأبيها الحارث بن أبي (٣) ضرار صعبة ، وكان قد قدم في فداء ابنته جويرية بأباعر ، فاستحسن منها بعيرين فغيبهما بالعقيق في شعب ، ولم يعترف بهما لرسول الله ﷺ ، فأخبره النبي ﷺ عنهما فقال : والله لم يطلع على ذلك أحد ، أشهد أنك رسول الله ، وأسلم .

ثم ( ربحانة بنت زيد ) بن عمرو بن خنافة بن شمعون من

(١) في الظاهرية ( خزيمية ) وهو تصحيف ، صحيحته من ( جمرة أنساب العرب لابن حزم ) .

(٢) كره أن يقال : خرج من عند برة ، على ما في ( الطبقات الكبرى لابن سعد ) .

وكانت جويرية هذه بنت زعيم بني المصطلق ، وقد انتهت حربه مع المسلمين بالهزيمة ، وكادت قبيلته تذلل عقب ذلك ، فواسى النبي صلى الله عليه وسلم القائد المهزوم وأصهر إليه ليشعر المسلمين بما ينبغي لاتباعه من كرامة ومعونة ، وقد عادت الحرية إلى القبيلة إذ تخرج المسلمون أن يسلموا إلى قوم تزوج النبي ابنتهم . كما في ( فقه السيرة الأستاذ للغزالي ) .

(٣) سقط من الظاهرية ( أبي ) والتصحيح من الإحدى والمصادر المشهورة .

بنى النصير (١) وبعضهم يقول : من بنى قريظة (٢) وكانت متزوجة رجلا فيهم يقال له الحكم ، وكانت جميلة وسيمة ، وقعت في سبي بنى قريظة ، فغيرها رسول الله ﷺ بين الإسلام (٣) [ودينها ، فاختارت الإسلام ] فأعتقها وتزوجها ، وأصدقها اثنتي عشرة أوقية ، وأعرس بها في المحرم سنة ست ، وضرب عليها الحجاب ، ففارت غيرة شديدة فطلقها تطليقة ، فأكثرت البكاء ، فدخل عليها وهي على تلك الحالة فراجعها ، فلم تزل عنده حتى توفيت مرجعه من حجة الوداع .

ثم ( أم حبيبة ) رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية ، أمها صفية بنت أبي العاص بن أمية ، كانت حمة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، هاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية ، فولدت له حبيبة وبها كانت تسكن ، وتنصر عبيد الله هناك ، وبقيت هي على الإسلام وبعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي فزوجه إياها ، والذي عقد عليها خالد بن سعيد بن العاص ، وأصدقها النجاشي هن رسول الله ﷺ أربعة دنانير ، وجهازها من عنده ، كل ذلك (٤) في سنة سبع ، وقد قيل في اسمها هند .

ثم ( صفية بنت حيي ) بن أخطب بن سَعْدِية (٥) بن ثعلبة بن عبيد بن كعب

(١) في الاحمدية ( النظير ) وهو تحريف .

(٢) في الاحمدية ( قريضة ) وهو تحريف .

(٣) ما بين المعقنين سقط من الظاهرية ، فاستدركته من الاحمدية .

(٤) في الظاهرية ( كذلك ) عرض ( كل ذلك ) التي في الاحمدية ، وهي الموافقة لما في المراجع المشهورة .

(٥) في الظاهرية ( شعبة ) وفي الاحمدية ( شعيبة ) وكلاهما تصحيف ،

صححة من نهاية الارب للنيرى ١٨ / ١٨٦ .

(٥٣ - أول عيون الخواص)

ابن الخزرج بن أبي حبيب بن نحوم<sup>(١)</sup> ، من سبط هارون بن عمران ، كان أبوها سيد بني النضير فقتل مع بني قريظة . وأمها برة بنت سمول أخت رفاعة ابن سمول القرظي ، وكانت عند سلام بن مششك<sup>(٢)</sup> ، ثم خلف عليها كنانة ابن الربيع ، فقتل عنها يوم خيبر ، فاصطفاه النبي ﷺ لنفسه ، فأعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها ، وكانت جميلة لم تبلغ سبع عشرة سنة . وأولم عليها بتمر وسويق .

ويروى أن رسول الله ﷺ دخل على صفية وهي تبكي فقال لها : ( ما يبكيك ) ؟ قالت : بلغني أن عائشة وحفصة تنالان مني وتقولان : نحن خير من صفية ، نحن بنات عم رسول الله ﷺ وأزواجه ، قال : ( ألا قلت لمن كيف تكن خيراً مني وأبي هارون وعمي موسى وزوجي محمد ﷺ ) ؟ وكانت صفية حليلة عاقلة فاضلة رضى الله عنها .

ثم (ميمونة بنت الحارث) بن حزن بن بجير بن الهزيم بن عامر بن صعصعة ، وكان اسمها برة فسماها ميمونة . زوجها إياها العباس عمه ، وهي أخت لبابة زوجة العباس . وأمها هند بنت عوف بن زهير الحميرية . وكانت ميمونة في الجاهلية عند مسعود بن عمرو بن عمير الثقفي ، ففارقها وخلف عليها أبو رهم<sup>(٣)</sup> بن عبد العزى بن أبي قيس ، فتوفي عنها فتزوجها رسول الله ﷺ في شوال سنة سبع ، وقال ابن شهاب : هي التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم ، وقال السهيلي : لما جاءها الخاطب وكانت على بغير رمت نفسها من على البعير وقالت : البعير وما عليه لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) هكذا في (نهاية الأرب للنويري) والذي في النسختين (النهام) .

(٢) في الإحدى (رهم) وهو تصحيف ، على ما في نهاية الأرب للنويري



فمؤلاه نساؤه المدخول بهن اثنتا عشرة امرأة ومات عليه السلام عن  
تسع منهن (١).

قال الحافظ الذمياطى : وأما من لم يدخل بها ومن وهبت نفسها له ومن  
خطبها ولم يتفق تزويجها فتلاثون امرأة على اختلاف في بعضهن ، والله أعلم .

قال أبو عمر رضى الله عنه : ولندكر من تيسر منهن على سبيل  
الاختصار :

فمنهن : أسماء بنت الصلت السلية .

وأسماء بنت النعمان بن الجون ، من كندة .

وأسماء بنت كعب الجونية ، وقيل إنها والتي قبلها واحدة .

وجرة (٢) بنت الحارث الغطفاني ، خطبها عليه السلام لأبيها ، فقال إن  
بها سوءاً ، ولم يكن ، فرجع فراها قد برصت .

أميمة (٣) بنت شراحيل . لها ذكر في صحيح البخارى .

وحبيبة بنت سهل الأنصارية .

وخولة بنت الهذيل بن هبيرة التغلبية .

(١) قد يقول بعضهم : كيف وقع هذا ؟ أليس هو فتحاً لدراعى الملة ؟  
قال الشيخ محمد الغزالي فى ( فقه السيرة ) : أين مكان المتعة فى حياة رجل لم يسترح  
يوماً من عناء الكفاح الموصول والجهاد المضنى . وأين مكان المتعة فى حياة رجل  
عزف عنها وهو شاب فكيف يغرق فيها وهو شيخ . لقد بنى بعضهم لسياسة  
الأفراد والجماعات ولما كلف بتحقيقه من إقامة الخير ومحو الضرر .

(٢) فى الاحمدية ( حمزة ) وفى الظاهرية ( حمزة ) والتصحيح من نهاية  
الأرب للنورى .

(٣) فى الظاهرية ( أمية ) والتصحيح من الاحمدية ونهاية الأرب للنورى .

وخولة بنت حكيم السلمية كانت امرأة صالحه ، يقال هي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ .

وأسماء (١) بنت الصلت تزوجها ثم طلقها ، وقيل ماتت قبل أن تدخل عليه وقيل لأنها علمت أنه تزوجها ماتت من الفرح .

وسودة القرشية ، كانت مصرية (٢) ، خطبها عليه السلام فاعتذرت ببنيها — وكانوا ستة ، فقال لها خيراً .

وشراف بنت خليفة أخت دحية الكلبي ، تزوجها فماتت قبل دخوله بها .  
وصفية بنت بشامة بن فضلة أخت الأعور بن بشامة ، أصابها سبب فخيرها رسول الله ﷺ فقال : ( إن شئت أنا وإن شئت زوجك ) فأرسلها ، فلحنها بنو تميم .

والعالية بنت ظبيان بن عمرو بن عوف ، تزوجها عليه السلام ، وكانت عنده ما شاء الله ثم طلقها . قاله أبو عمر ، وقال : قل من ذكرها .

وعمرة بنت يزيد بن الجون الكلابية ، تزوجها قبله أن بها برصاً فطلقها ولم يدخل بها ، وقيل هي التي تعوذت منه فقال لها : ( لقد عدت بمعاذ ) فطلقها وأمر أسامة ففتحها بثلاثة أثواب .

وعمرة بنت معاوية السكونية . ذكرها ابن الأثير .

(١) هكذا في الظاهرية ( أسماء ) وهو موافق لما في نهاية الأرب للنويري ، وفي الإجماعية ( سناء ) وهو موافق لما في تاريخ الإسلام للمصنف الذهبي ( ٢ / ٤١٦ ) . وقال النويري في موضع آخر : قيل ( سناء بنت الصلت ) قال أبو عمر : وهو الصواب .

(٢) أي ذات صبيان ، على ما في ( النهاية لابن الأثير ) .

وأم شريك العامرية ، يقال إنها وهبت نفسها للنبي ﷺ ، وقد قيل ذلك في جماعة سواها .

وأم شريك بنت جابر الغفارية ، ذكرها أحمد بن صالح في أزواج النبي ﷺ .

وفاطمة بنت أبي طالب بن عبد المطلب ، وهي أم هانيء ، خطبها عليه السلام من عمه أبي طالب ، وخطبها هبيرة بن أبي وهب فتزوجها هبيرة (١) .

وفاطمة بنت الضحاك بن سفيان السكلابية ، تزوجها وخبرها حين نزلت آية التخيير ، فاختارت الدنيا ، ففارقها ، فكانت بعد ذلك تلقط البعر وتقول : أنا الشقية اخترت الدنيا ، وقيل هي المستعينة منه .

وفاطمة بنت شريح . ذكرها أبو عبيدة في أزواج النبي ﷺ .

وقتيبة (٢) بنت قيس بن معد يكرب أخت الأشعث بن قيس ، تزوجها قبل موته بيسير ، ولم تكن قدمت عليه ولا رآها ، وأوصى أن تغير فإن شئت ضرب عليها الحجاب وحرمت على المؤمنين ، وإن شئت طلقت ونكحت من شئت ، فاختارت النكاح ، فتزوجها بعد عكرمة بن أبي جهل .

وليلي بنت الخطيم أخت قيس الأنصارية ، عرضت نفسها على النبي ﷺ فتزوجها ، ثم رجعت فقالت أقلني ، فقال : ( قد فعلت ) .

ومليكة بنت داود . ذكرها ابن حبيب .

(١) وقال أبو طالب ( يابن أخي إنا قد صاهرنا إليهم ، والسكريم يكافئ السكريم ) على ما في نهاية الأرب للنويري ١٨ / ٣٠٤ .

(٢) في الظاهرية ( قبيلة ) وهو تصحيف ، على ما في تاريخ الإسلام للمحافظ الذهبي ٢ / ٤١٥ .

ومليكة بنت كعب الليثي تزوجها ، وقيل دخل بها ، وقيل لم يدخل .  
وهند بنت يزيد بن البرصاء . ذكرها أبو عبيدة (١) في أزواج النبي ﷺ  
وقال أحمد بن صالح : هي عمرة بنت يزيد .

### ( وأما سراريه )

فكن أربعاً : مارية بنت شمعون القبطية أم ولده إبراهيم . وريحانة  
بنت يزيد النضيرية (٢) وقد سبق ذكرها . وقال أبو عبيدة كان له أربع :  
مارية وريحانة وأخرى جميلة أصابها في السبي ، وجارية وهبتها له زينب  
بنت جحش .

### ( ذكر خدام رسول الله ﷺ )

أنس بن مالك الأنصاري ، وهند وأسماء ابنا الحارثة الأسلميان ، وربيعة  
ابن كعب الأسلمي .

وكان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه صاحب فعليه ، وكان إذا قام  
ألْبَسَهُ إِيَّاهُمَا ، وإذا جلس جعلهما في ذراعيه حتى يقوم .

وكان عقبة بن عامر الجهني صاحب بغلته ، يقود به في الأسفار .

وأسْلَعُ بن شريك صاحب راحلته . وبلال بن رباح المؤذن وسعد  
مولى أبي بكر الصديق . وأبو الحمراء ، قيل اسمه هلال بن الحارث ، وقيل

(١) نقل المؤلف آنفاً عن أبي عبيدة ، خرف في النسختين إلى ( أبي عبيد )  
والاصحاح من ( الإصابة للحافظ ابن حجر ) .

(٢) في الظاهرية ( النظرية ) وفي الاحمدية ( النظرية ) وكلاهما تحريف .

ابن ظفر . وذو نحر (١) ابن أخى النجاشي ويقال ابن أخته ، ويقال ذو نحر .  
وبسكير بن شداح الليثي . وأبو ذر الغفاري . وأريد بن حمير . والأسود  
ابن مالك الأسدي اليماني . وأخوه الحدرجان (٢) بن مالك وجزه  
ابن الحدرجان . ذكرهم ابن منده . وثعلبة بن عبد الرحمن الأنصاري .  
وسالم مولاة . وسابق . ذكره أبو عمر . ومهاجر مولى أم سلمة . ونعيم بن  
ربيعة بن كعب .

( ذكر موالى رسول الله ﷺ )

زيد بن حارثة ، وابنه أسامة ، وأمين بن أم أيمن ، وأسلم بن عبيد ،  
وأبو رافع واسمه أسلم ، وأبو رافع أيضاً والد البهي بن أبي رافع ، وأبو أئيلة  
واسمه راشد ، حجازي ، وأبو كبشة واسمه سليم شهد بدر ، وأنسة ويسكن  
أباً مسروح (٣) ، وثوبان ويسكن أباً عبد الله ، ومُشقران واسمه صالح ، ورباح  
أسود كان يأذن على النبي ﷺ ويسارنوني ، وفضالة وأبو السمح (٤) ، وأبو مويهبة  
ورافع ، وأفلح ، ومابور ، ومدغم أسود ، وكركرة ، كان على ثقل (٥)  
النبي ﷺ ، وزيد جد بلال بن يسار بن زيد ، وعبيد ، وطهمان ، وكيسان  
وذكوان ، ومروان ، وواقد ، وأبو واقد ، وسندر ، وهشام (٦) ، وحنين ،

(١) في النسختين ( ذو نحر ) والتصحيح من نهاية الأرب للنويري وعيون  
الأثر والبداية والنهاية لآمن كثير .

(٢) في النسختين ( الحدرجان ) وهو تصحيف صحبته من عيون الأثر وتاج  
العروس للسيد محمد مرتضى الزبيدي رحمه الله .

(٣) في الظاهرية ( أباً مسروح ) والتصحيح من الاحمدية وتاريخ الطبري  
١٧١ / ٣ .

(٤) اسمه إباد ، وهو مشهور بسكنيته ، كما في ( الوافي بالوفيات ٤٥٧/٩ ) .

(٥) الثقل محركة : متاع المسافرين وحشمه .

(٦) سيذكر هشام مرة أخرى .

وسعيد ، وأبو عسيب ، واسمه أحر ، وأبو لبابة ، وأبو لقيط ، وسفينة واسمه  
مهران ، وأبو عبيد واسمه سعد ، وضميرة بن أبي ضميرة جد الحسين بن عبد الله  
ابن ضميرة<sup>(١)</sup> ، وأبو هند ، وأبو بكرة نقيع ، وأخوه نافع ، وأبو كندير سعيد  
وسلمان الفارسي ، وسالم ، وسابق ، وعبيد الله بن أسلم ، ونفيه ، وهشام ،  
ووردان ، وأنجشة ، وكان حادياً وهو الذي قال له : ( رفقاً بالقوارير )  
وباذام . ذكره النواوي .

وحاتم ذكره ابن الأثير ، وزيد بن بولا ، ودوس ، ورويفع ،  
وأبو ريحانة شمعون ، وعبيد بن عبد الغفار ، وغيلان ، وقفين<sup>(٢)</sup> غلام  
رسول الله ﷺ . ذكره عبد الغني بن سعيد والدارقطني في المؤلفات والمختلف .  
وكريب ، ومحمد بن عبد الرحمن ، ومكحول ، ونفيل ، وهرمز ، وأبو بشير ،  
وأبو صفية .

ومن النساء : أم أيمن الحبشية واسمها بركة ، وسلي أم رافع ، ومارية  
وريحانة ، وقد تقدم ذكرهن ، وخضرة<sup>(٣)</sup> ، ورضوى ، وميمونة بنت سعد  
وميمونة بنت أبي عسيب<sup>(٤)</sup> ، وأم ضميرة ، وأم عباس ، وأميمة مولاة  
النبي ﷺ ، وقيسر القبطية أهداها له المقوقس مع مارية وسيرين ، قيل

(١) في الظاهرية ( ضميرة ) والتصحيح من الاحمدية والبداية والنهاية للحافظ  
ابن كثير رحمه الله .

(٢) في الظاهرية ( قفين ) وهو تصحيف ، صححته من الاحمدية ومن تبصير  
المنتبه في تحرير المنتبه للحافظ ابن حجر والبداية والنهاية للحافظ ابن كثير .

(٣) في النسختين ( خضرة ) وهو تصحيف صححته من نهاية الارب للنويري  
والوفا بأحوال المصطفى صلى الله عليه وسلم للحافظ ابن الجوزي .

(٤) في النسختين ( عسيب ) والتصحيح من نهاية الارب ، والوفا للحافظ  
ابن الجوزي .

إليه وهبها لأبي جهم بن حذيفة، وأما سيرين فوهبها لحسان بن ثابت .

### ( ذكر أسمائه ﷺ )

قال ﷺ في رواية الترمذى : ( إن لى أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحى الذى محو الله به الكفر <sup>(١)</sup> ، وأنا الحاشى الذى يحشر الناس على قدمي <sup>(٢)</sup> ) ، وأنا العاقب الذى ليس بعده نبي .

وقد ذكر فى أسمائه : الرسول ، المرسل ، النبي ، الأُمى ، الشهيد ، المصدق .  
النور ، المسلم ، البشير ، المبشر ، النذير ، المنذر ، المين ، الأمين ، العبد ،  
الداعى ، السراج المنير ، الإمام ، الذكر ، المذكر ، الهادى ، المهاجر ،  
العامل ، المبارك ، الرحمة ، الأمر ، الناهى ، الطيب ، الكريم ، المحلل ، المحرم .  
الواضع ، الرافع ، المجير <sup>(٣)</sup> ، خاتم النبيين ، ثانى اثنين ، منصور ، خير ،  
مصطفى ، مأمون ، قاسم ، نقيب ، المزل ، المدر ، العلى ، الحكيم ، المؤمن ،  
الروف ، الرحيم ، الصاحب ، الشفيق ، المشفع ، المتوكل ، نبي التوبة ، نبي  
الرحمة ، نبي الملحمة ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم .

(١) المراد الكفر الذى فى بلاد العرب وفيما زوى للنبي من الأرض و . عد  
بأن ملك الله يبلغه ، أو أن يبقى على عمومته ويكون بمعنى الظهور والغلبة .

(٢) أى على أثرى ، وقيل يتبعونى . على ما فى ( حاشية البيهقورى على  
الشبائل المحمدية للترمذى ) وشرح صحيح مسلم للنووى . وقال الأستاذ الشيخ  
محمد الفاضل بن عاشور : المراد به حشر الناس للحساب ، على ما فى مقال نشر  
فى مجلة الهداية الإسلامية ١١ / ٦ بعنوان ( أسماء النبي صلى الله عليه وسلم ) .

(٣) فى الظاهرية ( المجيز ) والصواب ما أثبتناه اعتقاداً على ما فى ( سيرة  
مغلطاي رحمه الله ) وسبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد للحدث محمد  
ابن يوسف الصالحى الشافعى . وفى الاحمدية تصحفت إلى ما يشبه ( الخبر ) الوارد  
فى المصدر المذكور هنا . والخبر : هو المبلغ عن الله .

( ٤٤ - أول عيون التواريخ )

## ( ذكر كتابه ﷺ )

أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعامر بن فهيرة، وخالد وأبان ابنا سعيد بن العاص، وعبد الله بن الأرقم الزهري، وحنظلة (١) بن الربيع الأسدي، وأبي بن كعب - وهو أول من كتب له من الأنصار -، وثابت بن قيس بن شماس، وزيد بن ثابت، وشرحبيل بن حسنة، ومعاوية ابن أبي سفيان، والمغيرة بن شعبة، وعبد الله بن زيد، وجهم (٢) بن الصلت والزبير بن العوام، وخالد بن الوليد، والعلاء بن الحضرمي، وعمر بن العاص وعبد الله بن رواحة، ومحمد بن مسلمة، وعبد الله بن عبد الله بن أبي، ومعيقيب بن أبي فاطمة، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري، وهو أول من كتب له من قريش ثم ارتد فنزلت فيه ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا (٣) ﴾ .

وذكر في كتابه أيضاً: طلحة، ويزيد بن أبي سفيان، والأرقم بن أبي الأرقم الزهري، والعلاء بن عتبة، وأبو أيوب الأنصاري، وبريدة ابن الخصيب، والحصين بن نمير، وأبو مسلمة المخزومي، وحويطب بن عبد العزى، وأبو سفيان بن حرب، وحاطب بن عمرو .

وذكر ابن دحية فيهم رجلاً من الأنصار غير مسمى، قال: كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ ثم تنصر، فلما مات لم تقبله الأرض (٤) .

(١) لهذا سمي (حنظلة الكاتب)، علي ما في فتوح البلدان للبلاذري وغيره .

(٢) في الظاهرية (جهم) والتصحيح من الاحمدية والاستيعاب للمحافظ

ابن عبد البر وفتوح البلدان للبلاذري .

(٣) سورة الأنعام، الآية ٢١ .

(٤) كان للنبي صلوات الله وسلامه عليه من الكتاب ما يزيد عددهم على

أربعين كتاباً، يبادر كتاب الوحي منهم إلى كتابة كل ما ينزل من الذكر الحكيم لئلا يزول به محضر الصحابة . علي ما في كتاب (مقالات السكوشي رحمه الله) .



( ذكر حراسه ، ومن كان يضرب الأعناق بين يديه )

حرسه يوم بدر حين نام في العريش : سعد بن معاذ . ويوم أحد : محمد ابن مسلمة . ويوم الخندق : الزبير بن العوام ، وحرسه ليلة بني بضعية : أبو أيوب الأنصاري ، وبوادي القرى : بلال وسعد بن أبي وقاص وذكوان ابن عبد قيس ، وكان على حرسه عباد بن بشر .

فلما نزلت ( والله يعصمك من الناس (١) ) ترك الحرس .

والذين كانوا يضربون بين يديه الأعناق : علي ، والزبير ، والمقداد ، ومحمد بن مسلمة ، وعاصم بن ثابت .

و ( مؤذنيه ) :

بلال ، وابن أم مكتوم ، وسعد القرظ (٢) بن عائذ مولى عمار (٣) بن ياسر ، وأبو مخذومة .

( ذكر العشرة من أصحابه ، والحواريين )

وأهل الصفة

وليس من العشرة والحواريين إلا من تقدم نسبه ، فليُنظر في موضعه .

(١) سورة المائدة ، الآية ٦٧ .

(٢) القرظ : ورق السلم أو سمر السنط ، تجر فيه فرج فلزمه ، فأضيف إليه ، على ما في ( التماموس المحيط للفيروز ابادي ) . وفي تذكرة داود الانطاكي : القرظ : حمل العمركة المصرية المعروفة بأسم غيلان والسنط ، تدبغ به الجلود .  
(٣) في الظاهرية ( عباد ) عوض ( عمار ) وهو تحريف صحبته من الاستيعاب للحافظ ابن عبد البر .

وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة (١)، والزبير (٢)، وسعد (٣)، وسعيد (٤)، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة عامر بن الجراح رضى الله عنهم.

وأما (الحواريون) - والحوارى الخليل وقيل الناصر وقيل الصاحب المستخلص - فكلهم من قريش، وهم: الخلفاء الأربعة، وحمزة، وجعفر، وأبو عبيدة، وعثمان بن مظعون، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة، والزبير رضى الله عنهم.

وأما (أصحاب الصفة) فقوم: فقراء لا منزل لهم غير المسجد، قال جابر: رأيت ثلاثين رجلاً من أهل الصفة يصلون خلف النبي ﷺ ليس عليهم أردية، عد منهم أبا هريرة، وأبا ذر، ووائل بن الأسقع، وقيس

(١) هو طلحة بن عبيد الله القرشى القيصى، يلقب بطلحة الخير، وطلحة الجود، وطلحة الفياض، وذلك لسعة عطائه وكرمه، على ما في (الرياض النضرة في مناقب العشرة المحب الطبرى)

(٢) هو الزبير بن العوام القرشى الأسدى.

(٣) هو سعد بن أبي وقاص القرشى الزهرى. وكان مشتهراً بإجابة الدعوة، يخاف دعوته وترجى لاشتهار إجابته عندهم، كان جيسد الرمي، كان يقول: جمع لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه يوم أحد. أخرجه الإمام البخارى. وقد ساقه الحافظ ابن عساكر من بضعة عشر وجهاً، وساق حديث ابن أبي خمال عن قيس من سبعة عشر طريقاً بالفاظها. وبمثل هذا كبر تاريخه. على ما في (سير النبلاء الذهبى ١ / ٦٧).

(٤) هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل القرشى العدوى. والعشرة هم أفضل قريش، وأفضل السابقين المهاجرين، وأفضل البدرين، وأفضل أصحاب الشجرة وسادة هذه الأمة في الدنيا والآخرة، (سير النبلاء ١ / ٩٥).

ابن طلحة الغفاري (١) .

( ذكر سلاحه ﷺ )

كان له سيف يقال له مأثور ورثه من أبيه . والعصب أرسله إليه سعد ابن عباد عند خروجه إلى بدر . وذو الفقار (٢) كان في وسطه مثل فقرات الظهر ، غنمه يوم بدر . والصمصامة سيف عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، وكان مشهوراً .

وأصاب من سلاح بني قينقاع ثلاثة أسياف : وهم : القلعي (٣) والبتار ، والحنف . وكان له أيضاً الرسوب (٤) والمخزم (٥) أصابهما مما كان على الفيلس صنم طوى — والفلس بضم الفاء وسكون اللام — ، والقضيب (٦) فتلك تسعة (٧) .

(١) أهل الصفة كانوا تحت رعايته صلى الله عليه وسلم ، يتلون كتاب الله ويتدارسونه ، حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم يحضهم على حفظه ومدارسته ، حتى كان لهم دوى بالقرآن في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وفيهم نزل قوله تعالى ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ﴾ . وكانت الصفة مدرسة لتحفيظ القرآن وتدريس أحكامه ، لا ملجأ للمعوجة فقط ، وكل كان النبي صلى الله عليه وسلم يرسل منهم إلى القبائل لتعليمهم القرآن وثقة بهم في الدين ، على ما في كتاب ( مقالات الكوثري عليه رحمة الله ) .

(٢) بكسر الفاء : جمع فقرة . وبالفتح : جمع فقارة .

(٣) نسبة إلى برج القلعة : موضع بالبادية ، على ما في ( السيرة الحلبية ) .

(٤) أى يمتص في الضربة ويغيب ويسنقر ويرسب فيها ، على ما في ( النهاية ) والسيرة الحلبية .

(٥) في الظاهرية ( المخزم ) وهو تصحيف . والمخزم : القاطع .

(٦) من القضب : القاطع . (٧) المذكور هنا عشرة .

وكان له (درع) يقال لها ذات الفضول لطولها ، أرسل إليه بها سعد ابن عباد حين سار إلى بدر ، وذات الوشاح ، وذات الحواشي . ودرعان أصابهما من بني قينقاع الشَّغْنَدِيَّة (١) ، وفضة ، ويقال إن الشَّغْنَدِيَّة (١) كانت درع داود عليه السلام التي لبسها لقتال جالوت . والبتراء (٢) والسَّخْرَنَق . فتلك سبع .

وكان له من (القسى) : الروحاء . والصفراء من نبع (٣) . والبيضاء من شوخط (٤) . أصابها من بني قينقاع . والزوراء ، والكتوم لانخفاض صوتها إذا رمى عنها .

وكان له (جعية) - وهي الكنانة - يجمع فيها نبله ، ومنطقة من أديم مبشور (٥) ثلاث حلقات ولينمها وطرفها فضة .

وثلاثة (أتراس) : الزلوق (٦) وفثق ، وأهدى له ترس عليه صورة عقاب فوضع يده عليه فأذهب الله ذلك التمثال .

وكان له خمسة (أرماع) : ثلاثة من بني قينقاع والمثوى والمثنى (٧) .

(١) في الظاهرية (السعدية) ولها وجه ، على ما في حاشية البيهقوري على الشبائل المحمدية للإمام الترمذى .

(٢) سميت بذلك لقصرها .

(٣) شجر تتخذ منه القسى .

(٤) في النسختين (سوط) وهو تصحيف . والسوط : من شجر الجبال تتخذ منه القسى ، على ما في القاموس المحيط والسيرة الحلبية .

(٥) أى مقشور .

(٦) يزلق عنه السلاح .

(٧) في الأحمدية (المثنى) . وما في الظاهرية موافق لما في السيرة الحلبية وهو المثبت في النص .

وكان له (حربة) تسمى النبعة ذكرها السبيلي وحربة كبيرة اسمها البيضاء ،  
وحربة صغيرة دون الرمح شبه العكاز ، يقال لها العنزة .

وكان له (مغسفران) (١) : الموشح والسبوغ أو ذو السبوغ (٢) .

و(راية) سوداء مربعة يقال لها العقاب ، وراية بيضاء يقال لها الزينة .

وروى أبو داود في سننه من حديث سماك بن حرب عن رجل من قومه  
عن آخر منهم قال : رأيت راية رسول الله ﷺ صفراء . وكان مكتوباً على  
راياته ( لا إله إلا الله محمد رسول الله ) .

وكان (فسطاطه) يسمى الكن ، وكان له مِحْجَجَن قدر ذراع أو أكبر ، يمشى  
به ويركب ، ويعلقه بين يديه على بعيره (٣) .

وكان له (مختصرة) (٤) تسمى العرجون ، وقضيب يسمى المشوق ،  
من شوحط .

(وقدح) يسمى الريان ، وآخر مضيب (٥) يقدر (٦) أكثر من نصف المد فيه

(١) المغفر ، من الغفر ، وهو الستر ، وهو زود من حديد ينسج بقدر  
الرأس ، يلبس تحت القلنسوة .  
(٢) وذلك لطوله .

(٣) وكان يتناول به الشيء ، وهو الذي استلم به الركن في حجة الوداع .  
على ما في (نهاية الأرب للنويري ١٨ / ٢٩٨) .

(٤) المختصرة : ما يختصره الإنسان بيده ، فيمسكه من عصاً وغيرها ، على  
ما في (النهاية لابن الأثير) .

(٥) أى مشعب . والإناء يصان إذا جعل له شعب من فضة أو حديد  
أو نحاس .

(٦) في الظاهرية (يقل) هو تحريف ، صححته من الاحدية وتاريخ  
الإسلام للذهبي .

ثلاث ضباب من فضة وحلقة ، كأنه للسفر ، وثالث من زجاج .

وكان له (تور) من حجارة يقال له المخضب ، يتوضأ فيه ، وكان له مخضب<sup>(١)</sup> من شبيه<sup>(٢)</sup> تكون فيه الحناء ، وركوة تسمى الصادرة ، ومغسل من صفر<sup>(٣)</sup> ، وربعة اسكندرانية من هدية المقوقس ، يجعل فيها مشطاً من عاج ومكحلة ومقراضاً وسواكاً ومراة .

وكانت له أربعة أزواج خفاف ، أصابها من خيبر ، ونعلان سبقيان ، وخف ساذج أسود من هدية النجاشي ، وقصعة ، وسرير ، وقطيفة .

وقد اختلفت الرواة في صفة الخاتم فيحتمل أن تكون خواتم متعددة ، وقد كان له خاتم من فضة ، وخاتم من ذهب لبسه ثم طرحه ، وخاتم من حديد ملوى بفضة ، نقشه (محمد رسول الله) .

وكان يتبخر بالعود ويطرح معه الكافور .

وقال ابن فارس : ترك رسول الله ﷺ يوم مات ثوبى حبرة ، وإزاراً عمانياً ، وثوبين صحاريين<sup>(٤)</sup> ، وقيصاً صحارياً وآخر سحولياً ، وجبة يمنية ، وكساء أبيض ، وقلانس صغاراً لاطئة ثلاثاً أو أربعاً ، وإزاراً طوله خمسة أشبار ، وخميصة ، وملحفة مودسة<sup>(٥)</sup> .

وكان يلبس يوم الجمعة برده الأحمر ويعتم ، وكان له عمامة يعتم بها .

(١) المخضب : لئاء يوضع فيه الخضاب .

(٢) أى من نحاس يشبه الذهب .

(٣) الصفر : النحاس .

(٤) بسببه إلى صحار قرية باليمن ، وقيل غير ذلك .

(٥) أى مصبوغة بالورس على ما فى ( حاشية الشئال للبيهجورى ) .

يقال لها السحاب ، وهبها لعل ، وعمامة سوداء . ويلبس يوم الجمعة ثوباً غير ثيابه المعتادة كل يوم . ولا يخرج يوم الجمعة إلا بعمامة يرسلها بين كتفيه ويدبرها ويغرزها .

وكان له رداء مربع ، وفراش من آدم حشوه ليف ، وكساء أحمر ، وكساء من شعر ، وكساء أسود ، ومنديل يمسح به وجهه .

وسئلت حفصة ما كان فراش رسول الله ﷺ ؟ قالت : مسح<sup>(١)</sup> نذيه ثنيتين ، فلما كان ذات ليلة ثنيته أربع ثليات ليكون أوطأ ، فلما أصبح قال : ( ما فرستم لي ؟ ) قلنا : هو فراشك ثلثناه أربعاً ، قال : ( ردوه لحاله الأولى فإنه منعته وطأته صلاة الليل<sup>(٢)</sup> ) ذكره الترمذى فى الشمائل .

(١) بكسر الميم وسكون السين : كساء غليظ من شعر .

(٢) لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم تعلق بلذائذ الدنيا . ولذلك قال : ( حبيب إلى من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني فى الصلاة ) ولذة النساء ولذة الطيب لذتان تفضيان إلى كالات روحانية ، فقرب النساء فيه تسكيل الملكية وتهذيب للقوة الحيوانية ليصفو ما فى النفس من السكر ، فتغلب القوة الملكية ، لأن بين إمداد قوى الجسد وقابلية القوة الروحانية ملازمة وثيقة ، فلقاء نسائه ترويح للقوة الملكية وتهذيب للقوة البشرية . وأما الطيب فلأنه ينعش الروح ويفيض المعاصر العقلية ، فهو ملائم للملكية ، لذلك كان يمتنع عن تناول البصل لأنه يناجى الملائكة .

ولرسول الله صلى الله عليه وسلم قوتان : ملكية وهى الغالبة عليه ، وهى قوة الروح المشبعة بالنبوة المزال منها حظوظ الشيطان ، وقوة بشرية ، وهى أضعف قوته . وإن شئت فقل : إن القوة الأولى هى القوة المجددة عليه بالنبوة والمتزايدة فى مراقى الرفعة . والقوة الثانية هى البقية الباقية من الفطرة التى أذابتها أشعة النبوة ، فلم تبق منها إلا ما تتوقف سلامة الهيكل الإنسانى عليه . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لأجل رجحان قوته الملكية على قوته البشرية يمد الله تلك ( ٥٥ — أول عيون الخواص )

وكان له قدح من عيدان<sup>(١)</sup> يوضع تحت سريره ، يبول فيه من الليل .  
رواه أبو داود والنسائي . وكان له سرير ينام عليه ، قوائمه من ساج<sup>(٢)</sup> ،  
بعث به إليه أسعد بن زرارة . فكان الناس بعده يحملون عليه موتاهم  
تبركاً به .

( ذكر خيله وبغاله وحميره وإبله )

صلى الله عليه وسلم

قيل أول فرس ملكه رسول الله ﷺ فرس اشتراه بالمدينة من أعرابي  
من فزارة بمشرة أواق وسماه السكيب<sup>(٣)</sup> وأول غزاة غزا عليه غزاة أحد ،  
وفرس لأبي بردة بن نيار اسمه ملاوح ، وكان له فرس يدعى المُرْتَجِيز ، وهو

القوة بما يكسبها تركية وإشعاعاً . وذلك بإفاضة الأنوار القدسية كل آن على  
الروح المحمدية ، وكان مأموراً بأن يتطلب إمداداً من قبل ربه ويجاهد في تحصيله  
بقيام الليل ومجاهدة النفس . وكان لأجل بشريته يتناول من شؤون الحياة ما هو  
سبب لاستبقاء الهيكل من لازم الطعام والشراب والنوم ، وهو في تناوله ذلك  
لا يجانب مشايمة التكميل الروحاني ، فالطعام يتناول منه قليلاً ، فلذلك يسكن  
الصوم . ولداته الشريفة صلى الله عليه وسلم إمداداً إلهي في حفظ مزاجها لأن  
المقدار الذي يستمد لها غير كاف وحده لاستبقائها ، وإن الله فطر ذاته على أنها  
تغذي غذاءً غير متعارف (إني أبيت يطعمني ربي ويستقيني) وكذلك حال نومه  
كان كما قال في الحديث الصحيح : ( إن عيني تنامان ولا ينسام قلبي ) فالزهد في  
الخطوط الدنيوية المحضنة هو مقام الرسول صلى الله عليه وسلم . ( من مقل في  
جملة هدى الإسلام للشيخ محمد الطاهر بن عاشور — عنوانه : المدد الروحاني  
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ) .

(١) بفتح العين . والعيدانة : النخلة السحوق ، على ما في (حاشية الشهاب).

(٢) خشب .

(٣) في الظاهرية (السكيب) وهو سهو .



الفرس الذى شهد له ربه خزيمة بن ثابت ، وكان صاحبه من بنى مرة . وكان له ثلاثة أفراس : لزاز ، والظرب ، واللحييف . فأما لزاز فأهداه له المقوقس . وأما الظرب <sup>(١)</sup> فأهداه له ابن أبي البراء . وأما اللحييف فأهداه له فروة بن عمرو <sup>(٢)</sup> الجذامى .

وكان له فرس يقال له الورد ، أهداه له تميم الدارى ، فوهبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فحمل عليه فى سبيل الله ، ثم وجدته يساع برخص فقال له : ( لا تشتره ) . والورد : بين الكميث <sup>(٣)</sup> والأشقر . وكان له فرس يدعى سبعة ، من قولهم فرس ساج إذا كان حسن مديدين فى الجرى .

وقيل كانت له أفراس غيرها : وهى الأبلق ، وذو العقال ، وذو اللمة ، والمرتجل ، والسرحان ، واليعسوب ، واليعبوب ، والبحر ، والأدم ، والشعاه <sup>(٤)</sup> والسجل <sup>(٥)</sup> والمرواح <sup>(٦)</sup> والطرف ، والنجيب .

(١) هو من أشهر خيله صلى الله عليه وسلم وأعرفها ، على ما فى ( تاج العروس لمحمد مرتضى الزبيدى ) .

(٢) فى النسختين ( عامر ) عوض ( عمرو ) والتصحيح من السياق ومن تاريخ الكامل لابن الأثير .

(٣) فى الظاهرية ( الكشييب ) وهو تحريف ، شبه بالورد لأن لونه بين الكميث والأشقر .

(٤) فى الظاهرية ( الشعاه ) وهو تصحيف صححته من السياق ونهاية الأرب للنويرى .

(٥) فى النسختين ( السجل ) وهو تصحيف ، صححته من ( نهاية الأرب للنويرى ١٨ / ٢٩٩ ) .

(٦) فى الظاهرية ( المرواح ) هنا وفيما يستقبلنا ، والتصحيح من الاحمدية ونهاية الأرب للنويرى .

ذو العقال : بضم العين ، واللمة : بين الوفرة والجمة ، فإذا وصل شعر الرأس إلى شحمة الأذن فهى وفرة ، فإذا زادت حتى أملت بالمنكبين فهى لمة ، فإذا زادت فهى جمّة ، والارتجال : خلط الفرس العنق بالهملجة وهما ضربان من السير . والمرواح : من الريح لسرعته . والسرطان : الذئب . واليعسوب : طائر وهو أيضاً أمير النحل ، واليعسوب : سيد قومه ، واليعسوب غرة تستطيل فى وجه الفرس . واليعسوب : الفرس الجواد ، وجدول يعسوب شديد الجرى . والشحاه : من قولهم فرس بعيد الشحرة أى بعيد الخطوة .

وأما ( البغال والحُمُر ) : فكانت له بغلة شهباء ، يقال لها مُدَدَل ، أهداها له المُتَقَوِّس ، مع حمار يقال له يعفور ، وبغلة يقال لها فضة ، أهداها له فروة بن عمرو الجذامى ، مع حمار اسمه عفير - فوهب البغلة لآبى بكر الصديق رضى الله عنه - وبغلة أهداها له ابن العلماء صاحب أيلة<sup>(١)</sup> وبعث صاحب دومة الجندل إلى رسول الله ﷺ ببغلة وجبة من سندس . وقيل : أهدى له كسرى بغلة ، ولا يثبت . وعن ابن عباس قال : أهدى النجاشى إلى رسول الله ﷺ بغلة . فهؤلاء ست<sup>(٢)</sup> .

وأما ( النعم ) : فكانت له ناقته التى هاجر عليها ، تسمى القصواء والجعداء والعضباء .

وأما ( لقاحه<sup>(٣)</sup> ) فكانت له عشرون لقحة بالغابة ، وهى التى أغار عليها القوم ، يأتى لبنها أهل كل ليلة ، وكان له لقاح غزر<sup>(٤)</sup> منهم الحناء<sup>(٥)</sup>

(١) هى العقبة . (٢) المذكورة هنا سبع .

(٣) اللقحة : هى الناقة القريبة العهد بالنتاج .

(٤) فى النسختين ( غزر ) وهو تصحيف . والتصحيح من تاريخ الطبرى .

(٥) فى النسختين ( الحناء ) والتصحيح من تاريخ الطبرى والطبقات الكبرى لابن سعد .

والنمرات والعريش<sup>(١)</sup> والسعدية والبغوم واليسيرة<sup>(٢)</sup> والرياء ومهرة والشقراء .

وأما (مناخه) فكان له سبع من الغنم : عجوة ، وزمزم ، وسقيا ، وبركة وورسة ، وأطلال<sup>(٣)</sup> وأطراف .

وسبعة (أعنز) يرعاهن ابن أم أيمن .

وقيل : كان له مائة من الشاء لا يريد أن يزيد ، كلما ولد الراعى بهمة ذبح مكانها شاة .

( ذكر جبل من أخلاقه )

صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى : ( وإنا أنزلنا عليك الكتاب بالحق ، وإنا أنزلناه بالقرآن ) وقال عائشة رضي الله عنها

(١) في الظاهرية (القرآن) والتصحیح من الاحمدية وقاربخ الطبري والطبقات الكبرى لابن سعد .

(٢) في النسختين (البشيرة) وفي قاربخ الطبري وقاربخ السكامل لابن الاثير وطبقات ابن سعد (اليسيرة) .

(٣) هذه الكلمة محرفة في النسختين ، والتصحیح من (نهاية الأرب للغوي) وقاربخ الطبري .

(٤) سورة القلم ، الآية ٤ .

قال الأستاذ الشيخ مصطفى محمد الطير ، في مؤلفه (هادى الأرواح) ٤٩ : كانت أخلاقه الشريفة صلى الله عليه وسلم ذاتية ومنحة إلهية ، فلم تحدث له بممارسة رياضة أو بالافتداء بغيره ، وقد استمرت الأخلاق الربانية ترد على قلبه حتى وصل منها إلى أقصى غاية . وهذه الأخلاق الفاضلة ساس العرب ، واحتمل

كان خلقه القرآن : تعنى التأديب بأدابه والتخلق بمحاسنه والالتزام لأوامره وزواجه ، وقد قال ﷺ : ( بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ) .

وقال أنس : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً ، وكان عليه السلام أرجح الناس حلماً ، وروى أنه لما كسرت ربايته وشج وجهه يوم أحد شق ذلك على أصحابه وقالوا : لودعوت عليهم ، فقال : ( إني لم أبعث لعاناً ولكنى بعثت داعياً ورحمة ، اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون ) .

وكان ﷺ أعظم الناس عفواً ، كان لا ينتقم لنفسه . ولما تصدى له غورث بن الحارث ليقتله والسيوف بيده ، فقال له عليه السلام وقد أخذ السيوف من يده : ( من يمنعك مني ؟ ) فقال : كن خير آخذ ، فتركه وعفا عنه . فجاء إلى قومه فقال : جئتكم من عند خير الناس .

وعفا عليه السلام عن اليهودية التي سمته في الشاة بعد اعترافها ، على الصحيح . ولم يؤخذ لبيد بن الأعصم إذ سحره ولا عبد الله بن أبي وأشباهه من المنافقين بمظلم ما نقل عنهم قولاً وفعلاً .

وكان أسخى الناس كفاً ، ما سئل شيئاً فقال : لا ، وأعطى صفوان بن أمية غنماً ملأت وادياً بين جبليين ، فقال : أرى محمداً يعطى عطاء من لا يخشى الفقر . ورد على هوازن سباياهم ، وكانت ستة آلاف .

وأعطى العباس من الذهب ما لم يطق حمله . وحملت إليه تسعون ألف درهم فوضعت على حصير ، ثم قام إليها فقسمها ، فمأرد سائلاً حتى فرغ منها وذكر عن معوذ بن عفراء قال : أتيت النبي ﷺ بقنّاع من رطب

== جفأ طباعهم ، وصبر على أذاهم حتى انقادوا له واجتمعوا عليه ، وقاتلوا دونه أهليهم وآباءهم وأبنائهم ، وهجروا في سبيله أوطانهم وبذلوا مهجهم وأرواحهم . وأخلاقه الشريفة يحتاج استيعابها إلى سجل كبير .

— يعنى طبقاً — وقتنا فأعطاني ملء كفه حلياً وذهباً . وعن أبي ذر رضى الله عنه قال قال لى رسول الله ﷺ : (إذا طبخت فأكثر المرق وأطعم جيرانك) رواه مسلم .

وكان ﷺ أشجع الناس : سئل البراء أفرتم يوم حنين ؟ قال : لكن رسول الله ﷺ لم يفر . وفيه : فما روى يوم كان أشد منه . وقال ابن عمر : ما رأيت أشجع ولا أنجداً (١) ولا أجود ولا أراضى من رسول الله ﷺ

(١) قال مولانا الدكتور هبى الحليم محمود رضى الله عنه فى مؤلفه ( القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم ) :

الرسول العابد لم يتراجع فى غزوة قط ، وكان الأبطال يتراجعون ، والصناديد من المهاجرين والأنصار يفرون أحياناً ، ولسكنه صلوات الله عليه يثبت ثبات الجبال الراسيات ، لا يتزعزع عن موقفه ولا يزول عن مسكانه . وقد ثبت فى مكانه فى غزوة أحد التى غلب فيها المسلمون ، وكان المشركون فيها يودون بكل ما استطاعوا أن يقضوا عليه ، صلوات الله عليه .

ووقف ثابتاً فى غزوة حنين ، وقد فر المسلمون على كثرتهم لاذ ذلك . وكيف يمكن لأكرم رجل فى الوجود أن يفر وأن يتراجع وهو أوثق الناس بالله وبرسالته .

ولقد كان واضحاً فيه صلوات الله عليه ما يقوله سيدنا على — وهو من هو بطولة وفروسية : ( كننا إذا حمى الوطيس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون أقربنا إلى العدو ) .

وكان صلى الله عليه وسلم مع التجائه إلى الله تعالى يدعوه ويستغيث به ويستنجد به — بالنصر ، يحكم الأمر لحكاما ، بحيث لا يدع فيه ثغرة . هكذا كان شأنه فى كل أموره . لقد نظم الجليش فى غزوة بدر تنظيمًا محكمًا ثم اتجه إلى الله يدعوه . وكان دائماً متغائلاً ، حتى ولو كان العدو هشة أمثال المسلمين . لقد كان المشركون فى غزوة بدر ثلاثة أمثال المسلمين فهزمهم المسلمون بإذن الله .

وعن أنس قال : كان النبي ﷺ أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس ، لقد فرح أهل المدينة ليلة فأنطلق ناس قبل الصوت ، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعاً قد سبقهم إلى الصوت واستبرأ الخبر على فرس لأبي طلحة عري ، والسيف في عنقه وهو يقول : ( لن تراعوا ) وقال عمران بن حصين : ما لقي النبي ﷺ كتيبة إلا كان أول من يضرب .

وكان ﷺ أشد الناس حياءً وأكثرهم عن العورات إغضاءً ، قال الله تعالى : ﴿ إن ذلکم کان يؤذى النبی فیستحی منکم ﴾ (١) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه — الحديث . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا وكذا ولكن يقول ( ما بال أقوام يصنعون — أو يقولون كذا ) ينهى عنه ولا يسمى فاعله . وعن أنس في حديث أنه كان عليه السلام لا يواجه أحداً بما يكره .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً ولا سخاباً بالأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح . وعن عائشة أيضاً : ما رأيت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط . وروى عنه

== وكان انهزام المسلمين في ( غزوة أحد ) شذوذاً في القاعدة ، وما كان ذلك إلا لأنهم خالفوا — متأولين — أوامر الرسول ﷺ ، غير أن تفاؤله لم يفارقه لحظة ، فبعد أن انهزم المسلمون في غزوة أحد أمرهم مباشرة بلم شعثهم وتضميد جراحهم والاستعداد فوراً لخوض المعركة من جديد ...

هذا التفاؤل وهذه الثقة في الله لم تفارق الرسول قط في كفاحه الطويل الدائب الذي استمر إلى نهاية حياته الشريفة ...

(١) سورة الاحزاب ، الآية ٥٣ .

أنه كان من حياته لا يثبت بصره في وجه أحد ، وأنه كان يكتفى عما اضطره الكلام إليه مما يكره .

وكان ﷺ أوسع الناس صدراً ، وأصدق الناس لهجة ، وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة . هذا من كلام علي في صفته عليه السلام .

وعن قيس بن سعد قال : زارنا رسول الله ﷺ ، فلما أراد الانصراف قرب له سعد حماراً وطأ عليه بطفيفة ، فركب رسول الله ﷺ ثم قال سعد : يا قيس اصحب رسول الله ﷺ ، قال قيس فقال لي رسول الله ﷺ : ( إما أن تركب وإما أن تنصرف ) فانصرف . وفي رواية ( اركب أمامي فصاحب الدابة أولى بمقدمها ) .

وعن عائشة في حديث عنه ﷺ أنه ما دعاه أحد من أصحابه ولا أهل بيته إلا قال : ( لييك ) وقال جرير (١) : ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت ولا رآني إلا تبسم .

وكان عليه الصلاة والسلام يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم ، ويلعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ، ويحجب دعوة الحر والعبد والأمة والمسكين ، ويعود المريض في أقصى المدينة ، ويقبل عنذر المعتذر ، قال أنس رضي الله عنه : ما التقم أحد أذن النبي (٢) ﷺ فينحى رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحى رأسه . وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخذ . ولم ير مقدماً ركبتيه (٣) بين يدي (٤) جلوس له . وكان يبدأ من لقيه بالسلام . وبدأ أصحابه

(١) هو سيدنا جرير بن عبد الله بن جابر البجلي ، على ما في (الاستيعاب للحافظ ابن عبد البر رحمه الله) .

(٢) أي جعل فيه يحاذي أذنه الشريعة للإفضاء بالسر .

(٣) في الظاهرية (ركبتيه) .

(٤) سقط من الظاهرية (يدي) .

بالمصافحة ، لم ير قط ماداً رجله بين أصحابه . يكرم من يدخل عليه ، وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالسادة التي تحته ، ويعزم عليه في الجلوس عليها إن أبي .

ويكنى أصحابه ويدعوهم بأحب أسمائهم تكريماً لهم . ولا يقطع على أحد حديثه . وروى أنه كان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وسأله عن حاجته ، فإذا فرغ عاد إلى صلاته .

وكان أكثر الناس تبسماً وأطيبهم نفساً ما لم ينزل عليه قرآن أو يعظ أو يخطب . قال عبد الله بن الحارث : ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ .

وأما شفقتة على خلق الله تعالى ورأفته بهم ورحمته لهم فقد قال الله تعالى فيه : ﴿ عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم <sup>(١)</sup> ﴾ وقال : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين <sup>(٢)</sup> ﴾ قال بعضهم : من فضله عليه السلام أن الله تعالى أعطاه اسمين من أسمائه فقال ﴿ بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ .

ومن ذلك تخفيفه وتسهيله عليهم وكراهيته أشياء مخافة أن تفرض عليهم كقوله : ( لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء ) وخبر صلاة الليل ، ونهيمهم عن الوصال <sup>(٣)</sup> وكراهيته دخول الكعبة لئلا يعنت أمته . وأنه كان يسمع بكاء الصغير فيتجوز في صلاته .

ولما كذبه قومه أتاه جبريل عليه السلام فقال : إن الله قد سمع قول

(١) سورة التوبة ، الآية ١٢٨ . (٢) سورة الانبياء ، الآية ١٠٧ .

(٣) في الصوم . وكان ﷺ يواصل في صومه ويبقى أياماً بدون طعام ويقول : ( إني لست مثلكم إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني ) .



قومك لك وما ردوا عليك ، وقد أمر ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، إن شئت أطبق عليهم الأخشبين . قال النبي ﷺ : ( بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً ) وقالت عائشة : ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما . وقال ابن مسعود : كان رسول الله ﷺ يتخولنا بالموعة (١) مخافة السامة علينا . وروى أنه عليه السلام قال : ( لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئاً فإنني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر ) .

وكان ﷺ أوصل الناس للرحم وأقومهم بالوفاء وحسن العهد : روى عن عبد الله بن أبي الحساء قال : بايعت النبي ﷺ ببيع قبل أن يبعث ، وبقيت له بقية فوعده أن آتية بها في مكانه فذسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فإذا هو في مكانه فقال : ( يا فتى لقد شققت علي أنا ها هنا منذ ثلاث أنتظرك ) رواه أبو داود . وعن أنس رضى الله عنه قال : كان النبي ﷺ إذا أتى بهدية قال : ( اذهبوا بها إلى بيت فلانة لأنها كانت صديقة لخديجة ، [ لأنها كانت تحب خديجة ] (٢) . ودخلت عليه امرأة فمش لها وأحسن السؤال عنها ، فلما خرجت قال : ( لأنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان ) . ووفد وفد النجاشي فقام النبي ﷺ فقال أصحابه : نكفيك ، قال : ( لأنهم كانوا لأصحابنا مكرمين ولاني أحب أن أكافئهم ) .

ولما جرى بأخته من الرضاة الشياء من سبي هوازن بسط لها رداءه وخيرها بين المقام عنده أو التوجه إلى أهلها ، فاختارت قومها فتمها .

(١) في ( النهاية ) : أى يتعهدنا . وقال أبو عمرو : الصواب يتحولنا - بالخاء أى يطلب الحال التى ينشطون فيها للوعدة فيعظم فيها ولا يكثر عليهم فيحملوا . وفي ( القاموس ) تحوله بالموعة : توخى الحال التى ينشط فيها لقبولها ورد هذا في ( القاموس ) في ( حول ) لا في ( خال ) . ومثله في ( لسان العرب ) .  
(٢) ما بين المعقنين ساقط من الظاهرية .

وكان ﷺ أشد الناس تواضعاً على علو منصبه ، فمن ذلك أن الله تعالى خيره بين أن يسكن نبياً ملئكاً أو نبياً عبداً ، فاختر أن يكون نبياً عبداً . فقال له إسرافيل عند ذلك : فإن الله تعالى قد أعطاك بما تواضعت له أنك سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من تلمش عنه الأرض وأول شافع .

وخرج على قوم من أصحابه فقاموا له فقال : ( لا تقوموا لي كما تقوم الأعاجم بعظم بعضها بعضاً ) وقال : ( إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد ) .

وكان يركب الحمار ، ويردف خلفه ، ويعود المساكين ، ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد ، ويجلس بين أصحابه حيث انتهى به المجلس ، وقال لامرأة أتته في حاجة : ( اجلسي يا أم فلان في أى طرق المدينة شئت أجلس إليك حتى أقضى حاجتك ) فجلست وجلس .

وكان يدعى إلى خبز الشعير والإهالة السنخية (١) فيجيب ، وحين على رحل رث وعليه قطيفة ما تساوى أربعة دراهم ، وأهدى في حجه ذلك مائة بدنة .

وكان ﷺ يمر على الصبيان فيسلم عليهم . وكان في بيته في مهنة أهله يغلى ثوبه . ويحلب شاته ، ويخصف نعله ، ويخدم نفسه ، ويعلف ناضجه ، ويقم البيت ، ويعقل البعير ، ويأكل مع الخادم ، ويعجن معها ، ويحمل بضاعته من السوق .

وعن أنس : إن كانت الأمة تأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنتطلق به حيث شئت حتى يقضى حاجتها .

وكان ﷺ يسمى ( الأمين ) قبل النبوة لما عرفوا من أمانته وعدله .

(١) الإهالة : كل ما يؤتم به ، وقيل ما أذيب من الإلية والشحم ، وقيل : اللحم الجامد . والسنخة : المتغيرة .

وعن الربيع بن خثيم (١) قال كان يتحائم إلى رسول الله ﷺ في الجاهلية قبل الإسلام . وقال النضر بن الحارث لقريش : قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثاً وأعظمكم أمانة ، حتى إذا رأيتم في صدغه الشيب وجاءكم بما جاءكم قاتم : ساحر ، لا والله ما هو بساحر .

وفي الحديث : ما لمست يده يد امرأة قط لا يملك رقها .  
وقال : ( ويحك فمن يعدل إن لم أعدل ) .

وكان ﷺ أوفر الناس في مجلسه ، لا يكاد يخرج شيئاً من أطرافه . وكان ﷺ يحب الطيب والرائحة الحسنة ويستعملها كثيراً ويحضر عليها . ومن مروته ﷺ نهيه عن النفخ في الطعام والشراب ، والأكل بما يلي ، والأمر بالسواك ، وإتقاء البراجم والرواجب (٢) واستعمال خصال الفطرة .

وأما زهده في هذه الدنيا وعبادته وخوفه ربه عز وجل فقد توفى ودرعه مرهونة عند يهودى في نفقة عياله . وكان يدعو : ( اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا ) وعن عائشة رضي الله عنها قالت : ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعاً من خبز بُر حتى مضى لسبيله . وفي رواية : من خبز شعير يومين متواليين .

وفي رواية عائشة : ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ولا شاة ولا بعيراً ، قالت : ولقد مات وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير

(١) في الظاهرية ( خثيم ) أنظر خلاصة الخزرجى وتقريب التهذيب للحافظ ابن حجر .

(٢) البراجم : هى العقد التى فى ظهور الأصابع ، يجتمع فيها الوسخ ، الواحدة برجة بالضم . والرواجب : هى ما بين عقد الأصابع من داخل ، واحدها راجبة على ما فى ( النهاية لابن الأثير رحمه الله ) .

في رق لي ، وقال لي : ( إنه عرض علي أن يجعل لي بطحاء مكة ذهباً ، فقلت لا يارب (١) بل أجوع يوماً وأشبع يوماً ، فأما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع إليك وأدعوك ، وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثنى عليك ) . وقال ابن عباس كان النبي ﷺ يبديت هو وأهله الليالي المتتابعة طاوياً لا يحدون عشاء ، وكان يقول : ( لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ) .

وفي حديث المغيرة بن شعبة : صلى رسول الله ﷺ حتى انتفخت قدماه . وقالت عائشة : كان عمل رسول الله ﷺ ديمة ، وأيكم يطيق ما كان يطيق وقالت : كان يصوم حتى نقول لا يفطر ، ويفطر حتى نقول لا يصوم : وقال عوف بن مالك كنت مع رسول الله ﷺ ليلة فاستاك ثم توضأ ثم قام يصلي ، فقامت معه فبدأ فاستفتح ( البقرة ) فلا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل ، ولا بآية عذاب إلا وقف وتعوذ ، ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول ( سبحان ذي الجبروت والملكوت والعظمة ) ثم سجد وقال مثل ذلك . ثم قرأ ( آل عمران ) ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قام رسول الله ﷺ بآية من القرآن ليلة . وقال صلى الله عليه وسلم : ( إنني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة ) .

(١) هذا العزوف عن الدنيا لا يعني الإلغاف لاعداء القلب بها ، ولكن السيطرة عليها وامتلاكها وتسخيرها في سبيل مرضاة الله هو من واجبات كل مسلم . والمسلم مكافح دائماً في سبيل الله ومن أجل مرضاته . وقد امتلك المسلمون الأول الدين ، ودانت لهم المعمورة وخضعوا لهم المادة ، فاستخدموا كل ذلك في الخير وإسماعد الإنسانية . ( من كتاب القرآن والنبي ١٩٨ مولانا الأستاذ الدكتور هبدي الحلبي محمود رضي الله عنه ) .

( ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان )

وهي السنة العاشرة

فيها توفيت ( زيلب بنت خزيمة ) بن الحارث زوج رسول الله ﷺ ، كانت تدعى أم المساكين في الجاهلية والإسلام لرأفتها بهم ، كانت عند الطفيل بن الحارث بن المطلب (١) ، فطلقها فتزوجها أخوه عبيدة ، فقتل يوم بدر شهيداً ، فتزوجها رسول الله ﷺ ، فمكثت عنده ثمانية أشهر وتوفيت وصلى عليها رسول الله ﷺ ، ودفنها بالقيع وقد بلغت ثلاثين سنة أو نحوها وكانت وفاتها في ربيع الآخر من هذه السنة . رحمها الله تعالى .

وفيها توفي ( إبراهيم ابن رسول الله ﷺ ) ولدته مارية القبطية كما ذكرنا في سنة ثمان ، ولما ولد دفعه رسول الله ﷺ إلى أم سيف امرأة قين (٢) بالمدينة ترضعه ، وتنافست الأنصار فيمن يرضعه ، فأحبوا أن يفرغوا مارية لما يعلمون من هواه لها ، وجاءت أم بردة بنت المنذر بن زيد الأنصاري زوجة البراء بن أوس ، فكلمت رسول الله ﷺ في أن ترضعه بلبان ابنها وترجع به إلى أمه ، فأعطى رسول الله ﷺ قطعة من نخل فناقلت بها إلى مال عبد الله بن زمعة .

وتوفي إبراهيم عند أم بردة وهو ابن ثمانية عشر شهرا ، وغسلته أم بردة وحمل من يدها على سرير صغير ، وصلى عليه رسول الله ﷺ بالقيع ، وقال : ( ندفته عند فرطنا عثمان بن مظعون ) . وعن عطاء بن جابر قال : أخذ النبي ﷺ بيد عبد الرحمن بن عوف فألقى به النخل ، فإذا ابنه إبراهيم على سريرته فقال :

(١) في النسختين ( عبد المطلب ) والتصحيح من نهاية الأرب للزوري

والطباقات الكبرى لابن سعد .

(٢) أي حداد .

(يا إبراهيم إنا لا نفنى عنك من الله شيئاً) ثم ذرفت عيناه ، ثم قال :  
 (يا إبراهيم لولأنه أمر حق ووعد صدق وأن آخرنا سيلحق أولنا لحزنا عليك  
 حزناً هو أشد من هذا ، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون ، تبكى العين<sup>(١)</sup>  
 ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب) وقال غيره : وافق موته كسوف  
 الشمس ، فقال قوم : انكسفت الشمس لموته ، فخطبهم رسول الله ﷺ  
 فقال : (إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان ولا يكسفان  
 لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله والصلاة) وقال  
 رسول الله ﷺ : (إن له مرضعاً في الجنة يتم رضاعه) وروى عن النبي ﷺ  
 أنه قال : (لو عاش إبراهيم لعثقت أخواله ، ولوضعت الجزية عن كل قبلى)  
 وقال عليه السلام : (إذا دخلتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً ، فإن لهم  
 ذمة ورحماً)<sup>(٢)</sup> .

(١) هذا الحديث متفق عليه . وهذه الدموع الزكية العلمية التي سالت من  
 عيني النبي صلى الله عليه وسلم في أكثر من مرطن تمثل أطهر ما في النفس البشرية من  
 عواطف ومشاعر ، فهي تمثل ذاك الإحساس النبيل بالرحمة والرفقة . وقد يبكي  
 الرسول عند قبر أمه وأبى بكر من حوله . ويبكي عند وفاة جده عبد المطلب .  
 ويبكي لما سمع المشركون إلى عمه يطلبون منه منه من دعوته . ويبكي على  
 عمه حمزة . ويبكي لما استشهد قواد غزوة مؤتة الثلاثة . ويبكي لما رأى  
 سعد بن عباد مريضاً منشفياً عليه . ويبكي مع القوم . ويبكي لما قبل عثمان  
 ابن مظعوم وهو ميت . ويبكي لسماع القرآن . ويبكي ليلة غزوة بدر وهو قائم  
 يصلي ويبكي حتى أصبح . ويروي أنه سأل ربه في أمته فيبكي فأوحى الله إليه :  
 (سارضيك في أمتك) وعن مطرف عن أبيه قال : (أتيت النبي صلى الله عليه  
 وسلم وهو يصلي والجوفه أذير كآزير المرجل من البكاء) أى له صوت كهو  
 القدر عند الغليان (من مقال للاستاذ الدكتور أحمد الشرباصي في مجلة لواء  
 الإسلام ، رحم الله مؤسسها الاستاذ أحمد حمزة) .

(٢) بمعنى هذا الحديث وردت أحاديث ، أنظر صحيح الإمام مسلم ، كتاب  
 فضائل الصحابة (باب وصية النبي صلى الله عليه وسلم بأهل مصر) .

## ( السنة الحادية عشرة من الهجرة )

في المحرم من هذه السنة ضرب رسول الله ﷺ بعثاً إلى الشام ، أميرهم أسامة بن زيد موله ، وأمره أن يوطئه الخيل نخوم البلقاء والداروم (١) من أرض فلسطين ، فتكلم قوم من المنافقين في إمارته ، وقالوا : أمر غلاماً على جلة المهاجرين والأنصار اقتال رسول الله ﷺ : ( إن تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إماره أبيه من قبل ، وإنه لخليق للإمارة وكان أبوه خليقاً لها ) وأوعب مع أسامة المهاجرون الأولون (٢) : منهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهم ، فبينما الناس على ذلك ابتدأ برسول الله ﷺ مرضه .

ومن الحوادث في هذه السنة أنه قدم على رسول الله ﷺ ( وفد النخع ) من اليمن للنصف من المحرم ، وهم مائتا رجل مقرين بالإسلام ، وكانوا بايعوا معاذ بن جبل باليمن ، قال الواقدي : وهم آخر من قدم على رسول الله ﷺ من الوفود .

ومن الحوادث استغفار رسول الله ﷺ لأهل بقيع الغرقد ، قال أبو مويهبة مولى رسول الله ﷺ أهدبني (٣) رسول الله ﷺ في المحرم مرجعه من حجته ، وما أدري ما مضى من الليل ، فقال لي : ( انطلق فإني قد أمرت أن أستغفر لأهل البقيع ) فخرجت معه فاستغفر لهم طويلاً ثم قال : ( ليهنكم ما أصبحتم فيه ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها ، الأخيرة شر من الأولى ، يا أبا مويهبة إني قد أعطيت خزان الدنيا والخلد فيها ثم الجنة ،

(١) قلعة بعد غزة للقاصد إلى مصر ، على ما في ( معجم البلدان لياقوت الحموي رحمه الله ) .

(٢) أي خرجوا بأجمعهم للغزو ، على ما في ( النهاية لابن الأثير ) .

(٣) أيقظني .

تغيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة ( فقلت : بأبي أنت وأمي خذ خزانتي الدنيا والخلد فيها ثم الجنة ، قال : ( لا والله يا أبا مويهبة لقد اخترت لقاء ربي والجنة ) فرجع واشتكى بعد ذلك بأيام .

ومن الحوادث مجيء الخبر بظهور مسيلة والأسود العنسي (١) : قد ذكرنا أن مسيلة قدم على رسول الله ﷺ فيمن أسلم ، ثم ارتد لما رجع إلى بلده ، وكتب إلى رسول الله ﷺ : « من مسيلة رسول الله إلى محمد رسول الله » وكان يستخوي أهل بلده ، وكذلك العنسي ، إلا أنه لم يظهر أمرهما إلا في حالة مرض رسول الله ﷺ .

وكان رسول الله ﷺ قد لحقه مرض بعد عودته من الحج ، ثم عوفي ثم عاد فمرض الموت ، قال أبو مويهبة مولى رسول الله ﷺ : لما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع طارت الأخبار بأنه قد اشتكى ، فوثب الأسود العنسي باليمن ومسيلة باليمامة ، فجاء الخبر عنهما إلى رسول الله ﷺ ، ثم وثب طليحة بن خويلد في ديار بني أسد بعد ما أفاق رسول الله ﷺ .

قال سيف بن عمر بإسناده عن علي وابن عباس رضي الله عنهما : أول ردة كانت في عهد رسول الله ﷺ ، وأول من ارتد الأسود في مَذَنَج ، ومسيلة في بني حنيفة ، وطليحة في بني أسد . وقال الشعبي : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر مسيلة والعنسي الكذابين بعد ما ضرب على الناس بعث (٢) أسامة بن زيد .

ومن الحوادث في مرضه أنه رأى في منامه سوارين من ذهب في يديه ، ففرج لحدث ، فروى عكرمة عن ابن عباس قال : خرج رسول الله ﷺ عاصباً رأسه من الصداع ، فقال : ( إني رأيت البارحة فيما يرى النائم أن في

(١) يسكون النون ، وضبطت بالفتح في ( الإيناس للوزير ابن المغربي ) وهو خطأ .

(٢) ( بعث ) ساقطة من الظاهرية .



يدى سوارين من ذهب فـكـرهما فنفختهما فطارا، فأولتهما هذين الكاذبين :  
صاحب اليمامة وصاحب الين .

( ذكر أخبار الأسود العنسي )

ومسيلة وسجاح (١) وطليحة

أما الأسود فاسمه عهلة بن كعب ، يقال له ( ذو الخمار ) لقب به لأنه  
كان يقول : يأتيني ذو خمار . وكان الأسود يشعبذ ويربهم الأعاجيب ، ويسبي  
بمنطقة قلب من يسمعه ، فكان أول خروجه بعد حجة رسول الله ﷺ ،  
فـكـاـتـبـته مذحج وواعدوه نجران ، وأخرجوا عمرو بن حزم وخالده بن سعيد  
ابن العاص وأنزلوه منزلهما ، ووثب قيس بن عبد يغوث على فروة بن مسيك  
وهو على مراد ، فأجلاه ونزل منزله .

وسار الأسود إلى صنعاء فأخذها ، وكتب فروة بن مسيك إلى  
رسول الله ﷺ يخبره ، ولحق بفروة من بقي على إسلامه من مذحج ، ولم يكتب  
الأسود رسول الله ﷺ ولم يرسل إليه .

وصفا له ملك الين ، وقوى أمره ، وخرج معاذ بن جبل هاربا حتى مر  
بأبي موسى وهو هارب ، فاقتحما حضرموت ، فنزل معاذ السكون ونزل  
أبو موسى السكاسك ، ورجع عمرو بن حزم وخالده إلى المدينة ، وغلب الأسود  
وطابقت عليه الين ، وجعل أمره يستطير استطارة الحريق ، ودانت له سواحل  
الين ، وعاملة المسلمون بالثقية .

وكان خليفته في مذحج عمرو بن معد يكرب ، وأُسند أمر جنده إلى  
قيس بن عبد يغوث ، وكان قد كابره عامر بن شهر الهمداني في ناحيته ،

(١) مصحفة في النسختين ، والتصحيح من السياق ومن المراجع المشهورة .

وفيروز وداذويه (١) في ناحيتهما ، وتزوج الأسود امرأة شهر ، وهي ابنة عم فيروز .

وأرسل رسول الله ﷺ إلى نفر من أهل اليمن أن يحاولوا الأسود إما غلبة أو مصادمة ، وأمرهم أن يستنجدوا رجالا سماهم لهم عن حولهم من حمير وهمدان ، وأرسل إلى أولئك النفر أن ينجدوهم ، فدعوا قيس بن عبد يغوث حين رأوا الأسود قد تغير عليه ، فحدثوه الحديث وأبلغوه عن رسول الله ﷺ ، فأجاب ، ودخلوا على زوجته وقالوا : هذا قتل أباك فإذا ترين ؟ فقالت : هو أبغض خلق الله تعالى إليّ ، وهو متحيز والحرس يحيطون بقصره إلا هذا البيت ، فانقبوا عليه .

فانقبوا ودخل فيروز وخالطه وأخذ برأسه فقتله ، فخار كما شد خوار ثور فابتدر الحرس الباب فقالوا : ما هذا ؟ قالوا : النبي يوحى إليه فإليكم ، ثم خمد ، وقد كان يوحى إليه شيطان فيوسوس له فيخط ويعمل بما قال ، فلما طلع الفجر نادوا بشعارهم الذي بينهم ثم بالأذان ، وقالوا : نشهد أن محمداً رسول الله ونشهد أن عبدة كذاب ، وشنوها غارة ، وتراجع أصحاب رسول الله ﷺ إلى أعمالهم ، وكتبوا إليه بالخبر ، فسبق خبر السماء إليه ، فخرج قبل موته بأيام فأخبر الناس بذلك ، ووصل الكتاب ورسول الله ﷺ قد مات .

قال ابن عمر : أتى النبي ﷺ الخبر من السماء في الليلة التي قتل فيها الأسود فخرج ليبشرنا فقال : ( قتل الأسود العنسي البارحة ، قتله رجل مبارك من أهل بيت مبارك ) . قيل : ومن ؟ قال ( فيروز فاز فيروز ) .

(١) في النسختين (داوديه) وهو تحريف .

## ( ذكر أخبار مسييلة )

قد ذكرنا أنه قدم على رسول الله ﷺ في وفد بني حنيفة، فلما عاد الوفد ارتد، وكان فيه دهاء (١) فكذب لهم وادعى النبوة وتسمى (رحمن اليمامة) لأنه كان يقول: الذي يأتيني اسمه رحمن، وخاف أن لا يتم له مراده فقال: إن محمداً قد أشركني معه، وجعل يسجع لقومه ويضاهي القرآن. فن قوله: سبح اسم ربك الأعلى الذي يسر على الحبل فأخرج منها نسمة تسعى من بين أضلاع وحشى، يا ضفدعة بذت الضفدعين نفى فجاد ما تمنعين، وسعى فحسن ما تسعين، لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين، والليل الاستبحم والدب الأدلم والجذع الأزل ما انتهكت أسيد من محرم. وكان يقصد بذلك نصرة أسيد على خصوم لهم. وقال: والليل الدامس، والذئب الهامس ما قطعت أسيد من رطب ولا يابس. وقال: والشاة وألوانها، وأعجب بها السوداء وألبانها، والشاة السوداء، واللبن الأبيض إنه لعجب محض، وقد حرم المذق فإلحكم لا تمجعون (٢). وكان يقول: والمبذرات زرعوا والحاصدات حصداً، والذاريات قمحا، والطاحنات طحنا، والخابرات خبزاً، والثارذات ثرداً، واللاقات لقماً لهما وسماً، لقد فضلتكم على أهل الوبر، وما سبقتكم أهل المدر.

وأنته امرأة فقالت: ادع الله لنخلنا ولمائنا، فإن محمداً دعا لقوم فجاشت (٣) آبارهم، قال وكيف صنع؟ قالت: دعا بإناء فيه ماء فضمض وبجه

(١) دهاء (ساقطة من الظاهرية).

(٢) المذق: مزج اللبن بالماء. والمجع: اللبن يشرب على التمر، أو تمر يمعن باللبن. قال الاستاذ مصطفى صادق الرافعي رحمه الله: أكان هذا القرآن ينزل على قلب مسييلة أم على معدته.

(٣) ارتفعت وتدفقت.

فيه ، فأفرغوه في تلك الآبار فأفغمت (١) بالماء ، ففعل هو كذلك ، فغارت تلك المياه . وقال له رجل : برك على ولدي فإن محمداً يبرك على أولاد أصحابه . فلم يؤت بصبي مسح على رأسه وحنكه إلا لشع (٢) وقرع ، وتوضأ في حائط (٣) فصب وضوءه فيه فلم يثبت . وكانوا إذا سمعوا سيجهه قالوا : نشهد أنك نبي .

ثم وضع عنهم الصلاة وأحل لهم الخمر والزنى ونحو ذلك ، فتبعته بنو حنيفة إلا القليل ، وغلب على حجر اليمامة وأخرج ثمامة بن أثال عامل رسول الله ﷺ فسكتب ثمامة إلى رسول الله ﷺ بخبره ، وانحاز بمن معه من المسلمين .

وكتب مسيلة إلى رسول الله ﷺ : من مسيلة رسول الله إلى محمد رسول الله أما بعد فإن لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض ولكن قریشاً قوم يعتدون . وبعث الكتاب مع رجلين عبد الله بن النواحة وحجر بن عмир ، فقال لهما رسول الله ﷺ : ( أتشهدان أني رسول الله ) ؟ قالا : نعم . قال ( أتشهدان أن مسيلة رسول الله ؟ ) قالا : نعم إنه قد أشرك معك ، قال : ( لولا أن الرسول لا يقتل لضربت أعناقكما ) ثم كتب إليه رسول الله ﷺ ( من محمد رسول الله إلى مسيلة الكذاب ، أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ، وقد أهلكك أهل اليمامة أبادك الله ومن ضرب معك ) .

\* \* \*

(١) في الظاهرية ( فأفغمت ) وكلاهما صحيح ، على ما في النهاية لابن الأثير حيث قال : يقال : فغمت الإناء وأفغمته إذا بالغت في ملئه ، ويقال : فغمت وأفغمت : أي ملأت .

(٢) اللشعة : أن تعدل الحرف إلى حرف غيره ، على ما في ( لسان العرب ) .  
(٣) أي بستان .

( ذكر أخبار سبجاح (١) بذت الحارث )

ابن سويد التميمية (٢)

كانت قد تلبأت في الردة — بعد موت رسول الله ﷺ — بالجزيرة في  
بنى تغلب ، فاستجاب لها هذيل وجماعة ، فقصدت قتال أبي بكر رضي الله  
عنه ، فراسلت مالك بن نويرة ودعته إلى المواجهة ، فأجابها ومنعها من  
قصد أبي بكر وحملها على أحياء من بني تميم ، فأجابت وقالت : أعدوا الركاب  
واستعدوا للنهاب ثم أغبروا على الرباب فليس دونهم حجاب ، فذهبوا  
فكانت بينهم مقتلة .

ثم ذهبت إلى اليمامة فهابها مسيلمة ، وخاف أن يتشاغل بحربها فيغلبه  
ثمامة بن أثال عامل رسول الله ﷺ ، فأهدى لها واستأمنها وجاء إليها ، وفي  
رواية أخرى أنه قال لأصحابه : اضربوا لها قبة وخمروها بالطيب لعلها تذكر  
الباه . ففعلوا ، فلما أتته قالت له : اعرض على ما عندك ، فقال : إني أريد أن  
أخلو معك حتى تتدارس ، فلما خلت معه قالت له : اقرأ على ما يأتيك به  
جبريل ، فقال إنسكن معشر النساء خلقن أفواجا وجعلن لنا أزواجا نولج  
فيكن إيلاجا تم نخرجه منكن إخراجا فتلدن لنا أولاداً أثجاجا . فقالت :  
صدقت ، أشهد أنك نبي ، فقال لها : هل لك أن أتزوجك فيقال : نبي تزوج  
نبيه ؟ فقالت : نعم ، فقال :

ألا قومي إلى المخدع      فقد هيء لك المضجع  
فإن شئت فلقاة      وإن شئت على أربع

(١) في الظاهرية (شجاج) وهو تحريف صححته من الاحمدية والمصادر  
المشهوره .

(٢) محرفة في النسختين .

وإن شئت بثليته وإن شئت به أجمع

فقلت : به أجمع فهو أجمع للشمل ، فأقامت معه ثلاثاً ثم خرجت إلى قومها فقالت : إني قد سألته فوجدت نبوته حقاً وإني قد تزوجته . فقالوا : مثلك لا يتزوج بغير مهر ، فقال مسيلة : مهرها أتي قد رفعت عنكم صلاة الفجر والعتمة . ثم صالحته على أن يحمل إليها النصف من غلات اليمامة . وسندكر بقية حديثهم في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

( ذكر أخبار طليحة بن خويلد الأسدي )

خرج طليحة بعد الأسود ، وادعى النبوة ، فتبعه جماعة وقوى أمره ، فكتب بخبره إلى النبي ﷺ سنان بن أبي سنان ، وبعث طليحة ابن أخيه إلى رسول الله ﷺ يسأله المواعدة ، وتسمى بذي النون ، وزعم أن الذي يأتيه اسمه ذو النون ، فقال رسول الله ﷺ لرسوله : ( قتلك الله ) ورده كما جاء فقتل في الردة ، وأرسل رسول الله ﷺ إلى عوف أحد بني نوفل بن ورقاء وإلى سنان بن أبي سنان أن يجاولوا طليحة ، وأمرهم أن يستنجدوا عليه رجلاً قد سماهم من تميم وقيس ، وأرسل إلى أولئك نفر أن ينجدوه ، ففعلوا . ولم يشغل رسول الله ﷺ مرضه عن مسيلة وطليحة . وإن جماعة من المسلمين حاربوا طليحة ، وضربه قحيف بن السليك بسيف فلم يهلك ولكن غشى عليه فقال قوم : إن السلاح لا يعمل في طليحة ، فصار ذلك فتنة .

فلما توفي رسول الله ﷺ تناقض أمر المسلمين ، وانفض جماعة إلى طليحة : فمنهم عيينة بن حصن الفزاري ، وتراجع بقية المسلمين إلى أبي بكر ، فأخبروه بالخبر .

ومن كلام طليحة : والحمام واليمام والصرد الصوام (١) قد صمن قبلكم بأعوام ليلغن ملكنا العراق والشام .

(١) في الظاهرية ( العوام ) والتصحيح من الاحمدية والقاموس المحيط .

وقاتله خالد بن الوليد رضى الله عنه . وسنذكر ذلك فى قتال أهل الردة .  
وكان عيينة بن حصن لما جاء خالد بن الوليد بالعساكر قد قال لطليحة :  
جاءك الملك ؟ قال : لا ، فرجع عيينة فقاتل ، ثم رجع فقال : جاءك الملك ؟  
قال : نعم ، قال : ما قال ؟ قال قال لى : إن لك حديثاً لا تأساه ، فصاح  
عيينة الرجل والله كذاب ، فانصرف الناس منهزمين .

وهرب طليحة إلى الشام فنزل على بنى كلب ، فبلغه أن بنى أسد وخطفان  
وعامر قد أسلموا فأسلم وخرج نحو مكة معتمراً فى إمارة أبى بكر فمر بجنابت  
المدينة ، فقيل لأبى بكر : هذا طليحة ، قال : ما أصنع به ؟ خلوا عنه فقد  
أسلم ، ثم صحح إسلامه وقاتل فى الفتوحات فقتل يوم نهاوند (١) .

( ذكر مصيبة الأولين والآخرين من المسلمين )

ب وفاة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين

ولما قتل رسول الله ﷺ من حجة الوداع أقام بالمدينة بقية ذى الحجة  
والحرم وصفر ، وضرب على الناس بعثاً أميره أسامة بن زيد ، وقد تقدم  
ذكره ، فبينما الناس على ذلك ابتدئ رسول الله ﷺ بشكواه التى قبضه  
الله تعالى فيها إلى ما أراد الله من كرامته فى ليال بقين من صفر أو فى شهر  
ربيع الأول ، فكان أول ما ابتدئ به ﷺ أنه خرج إلى بقيع الغرقد (٢) فى  
جوف الليل فاستغفر لهم ، ثم رجع إلى أهله ، فلما أصبح ابتدئ بوجعه من  
يومه ذلك .

قالت عائشة رضى الله عنها : رجع رسول الله ﷺ فوجدنى وأنا أجد  
صداعاً فى رأسى وأنا أقول : وارأساه ، فقال : ( بل أنا والله يا عائشة

(١) هنا فى حاشية الأحمدية ( بلغ قراءة ) .

(٢) مقبرة المدينة المشرفة ، سمي به لأنه كان منبت الغرقد وهو نوع من  
الشجر العظيم .

واراساه) قالت ثم قال : ( وما ضرك لو مت قبلي فقامت عليك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك ) قلت : والله لكانني بك لو قد فعلت ذلك لرجعت إلى بيتي فأعرست فيه ببعض نساءك ، فتبسم رسول الله ﷺ وتنام به وجهه وهو يدور على نسائه حتى استقر به في بيت ميمونة ، فدعا نساءه فاستأذنهن في أن يمرض في بيتي (١) فأذن له فخرج رسول الله ﷺ يمشي بين رجلين — أحدهما الفضل بن العباس ورجل آخر — عاصباً رأسه تخط قدماه الأرض حتى دخل بيتي ، قال ابن عباس : الرجل الآخر علي بن أبي طالب .

ثم غمر (٢) رسول الله ﷺ واشتد به وجهه فقال : ( هريقوا علي من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن من آبائهن حتى أخرج إلي الناس فأعهد إليهم ) فأقعدناه في مخضب لحفصة بدت عمر ثم صبينا عليه الماء حتى طفق يقول ( حسبكم حسبكم ) .

وعن الزهري حدثني أيوب بن بشير أن رسول الله ﷺ خرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر فكان أول ما تسكلم به أنه صلى على أصحاب أحد واستغفر لهم فأكثر الصلاة عليهم ثم قال : ( إن عبداً من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله ) ففهمها أبو بكر رضي الله عنه وعرف أن نفسه يريد فقال : نقديك بأنفسنا وآبائنا ، فقال : ( علي رسلك يا أبا بكر ) ثم قال : ( انظروا هذه الأبواب النافذة إلى المسجد فسدوها

(١) ( في بيتي ) وضعت في غير مكانها في الظاهرية .

(٢) أصابته غمرة المرض وأغمى عليه . والإغماء جائز على الأنبياء لأنه من المرض — وقيدته الإمام الغزالي بغير الطويل وجزم به الحافظ البلقيني — بخلاف الجنون فلم يس جائزاً عليهم لأنه نقص . وليس إغماءهم كإغماء غيرهم لأنه إنما يستزحوا سقم الظاهرة دون قلوبهم ، لأنه إذا عصمت عن النوم فمن الإغماء أولى . كما في بعض المراجع .



إلا باب أبي بكر فإني لا أعلم أحداً كان أفضل في الصحبة عندي يداً منه ( وأراد عمر فتح كوة ينظر منها إلى النبي ﷺ ، فمنعه من ذلك ، ، وقال عليه السلام للعباس : ( ما فتحت عن أمرى ولا سددت عن أمرى ) .

ثم أوصى بالأنصار وقال : ( يا معشر المهاجرين : الأنصار عيقتي (١) التي أويت إليها فأكرموا كريمهم وتجاوزوا عن مسيئتهم )

وقال ابن مسعود : نعى إلينا نبينا وحبينا ﷺ نفسه قبل موته بشهر ، فلما دنا الفراق جمعنا في بيت عائشة رضي الله عنها فنظر إلينا وشدد ودمعت عيناه وقال ( مرحباً بكم حياكم الله ، رحمكم الله ، آواكم الله ، حفظكم الله ، رفعكم الله ، نفعكم الله ، وفقكم الله ، سلمكم الله ، قبلكم الله ، أوصيكم بتقوى الله وأوصى الله بكم وأستخلفه وأودبكم إليه ، إني لكم منه بشير وتذير ، لا تغلوا على الله في عباده وبلاده فإنه قال لي ولكم ) : ( تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين (٢) ) ثم قال : ( دنا الفراق والمنقلب إلى الله وإلى جنة المأوى وإلى سدة المنتهى وإلى الرفيق الأعلى والكناس الأوفى والعيش الأهنى ) .

قلنا : يا رسول الله من يغسلك ؟ قال : ( رجال أهلي الأدنى فالأدنى ) قلنا : يا رسول الله فقيم فكفئك ؟ قال : ( في ثيابي هذه إن شئتم أو ثياب معمر أو حلة يمانية ) قلنا : يا رسول الله من يصلي عليك ؟ وبكينا وبكي ، فقال : ( مهلاً رحمكم الله وجزاكم عن نبيكم خيراً ، إذا أتم غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري هذا على شفير قبري ، ثم اخرجوا عني ساعة ليصلي على جبريل والملائكة ، ثم ادخلوا على فوجاً فوجاً فصلوا على ولا تؤذوني

(١) أي خاصتي وموضع سرى ، على ما في ( النهاية لابن الأثير ) .

(٢) سورة القصص ، الآية ٨٣ .

بتركية ولا رنة ، أقرئوا أنفسكم من السلام ، ومن غاب من أصحابي فأقرئوه السلام ومن تابعكم على ديني فأقرئوه السلام ) .

وقالت عائشة : جعل رسول الله ﷺ يشتكي ويتقلب على فراشه ، فقلت له لو صنع هذا بعضنا لوجدت عليه ، فقال : ( إن المؤمنين يشتد عليهم أنه لا يصيب المؤمن نكبة من شوكة فما فوقها إلا رفع الله له بها درجة وحط عنه بها خطيئة ) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : جئنا رسول الله ﷺ فإذا عليه صالب من الحمى <sup>(١)</sup> ، ما تكاد تقر يد أحدهما عليه من شدة الحمى ، فجعلنا نلشج <sup>(٢)</sup> فقال لنا : ( ليس أحد أشد بلاء من الأنبياء كما يشدد علينا البلاء كذلك يهنا عاف لنا الأجر ) .

قالت عائشة رضي الله عنها : لما ثقل رسول الله ﷺ جاءه بلال ليؤذنه بالصلاة فقال : ( مروا أبا بكر فليصل بالناس ) قالت قلت : يا رسول الله إن أبا بكر رجل أسيف <sup>(٣)</sup> ، وإنه إن يقيم مقامك لا يسمع الناس فلو أمرت عمر . قال : ( مروا أبا بكر فليصل بالناس ) قالت فقلت لحفصة : قولي له ، فقلت له حفصة : يا رسول الله إن أبا بكر رجل أسيف ، وإنه متى يقيم مقامك لا يسمع الناس ، فلو أمرت عمر . فقال : ( إنك صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس ) قالت : فأمرنا أبا بكر يهلي بالناس .

فلما دخل الناس في الصلاة وجد رسول الله ﷺ من نفسه خفة فقام يتهادى بين رجلين ، ورجلاه تخطان في الأرض حتى دخل المسجد ،

(١) الصالب من الحمى الحارة خلاف النافض : الصالب : القي معها حر شديد ، وقيل هي القي فيها رعدة وقشعريرة ، كما في ( تاج العروس ) .

(٢) محرفة في النسختين ، فصحتها من ( النهاية لابن الأثير ) حيث قال : اللشج صوت منه توجع وبكاء .

(٣) أي سريع البسكاء والحزن ، هلى ما في ( النهاية في غريب الحديث والأثر ) .

فلما سمع أبو بكر رضى الله عنه حصة ذهب ليتأخر، فأومأ إليه رسول الله ﷺ أن قم كما أنت. وجاء رسول الله ﷺ حتى جلس عن يسار أبي بكر، فكان رسول الله ﷺ يصلى بالناس قاعداً وأبو بكر قائماً، يقتدى أبو بكر بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والناس يقتدون بصلاة أبي بكر. أخرجاه في الصحيحين.

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: لما نزل رسول الله ﷺ قال لعبد الرحمن ابن أبي بكر: (اتنى بكشف أو لوح حتى أكتب لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه) فلما ذهب عبد الرحمن ليقوم قال: (أبي الله والمؤمنون أن يختلف عليك يا أبا بكر). أخرجاه في الصحيحين (١)

(١) وفي صحيح البخارى: لما حضر رسول الله ﷺ قال: (اتنوني باللوح والدواة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً). قال الأستاذ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: من شائشة المرشدين التهمم بتخطيط نظام لا قوامهم في الأحوال العسيرة والسكوارث المهيبة فهم النبي صلى الله عليه وسلم بكتابة كتاب ليس المقصد التشريع لأن الشريعة قد كملت ولأنه لو كان المقصد التشريع لما عدل عنه. فلا حرم أن كان الكتاب يتضمن التحذير من شيء سيقع، مثل النص على أن أبا بكر هو الذي يلى أمر المسلمين أو النص على كيفية تعيين الخلفاء للأمة وقاعدة البيعة، فإن الخلاف في ذلك جرفتنا. ومن المتعين أن يكون الكتاب مقصوداً لأمر غير متعلق بإفادة تسكين ولا بشرع أنف، وإنما كان في أمر يرجع إلى تنبيه الأمة إلى شيء من شؤون تدبير أمورهم العامة وتحريضهم أو تحذيرهم في شيء مما سبقت الإشارة إليه في القرآن والسنة.

وأيا ما كان الغرض الذي هم رسول الله ﷺ بكتابته، وأيا ما كان الباعث الذي دعاه إلى ذلك فقد عدل عنه وتركه وقال لهم حين أعادوا عليه: (ما أنا فيه خير مما تدهونني إليه).

فإن كان عزمه الأول ناشئاً عن وحى، يسكون قوله الثاني دالاً على أن الله نقله من ذلك العزم إلى ما هو خير للأمة، فيسكون استخفاً للأذن بالكتابة. وإن ==

قال سهل بن سعد : كان عند رسول الله ﷺ سبعة دنائير وضعها عند عائشة ، فلما كان في مرضه قال : ( يا عائشة ابعتي بالذهب إلى علي ) ثم أغشى عليه ، وشغل عائشة ما به حتى قال ذلك ثلاث مرات ، كل ذلك يغمى عليه ويشغل عائشة ما به ، فبعثت به إلى علي فتصدق به .

ثم أمسى رسول الله ﷺ ليلة الاثنين في حديد الموت فأرسلت عائشة إلى امرأة من الأنصار بمصباحها فقالت : انظري لنا في مصباحنا من حكمتك السمن فان رسول الله ﷺ أمسى في حديد الموت .

وقال ابن سعد يرفعه إلى المطلب بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال لعائشة وهي مسندته إلى صدرها : ( يا عائشة ما فعلت تلك الذهبية ؟ ) قالت : هي عندي ، قال : ( فأنفقيها ) ثم غشى على رسول الله ﷺ وهو على صدرها فلما أفاق قال : ( هل أنفقت تلك الذهبية يا عائشة ؟ ) قالت : لا . قال فدعها فوضعتها في كفه فدعها فإذا هي ستة فقال : ( ما ظن محمد بربه لو أنه لقي الله وهذه عنده ) فأنفقتها كلها ، ومات من ذلك اليوم .

وأقبلت فاطمة رضي الله عنها — كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ — فكان ناشئاً عن اجتهاد مستند إلى ظواهر الأدلة والأحوال ، فآله صرفه منه بوجيه إلية ما هو خير لأمته في عام علام الغيوب . أو غير اجتهاده بإلاحة أدلة أخرى أظهرت لرأيه ما هو خير لأمته في ترك ما عزم عليه .

وجعل الله اختلاف الحاضرين في الأمر سكة لنفسه عليه الصلاة والسلام لئلا يبقى له شك في نفع العدول عن ذلك الكتاب . وإن من أول منافعه إزالة الاختلاف بين الحاضرين في شأنه . والوجه في تفضيل العدول عن الكتاب أن الله أوحى في تلك الفترة إلى رسوله بشارته بأن أمته لا تضل ، وأن ما يعرض لها من النوائب هو سنة الله في الأمم ، وأن تلك العوارض لا تلبث أن تنقشع . وأن كتابه الذي عزم عليه تحف به مصالح وأن تركه يجلب مصالح أكثر من مصالح كتابته . . من مقال نشر بمجلة ( الهداية الإسلامية - المجلد الثاني عشر - جادى الأولى سنة ١٣٥٩ ) . وقد نقلت منه شيئاً يتمم ما هنا في هامش ( الجزء الثاني من تاريخ الإسلام للذهبي ص ٣٨٤ ) .

فقال : ( مرحباً بابنتي ) ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم أسر إليها حديثاً فبكّت ، قالت عائشة : استخصك رسول الله ﷺ بحديثه ثم تبكين ، ثم أسر إليها حديثاً فضحكّت ، فقلت ما رأيت كالיום فرحاً أقرب من حزن ، فسألتهما عما قال لهما ، قالت : ما كنّت لأفشي سر رسول الله ﷺ ، حتى إذا قبض سألتهما ، قالت إنه أسر إلى فقال : ( إن جبريل كان يعارضني بالقرآن في كل عام مرة وإنه عارضني به الآن مرتين ، وما أراه إلا قد حضر أجلى ، وإنك أول أهلي لحوقاً بي ونعم السلف أنالك ) فبكيت لذلك ، ثم قال : ( ألا ترضين أن تكوني سيّدة نساء هذه الأمة ) أو نساء المؤمنين ؟ قالت فضحكّت لذلك .

وذكر ابن الجوزي في « كتاب المنتظم » بإسناده يرفعه إلى أبي هريرة رضى الله عنه أن جبريل أتى النبي ﷺ في مرضه الذي مات فيه فقال : إن الله يقرئك السلام ويقول لك : كيف تهجدك ؟ قال : ( أجدني وجعاً يا أمين الله ) ثم جاءه من الغد فقال له مثل ذلك ، ثم جاءه في اليوم الثالث ومعه ملك الموت فقال : يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول لك : كيف تهجدك ؟ قال : ( أجدني والله يا أمين الله وجعاً ، من هذا معك ؟ ) قال هذا ملك الموت ، وهذا آخر عهدي بالدنيا بعدك ، ولا آسى على هالك من ولد آدم بعدك ، ولن أهبط الأرض إلى أحد بعدك أبداً .

فوجد النبي ﷺ سكرة الموت ، وعنده قدح فيه ماء ، فجعل يأخذ من ذلك الماء بيده ويمسح وجهه ويقول : ( اللهم أهني على سكرة الموت (١) ) .

وقال ابن سعد : أنبأنا أنس بن عياض الليثي قال حدثونا عن جعفر بن محمد الصادق قال : لما بقي من أجل رسول الله ﷺ ثلاث نزل عليه جبريل

(١) إن الشدة ليست أمانة على سوء ولا ضده ، والسهولة ليست أمانة خير ولا ضده ، على ما في ( حاشية البيهقوري على الشمايل ) .

فقال : يا أحمد إن الله أرسلني إليك إكراماً لك وتفضيلاً لك وخاصة بك ، يسألك عما هو أعلم به منك يقول : كيف تجددك ؟ قال : ( أجدني يا جبريل مغموماً وأجدني يا جبريل مكروباً ) فلما كان في اليوم الثاني هبط إليه جبريل فقال : يا أحمد إن الله أرسلني إليك إكراماً لك وتفضيلاً لك وخاصة بك يسألك عما هو أعلم به منك . فقال : ( أجدني يا جبريل مكروباً وأجدني يا جبريل مغموماً ) .

فلما كان في اليوم الثالث نزل إليه جبريل ونزل معه ملك يقال له إسماعيل يسكن الهواء لم يصعد إلى السماء قط ولم يهبط إلى الأرض ، ومعه سبعون ألف ملك ، فسبقهم جبريل فقال : يا أحمد إن الله أرسلني إليك إكراماً لك وتفضيلاً لك وخاصة بك يسألك عما هو أعلم به منك . يقول لك : كيف تجددك ؟ قال : ( أجدني يا جبريل مغموماً وأجدني يا جبريل مكروباً ) .

ثم استأذن ملك الموت فقال جبريل : يا أحمد ، هذا ملك الموت يستأذن عليك ولم يستأذن على آدمي قبلك ولا يستأذن على آدمي بعدك ، قال : ( أئذن له ) فدخل ملك الموت فوقف بين يدي رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إن الله أرسلني إليك وأمرني بطاعتك في كل ما تأمرني ، إن أمرتني أن أقبض نفسي قبضتها وإن أمرتني أن أتركها تركتها ، قال : ( وتفعلي يا ملك الموت ؟ ) قال : بذلك أمرت أن أطيعك في كل ما أمرتني به ، قال جبريل : السلام عليك يا رسول الله هذا آخر موطن الأرض ، إنما كنت حاجتي من الدنيا .

وتوفي رسول الله ﷺ وجاءت التعزية ، يسمعون الصوت ولا يرون الشخص : السلام عليكم يا أهل البيت ورحمة الله وبركاته ، كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة ، إن في الله عز وجل عزاءً من كل مصيبة وخلفاً من كل هالك ودركاً من كل ما فات ، فبالله فنبهوا

ولما فارجوا ، فانما المصاب من حرم الثواب ، والسلام عليكم  
ورحمة الله وبركاته .

قالت عائشة رضي الله عنها : ومن نعم الله على أن رسول الله ﷺ توفي  
في بيتي وفي يومى وبين سحري ونحري<sup>(١)</sup> وإن الله جمع بين ربي وربقه عند  
موته ، وذلك أنه دخل على عبد الرحمن<sup>(٢)</sup> ومعه سواك وأنا مسندة  
رسول الله ﷺ فرأيت أنه ينظر إلى ، فعرفت أنه يحب السواك ، فقلت : آخذه  
لك ؟ فأشار برأسه أن ( نعم ) فناولته إياه فاشتد عليه ، فقلت : أليته لك ؟  
فأشار برأسه أن نعم ، فليته ، فأخذه ومره ، وبين يديه ركوة أو علبة فيها ماء  
فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول : ( لا إله إلا الله ) حتى  
قبض ، ومالت يده .

قال أنس بن مالك رضي الله عنه : كانت وصية رسول الله ﷺ حين  
حضره الموت : ( الصلاة وما ملكت أيمانكم ) حتى جعل يتغرغر بها في صدره  
ولا يفيض بها لسانه . قال أنس : لما كان اليوم الذي توفي فيه رسول الله  
ﷺ والناس في صلاة الفجر كشف النبي ﷺ ستر الحجر ينظر إلينا وهو  
نائم ، كأن وجهه ورقة مصحف<sup>(٣)</sup> ثم تبسم فضحك ، فهممنا أن نفتن من  
الفرح برؤية النبي ﷺ ، فنكص أبو بكر على عقبه ليصل الصف ، وظن أن

(١) السحر : الرثة ، أى أنه مات وهو مستند إلى صدرها وما يحاذي  
سحرها منه ، والنحر : أعلى الصدر ، على ما في النهاية لابن الأثير وحاشية  
البيجورى على الشبائل المحمدية للترمذى .

(٢) تعنى أخاها .

(٣) في حسنه وصفاء بشرته وسطوع جماله الحسى والمعنوى ، لأن ورقة  
المصحف شأنها كذلك ، على ما في ( حاشية الشيخ البيجورى على الشبائل المحمدية  
للإمام الترمذى ) .

النبي ﷺ خارج إلى الصلاة ، فأشار إلينا النبي ﷺ أن ( أنموا صلاتكم ) وأرخى الستر . وتوفي من يومه ﷺ .

وكانت وفاته يوم الإثنين نصف النهار لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة إحدى عشرة ، شهيدا .

قال ابن عباس : ولد النبي ﷺ يوم الإثنين ، وقدم المدينة يوم الإثنين ، وتوفي يوم الإثنين .

( صفة الثياب التي توفي فيها )

روى أحمد عن هلال بن أبي بردة قال : أخرجت إلينا عائشة كساء ملبدا<sup>(١)</sup> وكساء غليظا ، فقالت : قبض رسول الله ﷺ في هذين . أخرجاه في الصحيحين .

قال ابن سعد : لما توفي رسول الله ﷺ بكى الناس ، فقام عمر بن الخطاب في المسجد خطيباً فقال : لا أسمعن أحداً يقول إن محمداً قد مات ، ولكنه أرسل إليه كما أرسل إلى موسى بن عمران ، فلبث عن قومه أربعين ليلة ، والله إنى لأرجو أن تقطع أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنه قد مات . وقال عكرمة : ما زال عمر يتكلم ويتوعد المنافقين حتى أزيد شدقه .

والبل أبو بكر على فرس له من مسكنه بالسُّنْح<sup>(٢)</sup> حتى نزل ، فدخل

(١) محرفة ومصحفة في النسختين ، والتصحيح من ( النهاية لابن الأثير ) حيث قال : أي مرقما ، وقيل الملبد : الذي ثخن وسطه وشفق حتى صار يعبه البدة .

(٢) إحدى محال المدينة المنورة ، وهي في طرف من أطراف المدينة . على ما في ( معجم البلدان لياقوت الحموي ) .



المسجد فلم يكلم الناس، حتى دخل على عائشة رضى الله عنها فتيمم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مغشى بثوب حبرة، فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله<sup>(١)</sup> وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً، والله لا يجمع الله عليك موتتين: أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها. وخرج وعمر يكلم الناس، فقال: اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس.

فأقبل الناس إليه وتركوا عمر، فقال أبو بكر: أما بعد فإنه من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. قال الله عز وجل: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين<sup>(٢)</sup>) قال: والله لسكان الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها منه الناس كلهم فأسمع بشراً إلا يتلوها، فأخبرني سعيد بن المسيب أن عمر قال: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فصعرت<sup>(٣)</sup> حتى ماتتني رجلاى وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها.

(ذكر سنة يوم مات صلى الله عليه وسلم)

قال الترمذى: توفى رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستين سنة. أخرجاه في الصحيحين، وقد روى خمس وستون سنة، وقد روى ستون سنة<sup>(٤)</sup>.

(١) في جهته تبركاً واقتداءً به ﷺ حيث قبل عثمان بن مظعون، فنقبيل الميت سنة، على ما في (المواهب اللدنية على الشبائل المحمدية للشيخ البيهقورى رحمه الله).

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٤٤.

(٣) العقر بفتح الحاء: أن يفجأ الرجل الروح فيدهش فلا يستطيع أن يتقدم أو يتأخر، وقيل: لا تحمله قوائمه من الخوف، على ما في ( ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى للمحب الطبرى ١٩٠ ).

(٤) أنظر هامش ص ٤٧٣.

وقال الطبري : لما توفي رسول الله ﷺ دهش الناس وطاشت عقولهم واختلفت أحوالهم في ذلك ، فأما عمر فكان ممن خبل فجعل يقول : إنه والله ما مات ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران حين غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم . وأما عثمان فأخرس حتى جعل يذهب به ويجاء وهو لا يتكلم ، وأقعد على . وأضنى عبد الله بن أنيس ، من الضنى وهو المرض .

وبلغ أبا بكر الخبز - وكان بالسَّنح (١) - فجاء وعيناه تهلان ، فقبل النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبكي وقال : بأبي أنت وأمي ، طبت حياً وميتاً ، وتكلم كلاماً بليغاً سكن به نفوس الناس وثبت جأشهم ، وكان أثبت القوم رضي الله عنه .

وغسله عليه السلام عليّ والعباس وابناه الفضل وقثم ومولياه أسامة وشقران ، وحضرهم أوس بن خولى الأنصاري ، وكفن في ثلاثة أثواب بيض سحرية (٢) ليس فيها قيض ولا عمامة .

وصلى عليه المسلمون أفذاذا (٣) لم يؤمهم أحد ، وفرش تحته قطيفة حمراء كان يتغطى بها .

ودخل قبره العباس وعليّ والفضل وقثم وشقران ، وأطبق عليه سبع لبنات . ودفن في الموضع الذي توفاه الله تعالى فيه حول فراشه .

وكانوا قد اختلفوا في غسله فقالوا : والله ما ندرى أنجرد رسول الله ﷺ من ثيابه كما نجرد موتانا أو نغسله وعليه ثيابه ؟ فلما اختلفوا ألقى الله عز وجل

(١) السَّنح : منازل بني الحارث بن الخزرج في عوالي المدينة ، بينها وبين المسجد النبوي ميل واحد .

(٢) نسبة إلى السحول وهو القصار لأنه يسجلها أى يغسلها ، أو إلى سحول قرية باليمن .

(٣) في الظاهرية (أفراداً) وأثبتنا نص الإحدى وعيون الآثار (٢ / ٣٣٩) .

عليهم النوم ، وكلهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو . غسلوا النبي ﷺ وعليه ثيابه ، فقاموا إلى رسول الله ﷺ فغسلوه وعليه قميصه ، يصبون الماء فوق القميص ويدلكونه ، والقميص دون أيديهم ، فأسنده على إلى صدره ، والعباس والفضل وقثم يقلبونه معه ، وأسامة وشقران يصبون الماء ، وعلى يغسله بيده .

واختلفوا في موضع دفنه هل يكون في مسجده أو مع أصحابه ، فقال أبو بكر : ادفنوه في الموضع الذي قبض فيه ، فإن الله تعالى لم يقبض روحه إلا في مكان طيب . فعملوا أنه قد صدق .

وكان أبو عبيدة بن الجراح يشرح (١) كحفر أهل مكة . وأبو طلحة زيد ابن سهل يلحد (٢) كأهل المدينة ، فاختلفوا كيف يصنع بالنبي ﷺ ، فوجه العباس رجلين أحدهما لأبي طلحة والآخر لأبي عبيدة وقال : اللهم خير لنبيك فحضر أبو طلحة فلحد له (٣) .

وفرع من جهازه يوم الثلاثاء ، وكانت وفاته يوم الإثنين كما ذكرنا . قال علي : لقد سمعنا هممة ولم نر شخصا ، سمعنا هاتفاً يقول : أدخلوا رحمكم الله فصلوا على نبيكم .

ثم دفن من وسط الليل ليلة الأربعاء . وكانت مدة شكواه ثلاث عشرة ليلة .

(١) الضريح : الشق والحفر في الأرض ، على ما في النهاية وشرح القاموس للسيد الزبيدي .

(٢) اللحد : الشق الذي يعمل في جانب القبر لموضع الميت ؛ على ما في (النهاية) .

(٣) في كتاب (من نفحات الحرم للأستاذ علي الطنطاوي) : القبر الشريف لا يظهر . والقبر الظاهر في الحجرة الخلفية ، والذي يعلق الناس صورته على أنه قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس هو القبر الشريف .

ولما دفن عليه السلام قالت فاطمة ابنته رضى الله عنها :

لغبر آفاق السماء وكورت شمس النهار وأظلم المصران  
فالارض من بعد النبي كثيبة أسفاً عليه كثيرة الرجفان  
فليسك شرق البلاد وغربها ولتبك مضر وكل يمانى  
وليسك الطود المعظم جوه والبيت ذو الأستار والأركان  
باخاتم الرسل المبارك ضوؤه صلى عليك منزل الفرقان

ويروى أنها تمثلت بشعر فاطمة بنت الأحجم :

قد كنت لى جبلا ألوذ بظله فتركتنى أمشى بأجرد ضاحى  
قد كنت ذات حمية ما عشت لى أمشى البراز وكنت أنت جناحى  
فاليوم أخضع للذليل وأتقى منه وأدفع ظالمى بالراح  
وإذا دعت قرية شجناً لها ليلا على فنن دعوت صباحى

ومما ينسب لعلى أو فاطمة رضى الله عنهما :

ماذا على من شم تربة أحمد ألا يشم مدى الزمان غواليها (١)  
صبت على مصائب لو أنها صبت على الأيام عدن لياليا

قال أنس بن مالك رضى الله عنه : لما كان اليوم الذى دخل فيه  
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى المدينة أضاء منها كل شيء ، فلما كان  
اليوم الذى مات فيه أظلم منها كل شيء ، وما نفعنا الأيدى من دفنه حتى  
أنكرنا قلوبنا .

(١) الغالية : طيب ، على ما فى ( القاموس المحيط ) .

وقد روى عنه عليه السلام أنه قال : (لتمز المسلمين في مصائبهم المصيبة في) وفي حديث عنه : (أنا فرط لأمتي أن يصابوا بمثلتي) .

وقال أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يرثيه :

أرقتُ فبات ليلي لا يزول      وليل أخى المصيبة فيه طولُ  
وأسعدني البكاء وذاك فيما      أصيب المسلمون به قليل  
لقد عظمت مصيبتنا وجلت      عشية قيل قد قبض الرسول  
وأضحت<sup>(١)</sup> أرضنا بما عراها<sup>(٢)</sup>      تمكاد بنا جوانبها تميل  
فقدنا الوحي والتزويل فينا      يروح به ويغدو جبرئيل  
وذاك أحق ما سالت عليه      نفوس الناس أو كادت تسيل  
نبي كان يجلو الشك عنا      بما يوحى إليه وما يقول  
ويهدينا فلا نخشى ضلالاً<sup>(٣)</sup>      علينا والرسول لنا دليل  
أناطم إن جرعت فذاك عذر      وإن لم تجزعي ذاك<sup>(٤)</sup> السبيل  
فقبر أبيك سيد كل قبر      وفيه سيد الناس الرسول

وقال حسان بن ثابت يمسك رسول الله ﷺ :

ما بال عينك لا تنام كأنما      حكمت ما قتها بكحل الأرم  
جزهاً على المهدي أصبح ثاوياً      يا خير من وطئه الحصى لا تبعد

(١) في المختصر ( وكادت ) عوض ( وأضحت ) .

(٢) في المختصر ( أرها ) عوض ( عراها ) وهو تحريف .

(٣) في المختصر ( طلالا ) وهو تحريف .

(٤) في المختصر ( فهو ) عوض ( ذاك ) وفوقها ( ذاك ) .

جنبي بقيك التراب لم في ليتنى غيبت قبلك في بقيع الغرقد  
 أقيم بعدك في المدينة بينهم يالهف نفسي ليتنى لم أولد  
 باني وأمي من شهدت وفاته في يوم الاثنين النبي المهتدى  
 فظلت بعد وفاته متلداً ياليتنى أسقيت سم الأسود  
 يا بكر (آمنة) المبارك ذكره ولدك محصنة (١) بسعد الأسعد  
 نور أضاء على البرية كلها من يهد للنور المبارك يهتدى  
 والله أسمع ما حيت بهالك إلا بكيت على النبي محمد  
 صلى الله عليه ومن يحف بعرشه والطيبون على النبي محمد

ولو فتحنا باب الإكثار وسمحنا بإيراد ما يستحسن في هذا الباب من  
 الأشعار لخرجنا عما جئنا إليه من الإيجاز والاختصار، فالأشعار في هذا  
 كثيرة ولأنواع الأسى والأسف مثيرة، فياله من خطب جل عن الخطوب  
 ومصاب علم دمع العين كيف يصوب، ورزء غربت له التيرات ولا يعمل  
 شروقها بعد الغروب، وحادث هجم هجوم الليل فلا نجاه منه هارب ولا فرار  
 منه لمطلوب ولا صباح له فيجلو غياهبه الملمة ودياجيه المدهمة، ولا كل ليل  
 إذا دجى صباح يؤوب :

ومن سر أهل الأرض ثم بكى أسى بكى بعيون سرها وقلوب  
 فإنا لله وإنا إليه راجعون من فارحنيت عليها الأضالع لا تنجو ولا تخمد  
 ومصيبة تستك منها المسامع لا يبلى على مر الجديدين حزنها المجدد :  
 وهل عدلت يوماً رزية هالك رزية يوم مات فيه محمد  
 وما فقد الماضون مثل محمد ولا مثله حتى القيامة يفقد

(١) في الظاهرية (محصنة) وفي الأحادية (محصنة) والمثبت هو من ديوان  
 حسان وسهدة ابن همام ونهاية الأرب للنويري.

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته الطاهرين وعشيرته وسلم كثير (١).

(١) هنا في آخر النسخة الظاهرية البيهرسية العمومية :

(تم الجزء الأول من عيون التواريخ لابن شاکر)

يتلوه في (الجزء الثاني) خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

وكان الفراغ منه في سلخ شوال المبارك الميمون من شهر سنة ثمان وسبعين وثمانمائة ، بالجامع الكبير بقرية مردا ، على يد العبد الفقير الراجي عفوه عنه والتقدير حسن بن علي بن عبيد بن أحمد المرادوى المقدسى الحنبلى نزيل صالحية دمشق المحروسة عفا الله عنه .

\* \* \*

وفي آخر النسخة الاحمدية : (تم الجزء الأول من عيون التواريخ على يد جامع محمد بن شاکر بن أحمد السكتي . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين (١) ) .

وهنا فراغ رأيت أن أملاه بما في كتاب (الإشارة إلى تلخيص سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفاء للعلامة مغلطاي) : من قال كانت سنة لما توفي ﷺ (خمساً وستين) حسب السنة التي ولد فيها والتي قبض فيها . ومن قال (ستين) أسقط الكسور .

وقال الشاعر المحدث البوصيري في الحمزية :

لم تخف بعدك الضلال وفينا وارثو نور هديك العلماء  
فسلام عليك تبرى من الله (٢) وتبقى به لك البأواء  
وسلام على ضريحك تحفل به منه تربة وعساء

(١) في الحاشية هنا : (بلغ قراءة) .

(٢) هذا البيت مدور ، وكذلك الذي يليه ، والمدور هو الذي يشترك شطراه بكلمة واحدة ، يكون بعضها في الشطر الأول وبعضها في الشطر الآخر .  
(٦٠ — أول عيون التواريخ)

(١) قال سيف بن عمر عن سهل بن يوسف عن عمرو بن يحيى عن خليفة المازني عن الضحاك بن خليفة قال :

لما توفي رسول الله ﷺ وصلى أبو بكر الظهر (٢) بالناس بلغ المهاجرين أن الأنصار قد أفتقدوا سعد بن عبادة رضى الله عنه وبايعوه بالخلافة ، فدخل المهاجرين من ذلك وحشة ، وأطاف كل بنى أب برجل منهم ، وأبو بكر رضى الله عنه جالس لا يشعر (٣) .

حتى خرج العباس رضى الله عنه على الناس فقال : إنه بلغنى أن سعد ابن عبادة ثبت له وسادة ودعا إلى نفسه ، وأجابه من أجابه نقضاً لعهد رسول الله ﷺ [إنهض يا أبا بكر إلى القوم ، وكان رسول الله ﷺ] (٤) حين دعا القبائل ووعدهم الظهور ، قالوا : لمن الملك بعدك فإذا قال لقريش تركوه ، فكان أول من أجابه إلى ذلك الأنصار .

وسألتى حديث السقيفة في بيعة أبي بكر رضى الله عنه إن شاء الله تعالى (٥) .

(١) هنا مبدأ (السفر الثاني) من نسخة أحمد الثالث ، وفيه بالبسملة والحمد لله والصلاة على رسول الله ﷺ والدعاء بالتيسير .

(٢) فى الاحمدية ( العصر ) وهو وهم . (٣) فى المختصر ( لا يستقر ) .

(٤) ما بين المعقنين ساقط من الاحمدية فقط .

(٥) أورد الحافظ المنذرى فى كتابه ( كفاية التعبد وتحفة الزهد ) حديثاً متفقاً عليه : روى أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ( من أنفق زوجين فى سبيل الله تعالى نودى فى الجنة يا عبد الله هذا خير ، فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الريان . قال ( أبو بكر الصديق ) : يا رسول الله ما على أحد يدعى من تلك الأبواب كلها من ضرورة فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها قال رسول الله ( نعم ) وأرجو أن تكون منهم ) الذى فى البخارى ( من أنفق زوجين من شىء من الأشياء ) .

ورسالة المنذرى ( كفاية التعبد ) طبعت منذ ثلاث وخمسين سنة . وجعل هذا أحد المنتظمين فلم يشر إلى أنها مطبوعة فى ( ترجمة المنذرى ) وفاء بتعبده بالاشارة إلى مؤلفات المنذرى المخطوطة والمطبوعة .



## (باب في ذكر خلافة أبي بكر الصديق)

وذكر اسمه ونسبه رضي الله عنه (١)

اسمه عبد الله بن أبي قحافة - واسمه عثمان - بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي (٢). ويكنى أبا بكر. وأمه أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر. قال أبو الحسن بن البراء: ولد أبو بكر بمكة.

وفي تسميته بعتيق ثلاثة أقوال: أحدها أنه نظر إليه رسول الله ﷺ فقال: (هذا عتيق من النار) قال محمد بن سعد عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: إني لفي يدي ورسول الله ﷺ في الفناء وبينهم السر، إذ أقبل أبو بكر رضي الله عنه فقال رسول الله ﷺ: (من سره أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى هذا).

والثاني: أنه اسم سمته به أمه. قاله موسى بن طلحة.

والثالث: أنه سمي به لجمال وجهه.

وسماه النبي ﷺ صديقاً. وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يهلف بالله أن الله تعالى أنزل اسم أبي بكر من السماء (الصديق) (٣).

قال ابن سعد: أنبأنا يزيد بن هارون قال أنبأنا أبو معشر قال أنبأنا أبو وهب مولى أبي هريرة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ

(١) في مجلة الأزهر مقالات جلية عن سيدنا أبي بكر بقلم الاستاذ الغيور على الإسلام الشيخ محمد الصادق عرجون، عنوانها (حياة رجالات الإسلام).

(٢) يجتمع نسبه مع نسب رسول الله ﷺ عند مرة بن كعب، على ما في (نهاية الأرب للنويري ١٩/٨) وغيره.

(٣) في (مجمع الزوائد ١/٤١٩): رواه الطبراني، ورجاله ثقات.

قال : ( ليلة أسرى بي قلت لجبريل إن قومي لا يصدقونني ، قال جبريل : يصدقك أبو بكر وهو الصديق ) .

( ذكر صفته )

كان أبو بكر رضى الله عنه نحيفاً ، أبيض ، حسن القامة ، خفيف العارضين ، معروق الوجه<sup>(١)</sup> غائر العينين ، ناثق الجبهة ، أجنأ<sup>(٢)</sup> لا يستمسك إزاره<sup>(٣)</sup> يسترخى عن حقويه<sup>(٤)</sup> عارى الأشاجع<sup>(٥)</sup> يخضب بالحناء والسكتم<sup>(٦)</sup> .

وكان نقش خاتمه ( نعم القادر الله ) .

( ذكر تقدم إسلامه رضى الله عنه )

قال الشعبي قال ابن عباس : أول من صلى أبو بكر ثم تمثل بأبيات حسان بن ثابت :

إذا تذكرت شجواً من أخى ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

(١) يعنى قليل لحم الوجه .

(٢) فى الاحمدية ( أجنأ الظهر ) وفى نسخة المعتمد ( أجنأ ) وفى تاريخ الخلفاء للسيوطى ( أجنأ ) . وهو الذى فى ظهره انحناه يسير . ومثله فى ( نهاية الارب للنويرى ١٩ / ٢٤ ) .

(٣) الازار : هو ما يستر أسفل البدن ، على ما فى ( تاج العروس للزبيدى ) .

(٤) الحقو بالفتح ويكسر : الكشح ، الخصر .

(٥) هى أصول الاصابع ، على ما فى القاموس المحيط .

(٦) السكتم محركة : نبت يحلط بالحناء ويخضب به الشعر ، كما فى القاموس .

خير البرية أنقأها وأعد لها بعد النبي<sup>(١)</sup> وأوفأها بما حملا  
الثاني الثمالى<sup>(٢)</sup> المحمود مشهده وأول الناس منهم صدق الرسلا

### ( ذكر أزواجه وأولاده )

تزوج في الجاهلية امرأتين : إحداهما قتيلة بنت عبد العزى ، فولدت  
له عبد الله وأسماء ذات النطاقين . والثانية أم رومان بنت عامر ، ولدت له  
عبد الرحمن وعائشة .

وتزوج في الإسلام امرأتين : إحداهما أسماء بنت عميس ، فولدت له  
محمداً . وكانت عند جعفر بن أبي طالب قبله ، وولدت له محمداً . وتزوجها  
بعد أبي بكر على بن أبي طالب فولدت له ولداً اسمه محمد . فكان يقال لها  
( أم المومنين ) والزوجة الثانية حبيبة بنت خازجة بن زيد ، فولدت له  
أم كلثوم بعد وفاته<sup>(٣)</sup> . وكان أبو بكر لما هاجر إلى المدينة نزل على أبيها  
خازجة فتزوجها .

(١) في نسخة المصنف (لأ النبي) . ومثله في (مجمع الزوائد ٤٢/٩) .

(٢) في ديوان حسان : الثاني الصادق المحمود مشهده . وما في النص يوافق  
ما عند الطبري في تاريخه وابن عبد البر في الاستيعاب ، والسيوطي في  
تاريخ الخلفاء ، والمحجب الطبري في الرياض النضرة .

(٣) أخرج الإمام مالك عن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر لما حضرته  
الوفاة قال لها : كنت نحلتيك جداد عشرين وسقاً ، فلو كنت جدته واحترزته  
كان لك . وإنما هو اليوم مال وارث ، وإنما هو أخواك وأختك ، فاقسموه على  
كتاب الله . فقالت : يا أبت إنما هي أسماء ، فمن الأخرى ؟ قال : ذو بطن ابنة  
خازجة ، أراها جارية . وأخرجه ابن سعد قال : قد ألقى في روعى أنها جارية  
فاستوصى بها خيراً ، فولدت ( أم كلثوم ) .

فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه وقال : ( صدقت يا حسان هو كما قلت ) .

عن زيد بن أسلم عن أبيه قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق ، ووافق ذلك مالاً عندي فقلت : اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً <sup>(١)</sup> ، قال فجئت بنصف مالي . فقال لي رسول الله ﷺ ( ما أبقيت لأهلك ؟ ) قلت له : مثله . وأنى أبو بكر بكل ما عنده ، فقال له رسول الله ﷺ ( ما أبقيت لأهلك ) ؟ قال : أبقيت لهم الله ورسوله ، فقلت : لا أسبقه <sup>(٢)</sup> إلى شيء أبداً .

وفي أفراد البخاري من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في أمر جرى بين أبي بكر وعمر : ( إن الله بعثنى إليكم فقلتم كذبت ، وقال أبو بكر : صدق ، وواساني بماله ونفسه ، فهل أنتم تاركون لي صاحبي ) - مرتين .

ومن أعظم فضائل أبي بكر فتواه <sup>(٣)</sup> في حضرة رسول الله ﷺ : عن أبي قتادة قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حنين ، فلما التقينا كانت المسلمين جولة فرأيت رجلاً من المشركين علا رجلاً من المسلمين ، فاستدرت له حتى أتيته من ورائه وضربته بالسيف على جبل عاتقه ، فأقبل إلى فضمي

(١) ( إن ) هنا نافية ، يعني ما سبقته .

(٢) في الأحادية وغيرها ( أسابك ) عوض ( أسبقته ) والتصحيح من ( جامع الأصول ٨ / ٥٩١ من طبعة دمشق ) . وعزا الحديث إلى الإمامين : أبي داود والترمذي . وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(٣) في النسخ المصورة تشبه أن تكون ( مثوله ) ولعل المؤلف يقصد ( أمثاله ) وقد تكون ( فتواه ) . ثم رأيت في صفة الصفوة ( فتواه ) كما وفقى الله لتحقيقه . وهذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في إغزوة حنين .

فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجزه وقال : ( صدقت يا حسان هو كما قلت ) .

عن زيد بن أسلم عن أبيه قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق ، ووافق ذلك مالا عندي فقلت : اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً<sup>(١)</sup> ، قال فجئت بنصف مالي . فقال لي رسول الله ﷺ ( ما أبقيت لأهلك ؟ ) قلت له : مثله . وأنى أبو بكر بكل ما عنده ، فقال له رسول الله ﷺ ( ما أبقيت لأهلك ) ؟ قال : أبقيت لهم الله ورسوله ، فقلت : لا أسبقه<sup>(٢)</sup> إلى شيء أبداً .

وفي أفراد البخاري من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في أمر جرى بين أبي بكر وعمر : ( إن الله بعثنى إليكم فقلتم كذبت ، وقال أبو بكر : صدق ، وواساني بماله ونفسه ، فهل أنتم تاركون لي صاحبي ) - مرتين .

ومن أعظم فضائل أبي بكر فتواه<sup>(٣)</sup> في حضرة رسول الله ﷺ : عن أبي قتادة قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حنين ، فلما التقينا كانت المسلمين جولة فرأيت رجلاً من المشركين عللاً رجلاً من المسلمين ، فاستدرت له حتى أتته من ورائه وضربته بالسيف على حبل عاتقه ، فأقبل إلى فضمني

(١) ( إن ) هنا نافية ، يعني ما سبقته .

(٢) في الأحمدية وغيرها ( أسابقتك ) عوض ( أسبقته ) والتصحيح من ( جامع الأصول ٨ / ٥٩١ من طبعة دمشق ) . وعزا الحديث إلى الإمامين : أبي داود والترمذي . وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(٣) في النسخ المصورة تشبه أن تكون ( مشولة ) ولعل المؤلف يقصد ( أمثاله ) وقد تكون ( فتواه ) . ثم رأيت في صفة الصفوة ( فتواه ) كما وفقني الله لتحقيقه . وهذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في إغزوة حنين .

ضمة وجدت من هاريج الموت، ثم أدركه الموت فأرسلني، فلاحقت عمر بن الخطاب فقلت : ما بال الناس ؟ قال : أمر الله .

ثم إن الناس رجعوا وجلس رسول الله ﷺ فقال : ( من قتل قتيلا له عليه يدنة فله سلبه<sup>(١)</sup> ) فقلت فقلت : من يشهد لي ؟ ثم جلست ، ثم قتت الثانية فقال رجل من الأنصار : صدق يا رسول الله ، وسلبه عندي فأرضه عني .

فقال أبو بكر الصديق : لا ها الله إذا ، لا تعتمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله وعن رسوله يعطيك سلبه . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ( صدق فأعطه ) .

وعن سهل بن سعد قال : كان قتال في بني عمرو بن عوف فبلغ النبي ﷺ فأتاهم بعد الظهر ليصلح بينهم فقال : ( يا بلال إن حضرت الصلاة ولم آت فرأى أبا بكر فيصل بالناس ) فلما حضرت صلاة العصر أقام بلال الصلاة ، ثم أمر أبا بكر فتقدم بهم . وجاء رسول الله ﷺ وقد دخل أبو بكر في الصلاة ، فلما رأوه صفحوا<sup>(٢)</sup> فجاء فشق الناس حتى قام خلف أبي بكر ، وكان أبو بكر إذا دخل في الصلاة لم يلتفت ، فلما رأى التصفيح لا يمسك عنه التفت فرأى النبي ﷺ<sup>(٣)</sup> [ خلفه فأولمأ إليه رسول الله ﷺ أن أمضه ، فقام أبو بكر كهيئة محمد الله على ذلك ثم مشى القمقري فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ] فصلى بالناس .

(١) السلب : هو ما يأخذه أحد القرنيين في الحرب من قرنه مما يكون عليه ومعه من سلاح وثياب ودابة وغيرها . على ما في ( النهاية لابن الأثير ) .

(٢) أي صفحوا ، على ما في القاموس المحيط .

(٣) ما بين المعقنين ساقط من الإجمدية وغير موجود في المختصر .

فلما قضى الصلاة قال : ( يا أبا بكر ما منعك إذ أومأت إليك أن لا تكون مضيت ) ؟ فقال أبو بكر : لم يكن لابن أبي قحافة أن يؤمر رسول الله ﷺ .

وقال رسول الله ﷺ ( إذا نأبكم في صلاتكم شيء فليسيح الرجال فإن التصفيح (١) للفساء ) أخرجاه في الصحيحين .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنت عند النبي ﷺ وعنده أبو بكر وعليه عباءة قد خلها في صدره بخلال (٢) ، فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال : يا محمد مالي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلها في صدره بخلال ؟ فقال : ( يا جبريل أنفق على مالي قبل الفتح ) قال : فإن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول لك : قل له أراض أنت عني في فترك هذا أم ساخط ، فقال رسول الله ﷺ ( يا أبا بكر إن الله يقرأ عليك السلام ويقول لك : أراض أنت عني في فترك هذا أم ساخط ؟ ) فقال أبو بكر رضي الله عنه ألسخط على ربي عز وجل ، أنا عن ربي راض ، أنا عن ربي راض ، أنا عن ربي راض (٣) .

وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال : كان أبو بكر معروفاً بالتجارة ، فلقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أربعون ألف ألف درهم ، فكان يعشق

(١) التصفيح والتصفيق واحد ، كما في ( النهاية ) .

(٢) أي جمع بين طرفيها بخلال من عود أو حديد ، والكلمة في الإحدى مصحفة ، والتصحيح من ( النهاية لابن الأثير ) و ( نهاية الأرب للنويري ١٩ / ١٦ ) .

(٣) عزاه الحافظ السيوطي إلى ابن شاهين في السنة والبعوى في تفسيره وابن عساكر وقال : غريب ، وسنده ضعيف جدا . على ما في ( تاريخ الخلفاء للحافظ السيوطي ) .

منها ويقوى المسلمين ، حتى قدم المدينة بخمسة آلاف درهم ، ثم كان يفعل فيها ما كان يفعل بمكة <sup>(١)</sup> .

قال علماء السير : لم يفته مشهد <sup>(٢)</sup> مع رسول الله ﷺ ، ودفع إليه رسول الله ﷺ رايته العظمى يوم تبوك ، واشترى بلالا وأعتقه . وهو أول مع جمع القرآن <sup>(٣)</sup> وأسلم على يده من العشرة خمسة : عثمان

(١) قال الصوفي العارف بالله العلامة الشيخ محمد الحفنى : أبو بكر رضى الله عنه قد أجمع أهل السنة على أنه أفضل الناس بعد الانبياء والمرسلين . ( الثرة البهية فى الصحابة البدرية ص ١٦ ) .

(٢) روى الإمام مسلم أن رسول الله ﷺ قال لابي بكر وعمر : ( ما ترون فى هؤلاء الاسرى ) — أسرى بدر — فقال أبو بكر : هم بنو النعم والعشيرة ، أرى أن تأخذ منهم فدية ، فتكون لنا قوة على الكفار ، فغضب الله أن يهديهم للإسلام ، وقال عمر : لا والله يا رسول الله ما أرى الذى رأى أبو بكر ، ولكنى أرى أن تمسكنا فتضرب أعناقهم فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها ، فهوى رسول الله ما قال أبو بكر . قال الاستاذ الشيخ صادق إبراهيم عرجون : كل من المذهبيين ضرورة اجتماعية لا غنى للإنسانية عنه فى أى عصر من عصورها ، فهى تتطلب الرحمة لتكون وسيلة لها إلى الخير ، وهى تتطلب القسوة لتسكون وجهاً فى تأديبها .. وبعد فما أعظم بركة الصديق فى أسرى بدر ، فقد تكشف الغيب عن سر رأى الصديق ، وأسلم كثير من الاسرى بعد ذلك وكانت لهم قدم صدق فى نصرة الدعوة الإسلامية وأخرج الله من ظهورهم من كانوا أعلام الهداية فى الارض . وقال الاستاذ الصادق عرجون أيضاً : أسلوب الآية الكريمة ( ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الارض ) الذى يثذوقه بمن كانت له ملكة البلاغة لا يشعر بأنها جاءت عتاباً على ما بدا من رأى فى شأن الاسرى ، بل الذى تنادى به الآية أنها كانت عتاباً على المعارضة إلى الغنائم وكسر المعركة قبل كسر قناة الشرك ، وهو المراد بالاثخان فى الآية ، فهذا عتاب لأصحاب النبى ﷺ .

(٣) كما ورد فى صحيح البخارى ، ومابخره : أن سيدنا أبا بكر دعا سيدنا زيد بن ثابت فقال له : إن عمر اتانى فقال : إن القتل قد استبحر يوم اليمامة =



ابن عفان وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ،  
وعبد الرحمن بن عوف . وما شرب مسكراً لا في جاهلية ولا في إسلام .

( ذكر ورعه )

عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال : كان لأبي بكر رضى الله عنه مملوك  
يغل عليه ، فأقام في ليلة بطعام ، فتناول منه لقمة ، فقال له المملوك : مالك

== بقراء القرآن ، وإنى أخشى إن استحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من  
القرآن ، وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن ، فقلت لعمر : كيف تفعل شيئاً لم  
يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال : هذا والله خير ، فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح  
الله صدرى لذلك ، قال زيد : قال أبو بكر : لأنك رجل شاب عاقل لا تفهمك ،  
وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ ، فتتبع القرآن فأجمعه . . فتتبع القرآن  
أجمعه من المسبب والخاف وصدور الرجال . . فكانت الصحف عند أبي بكر  
ثم عند عمر ، ثم عند حفصة بنت عمر ، رضى الله عنهم .

وقال الاستاذ محمد زاهد الكوثرى : كان ( جمع زيد بن ثابت ) تحت إشراف  
جمهرة القراء من الصحابة ، وجروا على طريقة الكتابة من حين ما كتب بين  
يدى الرسول ﷺ ، بعد ثبوت ذلك بشهادة شاهدين عدلين بأن هذا هو  
المكتوب بعينه ، يحضر النبي ﷺ ، مباينة في المحافظة على رسم القرآن المتبع عند  
كتابته أمام النبي ﷺ ، يحضر الصحابة ، ولم يكن إيراد بالاشهاد على  
نفس النظم الكريم البتة ، فإن الصحابة الذين كانوا يحفظونه كانوا في  
غاية من الكثرة ، وحديث خزيمة ينادى بأن الاشهاد إنما كان على القطع  
المكتوبة .

وتردد الصديق رضى الله عنه بأدى يده إنما كان بملاحظة أن ذلك ربما  
يكون سبباً للتواكل في حفظه والتكاسل في استظهاره ، لا باعتبار التخرج في  
الكتابة . ووقع الاختيار على زيد بن ثابت لأنه كان أكثر كتاب الوحى ملازمة  
للنبي ﷺ ، على شبابه وقوته وجودة خطه . على ما في كتاب (مقالات الكوثرى  
٨ — ١٠ من طبعة القاهرة) .

كنت تسألني كل ليلة ولم تسألني الليلة ؟ قال حملني على ذلك الجوع ، من أين جئت بهذا ؟ قال : مررت بقوم من الجاهلية فرقيت لهم فوعدوني ، فلما كان اليوم مررت بهم فإذا عرس لهم فأعطوني هذا الطعام .

فقال : أف لك كدت تهلكني . فأدخل يده في حلقه<sup>(١)</sup> فجعل يتقيأ وجعل لا يخرج ، فقليل له : إن هذا لا يخرج إلا بالماء فدعا بعس<sup>(٢)</sup> من ماء فجعل يشرب ويتقيأ حتى رمى بها . فقليل له رحمك الله كل هذا من أجل هذه اللقمة ؟ فقال : لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها ، سمعت رسول الله ﷺ يقول ( كل جسد نبت من سمحت فالنار أولى به ) خشيت أن يذبت شيء من جسدي من هذه اللقمة .

( ذكر خوفه وزهده )

قال إبراهيم النخعي : كان أبو بكر يسمى الأواه<sup>(٣)</sup> لرأفته ورحمته . قال محمد بن سعد : حدثنا محمد الثقفي عن كثير عن أبي شريحة قال : سمعت علياً عليه السلام يقول على المنبر : ألا إن أبا بكر أواه منيب القلب . وقال قيس بن سعد : رأيت أبا بكر آخذاً بطرف لسانه وهو يقول : هذا أوردني الموارد . وقال الحسن قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : يا ليتني كنت شجرة تعضد<sup>(٤)</sup> ثم تؤكل .

(١) في المختصر ( في فيه ) .

(٢) في ( فقه اللغة للمعالي ) : الغمر هو الذي لا يبلغ الري ، ثم القعب : روى الرجل الواحد ، ثم القدح : روى الاثنين والثلاثة ، ثم العس : يعصب فيه العدة .  
(٣) الأواه : المتأوه المتضرع ، وقيل هو الكثير الهكاء ، وقيل الكثير الدعاء ، على ما في ( النهاية لابن الأثير ) .  
(٤) أي تقطع ، على ما في ( النهاية ) .

( ذكر فضله على جميع الصحابة )

رضى الله عنه

عن محمد بن الحنفية قال : قلت لأبي (١) : أى الناس أفضل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال أبو بكر . قلت ثم من ؟ قال عمر ، وخشيت أن أقول : ثم من ؟ فيقول : عثمان ، فقلت : ثم أنت ، فقال : ما أنا إلا رجل من المسلمين (٢) .

وروى الحسن البصرى رحمه الله تعالى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : وددت أنى فى الجنة حيث أرى أبا بكر .

( ذكر بيعة أبى بكر رضى الله عنه )

ذكر الواقدي عن أشياخه أن أبا بكر رضى الله عنه بويع يوم قبض رسول الله ﷺ فى سقيفة بنى ساعدة . عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : كان من خبرنا حين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عليا والزبير ومن كان معهما تخلفوا فى بيت فاطمة بدت رسول الله ﷺ .

وتخلف عنا الأنصار بآجمعهم فى سقيفة بنى ساعدة (٣) ، واجتمع المهاجرون إلى أبى بكر رضى الله عنه فقلت له : يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار ، فانطلقنا نؤمهم حتى أقمنا رجلا صالحا ، فذكرنا لنا الذى صنع القوم ، وقالوا : أين تريدون يا معشر المهاجرين ؟ فقلنا : نريد إخواننا هؤلاء

(١) يعنى الإمام عليا كرم الله وجهه .

(٢) رواه الإمام البخارى فى ( باب فضل أبى بكر ٠٠٠ ) .

(٣) هى بالقرب من دار سعد بن عباد زعيم الأنصار . وهى ظلة كانوا يجلسون تحتها والسقيفة كل بناء سقف ، فيه صفة أو شبه صفة ، مما يكون بارزا . أنظر ( معجم البلدان لياقوت الحموى ) .

من الأنصار ، فقالوا : لا عليكم أن لا تقربوهم ، واقضوا أمركم . فقلنا : والله لناأتينهم .

فانطلقنا حتى جئناهم في سقيفة بنى ساعدة ، فإذا هم مجتمعون وإذا بين ظهرانيهم رجل مزمل ، فقلت من هذا ؟ قالوا سعد بن عباد ، فقلت ماله ؟ قالوا : وجع ، فلما جالسنا قام خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله وقال : أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام ، وأنتم يامعشر المهاجرين رهط منا ، وقد دفت<sup>(١)</sup> إلينا دافة من قومكم ، فإذا هم يريدون أن يغيصبونا الأمر .

فلما سكوت أردت أن أتكلم ، وكنت قد زورت<sup>(٢)</sup> في نفسى مقالة أعجبني ، أردت أن أقولها بين يدي أبي بكر فقال أبو بكر : مهلا ، على رسلك : فذكرت أن أغضبه والله ما ترك من كلمة أعجبني في تزويري لإقالتها في بديهة . وأفضل .

فقال أما بعد فما ذكرتم من خير فأتم أهله ، وما يعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحى من قریش ، هم أوسط العرب نسبا ودارا ، وقد رصيت لكم أحد هذين الرجلين أيهما شئتم ، وأخذ بيدي ويدي أبي عبيدة بن الجراح ، فلم أكره مما قال غيرها ، وكان والله أن أفدم فتضرب عنق لا يقربنى ذلك إلى إثم أحب إلى أن أأمر على قوم فيهم أبو بكر .

فقال قائل من الأنصار : أنا جئناهم الخيالك<sup>(٣)</sup> وعذيقها

(١) من الدفيف ، يعنى الدبيب ، تقول : دفت علينا من بنى فلان دافة أى جماعة ، على ما فى ( الرياض النضرة للمحب الطبرى ) .

(٢) أى هيات وأصاحت والتزوير : إصلاح الشيء ، وكل إصلاح من خير أو شرفه تزوير . . والإنسان يزور كلاما وهو أن يقوم به ويتقنه قبل أن يتكلم به ، على ما فى ( تاج العروس للزبيدي رحمه الله ) .

(٣) أى أنا ممن يستشفى برأيه كما تستشفى الإبل الجربى بالاحتكاك بالجلد . والجلد : هو العود الذى ينصب للإبل الجربى لتحكك به ، على ما فى ( النهاية لابن الأثير ) .

المرجب<sup>(١)</sup> منا أمير ومنكم أمير ، وكثر اللفظ وارتفعت الأصوات حتى خشيت الاختلاف فقلت : أبسط يدك يا أبا بكر ، فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايع الأنصار .

وقال إبراهيم التيمي : لما قبض رسول الله ﷺ أتى عمر إلى أبي عبيدة ابن الجراح فقال : أبسط يدك أبايعك فإنك أمين هذه الأمة على لسان محمد ﷺ فقال أبو عبيدة لعمر : ما رأيت لك فية<sup>(٢)</sup> منذ أسلمت : أتبايعني وفيكم الصديق وثاني اثنين .

قال علي رضي الله عنه : لما قبض رسول الله ﷺ نظرنا في أمرنا فوجدنا النبي ﷺ قد قدم أبا بكر في الصلاة ، فرضينا لدنيا ما رضي رسول الله ﷺ لديننا فقدمنا أبا بكر<sup>(٣)</sup> .

وقيل إن أبا عبيدة بن الجراح أتى إلى الأنصار فقال : يا معشر الأنصار إنكم أول من نصر ، فلا تسكنوا أول من بدل وغير .

فقام بشير بن سعد — أبو النعمان بن بشير — فقال : يا معشر الأنصار إنا والله وإن كنا أولى فضيلة في جهاد المشركين وسابقة في الدين ما أردنا به إلا رضا ربنا وطاعة نبينا والسكوح لأنفسنا ، فما ينبغي أن نستطيع على الناس بذلك ولا نبتغي به الدنيا ، ألا إن محمداً من قريش وقومه أولى به ، وإيم الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر ، فأتقوا الله ولا تخالفوهم .

(١) أي إن لي عشيرة تعضدني وتمنعني وترفدني . والعذيق تصغير عذق — بالفتح — وهي النخلة . والترجيب هنا : لإرفاد النخلة من جانب ببناء من حجارة أو خشب لينعمها من السقوط لطولها وكثرة حملها ، على ما في تاج العروس والنهاية . (٢) أراد السقطة والجهلة ، من العمى . على ما في (النهاية) .

(٢) في (نهاية الارب ٧ / ٢١٤) : الصحيح أن علياً رضي الله عنه بايع بيعة رضا ، باطنه فيها كظاهره . والدليل على ذلك أنه وطئ من السبي الذي سبي في خلافة أبي بكر ، واستولد منه محمد بن الحنفية .

فقال أبو بكر : هذا عمر وأبو عبيدة فأيهما شقتم فبايعوا ، فقالا : والله ما نتولى هذا الأمر عليك ، وأنت أفضل المهاجرين وخليفة رسول الله ﷺ في الصلاة ، وهي أفضل دين المسلمين ، أبسط يدك نبايعك ، فلما ذهبوا يبايعانه سبقهما بشير بن سعد فبايعه ، فناداه الحباب بن المنذر يا بشير عتقتك عتاق ، أنفست (١) على ابن عمك سعد بن عبادة . قال لا والله وليكني كرهت أن أنزع القوم حقهم .

وأقبل الناس يبايعون أبا بكر من كل جانب ، وتحول سعد بن عبادة إلى داره ، فأرسل إليه ليبايع فقال : لا والله حتى أرميكم بما في كنانتي وأضرب بسيفي وأخضب بسنان (٢) رحي . فقال عمر لا ندعه حتى يبايع ، فقال بشير : إنه قد لج وليس بمبايعكم أو يقتل ، وليس بمقتول حتى يقتل معه ولده وأهل بيته وطائفة من عشيرته ، فإن تركتموه فليس تركه بضاركم إنما هو واحد (٣) ،

(١) في الأحمدية (عتقتك عتاق أنفسك) وفي غيرها (عتقتك عتاق أنفسك) والتصحيح من (تاريخ الطبري ٣ / ٢٢١) بتحقيق الاستاذ محمد أبي الفضل إبراهيم .

(٢) في الأحمدية (بستار) وهو تحريف .

(٣) أورد هذه القصة الحافظ الذهبي في (سير النبلاء ١ / ٢٠٠) وقال إسنادها كما ترى

وسعد هو الصحابي الذي لم يبايع لأبي بكر رضي الله عنهما ، فلا بد من تأويل فعله بما يليق بصحابي جليل : ولعله لما رأى الانصار قد أعدته للخلافة يوم السقيفة ، ثم رأى إجماع الصحابة على أبي بكر وانصرفهم عن بيعته استوحش نفسه بين الناس . وكان سعد رجلا عزيز النفس ، فخرج من المدينة ولم يرجع إليها حتى مات . ولم ينقل عنه طعن فيبيعة الصديق ولا نواء بخروج ، فتخلفه عن البيعة لا يقتضي رفضه لها ولا مخالفته فيها . على ما في (نقد علي لكتاب الإسلام وأصول الحكم للإمام تاج الدين محمد الطاع بن عاشور عليه رحمة الله) .

فقبل أبو بكر وصية بشير وكف عن سعد ، فكان سعد لا يصل بصلاتهم فلم يزل كذلك حتى توفي أبو بكر وولى عمر ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى خرج مجاهداً إلى الشام ، فأتى بحوران في أول خلافة عمر ، ولم يبايع أحداً وقيل إنه بايع (١) .

وقال عطاء بن السائب : لما استخلف أبو بكر رضى الله عنه أصبح غاديا إلى السوق وعلى رقبته أثواب يتجر فيها ، فلقيه عمر وأبو عبيدة رضى الله عنهما فقالا : أين تريد يا خليفة رسول الله ؟ قال : السوق ، قالوا تمنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين ؟ قال : فن أين أطعم عيالي ؟ قالوا : انطلق حتى نفرض لك شيئاً ، فانطلق معهما إلى المسجد والصحابة رضى الله عنهم قد اجتمعوا فقالوا : افرضوا لخليفة رسول الله ﷺ ما يغنيه ، قالوا نعم : داه إذا أخلقهما وضعهما وأخذ مثلهما ، وظهره (٢) إذا سافر ، ونفقته على أهله كما كان ينفق قبل أن يستخلف .

فقال أبو بكر رضيت ، وقيل إنهم فرضوا له في السنة ألفي درهم ، فقال زيدوني فإن لى عيالا وقد شغلتموني عن التجارة . فزادوه خمسمائة .

قال وكان يحلب للحى أغنامهم ، فلما بويج قالت جارية من الحى : الآن لا يحلب لنا منائح دارنا ، فسمعها فقال : بلى لأحلبنها لكم ، وإنى لأرجو أن لا يغيرنى ما دخلت فيه عن خاق كنت فيه ، فكان يحلب لهم رضى الله عنه (٣) .

(١) فى ( نهاية الأرب للنويرى ١٩ / ٣٨ ) : عن الضحاك بن خليفة أن سعد ابن عبادة بايع .

(٢) الظير : الإبل التى يحمل عليها .

(٣) لم أجد مكانا لكلمة يجب تدريسها ، فوضعها هنا : يدعى بعضهم أن سيدنا الصديق لم يعرف بكثرة الرواية عن النبي ﷺ . والحقيقة هى ما ورد فى ( تذكرة الحفاظ للحافظ الذهبي ٢ / ٩٥٦ ) وهذا نصه :  
 ( ٦٢ - أول عيون التواريخ )

= (الحافظ البارع الحسين بن محمد بن أحمد الماسرجسي النيسابوري ، كان  
 « مسند أبي بكر » بخطه في بضعة عشر جزءاً بعلله وشواهده ، فكتبه النساخ  
 في ثيف وستين جزءاً ) .

والحافظ الماسرجسي هذا هو صاحب (المسند الأكبر) وهو الذي جمع  
 حديث الزهري جمعاً لم يسبقه إليه أحد . قال الحاكم : هو سفينة عصره في  
 كثرة الكتابة ، ارتحل إلى العراق في سنة إحدى وعشرين لسماع الحديث ، وأكثر  
 المقام بمصر لسماع الحديث ، وسمع الحديث بخراسان والشام . وتوفي في سنة  
 خمس وستين وثلثمائة . اهـ .

وكان سيدنا الصديق رجلاً لئابة ، من أعلم الناس بأنسب العرب ، فلا غرو  
 أن يكون من حفاظ الحديث النبوي وطبع بدمشق (مسند أبي بكر الصديق  
 للحافظ القاضي أبي بكر الأموي المروزي) وفي دار الكتب الظاهرية الجزء  
 الثاني من (مسند أبي بكر الصديق للحافظ يحيى بن صاعد) .

قال مصطفى صادق الرافعي في كتاب (إعجاز القرآن) : إن أبا بكر (رضي  
 الله عنه) قال للنبي صلى الله عليه وسلم مرة : لقد طقت في العرب وسمعت  
 فصحاءهم ، فما سمعت أفصح منك : فمن أدبك (أي عليك) ؟ قال : أدبني رب  
 فأحسن تأديبي .

وهذا خبر متظاهر ، وهيئات أن يكون في العرب فصيح تعرفه  
 فصاحته ولا يكون قد سمعه أبو بكر متكلماً أو خطيباً أو منشداً في سوق أو  
 موسم أو حفل ، فإنه في علم العرب وألسانها وأخبارها ولغاتها وآثارها  
 هو الغاية التي يفتنى إليها ويوقف عندها حتى لا يعدل به عدل . وحسبك أن أنسب  
 العرب في صدر الإسلام - وهو جبير بن مطعم - إنما عنه أخذ ومنه تعلم .  
 وإذا قالوا في المبالغة : أنسب من أبي بكر ، فقد قالوا : أنسب الناس .



( ذكر الحوادث التي كانت في أيامه )

ولما اشتهرت وفاة رسول الله ﷺ بالنواحي ارتدت طوائف كثيرة من العرب عن الإسلام ومنعوا الزكاة ، فنهض أبو بكر الصديق رضي الله عنه لقتالهم .

وأشار عليه عمر أن يفتر عن قتالهم ، فقال : والله لو منعوني عقالا (١) كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها .

فقال عمر : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ ( أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فمن قالها عصم مني ماله ودمه إلا بحقها وحسابهم على الله ) فقال أبو بكر رضي الله عنه : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال وقد قال ( إلا بحقها ) قال عمر : فوالله ما هو إلا أن رأيت الله شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق .

فخرج أبو بكر رضي الله عنه في المهاجرين والأنصار حتى بلغ فداء حذافة بن جرد ، وهربت الأعراب بنذراريهم ، فكلم الناس أبا بكر رضي الله عنه وقالوا : ارجع إلى المدينة وإلى الذرية والنساء ، وأمر رجلاً على الجيش ، ولم يزلوا به حتى رجع وأمر خالد بن الوليد المخزومي (٢) رضي الله عنه .

(١) أراد بالعتقال الحبس الذي يعقل به البعير الذي كان يؤخذ في الصدقة . لأن على صاحبه التسليم . ولأنما يقع القبض بالرباط . وقيل أراد ما يساوي عقالا من حقوق الصدقة . وقيل أراد بالعتقال صدقة العام . وفي أكثر الروايات ( لو منعوني عناقاً — الأثني من أولاد المعز — وفي أخرى جدياً ) ، على ما في النهاية لابن الأثير . وفي الضمير الذي في النص ما يؤيد هذه الرواية .

(٢) ( المخزومي ) ساقطة من نسخة المعتمد .

وقال : إذا أسلموا وأعطوا الصدقة فمن شاء منكم فليرجع . ورجع أبو بكر رضى الله عنه إلى المدينة .

قال الزهرى : فسار خالد فقاتل طليحة بن خويلد ، وكان قد ادعى النبوة وتابعه عيينة بن حصن (١) الفزارى وجماعة ، وكان طليحة شديد البأس فى القتال فقتل عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم ، وانهمز أصحاب طليحة وهرب طليحة ، وأسر عيينة وقرّة بن هبيرة القشيري ، فبعث بهما خالد إلى أبي بكر رضى الله عنه .

وسار خالد إلى البطاح (٢) ، وعليها مالك بن نويرة ، فلم يجد هناك أحداً ، ووجد مالكا قد فرقه فى أموالهم ونهائم عن الاجتماع .

وكان فيما أوصاهم به أبو بكر رضى الله عنه : ( إذا نزلتم فأذنوا وأقيموا ، فإن أذن القوم وأقاموا فكفوا عنهم ، وإن لم يفعلوا فلا شئ . إلا الإغارة ، ثم اقتلهم كل قتلة إلا حرقاً فما سواه ، وإن أجابوكم إلى داعية الإسلام فاسألهم ، فإن هم أقرؤا بالزكاة قبلتم منهم ، وإلا فلا شئ . إلا الإغارة ) .

فجاء الخيل إلى خالد بمالك بن نويرة فى نغرة من بنى ثعلبة بن ربوع ، فاختلف أصحاب خالد فيهم : فشهد أبو قتادة الأنصارى عند خالد أنهم قد أذنوا وأقاموا وصلوا ، وقال بعض الناس : لم نسمع منهم أذاناً ولا رأيناهم صلوا .

فراجع مالك خالد فى كلام قال فيه مالك : قد قال صاحبكم - يعنى

(١) فى الاحمدية (حفص) وهو تحريف .

(٢) بالضم ، ويقال بكسر الباء أيضاً . وهى أرض فى بلاد بنى تميم . على ما فى (معجم ما استمعهم للبكرى) .

رسول الله ﷺ - فقال خالد : يا عدو الله وما تعده لك صاحباً ؟ فضرب عنقه وقتل أصحابه (١) .

### ( قصة أهل اليمامة )

ولما فرغ خالد من البطاح رجع إلى المدينة فأمره بالخروج إلى اليمامة (٢) لقتال مسيلة الكذاب، ووجهه معه المهاجرين والأنصار . وكان ثمامة بن أثال قد كتب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه يخبره أن أمر مسيلة قد استعلى فبعث أبو بكر عكرمة بن أبي جهل وأتبعه شرحبيل بن حسنة وقال : الحق بعكرمة ، فاجتمعوا على قتال مسيلة ، فعاجلهم مسيلة فاقتتلوا ، فأصيب جماعة من المسلمين .

فبعث أبو بكر إلى عكرمة بن أبي جهل فصرفه إلى وجه آخر .  
ولما قدم خالد أمره أبو بكر بالمسير إلى مسيلة ، ففضى حتى نزل منزلاً من اليمامة فمسكر به فخرج إليه مسيلة ، وكان عدد بني حنيفة أربعين ألفاً .

(١) تختلف الروايات في مقتل مالك اختلافاً تقباعد أطرافه فلا تتقارب ، وأشد ما في هذه الروايات المتضاربة لإحجام أسماء جماعة من سادة الصحابة رضوان الله عليهم وحسب القاري أن يسمع اسم الفاروق وأبي قحافة وعبد الله بن عمر حتى يندفع إلى الإيمان بما سمع ، فقد يكون لإحجام هذه الأسماء لمعاناً في ستر الحقيقة . والرواية الأخيرة قد تكون قرينة القبول : لأن قول مالك قد قال صاحبكم ، لا تخرج من صدر سليم الإيمان ، بل هي فلمنة من فلمات الكفر البواح . على ما في ( كتاب خالد بن الوليد للأستاذ الشيخ صادق عرجون ) .

(٢) اليمامة : هي معدودة من نجد ، وبين اليمامة والبحرين عشرة أيام . وفي الهوامش المقبلة تفصيل عنها .

وقدم مسيلمة أمامه الرجال بن عنفوة<sup>(١)</sup> ، وكان الرجال قد قدم على رسول الله ﷺ وأسلم وقرأ سورة البقرة .

فلما رجع إلى مسيلمة شهد له في جماعة من بني حنيفة أنه سمع رسول الله ﷺ يشركه في الأمر والنبوة .

وكان قوله أشد على أهل اليمامة من فتنه مسيلمة . قال أبو هريرة رضي الله عنه : جلست في رهط عند رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : ( إن فيكم رجلاً ضرسه في النار مثل أحد ) فملك القوم وبقيت أنا والرجال ، فكنت متخوفاً لها حتى خرج الرجال مع مسيلمة فشهد له بالنبوة .

قال واقتتل الناس قتالاً شديداً فقتل الرجال ، قتله زيد بن الخطاب وأصيب من المسلمين ألف ومائتا رجل ، منهم ثابت بن قيس بن شماس وزيد ابن الخطاب أخو عمر .

وقتل الله عز وجل مسيلمة ، اشترك في قتله رجلان : رجل من الأنصار ووحشى مولى جبير بن مطعم ، وكان وحشى يقول : قتلت خير الناس وشر الناس . يعنى حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ومسيلة الكذاب .

قال علماء السير : قتل من المسلمين يوم اليمامة أكثر من ألف ، وقتل من المشركين نحو عشرين ألفاً .

وحج بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب ، وقيل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما .

\* \* \*

(١) في النسخ ( الرجال بن عنفوة ) وهو خطأ .

( ذكر من توفى في هذه السنة )

من الأعيان

فيها توفى ( ثابت بن أفرم ) بن ثعلبة بن عدى ، شهد بدرأً وأحدأً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وخرج مع خالد بن الوليد إلى أهل الردة فبعثه مع عكاشة بن محصن طليعة فقتلا رضى الله عنهما .

وفيها توفى ( ثابت بن قيس ) بن شماس بن مالك<sup>(١)</sup> ، شهد أحدأً والخندق والمشاهد بعدها مع رسول الله ﷺ . وكان خطيباً جهير الصوت ، جاء يوم اليمامة وقد تحنط ولبس ثوبين أبيضين فكفن فيهما وقد انهزم القوم فقال : اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء المشركون وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء ، ثم قال بثما عودتم أقرانكم ، ثم حمل وقاتل حتى قتل<sup>(٢)</sup> .

( زيد بن الخطاب )

وفيها قتل ( زيد بن الخطاب ) أخو عمر ، كان أسن من عمر وأسلم قبل عمر . شهد بدرأً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وكان حامل راية المسلمين يوم اليمامة ، فأنكشف المسلمون حتى غلبت بنو حنيفة على الرجال ، فصاح زيد بأهلى صوته : اللهم إني أعتذر إليك من فرار أصحابي وأبرأ إليك مما جاء به مسيلمة ، وجعل يشد بالراية يتقدم بها في نحر العدو ، ثم ضارب بسيفه حتى قتل ، وورقت الراية ، فأخذها سالم مولى أبي حذيفة .

(١) هذا ما في الإصحاحية ونسخة المعهد ، وهو موافق لما في تهذيب التهذيب . وفي الإصابة والاستيعاب خلاف فيما بعده ( شماس ) .

(٢) وعلى ثابت يومئذ درع له نفيسة ، فر به رجل فأخذها ، ورآه بعض الصحابة في النوم فأوصاه بأن تؤخذ درعه وأن يقول للخليفة : إن على من الدين كذا وكذا ، وفلان من رقيق عتيق ، فأجاز الخليفة أبو بكر وصيته ، ولا يعلم أحد أجزيت وصيته بعد موته سواء . على ما في ( الاستيعاب ) .

قال محمد بن سعد عن نافع عن عبد الله بن عمر قال: قال عمر لأخيه زيد يوم أحد: أقسمت عليك إلا لبست درعى، فلبسها ثم نزحها. فقال له عمر: مالك؟ قال: أريد لنفسى ما تريد لنفسك، وكان عمر يقول: أسلم قبلى واستشهد قبلى. وكان يقول ما هبت الصبا<sup>(١)</sup> إلا وجدت فيها ريح زيد. رضى الله عنهما.

وفى قتل (سالم مولى أبى حذيفة) قال ابن سعد: كان لثبينة<sup>(٢)</sup> ابنة يمار الأنصارية، وكانت تحت أبى حذيفة بن عتبة فأعتقه فتولى أباحذيفة وتبناه أبو حذيفة. وقال فيه رسول الله ﷺ (إن سالما شديد الحب لله) وكان سالم يوم بالمهاجرين من مكة حتى قدموا المدينة، وفيهم أبو بكر وعمر، وكان أقرامهم.

وكان اللواء يوم اليمامة بيد زيد بن الخطاب، فلما قتل أخذه سالم فقطعت يمينه، فتناول اللواء بشماله فقطعت شماله، فاعتنق اللواء، وجعل يقرأ ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾<sup>(٣)</sup> ووقف بالراية حتى قتل، فعرض ميراثه على مولاته فأبى وقالت أنا سبيته<sup>(٤)</sup> لله تعالى، فجعل ميراثه فى بيت المال.

وفى قتل (أبو دجانة سماك بن خرشة<sup>(٥)</sup>) شهد بدرأ وأحدا، وثبت مع رسول الله ﷺ وبايعه على الموت. وقال رسول الله ﷺ: (من يأخذ

(١) فى الإفصاح فى فقه اللغة: الصبا: ريح تأتي من مطالع الشمس، وتقابل باب السكبة (لذلك تسمى القبول). أنظر كتاب الأزمدة والامكنة للبرزوقي.

(٢) فى النسخ (لثبينة) التصحيح من الاستيعاب والإصابة وطبقات ابن سعد.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٤٤.

(٤) فى الأحمدية (سبيته) وهو تصحييف.

(٥) فى الأحمدية (سماك بن خرشة) وكلاهما خطأ.

هذا السيف بحقه ) ؟ فقال : أنا ، فأخذه ففلق به هام المشركين ، شهد اليمامة وهو ممن شرك في قتل مسيلة وقتل شهيداً رضى الله عنه .

وفيهما ( توفى عبد الله بن أبي بكر الصديق ) أسلم قديماً ، ولم يسمع له بمشهد إلا يوم الطائف ، فإنه شهده مع رسول الله ﷺ ، فرماه أبو محجن بسهم فبقي منه جريحاً مدة ، ثم اندمل ، ثم انتقض به في شوال سنة إحدى عشرة في خلافة أبيه فمات . ونزل في حفرته أخوه (١) عبد الرحمن بن أبي بكر وعمر ابن الخطاب رضى الله عنهم .

وفيهما قتل ( عبد الله بن سهيل ) بن عمرو (٢) وقتل يوم اليمامة رضى الله عنه .

وفيهما قتل ( عباد بن بشر بن وقش ) أسلم بالمدينة على يدى مصعب بن عمير ، وشهد بدرأ . وكان ممن قتل كعب بن الأشرف ، وجعله رسول الله ﷺ على مقام حمين ، واستعمله على حرسه بقبوك مدة إقامته هناك . وشهد اليمامة فقتل شهيداً وهو ابن خمس وأربعين سنة رضى الله عنه .

وفيهما قتل ( عبد الرحمن بن عبد الله بن ثعلبة ) أبو عقيل . شهد بدرأ والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وقتل يوم اليمامة . قال ابن عمر (٣) وقتت عليه وهو صريع بأخر رمق ، قلت : أبا عقيل . قال : ليك — بلسان

(١) ( أخوه ) ساقطة من الأحادية .

(٢) كان عبد الله قد أسلم ، وكنتم عن أبيه إسلامه ، فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرأ انماز من المشركين وهرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهد معه بدرأ والمشاهد كلها ، وكان من فضلاء الصحابة ، على ما في ( الاستيعاب ) . (٣) في المختصر ( أبو عمر ) وهو تحريف .

( ٦٣ — أول عيون المؤرخ )

فلما مات من الدائرة؟ قلت: أبشر فقد قتل الله مسيلة عدو الله، فرفع  
إصبعه إلى السماء يحمده الله تعالى ومات رحمه الله تعالى ورضي عنه. قال  
ابن عمر: فأخبرت عمر بعد أن قدمت خبره فقال: رحمه الله ما زال يسأل  
الله تعالى الشهادة ويطلبها. وكان من خيار أصحاب نبينا محمد صلى الله عليه  
وسلم وقدمائهم.

وفيها توفيت:

(فاطمة الزهراء)

ابنة رسول الله ﷺ. ولدت قبل النبوة بخمس سنين، ومرضت بعد  
رسول الله ﷺ مرضاً شديداً، وتوفيت بعده بستة أشهر، وقبل بمائة يوم.  
وقيل أكثر وقيل أقل<sup>(١)</sup>، وهي ابنة تسع وعشرين سنة، وقال بعضهم خمس  
وثلثين سنة.

قالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: ما رأيت أحداً كان أشبه كلاماً  
وحديثاً برسول الله ﷺ من فاطمة، وكانت إذا دخلت عليه قام إليها فقبلها  
ورحب بها كما كانت تصنع به ﷺ وكانت أول أهله<sup>(٢)</sup> لحوقاً به، وصلى  
عليها علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو الذي غسلها مع أسماء بنت عميس  
بوصية منها، ولم يخلف رسول الله ﷺ من ولد غيرها، ودفنت بالبقيع  
ليلاً رحمه الله تعالى ورضي عنها. وقال علي رضي الله عنه يرثها:

اسكل اجتماع من خليلين فرقة وكل الذي دون الممات قليل  
وإن افتقادي واحداً بعد واحد دليل على أن لا يدوم خليل

(١) في ( ذخائر العقبى ): والاول أصح. قال الشيخ زاهد السكوتري في تأنيب  
الخطيب، ٢) الاختلاف شديد في مواليد ووفيات الصدر الاول لتقدم عصرهم على  
عهد تدوين الوفيات. ومصدقات ذلك في وفيات الصحابة فضلاً عن مواليدهم.  
ويرجع أحدث التواريخ المروية في المواليد وأقدمها في الوفيات، أخذت بالاحوط  
في الحكم بالاتصال أو بالانقطاع، لما لم يوجد ما يؤيد إحدى الروايات.  
(٢) ( أهله ) ساقطة من النسخ، فاستدركنها من ( الاستيعاب ).



وفيهما توفيت ( أم أيمن ) حاضنة النبي ﷺ ومولاه رضي الله عنها .

وفيهما قتل :

( مالك بن نويرة )

أبو المغوار اليربوعي أخو متمم . وقد ذكرنا ما جرى له مع خالد ابن الوليد رضي الله عنه وأن خالداً أمر ضرار بن الأزور بضرب عنقه ، فلما قتل قال أبو قتادة : هذا عملك يا خالد ، فزبره خالد ، فغضب ومضى حتى أتى أبا بكر ، وكان خالد قد تزوج أم تميم بنت المهلب وهي امرأة مالك ، فقال عمر : إن في سيف خالد رهقا . ولما أقبل خالد إلى المدينة قال له عمر : يا عدو الله ، عدوت على رجل من المسلمين فقتلته ثم تزوجت امرأته ، ( إن أمكنني الله منك لأرجمك )<sup>(١)</sup> . وخالد ساكت لا يرد عليه شيئا ، يظن أن ذلك عن رأى أبي بكر .

فلما دخل على أبي بكر أخبره الخبر واعتذر إليه ، فصدقه وقبل عذره ،

(١) قال الأستاذ صادق إبراهيم عرجون في مؤلفه ( خالد بن الوليد ) : أمر هذه الروايات ظاهر أنه من تزبد القصاصين ، وإقحام اسم عمر بهذه الصورة التي تقصها الروايات ظاهر الانتحال . ولا نرى حرجا على خالد في تزوجه المرأة مالك لأنه قتل رجلا كافرا في اعتقاده منابذاً للإسلام محاربا للمسلمين معتديا عليهم . فإذا فرضنا إسلام زوجته وهي تحتة فيكون خالد قد أحسن إليها وأجبر خاطرها بتزوجها . وهذا ما نرجحه في شأنها لأن أكثر المؤرخين ذكروا أنها اعتدت بثلاث حيض . وإذا فرضنا أنها غير مسلمة خضعها بحكم الشيء ، ويكون خالد قد أحسن إليها أيضا ، لأنه كما تقول بعض الروايات اشتراها من الفتيمة وأعتقها وتزوج بها . انتهى ما نقلته مع نقد الأستاذ صادق عرجون لهذه الروايات . وقد بلغ هذا النقد ثمانى عشرة صفحة في مؤلفه النفيس المذكور .

وكان عمر يحرض أبا بكر على عزله وأن يقيد منه ، فقال أبو بكر : هيه يا عمر ما هو بأول من أخطأ ، فارفع لسانك عن خالد ، ثم ودى مالكا .

وبما يؤيد خالد أن مالكا مات مرتدا أن متما لما أنشد عمر مرثيته في أخيه مالك قال عمر : وددت أني أحسن الشعر فأرثي أخى زيدا بمثل ما رثيت به أخاك ، فقال متمم : لو أن أخى مات على ما مات عليه أخوك ما رثيته <sup>(١)</sup> فقال عمر رضئ الله عنه : ما عزاني أحد عن أخى ما عزاني به متمم .

وفي المثل (مرعى ولا كالسعدان وفقى ولا كالك) يعنون به مالكا هذا .

وقيل لمتمم صف لنا مالكا فقال : كان يركب الجمل الثفال <sup>(٢)</sup> في الليلة القمرة ، يرتقى لأهله بين المزدتين النضوحيتين عليه الشملة الفلوت <sup>(٣)</sup> يقود الفرس الحرون ثم يصبح ضاحكا .

ومن مرثيته فيه :

لقد لآمنى عند القبور على البكى <sup>(٤)</sup> رفيق لتذراف الدموع السوافك <sup>(٥)</sup>

(١) لأنه مات شهيدا .

(٢) وردت هذه اللفظة مصحفة في بعض النسخ . والثفال : البطيء الثقيل .

(٣) هي لصفرها ثفلت منه إذا اشتمل بها . وقيل هي التي لا تثبت على صاحبها لحشوتها أو لينها . على ما في (النهاية لابن الأثير) .

(٤) (البكى) ، مقصورا يرسم بالياء ، لأنه يائي . وفي الفسخ (البكا) بالالف . وهذه الأبيات ساقطة من نسخة المصنف .

(٥) في المختصر (السراكب) . قال أبو هلال العسكري في (ديوان المعاني ٢ / ١٧٤) هذا البيت غير مختار الرصف عندي ، وفي ألفاظه زيادة على معناه . وقد وردت هذه الأبيات في نهاية الأرب وغيره مع اختلاف في بعض الألفاظ .

فقال أتبيكي كل قبر رأيته لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك  
فقلت له إن الأسى يبعث الأسى ذرونى فهذا كله قبر مالك  
وقال أيضاً يرثيه من أبيات :

لقد غيب<sup>(١)</sup> المنال<sup>(٢)</sup> تحت ردهائه قى غير مبطان العشيات أروعا  
ليدياً أغان اللب منه سماحة خصيباً إذا ما راكب الجذب أوضعا  
تراه كنصل السيف تندى بنانه إذا لم يجد عندا مرىء السوء مطمئعا  
أقول وقد جاد السنا فى ردهائه يحسون يسبح المساء حتى تربعا  
سقى الله أرضاً حملها قبر مالك ذهاب الغراذى المدججات فأمرعا  
وعشنا بخير فى الحياة<sup>(٣)</sup> وقبلنا أباد المنايا رهط كسرى وتبعنا  
وكنا كندمانى جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا  
فلما تفرقنا كأنى ومالكاً أطول اجتماع لم نبت ليلة معسا  
وقال :

ألوم النايبات من الليالى وما تدرى الليالى من ألوم  
وكان أخى زعيم بنى تميم وكل قبيلة فلهم زعيم  
وكان إذا الشدائد أرهقتنى يقوم بها وأقعد لا أقوم<sup>(٤)</sup>  
وقدم على أبى بكر رضى الله عنه فعلى خلفه صلاة الصبح ، فما فرغ أنشده

(١) فى الأغاني وشرح الحماسة للبريدى ( كفن ) بدل ( غيب ) . وهذه  
المقطوعة لم ترد فى نسخة الممهد ، وبعض ألفاظها فى الاحمدية معلوم ، فاستدركت  
ذلك من عدة مراجع .

(٢) أى الموت .

(٣) فى البداية والنهاية ( ما حيينا ) وما فى الاحمدية يوافق ما فى  
( فوات الوفيات ) .

(٤) هذه الأبيات لم ترد فى نسخة الممهد .

نعم القليل إذا الرياح تناوحت تحت الإزار قتلت يابن الأزور  
 أدعوته بالله ثم غدرت له بل لو دعاك بذمة لم يغدر  
 لا يلبس الفحشاء تحت ثيابه صعب مقادته عفيف المنور  
 فلتنعم حشو الدرع كنت وحاسرا ولنعم مأوى الطارق المتور  
 ثم بكى حتى سالت عينه العوراء وانخرط على سية (١) قوسه مغشياً عليه  
 فلما أفاق قال : والله لقد أصبت بعيني فما قطرت منها دمة عشرين سنة ، فلما  
 قتل أخى استهلت فما ترقأ . وأسلم متمم وحسن إسلامه .

( السنة الثانية عشرة من الهجرة النبوية المحمدية )

لما فرغ خالد رضى الله عنه من أمر اليمامة كتب إليه أبو بكر الصديق  
 رضى الله عنه وهو مقيم باليمامة : إني قد ولت لك حرب العراق .  
 قال الواقدي : من الناس من يقول : مضى خالد رضى الله عنه من اليمامة  
 إلى العراق . ومنهم من يقول : رجع من اليمامة فقدم المدينة ثم سار إلى العراق .  
 وسار خالد رضى الله عنه بمن معه حتى نزل قصور الحيرة (٢) ، فخرج إليه  
 أشرافهم مع قبيصة بن إياس الطائي . وكان قد أمره عليهم كسرى بعد النعمان  
 ابن المنذر ، فقال له خالد رضى الله عنه ولأصحابه : أدعوكم إلى الله وإلى  
 الإسلام فإن أجبتكم فلكم ما لنا وعليكم ما علينا ، وإن أبيتم فالجزية ، فإن أبيتم  
 فقد أتيتمكم بأقوام هم أحرص على المرات منكم على الحياة ، فنبجاهدكم حتى  
 يحكم الله بيننا وبينكم .

فقال له قبيصة بن إياس : مالنا بحربك من حاجة ، بل نقيم على ديننا

(١) السية : ما عطف من طرفي القوس . (٢) الحيرة : مدينة في العراق .

(٢) مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة ، وكانت سكن المناذرة  
 في الجاهلية .

ونعطيك الجزية ، فصالحهم على تسعين ألف درهم ، فسكان أول جزية وقعت بالعراق ،

وقيل خرج إليه عبد المسيح بن عمرو بن ببيعة<sup>(١)</sup> ، وكان قد عمر دهرًا طويلا .

وقال خالد رضى الله عنه لعبد المسيح : من أين أتيت ؟ قال : من ظهر أبى قال : من أين خرجت ؟ قال : من بطن أمى قال : ويحك ، على أى شيء أنت ؟ قال : على الأرض . قال : ويحك فى أى شيء أنت ؟ قال : فى ثيابى . قال : ويحك تعقل ؟ قال : نعم وأقيد . قال : إنما أسألك . قال : وأنا أجيبك . قال : سلم أنت أم حرب ؟ قال : سلم . قال : فما هذه الحصون التى أرى ؟ قال : بنيناها للسفينة نجده حتى يحىء الخليم فينهاه .

قال خالد رضى الله عنه : إني أدعوكم إلى الإسلام فإن أبيتم فالجزية<sup>(٢)</sup> قال : لا حاجة لنا فى حربك . فصالحهم كما ذكرناه .

وفى رواية أخرى أن عبد المسيح لما حضر إلى خالد وجد خالد

(١) ببيعة اسم ثعلبة بن سمين ، ويقال : الحارث ، وسمى ببيعة لأنه خرج فى بردن أخضرين ، فقبل له : يا حارث ما أنت إلا ببيعة خضراء ، فقبلت عليه ، على ما فى حاشية (معجم الشعراء البرزبانى) وغيره .

(٢) الجزية اسم المال يعطيه رجال قوم جزاء على الإيقاع بالحياة أو على الإقرار بالأرض . بنيت على وزن اسم الهيئة . ولا مناسبة لاعتبار الهيئة فلذلك كان الظاهر فى هذا الاسم أنه معرب عن كلمة (كزيت) بالفارسية بمعنى الخراج . نقله المفسرون عن الخوارزمى . ولم أقف على هذه الكلمة فى كلام العرب فى الجاهلية ولم يعرج عليها الراغب فى (مفردات القرآن) ولم يذكرها فى معرب القرآن لوقوع التردد فى ذلك لأنهم وعدوا مادة الاشتقاق العربى صالحة فيها . (من تفسير التحرير والتنوير للشيخ الطاهر بن عاشور ١٠/١٢٦) .

في كنفه شيئاً يقره . فقال خالد رضي الله عنه : ما هذا ؟ قال : سم ساعة ، قال : وما تصنع به ؟ قال : إن كان عندك ما يوافق قومي حمدت الله تعالى وقبلته ، وإن كانت الأخرى لم أكن أول من ساق إليهم ذلاً فأشربه وأستريح من الحياة .

قال خالد رضي الله عنه : هاته ، فأخذه منه وقال : ( بسم الله وبالله رب الأرض والسماء الذي لا يضر مع اسمه شيء ) ثم شربه فتجملته غشية وضرب بذقنه صدره طويلاً ثم عرق . فلما أفاق كأنما نشط من عقال .

فرجع عبد المسيح إلى قومه وقال : جئتمكم من عند رجل أكل سم ساعة فلم يضره ، صانعوا القوم وادروهم عنكم ، فصالحوهم .

وعبد المسيح هذا عاش ثلاثمائة وخمسين سنة ، وكان نصرانياً .

وقيل : إن بعض أهل الحيرة في زمن هارون الرشيد حفر حفرة ليختط له داراً فوجد كهيفة البيت ، فإذا رجل على سرير من زجاج ، وعند رأسه كتابة : أنا عبد المسيح بن عمرو بن ببيعة :

حلبت الدهر أشطره حياقي      ونلت من المنى فوق المزيدي  
وكافحت الأمور وكافحتني      ولم أحفل بمعضلة كؤودي  
وكدت أنال في الشرف الثريا      ولكن لا سبيل إلى الخلود

ثم إن خالد رضي الله عنه قدم الأبله (١) فلقى هرمز في ثمانية عشر ألفاً ، وتنازل هرمز وخالد رضي الله عنه ، فانهزم أهل فارس وقتل منهم خلق كثير .

(١) في نسخة المعهد (الايلة) وهو تصحيف . والأبله : بلدة على شاطئ دجلة غربي البصرة العظمى .

وقسم خالد رضى الله عنه الأسلاب، وبعث بالخمسة مع سعيد (١) بن النعمان وأتى الخبر أردشير (٢) فبعث الأندر في خلق كثير، فلقوا خالداً رضى الله عنه فاقتتلوا قتالا شديداً.

وكان لخالد رضى الله عنه كمين نخرج على القوم من وجهين، فانهزمت صفوف الأعاجم وانهزم الأندر (٣) فمات عطشاً. وبلغ القتلى سبعين ألفاً. ثم قصد خالد رضى الله عنه الأنبار (٤) ففتحها، واستخلف عليها الزبرقان ابن بدر، وقصد عين التمر (٥) فامتنعوا منه فحاصروهم حتى أنزلهم وضرب أعناقهم، وسبي منهم سبياً كثيراً، ووجد في بيعتهم أربعين غلاماً يتعلمون الإبحال، عليهم باب مغلق فكسره عنهم وقسمهم في العسكر، منهم أبو زياد مولى ثقيف، ونصير أبو موسى بن نصير، وأبو عمرة جد عبدالله بن عبد الأعلى وسيرين أبو محمد بن سيرين، وحران مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه، ويسار مولى قيس بن مخزومة.

ولما فرغ خالد رضى الله عنه من عين التمر خلف فيها عويم بن السكاهن الأسلمى وخرج، فلما بلغ دومة الجندل (٦) وكان عليها رئيسان: أكيدر بن عبد الملك والجودى بن ربيعة فاختلفا فقال أكيدر: أنا أعلم الناس بخالد، لا يرى أحد وجهه إلا انهزم. فأبوا عليه وقتلوه، فقتل أكيدر والجودى وتحصن أقوام بالحصن فلم يمنهم، وقتل من تخلف، وقلع باب الحصن وسبي خالد ابنة الجودى وكانت موصوفة بالجمال.

(١) في المختصر (سعيد) وهو تحريف.

(٢) في النسخ (أردشير) وهو تصحيف.

(٣) في نسخة المعتمد (الأندر) وهو تصحيف.

(٤) غربي بغداد، على بعد ٦٥ كم، كما في (معجم أما كن الفتوح) الملهوق بفتوح البلدان للبلاذرى صنع الدكتور صلاح الدين المنجد.

(٥) بلدة قريبة من الأنبار غربي السكوفة.

(٦) اسمها اليوم (الجوف) وأول غزوات الشام: دومة الجندل.

(٦٤ - أول عيون التواريخ)

قال : ولما بلغ الروم ما صنع خالد رضى الله عنه حميت واغتازلت واستعانوا  
بمن يابهم من القرم ، واستمدوا ثعلباً وإياداً وأنماراً (١) فأمدوهم ، ثم ناهزوا  
خالد ، حتى إذا صار الفرات بينهم قالوا : إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر  
إليك ، قال خالد رضى الله عنه : بل اعبروا إلينا ، فقالت الروم وفارس  
بعضهم لبعض : احتسبوا ملككم ، هذا رجل يقاتل عن دين الله ، والله  
لينصرن ولنخذلن ، فعبروا واقتتلوا قتالاً طويلاً فهزمهم الله تعالى . وقتل منهم  
فوق مائة ألف .

وأقام خالد رضى الله عنه هناك بعد الواقعة عشرة ، ثم أذن في القفول إلى  
الخيرة وأمر عاصم بن عمر أن يسير بهم .

وخرج خالد رضى الله عنه حاجاً مكتماً يعتسف البلاد حتى أتى  
مكة المشرفة .

فلما علم أبو بكر رضى الله عنه بذلك عتب عليه ، وكانت عقوبته أن صرفه  
إلى الشام وكتب إليه : سر حتى تأتي جموع المسلمين باليرموك ، وإياك أن تعود  
لما فعلت وأتمم يتم الله لك ، ولا يدخلنك عجب فتخسر ، وإياك أن تدل  
بعملك فإن الله تعالى له المن وهو ولي الجزاء .

واعتمر أبو بكر رضى الله عنه في هذه السنة ودخل مكة ضحوة .

وأقى منزله وأبو قحافة جالس على باب داره معه قينات يحدثهن ، وقيل  
له : هذا ابنك ، فنهض قائماً وعجل أبو بكر أن يذهب (٢) راحلته فنزل عنها

(١) بالتفريق على أنها أسماء أقوام ، فإذا أريد القبايل منعت من الصرف  
للعلمية والتأنيث .

(٢) أى عجل عن أن يذهب لينزل عنها ، مخافة على أبيه من مشقة النهوض .  
يقول الاستاذ العلامة ( في عهدة الصدوق ) : كثير مما في أبي بكر هو من هذا  
الأب الصالح : طيبة في القلعة ، في استقامة . ويؤيد عليه ابنه في كل وصف حميد .



وهي قائمة وجعل يقول يا أبة<sup>(١)</sup> لا تقسم ، ثم التزمه وقبل بين عبيده ،  
وأبو قحافة يبكي فرحاً بقدومه .

وجاء إلى مكة عتاب بن أسيد وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل  
والخارث بن هشام ، فسلموا عليه : « سلام عليك يا خليفة رسول الله ،  
وصاحبه جميعاً ، فجعل أبو بكر رضي الله عنه يبكي حين يذكرون  
رسول الله ﷺ .

ثم سلموا على أبي قحافة ، فقال أبو قحافة : يا عتيق هؤلاء الملائ فأحسن  
صحبتهم ، فقال أبو بكر رضي الله عنه يا أبة لا حول ولا قوة إلا بالله ،  
طوقت مظالم من الأمر لا قوة لي به ولا يدان إلا بالله .

وفي هذه السنة تزوج عمر بن الخطاب رضي الله عنه عائشة بنت زيد  
ابن عمرو بن نفيل ، وتزوج علي رضي الله عنه أمامة بنت أبي العاص بن الربيع .  
وحج أبو بكر رضي الله عنه بالناس ، واستخلف على المدينة عثمان  
ابن عفان رضي الله عنه .

( ذكر من توفي في هذه السنة )

من الأعيان

فيها توفي ( أبو العاص بن الربيع ) بن عبد الغزي بن عبد شمس<sup>(٢)</sup> بن  
عبد مناف . أمه هالة بنت خويلد ، وخالته خديجة . زوجه رسول الله ﷺ  
أبنته زينب قبل الإسلام ، فولدت له علياً وأمامة ، فتوفي على صغيراً ، وبقيت  
أمامة فتزوجها علي رضي الله عنه بعد موت فاطمة رضي الله عنها . وكانت  
زينب قد أسلمت وهاجرت . وأبي أبو العاص أن يسلم ، وشهد بدرًا مع

(١) أصلها ( يا أبت ) بتمام مكسورة ، ووقف عليها بالهاء على لغة .

(٢) كان يقال له ( الأمين ) كما في نسب قريش لمصعب الزبيري .

المشركين ، فأمره عبد الله بن جبير بن النعمان ، كما تقدم في غزوة بدر الكبرى [١] فقدم في فدائه أخوه عمرو بن الربيع ، وبعثت معه زينب وهي يومئذ بمكة بقلادة لها كانت لخديجة من جرع ظفار<sup>(٢)</sup> - وظفار جبل باليمن - وكانت خديجة أدخلتها على أبي العاص بتلك القلادة فلما بعثت بها في فداء زوجها عرفها رسول الله ﷺ ورق لها وذكر خديجة وترحم عليها وقال : (إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها متاعها فعلمتم) . فأطلقوه وردوا القلادة ، وأخذ على أبي العاص أن يخلى سبيلها ففعل . ثم إنه أسلم ورجع إلى رسول الله ﷺ مهاجراً ، فرد إليه زينب<sup>(٣)</sup> وتوفي في ذى الحجة من هذه السنة وأوصى إلى الزبير بن العوام رضى الله عنهما .

(١) ما بين المعقنين ساقط من نسخة المعهد ، فاستدركته من الاحمدية ومختصر كبريج .

(٢) الجزع بالفتح : الخرز اليماني . وظفار بفتح الظاء : اسم مدينة لمخير باليمن . وفي المثل : (من دخل ظفار حم) . ويقول المؤلف إن ظفار : جبل باليمن .

(٣) في (سير النبلاء للذهبي ١٧٦/٢) : أسلمت زينب وهاجرت ثم أسلم أبو العاص زوجها ، وما فرق النبي صلى الله عليه وسلم بينهما . ثم أنزلت (برادة) بعد . فإذا أسلمت امرأة قبل زوجها فلا سبيل له عليها إلا بالخطبة . اهـ .

ويؤخذ من ذلك أن من أسلمت وزوجها كافر كان لها حكم قبل نزول (برادة) ثم صار لها حكم آخر بعد نزولها : فقبل نزولها لم يكن يفسخ نكاح من أسلمت وزوجها كافر ، لكن إذا هاجرت لم ترجع إليه . فإذا أسلم وهاجر ردت إليه بدون عقد جديد ولو طالبت المدة .

وبعد نزولها تغير الحكم : فن أسلمت وزوجها كافر يفسخ نكاحها أنفسياً مطلقاً ، فإذا أسلم زوجها في أثناء العدة زال الانفساخ وعاد النكاح كما كان بدون عقد جديد . وإن لم يسلم حتى انقضت العدة ثبت الانفساخ وجرى لها أن تتزوج من شاءت من المسلمين . فإذا أسلم هو بعد ذلك ووجدها خلية جاز لهما الزواج بعقد جديد . هذا كله فيمن أسلمت ولها زوج كافر . وأما من كانت مسلمة في الأصل أو أسلمت وليس لها زوج فلا يجوز لها أن تتزوج بغير المصاهر .

(السنة الثالثة عشرة)  
من الهجرة النبوية المحمدية

فمن الحوادث فيها : تجهيز أبي بكر رضى الله عنه الجيوش إلى الشام ، بعد منصرفه من حجة : فبعث عمرو بن العاص رضى الله عنه قبل فلسطين ، وبعث أبا عبيدة بن الجراح ويزيد بن أبي سفيان وشرحيل بن حسنة رضى الله عنهم وأمرهم أن يسلكوا التبوكية على البلقاء من عليا الشام .

وأول لواء عقد لواء خالد بن سعيد ثم عزله قبل أن يسير ، وولى يزيد ابن أبي سفيان ، فكان أول الأمراء الذين خرجوا إلى الشام .

وخرجوا في سبعة آلاف فارس ، ومشى معهم نحو ميلين ، فقبل له : يا خليفة رسول الله لو انصرفت . قال : لا ، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : ( من اغبرت قدما في سبيل الله حرمه الله تعالى على النار ) (١) .

ثم قام في الجيش فقال : أوصيكم بتقوى الله ، لا تعصوا ولا تغلوا ولا تجبنوا ولا تهدموا بيعة<sup>(٢)</sup> ولا تحرقوا زرعاً ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تقتلوا شيخاً كبيراً ولا صبياً صغيراً ، وستجدون أقواماً قد حبسوا أنفسهم فندروهم وما حبسوا أنفسهم له ، وستجدون بلداً يندو عليكم ويروح فيه ألوان الطعام فلا يأنيكم لون إلا ذكرتم اسم الله تعالى عليه .

ولما بلغ الروم أحوال الأمراء المبعوثين كتبوا إلى هرقل ، فقال لأصحابه : أرى من رأى أن لا تقاتلوا هؤلاء القوم . فلم يقبلوا منه ، فخرج هرقل حتى نزل بمهمص وبعث يطلب العساکر ، فجاءته من كل مكان .

(١) ورد هذا الحديث في النسخ عرقاً . وقد أخرجه البخاري والترمذي والذسائي .

(٢) بكسر الباء : مشيد النصارى ، على ما في ( القاموس المحيط ) .

فكتب المسلمون إلى أبي بكر رضى الله عنه وإلى عمر رضى الله عنه  
يذكرون كثرة المساكر . فجاء كتاب أبي بكر : أن اجتمعوا باليرموك (١)  
فتكونوا عسكرياً واحداً ، ولن يؤتى مثلكم من قلة ، والله ناصر من نصره ،  
وليصل كل أحد منكم بأصحابه .

ونزل الروم منزلاً واسعاً المطرد ضيق المهرب على ضفة اليرموك ، وصار  
الوادي خندقاً لهم ، ونزل المسلمون بمخاضهم على طريقهم ، وليس للروم طريق  
إلا عليهم .

وكتب أبو بكر إلى خالد أن يلحق بهم ، وأن يخلف على العراق المثني (٢)  
فوافاهم ، وأمد هرقل الروم بباهان ، فوافى قدومه قدوم خالد ، فقاتل خالد  
بأهان ، وقاتل الأمراء من يليهم .

وكان المشركون مائتي ألف وأربعين ألفاً . وكان المسلمون بسمعة  
وعشرين ألفاً . وقدم خالد في تسعة آلاف ، فصاروا ستة وثلاثين ألفاً ،  
فهزم بأهان وتتابعت الروم على الهزيمة (٣) .

(١) هو واد في ناحية الشام في طرف الغور ، يصب في نهر الأردن .  
(٢) هو الأمير القائد المثني بن حارثة الشيباني سليل الأبطال ، الذي دافع  
في حروب الردة عن الدين واشترك بمجموعه في غزوة المرتدين ، وكتب  
له التاريخ في حروب العراق وغيرها صفحات خالدة ، وسجل له مواقف  
بطولية مشهورة ، وسر نجاحه هو في إيمانه العميق الذي يدفع إلى النصر  
بقوة الإرادة . وكان يعمل في صمت ناجح ونشاط مستمر . وكان في مواقف  
الشدة يتجه إلى الله تعالى ... أنظر كتاب ( المثني بن حارثة الشيباني للمعيد  
محمد فرج ) .

(٣) لعل الصواب : ( وتتابعت على الروم الهزيمة ) .

## ( ذكر اليرموك )

ولما اجتمع القوم باليرموك أخذ الرهبان يحرضونهم وينمون إليهم النصرانية فخرجوا للقتال .

وكانت الواقعة في جمادى الآخرة ، ونشب القوم والتحم القتال ، فينحسروا على ذلك إذ قدم البريد من المدينة — وهو محمية بن زعيم — وأخبرهم بأمداد ، وإنما جاء بموت أبي بكر وتأمير أبي عبيدة فحكم ذلك وقاتل الناس ، وكانت من أعظم الوقائع . وأصيب يومئذ عيسى بن سفيان ، وقاتل النساء ، وهزم الله تعالى الروم .

وكانت وقعة اليرموك (١) في سنة ثلاث عشرة . والواقدي يزعم أنها في سنة خمس عشرة .

واستشهد باليرموك عكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو (٢) والحارث ابن هشام وجماعة من بني المغيرة .

فأتوا بماء وهم صرعى فتدافعوه حتى ماتوا ولم يذوقوه : أتى عكرمة بالماء فنظر إلى سهيل ينظر إليه فقال : ابدءوا بهذا ، فنظر سهيل إلى الحارث ينظر إليه فقال : ابدءوا بهذا ، فماتوا كلهم قبل أن يشربوا رضى الله عنهم .

فربهم خالد رضى الله عنه فقال : بنفسى أنتم .

قال علماء السير : وأتى خالد دمشق فجمع له صاحب بصرى ، فسار إليه هو وأبو عبيدة فظفر بالعدو ، وطلب العدو الصالح فصولخوا على كل رأس

(١) هكذا في الإحدى والمختصر ، وفي نسخة المعتمد ( الروم ) بدل ( اليرموك ) .

(٢) في النسخ ( عمر ) وهو تهريف .

دينار في كل عام وجريب<sup>(١)</sup> حنطة

ثم رجع العدو على المسلمين فتوافوا بأجنادين<sup>(٢)</sup> فالتقوا، وظهر المسلمون على المشركين وقتل خليفة هرقل .

وأما المنفى الذي استخلفه خالد على العراق فإن كسرى شهربراز وجه إليه جنداً عظيماً، عليهم هرمز ومعه فيل . فالتقوا ببابل واقتتلوا قتالاً شديداً . ثم إن ناساً من المسلمين قصدوا الفيل فقتلوه . فانهزم أهل فارس واتبعهم المسلمون يقتلونهم .

ومات كسرى شهربراز فاجتمع أهل فارس على دخت زنان ابنة كسرى فلم ينفذ لها أمر فخلعت وملك سابور بن شهربراز ، فبعثت إلى سياوخس<sup>(٣)</sup> وكان من فتاك الأعاجم . وشكت إليه فدخل على كسرى سابور فقتله وملكته أرزميدخت بنت كسرى .

وأبطأ خبر أبي بكر على المسلمين . فخلف المنفى على المسلمين بشير بن الخصاصية . وخرج إلى أبي بكر لينخبره خبر المسلمين والمشركين فقدم المدينة وأبو بكر مريض فمات أبو بكر وجوز عمر الناس مع المنفى .

ومن الحوادث في هذه السنة مرض أبي بكر الصديق وعقد الخلافة من بعده لسيدنا عمر<sup>(٤)</sup> .

\* \* \*

( تم السفر الأول من عيون التواريخ )

( ويتلوه السفر الثاني ، وأوله ذكر خلافة سيدنا عمر بن الخطاب )

(١) في تاج العروس للزبيدي : قال بعضهم : إنه يختلف باختلاف البلدان كالرطل والمد والذراع ونحو ذلك .

(٢) بقرب الرملة بفلسطين .

(٣) في النسخ ( سياوخس ) والتصحيح من تاريخ الطبري .

(٤) يستعملنا في أوائل ( السفر الثاني ) خبر وفاة سيدنا أبي بكر

رضي الله عنه .

## فهرست

صفحة	الموضوع
١	وبه ثقتي
٤	ذكر نسب سيدنا رسول الله ﷺ وشرف وعظم
٥	باب تزوج عبد الله بن عبد المطلب
٧	باب حمل أمية برسول الله ﷺ
٧	باب وفاة عبد الله بن عبد المطلب
٨	باب مولد رسول الله ﷺ
١٤	باب ذكر من أرضع رسول الله ﷺ وتسمية إخوته وأخواته من الرضاعة
٢٠	ذكر الحوادث التي كانت في سنة خمس من مولده
٢٠	ذكر الحوادث في سنة ست
٢٧	الحوادث التي كانت في سنة ثمان من مولده
٣٤	ذكر الحوادث في سنة أربع عشرة من مولده ﷺ
٣٧	ذكر الحوادث التي كانت في سنة خمس وعشرين من مولد رسول الله ﷺ
٣٩	ذكر هدم قريش الكعبة
٤٢	ذكر الوقت الذي أرسل فيه رسول الله ﷺ
٤٣	ذكر ابتداء الوحي إلى النبي ﷺ
٤٥	ذكر المعراج
٥٠	ذكر الاختلاف في أول من أسلم
٥٢	ذكر أمر الله تعالى نبيه بإظهار دعوته
٥٩	إسلام حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه
٦١	ذكر تعذيب المستضعفين من المسلمين
٦٥	ذكر المستهزئين ومن كان شديد الأذى للنبي ﷺ
٦٩	ذكر الهجرة إلى أرض الحبشة
٧٢	ذكر إرسال قريش إلى النجاشي في طلب المهاجرين

الموضوع	صفحة
ذكر إسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه	٧٥
ذكر أمر الصحيفة	٧٨
ذكر وفاة أبي طالب وخديجة وعرض رسول الله ﷺ نفسه على قبائل العرب	٨٤
تزوج النبي ﷺ بعائشة	٨٦
ذكر أول عرض رسول الله ﷺ نفسه على الانصار وإسلامهم	٨٨
ذكر هجرة النبي ﷺ	٩٧
ذكر ما كان من الأمور أول سنة من الهجرة	١٠٣
ذكر من توفي في هذه السنة من الإيمان	١٠٦
السنة الثانية من الهجرة	١٠٧
ذكر سرية عبد الله بن جحش	١٠٨
غزوة بدر الكبرى	١١١
غزوة بني قينقاع	١٤٠
غزوة السكدر	١٤٢
غزوة السويق	١٤٢
ذكر من توفي في هذه السنة من الاعيان	١٤٤
ومن مشاهير قتلى المشركين	١٤٤
السنة الثالثة من الهجرة	١٤٧
مقتل كعب بن الأشرف	١٤٨
ذكر قتل أبي رافع	١٥١
وقعة أحد	١٥٣
غزوة حراء الأسد	١٦٧
غزوة بني قريظة	٢٠٦
ذكر من توفي في هذه السنة من الاعيان	٢١١
أمية بن أبي الصلت	٢١٣
السنة السادسة من الهجرة ( غزوة بني حيان )	٢٢٣



صفحة	الموضوع
٢٢٤	غزوة ذي قرد
٢٢٨	غزوة بنى المصطلق بنى خزاعة وهى غزوة المريسيع
٢٣٠	حديث الافك
٢٦٢	ذكر من توفى فى هذه السنة من الإيمان
٢٦٤	السنة السابقة من الهجرة ( غزوة خيبر )
٢٧١	سرية بشير بن سعد
٢٧١	سرية غالب بن عبد الله الليثى
٢٧١	سرية غالب بن عبد الله الليثى أيضا إلى بنى عبد بن ثعلبة
٢٧٢	سرية بشير بن سعد
٢٧٢	عمرة القضاء
٢٧٤	ذكر من توفى فى هذه السنة من الأعيان
٢٧٧	السنة الثامنة من الهجرة
٢٨٨	ذكر فتح مكة
٣٣٣	ذكر غزوة الطائف
٣٤١	السنة التاسعة من الهجرة
٣٧٠	ذكر حج أبى بكر رضى الله عنه
٣٧٤	السنة العاشرة من الهجرة
٣٩٣	ذكر بعث رسول الله ﷺ
٣٩٤	ذكر حجة الوداع
٣٩٧	ذكر عدد حجج النبي ﷺ
٣٩٨	ذكر صفة للنبي ﷺ
٤٧٥	باب فى ذكر خلافة أبى بكر الصديق
٥٠٢	السنة الثانية عشرة من الهجرة النبوية المحمدية
٥٠٩	السنة الثالثة عشرة من الهجرة النبوية المحمدية

رقم الإيداع بدار السكتب ٢١٧١ / ١٩٨٠  
الترقيم الدولى - ٨٦ - ٧٠٠١ - ٩٧٧

---

دار الشباب للطباعة

١٥ شارع السياسة بالقاهرة

ت: ٨٣٩٧٣

